

مفتاح السعيا  
في شرح نهج الغيلا

لمؤلفه  
محمد تقي النقوي القابلي





[www.haydarya.com](http://www.haydarya.com)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





# مفتاح السّعادة في شرح نهج البلاغة

المجلد الثاني عشر

لِمُؤَلِّفِهِ سَيِّدِ مُحَمَّدِ تَقِيِّ التَّقْوَى



قائمه  
انتشارات قائن



نقوی قائی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -  
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی طالب علیه السلام] تألیف محمد تقی نقوی  
القائی. - تهران: قائی، ۱۳۸۳.

ج ۱۲.

(دوره) : 7 - 5 - 94687 - 964 - SET - ISBN

(ج ۱۲) : 7 - 02 - 8981 - 964 - ISBN

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربی.

کتابنامه.

۱. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد  
و تفسیر. ۲. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کلمات قصار.  
۳. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه‌ها. الف. علی بن  
ابی طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان:  
نهج البلاغه. شرح.

۲۹۷/۹۵۱۵

BP۳۸/۰۲/۵۷

۱۳۸۳

۳۴۵۷۱-۳۸۳م

کتابخانه ملی ایران

## مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه - المجلد الثاني عشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائی

الکمية: ۱۰۰۰

الطبعة: الاولى

تاریخ الطبع: ۱۳۸۴ ش. - ۱۴۲۶ ق.

تنسيق الصفحات: نشرقائین - ۸ - ۴۴۴۶۵۲۷

لیتوغرافی: نوین

المطبعة: زنبق

انتشارات: قائی

تهران: شارع جنت آباد، هاتف: ۴۴۴۶۵۲۷-۸

جميع الحقوق محفوظة للناسخ

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

شابک: ۷ - ۰۲ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - 8981 - 964 - ISBN

شابک دوره: ۷ - ۵ - ۹۴۶۸۷ - ۹۶۴ - 94687 - 964 - ISBN-SET

﴿ وَمَنْ كَلَامَ لَهُ ﴾ (١٧٦)

فى معنى الحكيمين

□ قوله ﷺ: فَاجْمَعْ رَأْيَ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَاخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعَجَعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلَا يُجَاوِزَاهُ وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا وَالْإِعْوِجَاجُ رَأْيَهُمَا وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا وَالثِّقَّةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ.

◀ اللّغة

(الملاء) بفتح الميم واللام اشرف الناس ورؤسائهم (يُجْعَجَعَا) من جَعَجَعَ القوم اذا اناخوا بالجَعَجَاع وهي الأرض من جَعَجَعَ البعير اذا ترك (تَبَعَهُ) بفتح الباء والتاء، بمعنى التابع يقال فلان تَبَعَ له اي تابع له والباقي واضح.

◀ المعنى

اي (فَاجْمَعْ) واتفق (رَأْيَ مَلَئِكُمْ) واشرافكم (عَلَىٰ أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ) للحكومة، (فَاخَذْنَا عَلَيْهِمَا) اي على الرجلين اعني ابا موسى الأشعري وابن العاص (أَنْ يُجْعَجَعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ) اي ينزلان عنده (وَلَا يُجَاوِزَاهُ) اي القرآن في الحكومة (وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ) مع القرآن (وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ) اي تابعين له



(فَتَاهَا) وَاَعْرَضَا (عَنْهُ) الْقُرْآنَ.

(وَتَرَكَمَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِيهِ) أَي وَالْحَالُ أَنَّهُمَا كَذَلِكَ (وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا  
وَإِلَاعُوجَاجُ) عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ (رَأَيْتُهُمَا) لِإِنْفَاقِهِمَا وَعُدُوَاهُمَا لِلْحَقِّ (وَقَدْ سَبَقَ  
اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ) بَانَ لَا يَظْلَمَا فِيهِ (بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ  
رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا) أَي شَرَطْنَا عَلَيْهِمَا الْعَمَلَ بِالْحَقِّ، (وَالثِّقَّةُ فِي أَيْدِينَا  
لِأَنفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ) وَذَلِكَ لِمَا قَلْنَا لَهُمَا أَنَّ الْحُكْمَ عَلَيَّ خِلَافَ  
الْقُرْآنِ لَا يَنْفِذُ (وَأَتِيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكَوسِ الْحُكْمِ) فَإِنَّ مَا حَكَمَا بِهِ حُكْمَ  
الشَّيْطَانِ وَهُوَ عَلَيَّ عَكْسَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَحُكْمُهُمَا كَعَدَمِهِ:

### ◀ الشَّرْح

اعلم: أن هذا الكلام قد صدر عنه عليه السلام في معنى الحكّمين واختلفوا في زمان  
صدوره فقال المعتزلي قاله عليه السلام بعد بلوغ امر الحكّمين اليه وقال غيره انما قاله  
في احتجاجاته على الخوارج وكيف كان لا خلاف بينهم في صدور الكلام عنه  
عليه السلام في معنى الحكّمين واما زمان الصدور فلا يهّمنا البحث فيه ونحن ذكرنا  
قصة الصّفين فيما مضى الا انه لا بد لنا من الإشارة الى قصة الحكّمين على ما  
ذكره المسعودي في تاريخه ثم نتكلم في معنى الحكّومة فنقول:

لما اصبح القوم على قتالهم في ليلة الهريز وكانت ليلة الجمعة وقتل فيها من  
قتل كسفت الشمس وارتضح القتام وتقطعت (الألوية) ولم يعرفوا مواقيت  
الصلوة وكان الأشر في هذا اليوم على ميمنة علي وقد اشرف على الفتح،  
فنادت مَشِيخَةُ اهل الشّام الله الله في الحُرّمات والنّساء والبَنات:

قال معاوية هلّم مَخْبَاتِك يَا بَنِ الْعَاصِ فَقَدْ هَلَكْنَا وَتَذَكَّرْ وَلَايَةَ مِصْرَ فَقَالَ  
عَمْرُو أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مُصْحَفٌ فَلْيَرْفَعْهُ عَلَيَّ رُمَحَهُ فَكَثُرَ فِي الْجَيْشِ  
رَفْعُ الْمِصْحَافِ وَارْتَفَعَتِ الضُّجْعَةُ وَنَادَوْا كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَن لِيُغَوِّرَ الشّامَ  
بَعْدَ اهلِ الشّامِ وَمَن لِيُغَوِّرَ الْعِرَاقَ بَعْدَ اهلِ الْعِرَاقِ وَمَن لِيُجَاهِدَ الرُّومَ وَمَن لِيُتْرِكَ  
وَمَن لِّلْكَفَّارِ وَرَفَعَ فِي عَسْكَرِ مِصْرَ مِائَةَ مُصْحَفٍ وَفِي ذَلِكَ

يقول النجاشي:

فاصبح اهل الشام قد رفعوا القنا  
ونادوا عليا يابن عم محمد  
عليها كتاب الله خير قرآن  
اما تتقي ان تهلك الثقلان

فلما راي كثير من اهل العراق ذلك قالوا نجيب الي كتاب الله ونتوب اليه  
واحب القوم الموادعة وقيل لعلني قد اعطاك معاوية الحق دعاك الي كتاب الله  
فاقبل منه وكان اشدهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس فقال علي عليه السلام ايها  
الناس انه لم يكن من امركم ما احب حتى قرحتكم الحرب وقد والله اخذت  
منكم وتركت واني كنت امس اميرا فاصبحت اليوم مأمورا وقد احببتكم البقاء  
فقال الأشر ان معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له  
مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعد بالله  
وتكلم رؤساء اصحاب علي بنحو من كلام الأشر.

فقال الأشعث انا لك اليوم علي ما كنا عليه امس وليس تدري ما يكون غدا  
وقد والله قل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير:  
فقال علي عليه السلام ويحكم ما رفعوها لأنكم تعلمونها ولا يعلمون بها وما  
رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيذة فقالوا انه ما يسعنا ان ندعي الي كتاب  
الله فنابى ان يقبله وساق الحديث الي ان قال:

فاختار اهل الشام عمرو بن العاص وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك الي  
راي الخوارج رضينا نحن بابي موسى الأشعري فقال علي قد عصيتموني في  
اول الأمر فلا تعصوني الآن اني لا اري ان اوتي ابا موسى الأشعري فقال  
الأشعث ومن معه لا نرضي الا بابي موسى قال عليه السلام ويحكم ليس بثقة قد  
فارقني وخذل الناس وفعل كذا وكذا ثم انه هرب شهورا حتى امته ليكن هذا  
عبد الله ابن عباس، اوليه ذلك فقال الأشعث واصحابه والله لا يحكم فينا  
مضري قال علي فالأشر قالوا وقد هاج ذلك الا الأشر قال عليه السلام فاصنعوا الآن ما  
اردتم وافعلوا ما بدا لكم ان تفعلوه فبعثوا الي ابي موسى كتابا وكتبوا له القضية



وقيل لأبي موسى أنّ الناس قد اصطَلحوا قال الحمدُ لِلَّهِ قيل وقد جعلوك  
حَكَمًا قال أنا لِلَّهِ وأنا إليه راجعون إلى ان قال المسعودي.

وكان فيما كُتِبَ في الصَّحيفة ان يُحْيِي الحَكَمَانِ ما احيا القرآن ولا يتبعان  
الهُوى ولا يُداهنان في شئٍ من ذلك فان فعلا فلا حُكْمَ لهما والمُسلمون من  
حُكْمِهما بَرَاءً وقال عليٌّ عليه السلام للحَكَمَيْنِ حين اكره عليٌّ امرهما ورَدَّ الأُشتر وكان  
قد اشرف ذلك اليوم على الفتح، ان تَحْكُمَا بما في كتاب الله وكتاب الله كله  
لي فان لم تَحْكُمَا بما في كتاب الله فلا حُكْمَ لكما وصَيِّرُوا الأجل إلى شهر  
رمضان على اجْتِمَاعِ الحَكَمَيْنِ في موضع بين الكوفة والشَّام وكان الوقت الذي  
كُتِبَ فيه الصَّحيفة لأيام بَقَيْنِ من صَفَرِ سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا  
الشَّهر منها.

ومرَّ الأشعث بالصَّحيفة يقرؤها على الناس فرحاً مسروراً حتى انتهى إلى  
مجلس لبني تميم منهم جماعة من زعمائهم منهم عروة ابن الزبير التميمي  
وهو اخو بلال الخارجي فقراها عليهم فجرى بين الأشعث وبين أناس منهم  
خطبٌ طويلٌ فقال عروة اتَّحَكِّمُونِ في دين الله وامره ونهيه الرِّجال لا حُكْمَ  
إلا الله فكان أوّل من قالها وحَكَمَ بها وقد تُتوزع في ذلك وشَدَّ بسيفه على  
الأشعث فَضَمَّ فَرَسَهُ عن الضربة فوَقَعَت في عَجز الفرس ونجا الأشعث وفيه  
قال الشَّاعر:

عُرْوُ يَا عُرْوُ كُلُّ فِتْنَةٍ قَوْمٌ	سَلَفَتْ أَنَّمَا تَكُونُ قَتِيَّةٌ
ثُمَّ تُمْنِي وَيَعْظُمُ الخُطْبُ فِيهَا	فاحذرن غِبِّ ما اتيت عَرِيَّةٌ
اعلى الأشعث المُعَضَّبُ بالتاج	حَمَلَتِ السَّلَاحَ يا ابن اديَّة
أَنَّهَا فِتْنَةٌ كَفِتْنَةِ ذِي العَجَلِ	ايا عُرْوَةَ العَصَا والعَصِيَّة
فانظر اليَوْمِ ما يَقولُ عليٌّ	واتبعه فذاك خَيْرُ البَرِيَّة

قال المسعودي - وكان ابو موسى الأشعري يُحَدِّثُ قبل وَقَعَةِ صِفِّينِ

ويقول ان الفِتنِ لم تَزَلْ في بني اسرائيل تَرَفَعُهُمْ وتَخْفِضُهُمْ حتى يَبْعَثُوا

الْحَكَمِينَ يَحْكُمَانِ بِمَا لَا يَرْضَىٰ بِهِ مِنْ أَتْبَعِيهِمَا فَقَالَ سُورِدُ بْنُ عَلْقَمَةَ إِيَّاكَ أَنْ  
 ادْرَكَتَ ذَلِكَ الزَّمَانَ أَنْ تَكُونَ أَحَدَ الْحَكَمِينَ قَالَ أَنَا قَالَ نَعَمْ أَنْتَ فَكَانَ يَخْلَعُ  
 قَمِيصَهُ وَيَقُولُ لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِذَا فِي السَّمَاءِ مَصْعَدًا وَلَا فِي الْأَرْضِ مَقْعَدًا  
 فَلَقِيهِ سُورِدُ بْنُ عَلْقَمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَبَا مُوسَىٰ أَتَذَكُرُ مَقَالَتَكَ قَالَ سَلِّ رَيْتَكَ  
 الْعَافِيَةَ أَنْتَهَىٰ. وَلنَرْجِعَ إِلَىٰ شَرْحِ كَلِمَاتِهِ ﷺ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَيَّ أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ...

الْمَلَأَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَاللَّامِ جَمَاعَةً يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ رَأْيَ فَيَمَثَلُونَ الْعْيُونَ رَوَاءَ  
 وَمَنْظَرًا وَالنَّفُوسَ بِهَاءٍ وَجَلَالًا يُقَالُ فُلَانٌ مَلَّ الْعَيْونَ أَيِ مُعْظَمٍ عِنْدَ مَنْ رَأَاهُ كَأَنَّهُ  
 مَلَأَ عَيْنَهُ مِنْ رُؤْيَيْهِ، وَالْمَلَأَ الْخَلْقَ الْمَمْلُوءَ هَكَذَا قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ:  
 وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى اجْتَمَعَ وَاتَّفَقَ رَأْيَ مَلَائِكُمْ أَيِ اشْرَافِكُمْ وَأَعْيَانِكُمْ عَلَيَّ أَنْ  
 اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ حَكَمِينَ عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ وَفِيهِ إِشَارَةٌ بَلْ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ  
 اخْتِيَارَ الْحَكَمِينَ لَمْ يَكُنْ بِرَأْيِهِ ﷺ وَقَدْ صَرَّحَتْ الْأَخْبَارُ وَالتَّوَارِيخُ إِضَافَةً فَأَنَّ  
 ﷺ كَانَ يَقُولُ وَيَحْكُمُ وَاللَّهُ أَنَّهُمْ مَا رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ إِلَّا خَدِيعَةً وَمَكِيدَةً حِينَ  
 عَلَوْتُمُوهُمْ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ خَالَفُوهُ وَقَالُوا يَا عَلِيُّ اجِبِ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ إِذَا دُعِيَتَ  
 إِلَيْهِ وَالنَّبِيُّ مَا فِيهِ وَالْأَخْبَارُ بِرُؤْيَاكَ إِلَىٰ الْقَوْمِ وَأَمَّا قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ رُؤْسَاءَ الْقَوْمِ  
 وَهُمْ مَسْعُودُ بْنُ فَدِكَ التَّمِيمِيِّ وَزَيْدُ بْنُ حَسَنِ الطَّائِفِيِّ وَأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ  
 الْكِنْدِيِّ فِي عَصَابَةِ مِنَ الْقُرَاءِ الَّذِينَ صَارُوا خَوَارِجَ فِيمَا بَعْدَ.

ثُمَّ أَنَّ الْأَشْعَثَ جَاءَ إِلَىٰ عَلِيٍّ وَقَالَ ارْأَيْ النَّاسَ قَدْ رَضُوا بِمَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ  
 حُكْمِ الْقُرْآنِ بَيْنَهُمْ وَإِنْ شِئْتَ اتَيْتُ مَعَاوِيَةَ فَسَالْتَهُ مَا يُرِيدُ قَالَ أَتَيْتُهُ فَاتَاهُ فَقَالَ  
 لِأَيِّ شَيْءٍ رَفَعْتُمُ الْمَصَاحِفَ قَالَ لِنَرْجِعَ نَحْنُ وَإِنَّكُمْ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ تَبَعْتُمْ  
 رَجُلًا تَرْضَوْنَهُ وَتُبَعْتُمْ رَجُلًا تَرْضَاهُ وَنَاخَذَ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَعْمَلَا إِلَّا بِمَا فِي كِتَابِ  
 اللَّهِ تَعَالَىٰ لَا يَعْدُوَانَهُ ثُمَّ تَبَعَ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ قَالَ الْأَشْعَثُ هَذَا هُوَ الْحَقُّ وَرَجِعْ إِلَىٰ  
 عَلِيٍّ فَاخْبِرْهُ بِمَا قَالَ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ النَّاسُ قَدْ رَضِينَا ذَلِكَ وَقَبِلْنَاهُ فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ  
 نَرْضَىٰ عَمْرًا وَقَالَ الْأَشْعَثُ وَأَوْلِكَ الَّذِينَ صَارُوا خَوَارِجَ فِيمَا بَعْدَ نَرْضَىٰ  
 بِأَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ.

فقال عليٌّ عليه السلام قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن لا أرى ان  
 ثولوا ابا موسى الحكومة فانه يضعف عن عمرو ومكايدته فقال الأشعث وزيد  
 ابن حصن (حسن) ومسعود ابن فدكي لا نرضى الآ به فانه قد حذرنا ممّا وَقَعْنَا  
 فيه فلم نسمع منه فقال عليٌّ عليه السلام ان ابا موسى لا يصلح لهذا الأمر ولكن هذا ابن  
 عباس دَعُونِي اولى به فانه ادرى منه بهذه الأمور فقالوا والله لا نُبالي انت كُنْتَ ام  
 ابن عباس لا نريد الآ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء.

قال عليه السلام فدَعُونِي اجعل الأشر قالوا وهل سَعَر الأَرْض نارا الآ الأشر قال  
عليه السلام قد ابستم ان تَرْضُوا الآ ابا موسى قالوا نعم قال عليه السلام فاصنعوا ما شئتم فبعثوا  
 الى ابو موسى وجاءوا به وكان مُعْتَزِل النَّاس من الفئتين فاتاه مولى له فقال له ان  
 النَّاس قد اصطلحوا فقال الحمد لله فقال قد جعلوك حَكَمًا بينهم فقال انا لله  
 وانا اليه راجعون وابو موسى كان من المُنَافِقِينَ الضَّالِّين النَّاصِبِينَ وهو مع ذلك  
 كان احمق النَّاس وفيه قال الشاعِر:

لو كان للقوم رايًا يُرشدون به      اهل العراق رَمَوْكُم بابن عباس  
 لكن رَمَوْكُم بشيخ من ذوي يَمَنِ      لم يدر ما ضرب اسداسٍ واخماسٍ  
 □ قوله عليه السلام: فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعَجَعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلَا يُجَاوِزَاهُ وَتَكُونَ  
 أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ...

اي اخذنا عليّ الرّجلين اعني الأشعري وابن العاص ان يُجْعَجَعَا وَيُقِيمَا عند  
 القرآن ولا يُجَاوِزَا اي لا يتعديان حكمه وان تكون السنتهما مع القرآن  
 وقلوبهما تبعه وقال ابن الصّباغ المالكي في كتابه الفصول المهمّة في معرفة  
 الأئمة ما هذا لفظه:

ولمّا حضر ابو موسى جاء الأحنف بن قيس الى عليّ عليه السلام وكان الأحنف  
 ايضاً مُعْتَزِل الْقِتَال من الفئتين فقال يا امير المؤمنين عليه السلام انك رميت بحجرا  
 لأرض عمرو ابن العاص واتي عجمت عود ابي موسى الأشعري وجلّيت  
 سطره فوجده كليل الشفرة قريب القعر وانه لا يصلح لهؤلاء القوم الآ رجل

يدنو منهم حتى يصير في اكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم فان رايت ان تجعلني حكما والا فاجعني ثانيا او ثالثا لن يعقد عمرو عقدة الا خللتها ولا تحل عقدة الا ربطتها فقال له علي عليه السلام ان الناس قد ابوا الا ابو موسى ولن يرضوا باحد غيره، ثم قال عليه السلام وحضر عمرو ابن العاص عند علي ليكتب القصة بحضوره فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عليه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ومعاوية ابن ابي سفيان ومن معهما فقال عمرو ابن العاص هو اميركم واما اميرنا فلا امح اسم الامرة فقال الأحنف لأمير المؤمنين لا تمجها والا قتل الناس بعضهم بعضا فاني اتخوف ان محوتها لا ترجع اليك ابدا فابى ذلك علي مليا من النهار ثم ان الأشعث ابن قيس كلمه في ذلك فمجاه وقال علي عليه السلام الله اكبر سنة بسنة والله اني لكاتب رسول الله يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله فقال المشركون لست برسول الله ولكن اكتب اسم ابيك واسمك فامرني رسول الله بمحوه فقلت لا استطيع فمجاه بيده وقال انك ستدعي الي مثلها فتجيب قال عمرو سبحان الله اتشبه الكفار ونحن مؤمنون، فقال علي عليه السلام على رواية المناقب يا ابن النابغة او لم تكن للمشركين ولما وللمؤمنين عدوا ولم تكن للضلالة راسا وفي الإسلام ذنبا انتهى ما في المناقب...

قال صاحب الكتاب، فقال عليه السلام اكتبوا هذا ما تراضى عليه علي ابن ابي طالب ومعاوية ابن ابي سفيان قاضي علي الكوفة ومن معهم وقاضي معاوية علي الشام ومن معهم انا نزل عند حكم الله وكتابه وان لا يكون بيننا غيره وان كتاب الله تعالى بيننا من فاتحته الى خاتمته تحيي ما احين وتُميت ما امات فما وجد الحكمان في كتاب الله تعالى وهما ابو موسى الأشعري وعمرو ابن العاص عملا به ومالم يجدا في كتاب الله تعالى فالسنة العادلة الجامعة واخذ الحكمان من علي ومعاوية وجنديهما عهدا ومواثيق انهما امان علي انفسهما واهليهما والامة لهما انصار علي الذي يتقاضيان عليه

وعلى ابي موسى عبد الله ابن قيس وعمرو عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الأمة بحكم القرآن ولا يرداها في حرب ولا فرقة حتى يقضيا واجل الفتيا الى رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك اخرآه وان كان قضيتهما مكانا عدلاً بين اهل الكوفة واهل الشام وكتب في الصحيفة الأشعث ابن قيس وعدي ابن حجر وسعد ابن قيس الهمداني ورقا ابن شمس وعبد الله بن عكل العجلي وحجر بن عدي الكندي وعقبة ابن زياد الخضرمي ويزيد ابن حجر التميمي ومالك ابن كعب الهمداني هؤلاء كلهم من اصحاب علي عليه السلام:

وكتب من اصحاب معاوية ابو الأعور السلمي وحبيب ابن مسلمة وزميل ابن عمرو العدوي ومرة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن ابن خالد المخزومي وسبيع ابن يزيد الأنصاري وعتبة ابن ابي سفيان ويزيد ابن الحرث العبسي، وخرج بالكتاب الأشعث ابن قيس فقراه على الناس وكانت كتابته يوم الأربعاء ثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على ان يكون اجتماع الحكمين وهما ابو موسى عبد الله ابن قيس الأشعري وعمرو ابن العاص ابن وائل السهمي بدومة الجندل وهو موضع كثير النخل وبه حصن اسمه مارد قال ابو سعيد الضير دومة الجندل في غايط من الأرض خمسة فراسخ فيها عين تسقي النخل والزرع ثم رجع الناس عن صفين ولما رجع علي عليه السلام الى الكوفة خالفت الحرورية وخرجت وانكرت التحكيم وقالت لا حكم الا لله ولا طاعة لمن عصى وكان كذلك اول ما ظهر من فراقهم ورجعوا الى غير الطريق الذي كانوا فيه. قال صاحب الكتاب ولما جاء علي عليه السلام النخيلة وراى بيوت الكوفة فاذا بعبد الله ابن وداعة الأنصاري قد لقاه فدنا منه وسلم عليه وقال مرحبا يا امير المؤمنين ثم انه سايره فقال له علي عليه السلام ما سمعت الناس يقولون قال يقولون ان عليا كان له جمع عظيم ففرقه وكان له حصن حصين فهدمه فمتى يبني ما انهدم ويجمع ما تفرق ولو كان مضى بمن اطاعه اذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر او يهلك كان ذلك الحزم.



فقال ﷺ انا هدمت ام هم هدموا انا فرقت ام هم فرقوا واما قولهم كان يمضي بمن اطاعه فيقاتل حتى يظفر او يهلك فوالله ما خفي هذا عني وان كنت سَخِيًا بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هَمَمْتُ بالأقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين ﷺ ثم نظرت الى هذين الآخرين وقد استقدماني يعني عبد الله ابن جعفر ومحمد ابن الحنفية ﷺ فقلت هذين ان يهلكا يقطع نسل رسول الله من هذه الأمة فكرهت ذلك واشفقت ايضا على هذين ان يهلكا على اثرهما وائم الله ان لقيتم بعد يومي هذا ما لقيتم وهم معي في معسكر ثم حرّك دابته ومضى، انتهى ما اردنا ذكره منه:

اقول: قد ظهر مما ذكرناه معنى قوله ﷺ: فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعِعَا إِلَى آخِرِهِ وَأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرْضَ بِالتَّحْكِيمِ وَلَكِنَّهُمْ خَالَفُوهُ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا رَأَوْا مَازَارَ مِنْ خَبَطَهُمْ وَاشْتَبَاهَهُمْ قَالُوا لَا حُكْمَ لَكَ يَا عَلِيُّ وَامثال ذلك من الأباطيل واما ابو موسى الأشعري الذي اجمع رأيهم عليه في الحكومة وفعل ما فعل فيها فما ذنب علي ﷺ في هذا المقام وهو ﷺ كان مخالفا من اول الأمر:

□ قوله ﷺ: فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَهَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا وَالْإِعْوِجَاجُ رَأْيَهُمَا...

اي مع انا قد اخذنا عليهما العهد والمواثيق بان لا يجاوزا القرآن فتاها واعرضا عنه ونبذاه وراء ظهريهما فحكّموا بحكم الشيطان وتركوا الحق والحال انهما كانا بصيرين به وكان الجور والظلم هواهما والاعوجاج عن طريق المستقيم رايهما وفي هذه الكلمات اشارة الى ان حكمهما بالجور لم يكن بسبب جهلها بالحق حتى يقال بان الجاهل معذور بل كانا عارفين بالحق عالمين به واما فعلا ما فعلا عن سوء نيتهما ونجس طبيئتهما ومعاداتهما الحق ولنعم ما قاله العوني في المقام:

فَاعْمَلُوا الْحِيلَةَ فِي التَّحْكِيمِ  
فَفِي الرُّعَاةِ حَكَمُوا الرُّعْيَا  
إِذَا شَكَّتِ الْأَرْمَاحُ فِي الْمَصَاحِفِ  
فَجَاءَ أَهْلَ الشَّامِ بَابِنَ الْعَاصِ  
غَرَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَا  
وَقَالَ أَنِّي خَالِعٌ لِحَيْدِرِ  
يَا عَمْرُو قُمْ أَنْتَ اخْلَعْ الشَّامِيَا  
جَمْعًا فَانِّي لِابْنِ هِنْدٍ أَعْقِدُ

بِمَكْرٍ شَيْطَانِهِمُ الرَّجِيمِ  
فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ عَلَيَّ تَخَالِفِ  
وَإِخْذَ الْإِنْحِدَارِ وَالرَّقِيَا  
وَإِحْتَالَ فِيهَا حِيلَةَ الْقَنَاصِ  
قَامَ أَبُو مُوسَى فَوْقَ الْمِنْبَرِ  
كَمَا اخْتَلَعْتُ خَاتَمِي مِنْ خِنْصَرِي  
فَقَالَ عَمْرُو أَيُّهَا النَّاسُ أَشْهَدُوا  
فَأَسْتَشْهَدُوهَ مَذْهَبًا عُمَرِيَا

وَالدَّلِيلُ عَلَيَّ أَنَّهُمَا كَانَا عَارِفَيْنِ بَأَنَّ الْحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ قَصِيدَةَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ

الَّتِي أَنْشَدَهَا بَعْدَ عَزْلِ مَعَاوِيَةَ أَيَّاهُ مِنْ مِصْرٍ وَكُتِبَ بِهَا إِلَيْهِ وَهِيَ هَذِهِ:

مَعَاوِيَةَ الْخَيْرِ لَا تَنْسِنِي  
أَتَنْسِي مَجَاوِرَةَ الْأَشْعَرِي  
الْيَنْ فَيَطْمَعُ فِي غُرَّتِي  
الْقَعْقِهِ عَالًا بَارِدَا  
وَرَقِيْنُكَ الْمِنْبَرِ الْمُشْمَخِرِ  
وَنَزَعْتُهَا مِنْهُمْ بِالْخِدَاعِ  
وَتَبَّتْهَا فِيكَ لَمَّا يَبْسُتُ  
فَلَمَّا مَلَكَتْ وَمَاتَ الْهَمَامُ  
سَنَحْتُ سِوَايَ بِمِثْلِ الْجِبَالِ  
فَإِنْ تَكُ فِيهَا بَلَغْتَ الْمُنَى  
وَمَا دَمَ عَثْمَانُ مُنْبِحٍ لَنَا  
وَإِنْ عَلِيَا غَدَا خَصْمُنَا  
يُسَائِلُنَا عَنْ أُمُورٍ جَرَتْ

وَعَنْ مَذْهَبِ الْحَقِّ لَا تَعْدِلُ  
وَنَحْنُ عَلَيَّ دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ  
وَقَدْ غَابَ فَصَلِّيَ فِي الْمَقْتَلِ  
وَافْرَجَهُ بِجَنِي الْحَنْظَلِ  
بِلا حِدِّ سَيْفٍ وَلَا مَنَصِلِ  
كَخَلْعِ النَّعَالِ مِنَ الْأَرْجَلِ  
كَمِثْلِ الْخَوَاتِيمِ فِي الْأَنْمُلِ  
وَالْقَتِّ عَصَاهَا يَدِ الْأَفْضَلِ  
وَنَوَلَّتْنِي حَبَّةَ الْخَرْدَلِ  
فَفِي عُنُقِي يَعْطِقُ الْجَلْجَلِ  
مَنْ اللَّهُ وَالْحَسَبُ الْأَطْوَلِ  
وَيَعْتَزُّ بِاللَّهِ وَالْمُرْسَلِ  
وَنَحْنُ عَنِ الْحَقِّ فِي مَعزِلِ

□ قوله ﷺ: وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا...

قالوا في شرح الكلام اراد ﷺ به ما كان شرطه على الحكمين حين عزموا على التحكيم ان يحكما بما حكم القرآن وبما انزل الله فيه من فاتحته الى خاتمته والّا فلا ينفذ حكمهما فيه وفي اصحابه فقد قدم ﷺ اليهما ان لا يعملا برايها وهواهما ولا يحكما بشي من تلقاء انفسهما الأمانة بالسوء انتهى.

وانا اقول: يظهر من هذا التفسير ان المراد بالاستثناء في قوله ﷺ هو شرطه

عليهما ان يحكما بما حكم به القرآن واحترزا عما لم يحكم به:

والذي عندي في المقام هو ان المراد به استثناءهما عن الحكومة وانهما ليسا باهل لهما لِنفاقهما وعداوتهما للحق فكأنه ﷺ قال قد سبق منا القول بعدم لياقتهما للحكومة بالعدل والعمل بالحق لسوء رأيهما وجور حكمهما في جميع المراحل وذلك لأن ابن العاص كان راس المشركين ورئيسهم والأشعري راس المنافقين ومن كان كذلك فهو مستثنى عن التحكيم في الإسلام الا انكم لم تسمعوا قولي وقلتم لا نرضى الا بابي موسى وعلى التقديرين فالمراد لا خفاء فيه:

□ قوله ﷺ: وَالثِّقَّةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكَوسِ الْحُكْمِ...

الثِّقَّةُ بكسر التاء مصدر قولك وثق ثق ثقة ووثوقا، والثِّقَّةُ من يُعتمد عليه وتستعمل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع وقد يُجمع ويقال ثقات للمذكر والمؤنث:

والمقصود منها في المقام البرهان والدليل والمعنى ان الذي يُعتمد عليه اعني الدليل في ايدينا لأنفسنا حين خالفا اعني الحكمين سبيل الحق واتيا في مقام الحكومة بما لا نعرف له وجه من العقل والنقل من معكوس الحكم فكلمة (من) بيانية اي ما لا يُعرف عبارة وبيان من عكس الحكم الواقعي:

وحاصله انا على بينة من ربنا في استئناف الحرب مع الأعداء وليس فيه  
نقض للعهد والميثاق وذلك لأننا شرطنا عليهما ان لا يخالفا سبيل الحق ولا  
يتبعوا الباطل وحيث انهما خالفا سبيل الحق فلا نفوذ لإحكُمهما وعليه فانا الآن  
كما كنا عليه قبل التحكيم وإنما قال ﷺ معكوس الحكم لأن الحق نصب علي  
للخلافه لوجود الشرائط فيه وحيث كانا قد عزلاه عنها فهو عكس الحكم  
ولنعم ما قيل في المقام:

ففي دومة الجندل الإقتداء      بيوم السقيفة اذ شنعوا

## ومن خطبة له عليه السلام (١٧٧)

خطبها بعد قتل عثمان اول خلافته على ما هو المشهور

□ قوله عليه السلام: لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ وَلَا دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَاءِ وَلَا مَقِيلِ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأُورَاقِ وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةٌ مَنْ صَدَقَتْ نَيْتُهُ وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ وَخَلَصَ يَقِينُهُ وَثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ وَالْمُعْتَمَدَ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصَّ بِعِقَابِلِ كَرَامَاتِهِ وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ وَالْمَوْضَحَّةَ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرْيِبُ الْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِذَ إِلَيْهَا وَلَا تَنْفُسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَإِيمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَرَّالٍ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزُلُ بِهِمُ النَّقْمُ وَتَنْزُولُ عَنْهُمْ النِّعْمُ فَرَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ وَإِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعْدَاءُ وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ وَلَوْ أَسَاءَ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ.



(يَحْوِيهِ) من حَوَى يَحْوِي إذا احاطَ به (يَعْزُب) من عَزَب يعزب إذا خَفِيَ (قَطَرٍ) بفتح القاف وسكون الطاء مصدر قَطَرَ يَقْطِر قَطْراً، الماء سال وجرى قطرةً قطرةً وقد يقال اقطر الماء إذا ساله قطرة قطرة (سَوَافِي) جمع سافية من سَفَت الرِّيح والتراب والورق أي حَمَلته (دَيْب) بفتح الدال وكسر الباء وسكون الياء مصدر دَبَّ يَدُبُّ دَبًّا ودَبَّيَا ومعناه المَشِي قال في المُنْجِد الدَّبَّيْب مصدر، كلُّ دَابِّ الهوام الصَّغيرة التي تلعب في الماء (الصَّفَاء) مقصوراً جمع صفاة الحَجَر الأملَس الضَّخْم (الذَّرُّ) بفتح الدال صغار النمل ومُقِيل الذر محل استراحتها ومبيتها (طَرْفِ الأَحْدَاقِ) الأحداق جمع حَدَاقَة وهي هنا العين وطرفها تحريك جفنيها (مَعْدُولٍ) اسم مفعول من عَدَلَ يَعْدَل يقال عدل بالله إذا جعل له مثلاً وعديلاً (دِخْلَتُهُ) بكسر الدال وسكون الخاء أي باطنه (المُعْتَامِ) بضم الميم اسم من اعتم اعتم أي اختار يختار فهو على وزن المختار لفظاً ومعنى (عَقَائِلِ) جمع عَقِيلَة وهي الكريمة عَقِيلَة القوم سَيِّدهم وعَقِيلَة كل شيء أكرمه وأشرفه (المَجْلُو) بفتح الميم وسكون الجيم وضم اللام وتشديد الواو اسم مفعول من جَلَى يَجْلُو نحو دَعَى يدْعُو والجلاء الظُّهُور من غير خفاء فيه (غَرِيبٌ) بكسر الغين المعجمة كعِفْرِيْت شدة السواد فَغَرِيب الشَّيْء أشده سواداً وغريب العمى أشد الضلال ظُلْمَةً (تَغْرُ) بضم الغين من غَرَّ يَغُرُّ من الغرور (المُخِلِد) اسم فاعل من اخلَد يُخِلِد إذا رَكَن ومعناه الرَّاكِن المائل (تَنَفَس) من نَفَس يَنفَس إذا ضَنَّ أي لا تُضِنُّ الدُّنْيَا (غَضٌّ) بفتح الغين وتشديد الضاد النَّاخِر (اجْتَرَحُوهَا) اجترح الذنب اكتسبه وارتكبه (وَلَهُ) بفتح الواو واللام الإشتياق والميل الشديد والباقي واضح.

◀ المعنى

(لَا يَشْغَلُهُ) أي لا يشغل الله تعالى (شَانٌ) عن شان (وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ) ليكون

زمانيا (وَلَا يَحْوِيهِ) ولا يحويه اي لا يحيطه (مَكَانٌ) ليكون في المكان (وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ) لعجز الألسنة عن بيان اوصافها (لَا يَغْرُبُ) ولا يخفي (عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ) على كثرتها (وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ) كذلك (وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ) فانه تعالى محيط بكل الأشياء لكونه مُوجدها وخالقها (وَلَا دَيْبُ النَّمْلِ) وحركته (عَلَى الصَّفَاءِ) اي على الحجر الأملس الضخم (وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ) اي محل استراحة صغار النمل ومبيتها (فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ) فان الظلمة وعدمها سيان بالنسبة اليه (يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأُورَاقِ) ومحال سقوطها (وَحَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ) اي ويعلم ايضا حركات الخفية في الأعين (وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ

(وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ) اي شهادة لا شك في صدقها (وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ) اي لا اكفر بدينه اصلاً، (وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ) اي لا اجدد خلقه وخالقته (شَهَادَةٌ مَنْ صَدَقَتْ نَيْتُهُ) لا شهادة من كذبت نيته واعتقاده فانها شهادة المنافق (وَصَفَتْ دِخْلَتَهُ) اي شهادة من صفت باطنه عن الأرجاس والأدناس (وَحَلَّصَ يَقِينُهُ) خلوصا واقعيا (وَوَثَّقَتْ مَوَازِينَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ) اي المختار منهم (وَالْمُعْتَمَدُ) والمختار (لِشْرَحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ) اي كرائم (كَرَامَاتِهِ) الباهرة (وَالْمُصْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ) باحسن وجه واتم بيان (وَالْمَوْضُوحَةَ بِهِ) اي بالرسول (أَشْرَاطُ الْهُدَى) وعلاماته (وَالْمَجْلُوعُ) اي الذي يجلى به (غَرِيْبُ الْعَمَى) وضلالة ظلمته.

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغْرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا) اي الراكن المائل اليها (وَالْمُخْلِذَ إِلَيْهَا) اي المعتمد عليها (وَلَا تَنْفُسُ) ولا تظن الدنيا (بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا) في الدنيا (وَتَغْلِبُ) الدنيا (مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا) وتهلكه (وَأَيُّمُ اللَّهِ) واقسم به (مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ) اي ماكان قوم قط متنعما بنعمها (فَرَّالٍ) العيش (عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا) واكتسبوها (لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ) فلا يزيل عنهم العيش فيها من غير ذنب صدر عنهم (وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمُ

والعذاب (وَتَزُولُ عَنْهُمْ النَّعْمُ) في الدنيا (فَزِعُوا) والتجاوا (إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدًّا) واشتياق (من) الله تعالى (عَلَيْهِمْ كُلُّ شَارِدٍ) من النِّعَم (وَأَصْلَحَ لَهُمْ) واصلح لهم (كُلُّ فَاسِدٍ) من الأمور (وَإِنِّي لَأَخْشَى) واخاف (عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ) مثل حالة اهل الجاهلية (وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِثْلُكُمْ فِيهَا مَيْلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا) في الأمور الماضية والميل اليها (عِنْدِي غَيْرَ مَحْصُودِينَ) في اخذكم الباطل وترككم الحق (وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعْدَاءُ) والمراد بالأمر هو الأخذ بالسنة الحقيقية التي كانت متروكة بعد الرَسُول (وَمَا عَلَيَّ) اي ليس علي (إِلَّا الْجُهْدُ) والجِد (وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ) ما قضى قضى.

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ...  
الضَّمائر كلها ترجع الى الله تعالى ومن هنا يظهر ان صدر الخطبة مَحذوف لم يصل السيد ﷺ اليه وكيف كان فالمُستفاد من هذه الكلمات امور.  
احدها ان الله تعالى لا يشغله شان، واصل الشان على ما قاله الراغب في المفردات الحال والأمر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الأحوال والأمور انتهى.

والمعنى ان الله تعالى لا يشغله شان عن شان اي امر عن امر او حال عن حال وذلك لأنه تعالى قادر على جميع المقدورات عالم بجميع المعلومات فنسبة الكل اليه على حدٍ سواء هكذا قالوا في تفسيره.

والحق ان يقال ان الشغل في الأصل العارض الذي يذهل الإنسان كما قال تعالى: ﴿فِي شُغْلٍ فَاجِهُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقد ثبت ان الدهول من قُروع النسيان لأن الدهول عبارة عن ذهاب الشيء عن الحافظة وقيل ان النسيان من فُروعه لأن

الذَّهْوَلُ شُغْلٌ يُورِثُ حُزْنَاً وَنَسِيَاناً يُقَالُ ذَهَلَ عَنِ كَذَا وَادَّهَلَهُ كَذَا وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْجِسْمِ وَحَيْثُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَوَاسِّ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَلَيْسَ لَهُ ذَهْوَلٌ وَلَا نَسِيَانٌ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ:

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ أَنَّ الشُّغْلَ هُوَ الذَّهْوَلُ وَهُوَ لَا يُوجَدُ لِمَنْ لَا تَكُونُ لَهُ حَافِظَةٌ وَهِيَ لَا تُوجَدُ لِمَنْ لَا يَكُونُ جِسْمًا يَتَّجِ أَنَّ الشُّغْلَ لَا يَكُونُ لِغَيْرِ الْجِسْمِ وَحَيْثُ أَنَّ تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جِسْمَانِيٍّ وَكُلٌّ مِنْ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جِسْمَانِيٍّ لَا شُغْلَ لَهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا شُغْلَ لَهُ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ:

أَنْ قُلْتَ - أَلَيْسَ هَذَا مُخَالَفًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾<sup>(١)</sup> وَذَلِكَ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ غَيْرِ مَا كَانَ فِي يَوْمٍ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ إِذْ لَوْ كَانَ الشَّانُ فِي جَمِيعِ الْأَيَّامِ وَاحِدًا فَمَا مَعْنَى الْآيَةِ.

قُلْتَ أَمَّا أَوَّلًا: فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ غَيْرِ الشَّانِ فِي يَوْمٍ آخَرَ وَأَمَّا أَنَّ الشَّانَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِثْلًا يَشْغَلُهُ عَنِ الشَّانِ فِي يَوْمٍ آخَرَ فَلَا دَلَالَةَ لَهَا عَلَيْهِ وَالْكَلَامُ فِي شُغْلِ الشَّانِ عَنِ شَأْنٍ آخَرَ لَا فِي تَكَرُّرِهِ بِحَسَبِ الْمَصَالِحِ وَالْمَقْتَضِيَّاتِ.

وَتَانِيًا: أَنَّ الْآيَةَ عَلَى مَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِهَا لَا رِبْطَ لَهَا بِمَا نَحْنُ فِيهِ قَالَ الْفَيْضُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الصَّافِي فِي ذَيْلِ الْآيَةِ مَا هَذَا لَفْظُهُ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، مِنْ أَحْدَاثٍ بَدِيعٍ لَمْ يَكُنْ كَذَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي خُطْبَةٍ رَوَاهَا فِي الْكَافِي، وَقَالَ الْقَمِّيُّ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيَرْزُقُ وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَفِي الْمَجْمَعِ عَنِ النَّبِيِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ ﷺ: مَنْ شَانَهُ أَنْ يَغْفَرَ ذَنْبًا وَيَغَيِّرَ حُكْمًا وَيَرْفَعَ قَوْمًا وَيَضَعِ آخَرِينَ وَقِيلَ هُوَ لِقَوْلِ الْيَهُودِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْضِي يَوْمَ السَّبْتِ شَيْئًا أَوْ أَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

وَتَانِيَهَا قَوْلُهُ ﷺ: وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ...

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَوْ كَانَ مُتَّغِيرًا بِهِ لَكَانَ زَمَانِيًّا وَكُلُّ زَمَانِيٍّ حَادِثٌ فَيَتَّجِ أَنَّهُ

حادث وقد ثبت أنه قديم هذا أولاً:

وثانياً: أن تغير الزمان يدل على جسمية المتغير فإن المراد بالتغير تغير الشيء عما كان عليه من ضعف وقوة وهرم وامثال ذلك ولا شك أنها من لوازم الجسم والله تعالى ليس بجسم.

وثالثاً: أن الزمان يوجد من حركة الفلك على مسلك القدماء وحركة الفلك عارضة على الفلك وجوداً فوجود الفلك مقدم عليها والمفروض أن الفلك مخلوق لله تعالى كسائر مخلوقاته ولا شك أن المخلوق من حيث وجوده مؤخر عن وجود الخالق فلو كان الزمان يُغير الخالق يلزم تقدم الزمان على وجود الفلك وهو من تقدم الشيء على نفسه وقد ثبت استحالته.

فقوله عليه السلام: لا يُغيره زمان، ليس معناه أن هناك زماناً لا يُغيره بل معناه أنه ليس هناك زمان أصلاً فهو خارج عنه ولذلك لا يُغيره وذلك لأنه تعالى لو كان فيه لكان متغيراً قطعاً فإن الزماني اعني الذي وقع فيه يستحيل عليه أن لا يتغير.

وثالثها قوله عليه السلام: ولا يحويه مكان...

وذلك لأن المكان عبارة عن الحيز الذي وقع المتخير فيه أو أنه الفراغ الذي يشغله الجسم وعلى كل حال حيث ثبت كونه تعالى مُنزه عن الجسم والجسمانية فهو مُنزه عن المكان.

وثانياً: المكان يحوي ويحيط بالمتمكن والله تعالى مُحيط بكل الأشياء فلا يحيط به شيء لكون الإحاطة يستلزم المحدودية وقد ثبت أنه تعالى غير مُتناهٍ: وثالثاً: كون الشيء في مكان يلزم عدم كونه في مكان آخر لإستحالة كون الشيء في مكانين في آنٍ واحد فلو كان الله تعالى في مكانٍ يلزم خلو سائر الأمكنة منه والثابت خلافه:

ورابعاً: لو كان فيه لكان محتاجاً إليه وكل محتاج مُمكن فهو مُمكن وقد ثبت أنه واجب الوجود:



وخامسا: انه خالق الأمكنة فلو كان فيها يلزم وجود الأمكنة قبل وجودها وهو من تقدم الشيء على نفسه بيانه ان الله تعالى كان قبل وجود المكان فلو كان فيه لزم المحذور المذكور:

ورابعها قوله ﷻ: وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ...

اي لا يصفه لسان كما هو اهله لا انه لا يصفه لسان اصلاً وهو واضح وذلك ايضا لوجوه:

احدها: ان وصف الموصوف كما هو اهله موقوف على معرفة الموصوف كذلك فان الوصف عبارة عن بيان حال الموصوف فمن لم يعرف الموصوف حقاً كيف يصفه وقد ثبت ان معرفة الله تعالى على ما ينبغي له خارجة عن قدرة المخلوق وذلك لأن معرفة الشيء فرع على الإحاطة عليه والمخلوق لا يحيط بالخالق لإستحالة إحاطة المتناهي بغير المتناهي فلا تتحقق المعرفة الأصلية واذا كان كذلك فكيف يمكن وصف من لم يعرف نعم الوصف بقدر المعرفة لا بأس به وهو ثابت والكلام ليس فيه:

وثانيها: ان اوصافه تعالى كثيرة لا يعلمها الا هو والإنسان لا يقدر على احصائها فكيف يصفها بلسانه.

وقد مر البحث فيه في المجلد الأول من الكتاب بما لا مزيد عليه.

□ قوله ﷻ: وَلَا يَغْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَاءِ...

اي لا يخفى عن الله تعالى عدد قطر الماء سواء فيه المنزل من السماء وما في البحار والأنهار وغيرها. وايضا لا يخفى عليه ولا يغيب عنه عدد نجوم السماء من الثوابت والسيارات ولا سوافي الريح في الهواء التي تسفو التراب وتذروه ولا دبيب النمل وحركته على الحجر الأملس في الليلة المظلمة فضلاً عن حركات سائر الموجودات وتخصيصه ﷻ: دَبِيبُ النَّمْلِ بِالذِّكْرِ لكونه اخفى الحركات وادقها ولا سيما اذا كانت في الليلة المظلمة على الصخر

الأملس والحاصل أنه تعالى عالم بها كما هو عالم بغيرها.  
 □ قوله ﷻ: وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الأُورَاقِ وَخَفِيَّ  
 طَرْفِ الأَخْدَاقِ...

الواو للعطف اي ولا يعزب عنه محل قيلولة صغار النمل في الليلة الظلماء،  
 يعلم محال سقوط الأوراق من الأشجار ويعلم حركات الخفية في العيون  
 والطرف انطباق احد الجفنين على الآخر الذي، بمكان من الخفاء وفيه اشارة  
 الى قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصدُورُ﴾<sup>(١)</sup>  
 اعلم: ان قوله ﷻ: وَلَا يَعزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ المَاءِ الي قوله وخفي طرف  
 الأحداق اشارة الى علمه تعالى وانه بكل شيء عليم وقد تكلمنا فيه في المجلد  
 الأول واقمنا البراهين العقلية والنقلية عليه.

فيض رباني - قال بعض العرفاء علمه تعالى مُحيط بجميع الكليات  
 والجزئيات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وذلك لأن علمه  
 تعالى نفس ذاته والذات علة لوجود مَفطوراته ومخلوقاتة فاطهر كل شيء  
 بحكمته واعطى كل شيء خلقه بقدرته واوجد اعيان العالمين برحمته علم  
 الأشياء في قضاءه السابق جُملةً وتفصيلاً ثم نزلها بقدره المعلوم تنزيلاً رتبها  
 بمقتضى مشيئته احسن الترتيب وخصصها على وفق عنايته بالتمجيد  
 والتقريب وخلق كل شيء فقدره تقديراً ولم يحتج في ذلك الى زمان ومكان بل  
 قال كُن فكان لأنه اذا ابدع الأنواع كان حصول الزمان والمكان في حيز الامتناع  
 فكل ما تقدم ايجاد الزمان والمكان فحيطتها له ليس في حد الإمكان لا يحده  
 المقدار ولا تحويه الأفكار ولا يحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه  
 مستوى على العرش على الوجه المقدس عن المماسّة والإستقرار والحلول  
 والإفتقار فلا يحمله العرش لأنه وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون  
 في قبضته وهو فوق الجميع وفوق العرش الرفيع فوقيته لا تزيده قربا الى

السَّمَاءِ وَبُعْدًا عَنِ الثَّرَى وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ وَأَقْرَبُ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ تَعَالَى عَنِ يَحْوِيهِ مَكَانٌ كَمَا تَقْدَسُ أَنْ يَحْدَهُ زَمَانٌ بَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ وَهُوَ الْآنَ عَلَيَّ مَا عَلَيْهِ كَانَ، فَسَبِّحَانَ خَالِقَ الزَّمَانِ وَمُكَوِّنَ الْمَكَانِ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالْأَمْثَالَ الْعُلْيَا أَنْتَهَى.

**اقول :** وانت ترى ان كنت من اهل المعقول ان ما قاله هذا الفيلسوف هو بعينه ما ذكره امير المؤمنين عليه السلام من قوله لا يشغله شأن الى قوله طرف الأحداق الا ان امير المؤمنين اشار الى اللب وهذا المحقق الى القشر او انه اجمل القول وهذا فصله والكلام الكلام من حيث المعنى ولا يمكن ان يقال ان عليا عليه السلام اخذه عن الفلاسفة لتقدم زمانه عليه السلام عليهم بل الأمر بالعكس فمن قال او يقول بان الفلسفة كفر والحاد كيف يفسر كلامه هذا وامثاله مما هو موجود في اكثر الخطب كما علمت وتعلم انشاء الله.

□ قوله عليه السلام: وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلَا مَجْجُودٍ تَكْوِينُهُ...

مضى الكلام في معنى الشهادة بوحديته تعالى وتكريرها في غير واحد من الخطب لكونها من احسن الكلمات لفظا ومعنى وتيمنا وتبركا مع ما ورد من الثواب عليها ووصف الشهادة بكونها غير معدول به اشارة الى كمال توحيدها وانه لا مثل له ولا عدل بل هو الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والضمير في قوله عليه السلام: (به، وفيه) راجع الى الله تعالى لا الى الشهادة كما يتوهم.

وقوله عليه السلام: وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ أَي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ مَشْكُوكًا فِيهِ فِي وُجُودِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ <sup>(١)</sup> ويمكن ان يكون المعنى اني اشهد بوحديته الله تعالى لا اعدل عنه ولا اشك فيه اصلاً. واما قوله عليه السلام: وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ مَعْنَاهُ لَا أَجْحَدُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ وَهُوَ

الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَن يُبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلنَ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

وقوله ﷺ: وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، اي ايجاده الموجدات وانما قال ﷺ تكوينه، لقوله تعالى كُنْ فيكون، والحاصل ان الموجدات انما هي من آثار صنعه وعجائب قدرته ومن انكر الأثر فقد انكر المؤثر.

□ قوله ﷺ: شَهَادَةٌ مِّنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ وَخَلَصَ يَقِينُهُ وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ...

وصف ﷺ شهادته باوصاف اربعة:

احدها: صدق النية فان الشهادة اذا لم تصدر عن القلب بصدق النية فهي كاذبة غير مطابقة لما في القلب وهو معنى النفاق:

وثانيها: قوله وصفته دخلته، اي شهادة صفت وطهرت دخلته وباطنه والمقصود انها ليست مشوبة بالرياء بل هي موصوفة بصفاء الباطن وجلاء القلب:

وثالثها: وخلص يقينه، فان لليقين مراتب اعلاها اخلصها عما ينافيه والمقصود اشهد شهادة خلصت عن شوب النفاق والرياء.

ورابعها: قوله وثقلت موازينه، اي شهادة متصفة بها فان التوحيد على وجه الكمال يوجب ثقل الميزان يوم القيامة كما في الآثار وقد قال الله تعالى:

﴿وَالْوِزَنُ يُؤَمِّنُ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

□ قوله ﷺ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ وَالْمُعْتَمَدِ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ وَالْمُصْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ وَالْمَوْضَحَّةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرِيبُ الْعَمَى...

بعد الأقرار بوحدانية الله تعالى اردف كلامه بالشهادة على الرسالة وذلك لأنها احدى ركن الإسلام ووصف ﷺ الرسول ﷺ باوصاف خمسة:

أحدها: أَنَّهُ ﷺ مَمَّنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَلَائِقِهِ بِرِسَالَتِهِ فَلَوْ كَانَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْهُ لَكَانَ هُوَ الْمُخْتَارَ لَقُبْحِ تَقْدِيمِ الْمَفْضُولِ عَلَى الْفَاضِلِ فَاخْتِيَارُهُ مِنْهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أفضليته وَأَكْمَلِيته وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.  
 وَصُورَةُ الْقِيَاسِ هَكَذَا، مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ الْمُخْتَارُ مِنَ الْخَلَائِقِ وَكُلُّ مُخْتَارٍ لِلرِّسَالَةِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ.  
 وَثَانِيهَا: أَنَّهُ الْمَعْتَمَدُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ.

الْمَعْتَمَدُ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ اعْتَمَدَ وَهُوَ عَلَى وَزْنِ الْمُخْتَارِ لِفِظَا وَمَعْنَى الْمَقْصُودِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَهُ لِبَيَانِ حَقَائِقِ تَوْحِيدِهِ وَتَنْزِيهِهِ وَابْتِصَاحِ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ:  
 وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ الْمُخْتَصُّ بِعُقَائِلِ كِرَامَاتِهِ، أَعْنِي الْكِمَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالْكَرَامَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ وَغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ مُخْتَصٌّ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِنْ قُلْتَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ أَيْضًا كِرَامَاتٍ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَقَامِ:

قُلْتُ نَعَمْ - وَالْجَوَابُ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَقُلِ الْمُخْتَصُّ بِكَرَامَاتِهِ بَلْ قَالَ الْمُخْتَصُّ بِعُقَائِلِ كِرَامَاتِهِ وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ ﷺ وَذَلِكَ لِأَنَّ عُقَائِلَ الْكَرَامَاتِ أَحْسَنُهَا وَأَكْمَلُهَا وَلَا شَكَّ أَنَّهَا فِي النَّبِيِّ لَا فِي غَيْرِهِ:  
 وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ الْمَصْطَفَى لِكِرَامَاتِهِ رِسَالَتِهِ، مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ.

وَخَامِسُهَا قَوْلُهُ ﷺ: وَالْمُوضَّحَةُ بِهِ إِشْرَاطُ الْهُدَى...

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُوضَّحَةَ، بِفَتْحِ الضَّادِ عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ مِنْ أَوْضَحَ يَوْضِحُ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ مُشَدَّدَةً مِنْ وَضَّحَ يَوْضِحُ فَعَلَى الْأَوَّلِ مَصْدَرُهُ الْإِبْطِاحُ وَعَلَى الثَّانِي مَصْدَرُهُ التَّوْضِيحُ وَكَيْفَ كَانَ فَالْفِظُ عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (بِهِ) يَرْجِعُ إِلَى الرَّسُولِ، وَمَعْنَى الْعِبَارَةِ أَنَّ إِشْرَاطَ الْهُدَى وَعَلَامَاتِهِ بِوَجُودِهِ ﷺ كَانَتْ وَصَارَتْ وَأَصْحَحَةُ لَا خَفَاءَ فِيهَا وَهَذَا الْحُكْمُ أَيْضًا مِمَّا لَا خَفَاءَ فِيهِ:



وخامسها قوله ﷺ: والمَجْلُوُّ به غريب العمى، اي الذي يكشف ويظهر بوجوده غريب العمى اعني الضلالة المظلمة الشديدة من الجهل والكفر والإلحاد والنفاق وغيرها، وعليه فالمَجْلُوُّ بفتح الميم وسكون الجيم وتشديد الواو اسم مفعول من جلى يَجْلُو نحو دَعَى يدْعُو لا من جلى يجلى على وزن رمى يرمى فان المفعول منه المَجْلِيُّ كمرمي وهو واضح ان ثبت لنا استعماله: □ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِذَ إِلَيْهَا وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا...

هذه الكلمات صدرت عنه ﷺ في الدنيا وذمها كما هو دابه ﷺ في اكثر الخطب وذلك لأن حُبَّ الدنيا راس كل خطيئة فاخراج السالك حُبها عن القلب من اهم الأمور في طريق السلوك:

فقال ﷺ ايها الناس ان الدنيا تغرُّ المؤمل لها والطالب ايها والمُخْلِذَ اليها الساكن فيها وذلك لأن المؤمل والساكن فيها يزعم وصوله الى مقاصده وخلوده فيها فيعتمد عليها ويركن اليها وهو في غفلة عن مكرها وخديعتها وانه سيصير لها طعمة كمن كان قبله:

وقوله ﷺ: وَلَا تَنْفَسُ أَي لَا تَنْفَسُ الدُّنْيَا وَلَا تَبْخُلُ بِمَنْ نَافَسَ وَجَاهَدَ فِيهَا وَتَغْلِبُ أَي الدُّنْيَا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا وَالْحَاصِلُ أَنَّ الدُّنْيَا شَانَهَا الْإِغْتِرَارَ وَالْغَلْبَةَ عَلَى أَهْلِهَا:

وانما فسّرنا قوله ﷺ: (نافس) بقولنا جاهد لأن المتنافس المُجَاهِدُ والمنافسة المُجَاهِدَةُ واما الشراح فقد فسّروه بالبخل كما فسّروا به قوله تنفس زعما منهم ان نافس من حيث المعنى، نفس، ولم يعلموا ان قولنا نفست بالشيء اي بخلت به وقولنا نافست اي جاهدت وهو ﷺ لم يقل بمن نفس بل قال بمن نافس وعليه فالحق ما ذكرناه واما على مذاق القوم فالمعنى ان الدنيا لا تبخل بمن بخل فيها، فاقض ما انت قاض:

□ قوله ﷻ: **وَإِيمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَرَّالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا...**

ثم قال ﷻ واقسم بالله ما كان قوم في الأزمنة السالفة قط في رغيده العيش ونضرة النعمة فزال الله تعالى عنهم تلك النعمة إلا بسبب ذنوبٍ اجترحوها واكتسبوها وبعبارة أخرى زوال النعمة عن كل قوم إنما هو سبب أعمالهم وافعالهم السيئة الشريفة وقد دلت الآيات عليه: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ (١)

و: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ ضَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣) والآيات كثيرة:

□ قوله ﷻ: **لَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ...**

استدل ﷻ على ما قال بالآية الشريفة وتقرير الاستدلال بها أنه قد ثبت أن الله تعالى ليس بظالم على عبده وذلك لأن الظلم قبيح وهو تعالى منزّه عنه وإذا كان كذلك فزوال النعمة عن العباد وإيقاعهم في النعمة والعذاب من الله تعالى من غير سبب يُعدّ من الظلم فلا محالة له سبب وهو أعمالهم السيئة وافعالهم القبيحة وعليه فالسبب والعلة في زوال النعمة هو العباد وأعمالهم لا غير:

فالظلم مستند اليهم والى هذا المعنى اشير في غير واحد من الآيات الكريمة قال الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بِيَتَاءٍ وَهُمْ نَائِمُونَ، أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ، أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَيَّ

والآيات في الباب كثيرة جدًا ومعها لا نحتاج الى ذكر الروايات والتواريخ.  
□ قوله ﷺ: «وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمُ وَتَزُولُ عَنْهُمْ النِّعْمُ فَرَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ قَاسِدٍ...»

هذا الذي ذكره ﷺ في المقام بمنزلة الدواء وما ذكره سابقا عليه بمنزلة الداء  
كانه قيل له ﷺ: وما دواء ذلك قال ﷺ: «وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ الْخُحَّ وَحَاصِلَهُ أَنْ النَّاسَ بَعْدَ مَا صَارُوا مُسْتَحْقِينَ لِلْعَذَابِ وَالنِّقْمِ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ فَزَالَتِ النِّعْمُ عَنْهُمْ لَوْ فَرَعُوا وَالتَّجَاؤا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَاشْتِيَاقِ مِنَ الْقَلْبِ لَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا أَخَذَ عَنْهُمْ مِنَ النِّعْمِ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ مِنَ الْأُمُورِ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَطِيفٌ خَبِيرٌ عَالِمٌ بِالسِّرِّ وَالْخَفِيَّاتِ فَإِذَا عَلِمَ رَجُوعَ الْعَبْدِ إِلَيْهِ وَنَدِمَهُ عَلَى مَا فَعَلَ يَقْبَلُ عُذْرَهُ وَيَمْحُو ذَنْبَهُ وَخَطِيئَتَهُ كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (٢)

وقال تعالى في قصة يونس النبي: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَتَنْفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (٣) ونحن ننقل قصته لما فيها من النكات واللطائف:

روى في المجلد الخامس من بحار الأنوار عن ابن أبي عمير عن جميل قال قال ابو عبد الله ما ردَّ الله العذاب إلا عن قوم يونس وكان يونس يدعُوهم الى الإسلام فيابون ذلك فهُم ان يدعُوا عليهم وكان فيهم رجلان عابد وعالم وكان اسم احدهما مليخا والآخر اسمه روييل فكان العابد يُشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهاه ويقول لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده فقَبِل قول العابد ولم يقبل من العالم فدعا عليهم فاحى الله اليه

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

٢- الاعراف - ٩٤

١- الاعراف - ١٠٠ = ٩٦

٣- يونس - ٩٨

ياتيهم العذاب في سنة كذا وشهر كذا ويوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس  
من بينهم مع العابد وبقى العالم فيهم فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب فقال  
العالم لهم يا قوم افزعوا الى الله فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم فقالوا  
كيف نصنع قال اجتمعوا واخرجوا الى المفازة وفرقوا بين النساء والأولاد وبين  
الإبل وأولادها وبين البقر وأولادها وبين الغنم وأولادها ثم ابكوا وادعوا فذهبوا  
وفعلوا ذلك وضجوا وبكوا، فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب وفرق  
العذاب على الجبال وقد كان نزل وقرب منهم فاقبل يونس لينظر كيف اهلكهم  
الله فرأى الزارعون يزرعون في ارضهم قال لهم ما فعل قوم يونس فقالوا له  
ولم يعرفوه ان يونس دعا عليهم فاستجاب الله ونزل العذاب عليهم فاجتمعوا  
وبكوا ودعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرق العذاب على الجبال فهم  
اذا يطلبون يونس ليؤمنوا به فغضب يونس ومر على وجهه مغاضبا به كما  
حكى الله تعالى عنه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغَاضِبًا﴾<sup>(١)</sup> حتى انتهى الى ساحل  
البحر فاذا سفينة قد شمخت وارادوا يدفعوها فسألهم يونس ان يحملوه  
فحملوه فلما توسط البحر بعث الله حوتا عظيما فحبس عليهم السفينة من  
قدامها فظفر اليه يونس ففزع منه وصار الى مؤخر السفينة فدار اليه الحوت  
وفتح فاه فخرج اهل السفينة فقالوا فينا عاص فتساهموا فخرج سهم يونس  
وهو قول الله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

فاخرجوه والقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء «الحديث ص  
٣٥٩» وانت ترى ان هذا الحديث وامثاله يدل على ان العبد اذا عصى ثم تاب  
ورجع الى الله تعالى فالله جل جلاله يقبل عذره ويقبل عثرته ويغفر ذلته، فانه  
ارحم الراحمين.

□ قوله ﷺ: وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ

مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ...

الفترة بفتح الفاء وسكون التاء وفتح الراء الضعف والفتور يقال فتر فتورا سكن بعد جدته ولأن بعد شدته، فتر عن العمل قصر فيه، وإنما سميت أيام الجاهلية بها فقبل زمان الفترة لضعف الناس فيها وسكونهم عن العمل بالشريعة السابقة:

والمعنى أنني لأخشى واحاف عليكم ان تكونوا في فترة اي في ضعف وانكسار من العمل وذلك لأنه قد كانت امور مضت وهي السقيفة وما جرى بعدها في عهد الخلفاء الثلاثة من وجود البدع المحدثه والانحرافات والمعاصي وتضييع الحقوق وغيرها من المنكرات وانتم ميلتم منها ميلاً واخذتم بها اخذا وسليكتم فيها مسلكا قبيحا غير محمود عندي والحاصل انكم اتبعتم الأمور الشنيعة التي كانت غير مرضية ومن كان كذلك فيشكل عليه الأمر في دولة الحق فإن الحق مر:

اقول: ما ذكره عليه السلام واخبرهم به كان حقاً وصدقاومع ذلك فقد وقع طابق التعل بالتعل وذلك لأن المسلمين لم يُطيعوه حق الطاعة بل خالفوه وبارزوه والدليل على ذلك وقوع حرب الجمل والصفين والخوارج ومخالفة اصحابه له عليه السلام مع ان امير المؤمنين لم يفعل قبيحا فضلاً عما اوجب مخالفة الناس اياه فلم يكن ذلك الا لأجل انه عليه السلام خالف طريق الخلفاء قبله وسلك مسلك الرسول وامر بالمعروف ونهى عن المنكر واعان المظلوم وخالف الظالم وقسم الأموال بالسوية واجرى العدل وامثال ذلك مما هو كان مخالفا لسيرة من كان قبله وهو واضح:

□ قوله عليه السلام: وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعْدَاءُ وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ...

اي ولأن رد عليكم امركم الذي بين الله لكم بسبب رسوله وهو الإمامة

والوصاية والولاية التي قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>  
 و: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> وبالجملة حكومة  
 الله عليكم بسبب انبيائه واورصائه، انكم اذا لسعداء وانما قال ﷺ لأن رُدَّ علي  
 سبيل الشرط والتعليق لكونه بعد النبي صار في يد من لم يكن لاثقابه:  
 ان قلت - بعد تفويض الخلافة اليه ﷺ لا معنى لهذا الشرط فانه قد رُدَّ اليهم  
 قطعاً:

قلت - وجه الشرط واضح لعلمه ﷺ بوجود المنافقين المانعين من الرد  
 الواقعي واما الرد الظاهري فلا اثر له لقوله ﷺ لا امر لمن لا يطاع، وقوله ﷺ وما  
 علي الجهد معناه ليس علي ذمتي الا الجِد واما الوصول الي المطلوب فهو  
 معلول جدكم وسعيكم ومخالفتكم للنفس الامارة بالسوء فلو سلكتم مسلك  
 الحق وتركتم الباطل الذي كنتم عليه في سالف الزمان انكم لسعداء والا فانكم  
 من الأشقياء وقوله ﷺ: ولو اشاء الخ معناه ان الله تعالى يعفو عن كثير من  
 الذنب وقليله فالغرض انكم لو دخلتم في حزب الله وخرجتم عن حزب  
 الشيطان عفى الله عما سلف منكم من اتباع الباطل والعمل به فانه رحيم بعباده  
 كما قال: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
 يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَنْ  
 يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ  
 يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾<sup>١</sup> ومُلخص الكلام ان ما مضى مضى  
 والذي ينبغي ان يتوجه العاقل اليه هو المستقبل لئلا يلحق بما مضى فانتهم يا  
 معاصر المسلمين وان اخطاتم بعد النبي ﷺ وجعلتم الخلافة في غير اهلها

طرح السادة في شرح نهج البلاغه

وَوَقَعْتُمْ فِيهَا مَا وَقَعْتُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ وَظَلَمْتُمْ عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ  
يُمْكِنُ لَكُمْ الرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ وَالْأَطَاعَةِ عَنْ أَمَامِكُمْ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ أَوْلِيَاءِ  
الشَّيْطَانِ فَإِذَا كُنْتُمْ كَذَلِكَ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَوَلِيٍّ مِنَ الْقَلْبِ لِرَدِّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ كُلَّ شَارِدٍ  
وَاصْلِحْ لَكُمْ كُلَّ فَاسِدٍ فَقَوْلُ الْمُعْتَزَلِيِّ حَيْثُ حَمَلَ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيَّ مَا حَمَلَ مِمَّا  
لَا يَرْضِي صَاحِبَهُ بِهِ إِنْ شِئْتَ رَاجِعْهُ أَنْتَهَى.

﴿ومن كلام له ﷺ﴾ (١٧٨)

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِغْلَبُ الْيَمَانِيِّ فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتُ رَبَّنَا  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ ﷺ: أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى؟ فَقَالَ: وَكَيْفَ تَرَاهُ؟

□ فَقَالَ ﷺ: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ  
الْإِيمَانِ. قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرٌ مُلَامِسٍ يَعِيدُ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ  
مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَا يُصَفُّ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ  
بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ رَجِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ تَعْنُوا الْوُجُوهَ لِعَظَمَتِهِ  
وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ

◀ اللُّغَةُ

(الذَّغْلَبُ) بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةُ عَلَى مَا قَالَ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي الْأَصْلِ النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ  
ثُمَّ نَقَلَ فَسُمِّيَ إِنْسَانٌ بِهِ وَحَيْثُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقِيلَ الْيَمَانِيُّ مُخَفَّفُ الثُّونِ  
وَالْأَلْفُ فِيهِ عَوْضٌ عَنِ الْبَاءِ وَالْأَصْلُ يَمْنَى بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ (الْجَفَاءُ) بِفَتْحِ الْجِيمِ مِنْ  
جَفَوْتَ الرَّجُلَ اعْرَضْتَ عَنْهُ (تَعْنُوا) عَنَّتِ الْوُجُوهُ أَيِ خَشَعَتْ وَزَلَّتْ (تَجِبُ)  
وَجِبَ الْحَائِطُ سَقَطَ وَجِبَ الْقَلْبُ رَجَفَ:

◀ الْمَعْنَى

(وَقَدْ سَأَلَهُ) أَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ذِغْلَبُ الْيَمَانِيِّ فَقَالَ) لَهُ ﷺ (هَلْ رَأَيْتُ رَبَّنَا)  
عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِفْهَامِ (فَقَالَ ﷺ: أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى؟) وَالْإِسْتِفْهَامُ انْكَارِي أَيِ لَا



اعْبُدْ (فَقَالَ) اِي الذَّعْلَبِ (وَكَيْفَ تَرَاهُ) اِي كَيْفَ تَرَى رَبَّكَ (فَقَالَ ﷺ): لَا تُدْرِكُهُ  
 الْعُيُونُ) وَالْأَبْصَارُ (بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ) كَمَا فِي الْمُبْصِرَاتِ (وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ  
 بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ) اِي الرُّؤْيَا قَلْبِيَّةٌ بِنُورِ الْإِيمَانِ (قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مُلَامِسٍ)  
 لَهَا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجَسْمٍ وَاللَّمْسُ مِنْ خَوَاصِّ الْجَسْمِ (بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرٌ مُبَايِنٌ) اِي  
 بَعِيدٌ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مَبَائِنٍ لَهَا فَإِنَّ السَّنْخِيَةَ الْوُجُودِيَّةَ مَوْجُودَةٌ  
 (مُتَكَلِّمٌ لَا بِرُؤْيَا) اِي لَيْسَ تَكَلَّمَهُ كَتَكَلَّمَ غَيْرَهُ (مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ) فَإِنَّ ارَادَتَهُ لَيْسَتْ  
 مَسْبُوقَةً بِشَيْءٍ (صَانِعٌ) لِلْمَوْجُودَاتِ (لَا بِجَارِحَةٍ) كَمَا فِي الْمَخْلُوقِ (لَطِيفٌ لَا  
 يُصَفُّ بِالْخَفَاءِ) مَعَ أَنَّ كُلَّ لَطِيفٍ غَيْرِهِ خَفِيٌّ (كَبِيرٌ لَا يُوصَفُّ بِالْجَفَاءِ) اِي الطَّرْدِ  
 وَالْإِعْرَاضِ (بَصِيرٌ لَا يُوصَفُّ بِالْحَاسَةِ) فَإِنَّ الْحَاسَةَ مِنْ لَوَازِمِ الْجَسْمِ (رَحِيمٌ لَا  
 يُوصَفُّ بِالرَّقَّةِ) فَإِنَّ الرِّقَّةَ مِنْ لَوَازِمِ الْقَلْبِ (تَعْنُوا) وَتَخَضَعُ (الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ  
 وَتَجِبُ) اِي تَرْجَفُ وَتَسْقُطُ الْقُلُوبُ (مِنْ مَخَافَتِهِ) اِي هَيْبَتِهِ وَسَطَوْتِهِ.

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى؟

الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ وَالتَّقْدِيرِ لَا أَعْبُدُ مَا لَا أَرَى، وَالرُّؤْيَا عَلَى  
 قَسْمَيْنِ، عَيْنِيَّةٌ، وَقَلْبِيَّةٌ فَإِنْ حَصَلَتْ بِالْعَيْنِ فَهِيَ عَيْنِيَّةٌ وَإِنْ حَصَلَتْ بِالْقَلْبِ فَهِيَ  
 قَلْبِيَّةٌ قَالَ فِي الْمَنْجِدِ رَايَ يَرَى رَايَا وَرُؤْيَا نَظَرَ بِالْعَيْنِ أَوْ بِالْعَقْلِ انْتَهَى فَمَنْ ظَنَّ  
 أَنَّ الرُّؤْيَا لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْعَيْنِ فَقَدْ أَخْطَأَ:

□ فَقَالَ: وَكَيْفَ تَرَاهُ؟ فَقَالَ ﷺ: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ  
 الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ...

قَالَ ذَعْلَبٌ وَكَيْفَ تَرَاهُ اِي كَيْفَ تَرَى الرَّبَّ قَالَ ﷺ فِي جَوَابِهِ لَا تُدْرِكُهُ اِي  
 الرَّبِّ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تَدْرِكُ الرَّبَّ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَنُورِ  
 مَعْرِفَتِهِ وَحَاصِلِ الْجَوَابِ أَنَّ الرُّؤْيَا قَلْبِيَّةٌ لَا عَيْنِيَّةٌ كَمَا ظَنَّهُ أَهْلُ الظَّاهِرِ فَالْبَحْثُ  
 فِي الْحَقِيقَةِ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلَيْنِ، أَحَدُهُمَا عَدَمُ جَوَازِ رُؤْيَا الرَّبِّ بِالْعُيُونِ، وَثَانِيَهُمَا  
 اثْبَاتُ الْجَوَازِ بِالْقَلْبِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ فِي الْأَصْلَيْنِ:

أما الأصل الأوّل وهو استحالة رؤيته تعالى بالعين الحاسّة فنقول:  
 اختلفوا في كَيْفِيَّةِ الأبصار على أقوال شتى ترجع إلى ثلاثة أو أربعة:  
 أحدها: ما ذهب إليه الطبيعيّون من أنّه بانطباع شَبَحِ المرئي في جزءٍ من  
 الرطوبة الجليدية التي يشبه البَرْد والجَمَد فأنها مثل مرآةٍ فاذا قابلها مُتَلَوْن مُضِي  
 انطبع مثل صورته فيها كما تنطبع صورة الإنسان في المرآة لا بان يتفصل من  
 المُتَلَوْن شيء ويميل إلى العين بل بان يحدث مثل صورته في المرآة في عين  
 الناظر ويكون استعداد حصوله بالمُقابلة المخصوصة مع توسط الهواء  
 المشف.

وثانيها: قول الرياضيين وهو أنّه بخروج الشعاع من العين على هيئته  
 منحروط رأسه عند العين وقاعدته عند المرآة ثم اختلفوا في أنّ ذلك المنحروط  
 مُصَمَّت أو مؤلف من خطوط مُجمّعة في الجانب الذي يلي الرأس مُتفرقة في  
 الجانب الذي يلي القاعدة وقيل لا على هيئته منحروط بل على استواء وقيل  
 الشعاع الذي في العين يكيّف الهواء بكيفيته ويصير الكلّ آلة في الأبصار.

وثالثها: قول الإشراقيين وهو أنّه لا شعاع ولا انطباع وإنما الأبصار بمُقابلة  
 المُستنير للعضو الباصر الذي فيه رطوبة صقيلية واذا وجدت هذه الشّروط مع  
 زوال المانع يقع للنفس علمٌ إشراقيٌّ حُضوريٌّ على المُبصر فتدركه النفس  
 مشاهدةً ظاهرةً جليّةً فهذه ثلاثة مذاهب في الأبصار مع ما فيها من الإشكالات  
 الواردة المُفصلة في الكتب الموضوعّة لهذه المباحث.

ورابعها: ما اختاره الصّدر الشيرازي رحمته الله وتبعه فيه غير واحدٍ من المُتأخريين  
 إلى زماننا هذا.

قال رحمته الله في الأسفار بعد نقله ما نقلناه عن هؤلاء القوم هذا لفظه:

والحقّ عندنا غير هذه الثلاثة وهو أنّ الأبصار بانشاء صورةٍ مُعائلةٍ له بقُدرة  
 الله تعالى من عالم الملكوت النفساني مُجردةً عن المادّة الخارجيّة حاضرةً  
 عند النفس المُدركة قائمة بها قيام الفعل بفاعله لا قيام المُقبول بقابله والبرهان  
 عليه يستفاد ممّا نبّهنا به على اتحاد العقل بالمعقول فأنه بعينه جارٍ في جميع

الإدراكات الحيّة والوَهْمِيّة وقد نبّهنا على هذا المطلب في مباحث العَقْل، والمعقُول وقلنا إنّ الإحساس مطلقا ليس كما هو المشهُور عند الحكماء من أنّ الحِسَّ تَجَرّدُ صُورَة المَحسُوس بعينه من مادّته ويصادفها مع عوارضها المُكتنفة وكذا الخيال يُجرّدها تجريدا أكثر لما عَلِمَ من امتناع انتقال المُنطبعات، بل الإدراكات مطلقا إنّما يحصل بان يفيض من الواهب صُورة اخرى تُورِيه ادراكية يحصل بها الإدراك والشّعور فهي الحاسّة والمحسوسة بالفعل وأما وجود صُورة في مادّة فلا حِسَّ ولا محسُوس إلا أنّها من المُعدّات لفيضان تلك الصُورة مع تحقق الشرائط انتهى.

كلامه رفع مقامه في اصل المُدعى ثمّ اطال الكلام برهانا وتأييدا بما لا حاجة لنا في نقله اذا عرفت هذا فنقول لا يَتَحَقَّقُ الإبصار فيما نحن فيه بوجهٍ من الوجوه المذكورة.

أما على قول الطّبيعيين القائلين بالشّبح فلأنّ الله تعالى ليس بشّبح حتّى يقال بانطباعه في جزءٍ من الرّطوبة الجليديّة ولا صُورة له حتّى يحدث مثلها في عين الناظر التي بمنزلة المرآة فلا ابصار هناك وأما على قول الرّياضيين فلأنّ اساس هذا القول بخروج الشّعاع من العين على هيئة مَخْرُوط راسه عند العين وقاعدته عند المرّئي ومن المعلوم أنّ المرّئي لا بدّ له من ان يكون في جهةٍ ووضعٍ وهو ليس إلا الجسم وحيث قد ثبت عدم كونه تعالى في وَضْعٍ ووجهٍ وإنه ليس بجسم ولا جسماني فلا ابصار ايضا وأما على قول حكماء الإشراق الذي اساسه علىّ مقابلة المُستنير للعضو الباصر، فالأمر في الإستحالة اوضح اذ المقابلة لا تَتَحَقَّقُ إلا في الأجسام وأما ما ليس بجسم فليس في وَضْعٍ وهو تعالى منزّه عن هذه الأمور فلا يَتَحَقَّقُ الإبصار وهو المُطلوب.

وأما قول صدر المتألّهين اعني تحقّقه بانشاء صُورةٍ مُماتلة له فهو ايضا في المقام محال وذلك لأنّ وجود الصُورة المُماتلة فرع وجود الصُورة في المُماتل فاذا فرضنا أنّ الموجود لا صُورة له فكيف يمكن فرض صُورةٍ اخرى مثلها وحيث أنّ الواجب لا صُورة له فلا يَتَحَقَّقُ الإبصار بهذا المعنى ايضا فقد ثبت

انّ الإبصار هناك محال فلا تتحقّق الرُّؤية البَصْرِيَّة العَيْنِيَّة.

ولنا في المقام على الإستحالة دليل اخر وهو انّ الحاسّة لا تدرك الا ما كان محسوسا قضاءً لحكم السِّنْخِيَّة والمحسوس لا يكون الا مُحاطا بالحاسّة فانّ الإدراك هو الإحاطة بوجهه فاذا لم يكن المُدْرِك مُحيطا بالمُدْرِك كيف يُدْرِكُه حقّ الإدراك ولازم الإحاطة هو كون المَحيط اوسع من المُحاط والا لا يكون مُحيطا فلو فرضنا تحقّق رؤية الحقّ بالبصر يلزم كون الواجب مُحاطا محدّودا مُتناه وقد فرضناه غير مُتناه فالرؤية مستحيلة هذا كله بجسب الأدلّة العقليّة.

وامّا النقل: فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١)

ومن الأخبار: ما رواه الكليني عليه السلام في أصول الكافي باب ابطال الرُّؤية باسناده عن صفوان ابن يحيى قال سألني ابو قرّة المحدث ان ادخله الى ابي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فاذن لي فدخله فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتّى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرّة انا رُوينا انّ الله قَسَمَ الرُّؤية والكلام بين النبيّ فقَسَمَ الكلام لموسى ولمُحمّد الرُّؤية فقال ابو الحسن فَمَنْ المبلغ عن الله الى الثقلين لا تُدْرِكُه الأبصار ولا يُحيطون به علما وليس كمثل شئ اليس مُحمّد قال بلى قال عليه السلام كيف يجي رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله وانه يدعوهم الى الله بامر الله فيقول لا تُدْرِكُه الأبصار ولا يُحيطون به علما وليس كمثل شئ ثم يقول انا رايته بعينه واحطت به علما:

على صورة البشر اما تستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون ياتي من عند الله بشئ ثم ياتي بخلافه عن وجه آخر قال ابو قرّة فانه يقول ولقد رآه نزلةً اخرى فقال ابو الحسن انّ بعد هذه الآية ما يدل على ما راي حيث قال: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (٢) يقول ما كذب فؤاد مُحمّد مرات عيناها ثم اخبر بما راي فقال: (لقد راي من آيات ربه الكبرى) فأيات الله غير

اللَّهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا فَإِذَا رَأَتْهُ الْأَبْصَارُ فَقَدْ احْطَاطَتْ بِهِ الْعِلْمُ  
وَوَقَّعَتْ الْمَعْرِفَةُ فَقَالَ أَبُو قُرَّةٍ فَتَكْذِبُ بِالرَّوَايَاتِ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ إِذَا كَانَتْ  
الرَّوَايَاتُ مُخَالَفَةً لِلْقُرْآنِ كَذِبَتْهَا وَمَا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُحَاطُ بِهِ  
عِلْمًا وَلَا يُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أَنْتَهَى...

قال الصدر الشيرازي رحمته الله في شرح الحديث استدلال أبو قرّة في مجلس الرضا  
عليه السلام على صحة رؤية الله بما روي أن الله قسم كرامتين عظيمتين يعني الرؤية  
والكلام بين نبين كريمين فقال الكلام لموسى والرؤية لمحمد فدلّت الرواية  
على صحة رؤية الله وأنّ محمداً راه في الدنيا فإذا جاز أن يراه النبي في دار  
الدنيا جاز أن يراه المؤمنون في دار الآخرة فاجاب عليه السلام بقوله فمن المبلغ عن  
الله إلى كافة الخلق من الجن والإنس بما انزل الله إليه من ربه من قوله لا  
تُدركه الأبصار وقوله ولا يُحيطون به علماً وقوله ليس كمثلته شيء فهذه آيات  
ثلاث دلّت كلّ واحدةٍ منها على نفي الرؤية عنه أمّا دلالة الأولى فظاهرة.

وامّا الثانية: فلأنّ كلّ من أبصر شيئاً فقد احاط به علماً بلا خلاف لأحدٍ فيه  
كما سنبينه عليه:

وامّا الثالثة: فلأنّ الإبصار عبارة عن حصول صورة الشيء في حسّ البصر  
فما لا مثل له لا يمكن حصول صورته في الحسّ وحيث أنّه تعالى ليس كمثلته  
شيء فاستحال تعلق الأبصار به انتهى ما اردنا ذكره.

ومنها - ما رواه ايضاً في هذا الباب عن احمد ابن اسحاق قال كتبت إلى ابي  
الحسن الثالث عليه السلام اسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس قال فكتب عليه السلام لا  
يجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء يُنفذه البصر فإذا انقطع الهواء  
عن الرائي والمرئي لم يصح الرؤية وكان في ذلك الإشتباه بأنّ الراوي متى  
ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الإشتباه وكان ذلك  
التشبيه لأنّ الأسباب لا بدّ من اتصالها بالمسببات انتهى.

قال الصدر رحمته الله في شرحه بلفظه:

استدل الإمام عليه السلام على امتناع تعلق الرؤية به تعالى بوجهين:

احدهما: ان من شرائط تحقق الرؤية وجود الهواء وما يجري مجراه كالماء الصافي ونحوه بين الرائي والمرئي من جهة توقف الرؤية عليه لينفذ فيه شعاع البصر ويتصل بالمبصر فاذا انقطع الهواء عنهما او عن احدهما امتنعت الرؤية، الى ان قال رحمته:

**والوجه الثاني:** من الاستدلال قوله عليه السلام وكان في ذلك الإشتباه الخ معناه لو جاز رؤية الله يلزم كونه مشابها لخلقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا اذ قد ثبت بالبرهان القطعي انه ليس كمثله شيء في الذات.

ولا له شبه في الصفات اما بيان اللزوم فلأن الذي هو سبب الرؤية وشرطها الذي يصحح كون الشيء رائيا من وجود الهواء بينهما وتتحقق المحاذات وعدم البعد المفراط ولا القرب المفراط كل يصحح كون الشيء مرئيا وكون الرائي مرئيا لرائيه والمرئي رائيا لرائيه لأن كلا منهما لا بد ان يكون جسما كثيفا مستضيئا فلو لم يكن المرئي كثيفا مستنيرا من شعاع الشمس ونحوه لم تقع الرؤية وكذا لو لم يكن البصر جسما كثيفا قابلا للنور لم يكن رائيا فجاء الإشتباه والمساواة بين الرائي والمرئي ولو من جهة اصل الجسمية والوضع وقبول اللون والإنارة والشكل والتشبيه في حقه تعالى محال.

وقوله عليه السلام لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات يعني اذا تحقق السبب الموجب للمساواة والمُشابهة بين الرائي والمرئي لزم تحقق المسبب وهو وجود المساواة بينهما ضرورة لإمتناع تخلف المسبب عن السبب الموجب وانفكاك المعلول عن العلة التامة وهو رد على النافين للعلة والمعلول فاذا لو جاز رؤيته تعالى يلزم التشبيه في حقه وهو محال انتهى ما ذكره رحمته في المقام وهو حق.

ومنها - ما رواه فيه ايضا باسناده عن ابن سنان عن ابيه قال حضرت ابا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال يا ابا جعفر اي شيء تعبد قال عليه السلام الله تعالى، قال رايته قال عليه السلام بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن راته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس

مَوْصُوفٌ بِالْآيَاتِ مَعْرُوفٌ بِالْعَلَامَاتِ لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ، ذَلِكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَ خَرَجَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُ اعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ انْتَهَى).

وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ لِأُولِي الدَّرَايَةِ.

وَقَدْ تَحَصَّلَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ الرُّؤْيَا العَيْنِيَّةَ لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ تَعَالَى وَهُوَ الْمَطْلُوبُ. وَحَيْثُ انْجَرَّ الْكَلَامُ إِلَى هُنَا فَلَا بَأْسَ بِالإِشَارَةِ إِلَى مَا أوردَهُ الغزالي فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالإِقْتِصَادِ فِي الإِعْتِقَادِ مِنَ الإِشْكَالِ وَالتَّقْضِ عَلَى أَصْلِ الإِسْتِدْلَالِ وَهُوَ أَنَّ الرُّؤْيَا تُوجِبُ كَوْنَهُ تَعَالَى فِي جِهَةٍ وَكَوْنَهُ فِي جِهَةٍ يُوجِبُ كَوْنَهُ عَرْضًا أَوْ جَوْهَرًا جِسْمَانِيًّا وَهُوَ مُحَالٌ، فَقَالَ مَا هَذَا مَا لِقِظِهِ:

**الْبَحْثُ الأَوَّلُ:** أَنَّ أَحَدَ الأَصْلِيينَ مِنْ هَذَا القِيَّاسِ مُسَلِّمٌ وَهُوَ أَنَّ كَوْنَهُ فِي جِهَةٍ يُوجِبُ المُحَالَّ وَلَكِنِ الأَصْلُ الأَوَّلُ هُوَ ادِّعَاءُ هَذَا اللَّأْزِمِ عَلَى اعْتِقَادِ الرُّؤْيَا مِمَّنْوعٌ فَتَقُولُ لِمَ قُلْتُمْ أَنَّهُ إِنْ كَانَ مَرْتَبًا فَهُوَ فِي جِهَةٍ مِنَ الرَّأْيِ اعْلِمْتُمْ ذَلِكَ ضَرُورَةً أَمْ بِنَظَرٍ وَلَا سَبِيلَ إِلَى دَعْوَى الضَّرُورَةِ وَأَمَّا النَّظَرُ فَلابِدَّ مِنْ بَيَانِهِ وَمُنْتَهَاهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الأَشْيَاءِ إِلَّا وَكَانَ بِجِهَةٍ مِنَ الرَّأْيِ مُخْصِوَصَةً وَلَوْ جَازَ هَذَا الإِسْتِدْلَالَ لَجَازَ لِلْمُخَصِّمِ أَنْ يَقُولَ أَنَّ البَارِيَّ تَعَالَى جِسْمٌ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ فَأَنَّا لَمْ نَرَ إِلَى الآنَ فَاعِلًا إِلَّا جِسْمًا وَحَاصِلُهُ يَرْجِعُ إِلَى الحُكْمِ بِأَنَّ مَا شَوَّهَدَ وَعُلِمَ يَنْبَغِي أَنْ يُوَافِقَهُ مَا لَمْ يَشَاهِدْ وَلَمْ يُعْلَمَ.

**الْبَحْثُ الثَّانِي:** المَعَارِفَةُ بِرُؤْيَا اللَّهِ لِعِبَادِهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ غَفَلُوا عَنْ مَعَارِضَتِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى نَفْسَهُ وَيَرَى العَالَمَ وَهُوَ لَيْسَ بِجِهَةٍ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مِنَ العَالَمِ بِجِهَةٍ فَإِذَا جَازَ ذَلِكَ بَطَلَ التَّخْيِيلُ وَهَذَا مِمَّا يَعْتَرِفُ بِهِ أَكْثَرُ المَعْتَزِلَةِ وَلَا مَخْرَجَ عَنْهُ لِمَنْ اعْتَرَفَ.

**الْبَحْثُ الثَّالِثُ:** مِنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ مِنْهُمْ أَيُّ مِنَ المَعْتَزِلَةِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى رُؤْيَا الإِنْسَانَ نَفْسَهُ فِي المِرْآةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِي مُقَابِلَةِ نَفْسِهِ فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَرَى نَفْسَهُ وَأَنَّمَا يَرَى صُورَةَ مُحَاكِمَةِ لُصُورَتِهِ مُنْطَبَعَةً فِي ظَاهِرِ المِرْآةِ انْطِبَاعَ النَّقْشِ فِي الحَائِطِ فَيُقَالُ أَنَّ هَذَا ظَاهِرُ الإِسْتِحَالَةِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ وَأَطَالَ.

أَقُولُ أَمَّا الجَوَابُ عَنْ إِشْكَالِهِ الأَوَّلِ: أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمِ أَصْلَ الإِسْتِدْلَالِ فَظَنَّ أَنَّ مَبْنَى

الإستدلال في عدم تَحَقُّقِ الرُّؤيةِ أَنَّ المَرْتَبَاتِ فِي هَذَا العَالَمِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي جِهَةٍ وَحَيْثُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ فِي جِهَةٍ فَهُوَ لَيْسَ بِمَرْتَبِي فَعَدَمُ كَوْنِهِ تَعَالَى مَرْتَبًا مِنْ جِهَةٍ خَرُوجَهُ عَنِ القَاعِدَةِ فَقَالَ هَذَا قِيَاسُ الغَائِبِ عَلَى الشَّاهِدِ إِلَّا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ فِي الإِعْتِرَاضِ، لِمَ قُلْتُمْ أَنَّهُ إِنْ كَانَ مَرْتَبًا فَهُوَ فِي جِهَةٍ مِنَ الرَّاْيِ اعْلِمْتُمْ ذَلِكَ ضَرُورَةً أَمْ بِنَظَرٍ إِلَى آخِرِ مَاقَالِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالحَاصِلُ أَيُّ دَلِيلٍ ذَكَرَ عَلَيٌّ أَنَّ المَرْتَبِي لَابَدٌ مِنْ إِنْ يَكُونُ فِي جِهَةٍ إِلَّا مَا رَأَيْتُمْ مِنَ المَحْسُوسَاتِ المَشْهُودَاتِ فِي العَالَمِ وَقِسْتُمْ الوَاجِبَ عَلَيْهِ.

والجواب أن مبني الإستدلال ليس على فهمه من الدليل بل الدليل على عدم تعلق الرؤية به تعالى هو أن القوة الباصرة التي في عيوننا قوة جسمانية وجودها وقوامها بالمادة الوضعية وكل ما وجوده وقوامه بشي فقوام فعله وانفعاله أيضا بذلك الشيء اذ الفعل والانفعال بعد الوجود والقوام اذ الشيء يوجد اولاً اما بذاته او بغيره ثم يؤثر في غيره او يتاثر عنه فاذا كان وجود القوة في نفسها متعلقاً بمادة جسمانية فتاثيرها او تاثرها ايضا بمشاركة المادة ووضعها بالقياس الى ما تؤثر فيه او يتاثر عنه فلأجل هذا نحكم بان البصر لا يرى الا ماله نسبة وضعية الى محل الباصرة والسماعة لا تنفعل ولا تسمع الا ما وقع منها في جهة وهذا هو البرهان فثبت ان عدم الرؤية فيه تعالى من جهة انه تعالى ليس في جهة وعدم كونه في جهة قد ثبت بدليل آخر في باب التوحيد لا انا نحكم بعدم الرؤية بقياسه على المشهودات المحسوسات في هذا العالم من انا لا نرى في العالم الا ما هو في جهة وحيث انا لا نراه فنكشف انه ليس في جهة كما تخيل الغزالي وقال هذا من قياس الغائب على الشاهد وحاصل الكلام انا قد اثبتنا انه تعالى ليس في جهة ووضع وغيرهما ثم اقمنا البرهان على ان العين لا ترى الا ما كان في جهة فما ليس في جهة لا ترى اصلاً وصورة القياس هكذا.

الواجب ليس في جهة، وكل ما ليس في جهة لا تراه العين الباصرة فالواجب لا تراه العين وهو المطلوب.

واما الجواب عن اشكاله الثاني: وهو نقضه برؤية الله نفسه ورؤيته العالم



وهو ليس بجهةٍ من نفسه فنقول ما ذكره شطط من الكلام وذلك لأن رؤية الله نفسه مرجعها الى تعقله لذاته ومرجع تعقله وعلمه لذاته هو نفس وجوده المُفارق عن المادّة ولو احقها وغواشيتها المانعة عن كون الشئ معقولاً فإن كل وجود صوري مُجرد عن المادّة وعوارضها فهو معقول بالفعل كما بُرهن عليه في العلوم العقلية وعليه فان كان وجوده لغيره بان يكون قائماً به كان معقولاً لذلك الغير وان لم يكن وجوده لغيره بل قائماً بذاته كان معقولاً لذاته فكان ذلك الوجود بعينه عقلاً ومعقولاً لذاته وعاقلاً لذاته فذاته تعالى عقلٌ وعاقِلٌ ومعقولٌ من غير تغاير بين هذه الأمور لا بالذات ولا بالاعتبار وهذا معنى كونه رائياً لذاته فرؤيته تعالى لذاته ليست بقوة جسمانية حسية ولا ايضاً بصفة زائدة حتى يلزم المعارضة او النقص الا ترى ان القوة الجسمانية لا تقدر على ادراك ذاتها ولا لحامل ذاتها فالْبصر لا يمكن له ان يُبصر ذاته ولا آتته ولا يُدرك ابصاره وكذا السمع والشم وغيرهما من الحواس لأن كل مدرك لذاته يكون قائماً بذاته مُجرداً عن محلّ ومادّة وبهذا يحصل الفرق بين الإحساس والتعقل واما النقص برؤية الله تعالى العالم والعالم بما فيه ذو جهةٍ والله برئٍ منها، فهذه الشبهة وان كانت اقوى من الأولى وقد تصدى لجوابها بعض الفلاسفة بما حاصله ان الجسماني لا وُضع له في الرّوحاني المَحض ادراكاً وتأثيراً وتأثراً بخلاف العكس اعني الرّوحاني بالنسبة الى الجسماني فانه لا بد له من ان يكون له وضعاً بالنسبة الى الجسماني لتتحقق الرؤية وحيث ان العالم بشرائره جسماني فلا وضع له بالنسبة الى الواجب فلا يتحقق النقص هذا.

والذي عندي في المقام هو انه لم يقم برهان قاطع على ان الجسماني لا وضع له في الرّوحاني واثباته مشكل نعم عكسه لا باس به وعليه فهذا الجواب في حيز المنع.

والحق ان يقال ان رؤيته تعالى للعالم وما فيه ليست رؤية حسية اعني انها ليست بالحاسة حتى يقال فيها ما يقال فرؤيته تعالى معناها انه يرى ويعلم ذاته وذاته علة للممكنات بشرائرها وقد ثبت ان العلم بالعلة الثامة علم بالمعلول

كاملاً ولا عكس وحيث أنه مُدْرِك لذاته وذاته علةٌ للعالم فهو مُدْرِكٌ للعالم علماً  
حُضُورياً شهودياً عَيْنياً والعجب أنهم اتفقوا في معنى كونه تعالى سَمِيعاً بَصِيراً  
أنه عالم بالمَسْمُوعات والمُبَصَّرات وفيما نحن فيه ياكلون من القفا، فكما نقول  
هناك نقول هنا فمعنى أنه يرى العالم أنه عالمٌ به بالعِلْمِ الشَّهُودي الحُضُوري  
فَسَقَطَ النَّقْضُ من أصله.

وأما الجواب عن الثالث: فلا نحتاج إلى تكلفٍ فيه إذ القياس مع الفارق هذا  
أولاً:

وثانياً: إن كان مراده من النَّفس التي يراها الإنسان في المِراة النَّفس الناطقة  
المُجَرَّدة التي هي فصله الأخير وصورته التي هو بها هو فلا يمكن لأحدٍ رؤيته  
لعدم كونها في وضع وجهةٍ، وإن كان المراد نفسه العُرْفِي اعني جسمه الذي  
يقابل المِراة فهو في وضع وجهةٍ وقد اجاب عنه بعض الفُحُول بما يُفضي إلى  
التَّعَجُّب ونحن اعرضنا عن نقل كلامه حذراً عن الإطالة هذا كله في الأصل  
الأول:

وأما الأصل الثاني: اعني تَحَقُّقُ الرُّؤية القَلْبِيَّةِ بِنُورِ الإِيْمَانِ فنقول لا اشكال  
فيها بهذا المعنى امكاناً ووقوعاً أما امكانه فالوجه فيه أنه لم يدل دليل من العقل  
والتَّغَلُّبِ على استحالة الرُّؤية بهذا المعنى وإذا كان كذلك فهو ممكن في حدِّ  
نفسها ومن يقول بالإستحالة فعليه بالدليل الدال على مدعاه وإذا ليس فليس  
وأما وقوع الرُّؤية كذلك فقد وردت الأخبار به كما علمت حيث قال الإمام عليه السلام  
ولكن راته القلوب بحقائق الإيمان وامثال ذلك من الروايات كثيرة وذكرها  
يوجب الإطالة بقي الكلام في كيفية هذه الرُّؤية وشرايطها فنقول:

اعلم: أيّدك الله تعالى أنّ العلوم العقلية تتفاوت بالظهور والخفاء والكشف  
والإبهام وأن المعرفة إذا اشتدت وضوحاً صارت رُؤيةً عقليةً والعلوم إذا تاكدت  
وضوحاً وجلاءً صارت اعياناً حضوريةً كما أنّ الخيال إذا قوي بصير حساً باطناً  
والمُتَّخِيل إذا تاكد ظهوره بصير مثلاً عَيْنياً، فيتَّرتب عليه الآثار الوجودية ويعد  
تمهيد هذا فنقول المُدْرَكَات تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: ما يدخل تحت الخيال كالصُّور الجُزئية من الأجسام والألوان  
والمقادير والأشكال والطَّعوم والزَّوائج والأصوات وامثالها مما يتعلّق  
بالأجسام .

وثانيهما: ما لا يدخل تحت الخيال كذات الله وخصّاته وكلّ ما ليس بجسم  
ولا جسماني سواء كان من الصّفات كالعلم والقُدرة والإرادة أو من الدّوات  
كذات العقل والنفس وطبائع المهيئات والكليات.

أما القسم الأوّل: اعني ما يدخل تحت الخيال كمن رأى إنساناً ثمّ اغمض  
بصره يجد صورة الإنسان حاضرة في خياله كأنه ينظر إليه ولكن إذا فتح العين  
وابصره يجد تفرقة بين الإدراكين مع أنّ المدرك واحد ولا ترجع التفرقة بينهما  
في الصّورة إذ الصّورة واحدة فلا محالة يكون الإفتراق لزيادة الوضوح  
والكشف فإنّ صورة المرئية بسبب الرّؤية أتمّ انكشافاً منها بغير الرّؤية اعني  
الموجود في الخيال وهو كما يرى الإنسان شخصاً أو شيئاً قبل طلوع الشمس  
ثمّ يراه بعده عند تمام الضّوء فالمرئي في الحالتين واحد والفرق بقلة  
الانكشاف وزيادته وهذا ممّا لا شك فيه.

وأما القسم الثّاني: اعني المدركات التي لا تدخل تحت الخيال ونعبر عنها  
بالمُدركات العقلية أحياناً والآ فالحقّ أنّه لا تعبير لها قي قوالب الألفاظ فلها  
درجتان:

الأولى: ما هو في مرتبة النقص والضعف وهو الذي يشرك فيه الكلّ ولا  
يبحث لنا فيه.

والثّانية: اشتداد واستكمال للأولى وبين الدرّجتين من التّفاوت وفي مزيد  
الإيضاح والكشف وقوّة الوجود والحصول كما بين المتخيّل والمرئي وتسمّى  
الدرجة الثّانية بالنسبة إلى الأولى مشاهدةً ولقاءً ورؤيةً وقد ثبت أنّ الرّؤية  
سمّيت بها لأنّها ادراك على سبيل المشاهدة وحضور المعلوم وزيادة الكشف  
فكما أنّ سنة الله جارية في تطبيق الأجناف في المنع عن تمام الكشف بالرّؤية  
البصّرية.

فكذلك سُنَّةُ اللَّهِ جارية بانَّ النَّفْسَ مادام كونها محجوبة بمُقْتَضَى الشَّهَوَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ وما غلب عليها من رذائل الأخلاق ومساوئ الصِّفَاتِ فإنها لا تصل إلى مقام المُشَاهِدَةِ وَاللِّقَاءِ فِي المَعْلُومَاتِ الخَارِجَةِ عن عَالَمِي الحسِّ وَالخِيَالِ بل هذه الحياة أيضا حجاب فمن اراد الوُصُولَ إلى هذا المقام اعني مقام الكَشْفِ وَالشَّهُودِ لا بدَّ له من الخلع واللبس فما لم يخلع عن نفسه الرذائل كيف يلبسها الفضائل وما لم يلبسها الفضائل بعد خلع الرذائل عنها كيف يصل إلى مقام الكَشْفِ اعني لو كَشَفَ الغطاء ما زددت يقينا ولصعوبة هذه المرحلة لا تنال ايدينا اليها واما الأولياء الذين كانوا تركوا الشَّهَوَاتِ الحيوانية والعلائق المادية وذاقوا طعم العبودية الخالصة فقد وصلوا إلى ما وصلوا ورأوا ما رأوا فقد تحصل مما ذكرناه الرؤية القلبية ليست إلا ادراك النفس على سبيل المُشَاهِدَةِ بعين القلب ونور البصيرة وهذا مما يتفاوت شدة وضعفا ونقصا وكمالاً وله درجات بحسب مقامات العارفين السالكين إلى الله تعالى فالمرتبة القوية منها تختص بالأنبياء والأوصياء على حسب مراتبهم وسائر المراتب بين الناس هكذا.

والعرفاء يُعَبَّرُونَ عن هذا المقام بالتوحيد العملي اذ بحصول ذلك كله مشاهدة وعيانا لا علما وبيانا تحصل المعرفة الذوقية التي اساسها على الكَشْفِ والمُعَايَنَةِ لا البرهان والبيان والمُجَادَلَةِ والى هذا المعنى اشار النبي ﷺ: لَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا ما زعمه الجهال الذين لم يصلوا إلى هذا المقام ولم يفهموا ما اراد النبي ﷺ بقوله هذا فحملوه على ان الله تعالى يرى يوم القيامة كالقمر ليلة البدر.

ولم يعلموا ان هذه الرؤية باتفاق المحققين من العرفاء الكَشْفِ التام لا غير وان شئت قلت الرؤية بحقائق الإيمان وذلك لأن مشاهدة الحق على سبيل الكَشْفِ اوضح وابتين من مشاهدة القمر ليلة البدر على طريق النظر والحق فإن الحق في معرض الإشتباه والغلط وصاحب الكَشْفِ مُنَزَّه عنه ولكن لا يضرب المثل لأهل الحسِّ إلا بالمحسوس لأنهم لا يفهمون غيره ولذلك مثل ﷺ

والى هذه المُشاهدة اشير في الكتاب بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾<sup>(١)</sup>

فقوله تعالى تاكيدا بقوله سنريهم آياتنا: ﴿أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup> أدل دليل على عظمة هذه المُشاهدة وأنها مطلوبة له تعالى ومعناه ان يتحققوا مشاهدته في كل شيء من الأشياء مشاهدة عيان وكشف ومعنى قوله في الآية الثانية ان هؤلاء العباد في شك من لقاء ربهم مع هذه المُشاهدات الجلية في مظاهره الأفاقية والأنفسية واي لقاء اعظم منه، وقوله الا انه بكل شيء مُحيط، اي اليس هو مُحيطا بكل شيء ذاتا وصفة ووجودا وهل يمكن مشاهدة المُحيط الا بوجود محاطه او هل يمكن مشاهدة الظاهر الا بوجود مظاهره وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

بالعلم الكشفي الذي هو التوحيد الحقيقي والدين الحنفي ولا غرو فيه فان هذا الصراط احد من السيف وادق من الشعر، وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وكيف لا يكون احد من السيف وهو طريق الأنبياء والأوصياء والأولياء والوصول الى هذا المقصد الأسنى لا يتيسر الا لمن شاهد الحق في الخلق والخلق في الحق بغير احتجاب احدهما بالآخر وهذه هي المشاهدة العظمى والغاية القصوى ومطلوب كل طالب ومقصود كل قاصد في طريق العبودية وصاحب هذا المقام يسمي عند الخواص بذي العقل والعين معا وتوضيحه ان ذا العقل هو الذي يرى الخلق ظاهرا والحق باطنا فيكون الحق عنده مرآة للخلق لإحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة فيه احتجاب المطلق بالمُقيد، واما ذو العين هو الذي يرى الحق ظاهرا والخلق باطنا فيكون الخلق عنده مرآة الحق لظهور الحق عنده واختفاء الخلق فيه بالصورة:

وأما ذو العقل والعين معا هو الذي يرى الحق في الخلق والخلق في الحق من غير احتجاب احدهما عن الآخر فلا يحتجب بالكثرة عن شهود وجه الواحد الأحد ولا تزاحم في شهوده كثرة المظاهر احدية الذات التي تتجلى فيها كما لا يحتجب باحدية وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقية والى هذه المراتب الثلاثة اشار بعض العرفاء حيث قال:

ففى الخلق عين الحق ان كنت ذاعين

وفى الحق عين الخلق ان كنت ذا عقل

وان كنت ذا عين وعقل فما ترى

سوى عين شئ واحد فيه بالشكل

وحيث ان البحث عميق دقيق لا ينبغي الدخول فيه الا لمن كان له قلب وهو قليل جدا فصرف الكلام عنه اولى لضعف اكثر العقول عن فهم هذه العويصات وقلة استعدادهم لدرك هذه الرموز والخفيات بل كثيرا ما يرمى قائل هذه الاشارات بالكفر والالحاد والزندقة والاضلال نعوذ بالله من شر العوام كالانعام الذين لا يعلمون الا الظواهر من الالفاظ وليس هذا اول قارورة كسرت في الإسلام ولنعم ما قيل :

وربّ جوهْر علم لو ابوح به

لقيل لي انت ممن تعبّد الوثنا

ونحن ايضا نقول لولا مخافة التهمة من اشباه الرجال ولا رجال الذين يلتبسون بلباس العلم وتزيين ظاهرهم به وهم لا يعلمون من العلوم الحقيقية شيئا لقلت في المقام ما يشبعك ولكني لا اعديل عن ظواهر الالفاظ لقوله ﷺ اتقوا مواضع التهم، وعليه فهذا الذي ذكرناه شقشقة هدرت ثم قررت والافاني اسففت اذا اسفوا وطرت اذا طاروا وكما رايت في شرحنا على الكتاب والكلام كثير ودواء هذا الداء عسير، كلم الناس على قدر عقولهم:

□ قوله ﷺ: قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرٌ مُلَامِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرٌ مُبَايِنٌ...

القرب والبعد على قسمين ظاهري ومعنوي وان شئت قلت جسدي وعقلي:

فالقرب الظاهري الحسّي ما يفهمه كل واحد من افراد الإنسان ويحسّه والبعد عكسه فاذا قلنا هذا الشّي قريبٌ به او بعيدٌ عنه يتّوجه الذّهن الى المسافة وانّ المسافة بين هذين الشّيئين قليلة وبين هذين كثيره ولكونهما اعني القرب والبعد من الأمور الإضافية فلا محالة يقاس احدهما بالآخر اي هو قريبٌ بالنسبة وبعيد بالنسبة وهذا القرب والبعد من شئون الجسم ولوازمه لكونهما مكانيين ولذلك قد يُعبّر عنهما بالقرب والبعد المكانيين.

وامّا المعنى الثاني اعني المعنوي العقلي فلا تعتبر فيه المسافة والمكان وكلا المعنيين قد يصدقان في موردٍ واحدٍ باعتبارين كما يقال زيد قريب من عمري او بعيد عنه من حيث المسافة ويقال هذا من جهة النّسب والحسب والمحبة وكثيرا ما يطلق المعنوي في الإنسان والحسّي في غيره بمعنى أنّ القرب والبعد اذا استعملا بغير قرينة دالة على المقصود في الإنسان او مطلق الموجود العاقل فيحملان على المعنوي وفي غير العاقل على الحسّي وليس هذا الا لكثرة استعمالهما كذلك والا فاللفظ بما هو لا يدل على معنى خاص فاذا قلنا زيد اقرب الناس الى فلان او ابعده يُحمل على المعنوي واذا قيل هذه الدار قريبة بهذه الدار او هذا الشجر قريب بهذا الشجر وهكذا في الحيوان يُحمل على الحسّي الظاهري فالقرب والبعد المكاني لا يُطلقان على غير المُتّحيز وبعبارة اخرى على غير المكاني فاذا فرضنا موجودا مُتّزها عن المكان قيل هو قريبٌ او بعيدٌ عن موجودٍ آخر نحمله على المعنوي قطعاً اذا عرفت هذا فنقول:

من الموجودات في عالم الوجود الواجب الوجود بل هو الموجود الحقيقي وقد ثبت تقدّسه وتنزّهه عن الزّمان والمكان وامثالهما ممّا هو من لوازم المادّة فاذا قلنا انّ الله تعالى قريب من الأشياء او بعيدٌ منها فلا يخلو امّا ان تحمل القرب والبعد على الحسّي او على المعنوي، امّا الأوّل فلا سبيل اليه لأنّ الله تعالى موجودٌ بسيطٌ مُجرّدٌ عن المادّة ولواحقها وعليه فقربه من الأشياء، او بعده منها بمعناه الثاني اعني العقلي المعنوي وهو المطلوب:

وأما قوله ﷺ غير ملامس (في الأول) وغير مبائن في الثاني فهو في الحقيقة قريبة على ارادة العقلي المعنوي اذ المادي الحسي لا يكون غير ملامس ولا غير مبائن بل ملامس ومبائن قطعاً في المصاديق الكاملة منهما فإن القرب الكامل لا يصدق إلا على الملامس كما أن البعد الكامل لا يصدق إلا على المبائن بمعنى أن القرب لو لم يكن ملامساً فيوجد اقرب منه فهو ليس بقرب حسي واقعا والبعد لو لم يتحقق فيه المباشرة فليس ببعيد حسي واقعا وهو ظاهر فهو ﷺ في الحقيقة اثبت لهما في المقام شيئين احدهما القرب، وثانيهما كونه غير ملامس، والبعد وكونه غير مبائن اما اثبات القرب فلأن الواجب علة لما سواه والعلة قريبة بالمعلول بل هي اقرب شيء اليه لعدم الواسطة بين العلة التامة والمعلول وهو ظاهر.

وأما أنه غير ملامس لما سواه فلأن اللمس من خواص الجسم وقد فرضنا كونه منزهاً عنه فاللمس لا يتحقق في المقام واذا لم يكن فالقرب معنوي كما عرفت:

وأما اثبات البعد فالوجه فيه هو أن الله تعالى واجب الوجود ذاتاً وصفة وما سواه ممكنٌ لذلك وبينهما بونٌ بعيد بل ابعده مما يتصور اين التراب ورب الأرباب:

وأما كونه غير مبائن لما سواه فلما ثبت في محله من وجود السينخية بين العلة والمعلول فلو كانت العلة مبائنة لمعلولها على نحو المغايرة والعزلة فكيف تكون علة له فهو قريبٌ من الأشياء لا كقرب شيء من شيء وبعيدٌ عنها لا كبعيد شيء عن شيء بل قريب في بعده وبعيدٌ في قربه كما قال ﷺ في الخطبة الأولى مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة وقد ذكرنا هناك ما ينفعك في المقام ان كنت اهلاً له.

ان قلت - اي دليل دل على قربه تعالى عما سواه او بعده عنه حتى نحتاج الى هذه التكاليف .

قلت - الدليل على المدعى قوله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ



و: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢)

و: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٣)

و: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٤) وأمثالها من الآيات.

فقوله ﷺ في المقام إشارة الى هذا القرب الذي في الكتاب وأما البعد فهو خلافه وحيث أن القرب والبعد متلازمان متضائفان فثبتوا أحدهما يستلزم ثبوت الآخر وعدمه وإذا كان كذلك فما معنى القرب ولهذا تصدى ﷺ لشرحه وافاد أن هذا القرب غير القرب الذي عند العوام كما أن البعد في المقام غير ما يفهمه العرف العامي.

□ قوله ﷺ: مُتَكَلِّمٌ لَا بَرَوِيَّةَ مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَا يُصَفُّ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ رَجِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ...

اثبت ﷺ في هذه الكلمات له تعالى اوصافاً كلها ثابت بنص القرآن والأدلة العقلية، على نمطٍ خاص غير ما يفهمه العرف العوام كما في القرب والبعد والكلام فيها يقع في مقامين:

أحدها: أصل اثباتها عقلاً ونقلاً.

وثانيها: كيفية اتصاف الواجب بها.

أما المقام الأول: اعني اثباتها له تعالى فالبحث فيه تارة من جهة العقل وأخرى من جهة النقل، أما الأولى فقد مضت تفصيلاً في المجلد الأول عند شرحنا الخطبة الأولى ومع ذلك فقد نُشير إليها إجمالاً في المقام أما أنه مُتَكَلِّمٌ، فلأن التكلّم كمال للموجود فعدمه نقص والواجب لا يكون ناقصاً فهو مُتَكَلِّمٌ. وثانياً: أنه خَلَقَ مَنْ يَتَكَلَّمُ وَمَعْطَى الشَّيْءَ لَا يَكُونُ فَاقِدًا لَهُ فَهُوَ مُتَكَلِّمٌ.

وأما أنه مُرِيدٌ، فلأنه لو لم يكن مُرِيدًا في فعله فلا محالة يكون مَجْبُورًا فيه

لعدم وجود الواسطة بينهما وكلّ مَجْبُورٍ فهو مَقْهُورٌ مَغْلُوبٌ للقاهر الغالب والواجب لا يكون مقهورا لغيره والآ يلزم ان يكون مُمكنًا مَخْلُوقًا وقد فرضناه واجبا خالقا لكلّ شيء هذا **أولاً**.

**وثانياً:** الإرادة كمال للموجود وعدمها نقص له والواجب لا يكون ناقصا. وأما كونه صانعا خالقا فلما مرّ في أدلة التوحيد ولأنه لا شك في أصل وجوده فلو لم يكن صانعا لكان مَصْنُوعًا فإنّ الموجود لا يخلو من الوجهين فلو كان مَصْنُوعًا يحتاج إلى صانع وهكذا الكلام حتّى ينتهي الأمر إلى صانع كل المَصْنُوعات الذي ليس مَصْنُوعًا لغيره دفعا للدور والتسلسل فقد ثبت المطلوب.

وأما كونه لطيفا فلائنه لو لم يكن لطيفا يلزم ان يكون غير لطيفٍ ونعني باللطيف المُجرّد عن المادّة وبغيره مَقْرُونًا بها ولا يخلو الأمر منهما وحيث أنّ الثاني مستلزم للإحتياج المساوق للإمكان فثبت الأول وهو المطلوب وثانياً الموجود في صورة عدم اللطافة يكون مُبصرًا لا مُحالًا ومُرَكَّبًا عن المادّة والصورة وحيث أنّه لا يُرى بالبصّر وايضا منزّه عن التركيب فهو لطيف.

وأما كونه كبيرًا، فلائنه لو لم يكن كبيرًا فلا مُحالًا يوصف بالصغر لعدم خلو الموجود عنهما والثاني مُحال لأنّ الصغر مساوق للضعف إذ كلّ صغيرٍ فهو ضعيف بالنسبة إلى ما هو أكبر منه والضعف ينافي الواجب وان كان صغيرًا وليس أكبر منه فهو ليس بصغير إذ الصغير لا يُقال الأعلى ما كان هناك أكبر منه وحاصل الكلام أنّ الواجب لو كان صغيرًا فهو مُمكنٌ واذ ليس فليس.

وأما أنّه رَحِيمٌ - فالوجه فيه أنّه لو لم يكن رَحِيمًا لكان غليظًا والغليظة مساوقة للظلم والتّعدي إذ لا نعني بالظلم إلاّ التّجاوز عن الحدّ بوضع الشيء في غير محلّه ومن المعلوم أنّ الموجود المُتّصف بالغليظة يظلم على غيره أحيانًا وقد ثبت كونه تعالى مُنزّهًا عنه فهو رَحِيمٌ رؤف بعباده وهو المطلوب.

وثانياً إنّ الغليظة في نفسها مذمومة الا ترى أنّ الله تعالى قال مخاطبًا لئيبه:

﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(١)</sup> وعليه فما نهى عنه كيف يتصف به.

ثم بعد ثبوت هذه الأوصاف له تعالى عقلاً نبحت فيها من جهة النقل فنقول:

دليل النقل على الأول اعني كونه مُتَكَلِّمًا قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>

ولا شك ان الموجود لو لم يكن مُتَكَلِّمًا في حد نفسه لا يقدر على التكليم وحيث انه كَلَّمَ فهو مُتَكَلِّم فثبت المطلوب والدليل على كونه مُريدًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup> والآيات كثيرة.

فلو لم يكن مُريدًا في حد نفسه فكيف يُريد. وكونه صانعًا

لقوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

وتقرير الدليل ان الصُّنْع لا يتحقق الا بعد كونه صانعًا فمن لا يكون صانعًا لا صُنِع له:

وكونه لطيفًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٧)</sup>

وكونه كبيرًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾<sup>(٩)</sup>

وكونه بصيرًا لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(١١)</sup>

وكونه رحيمًا لقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَقَوْلِهِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ

٢- النساء- ١٦٤

٤- يس- ٨٢

٦- يوسف- ١٠٠

٨- الحج- ٦٢

١٠- البقرة- ٩٦

١- آل عمران- ١٥٩

٣- الرعد- ١١

٥- النمل- ٨٨

٧- الحج- ٦٢

٩- الرعد- ٩

١١- البقرة- ١١٠

وقوله هو الثواب الرحيم وغيره من الآيات.

فهذه خلاصة الكلام في اثبات الصفات المذكورة عقلاً وتقالاً وحيث أن المقصود منها غير ما هو المتعارف لدى العرف بمعنى أن العرف يفهم منها معناها المصطلح عند أبناء زمانه وهو لا يساعد الواجب ولا ينطبق عليه للزومه الكفر والإلحاد فسلب ﷺ عن معانيها ما ينافي الواجب فقال متكلم لا بروية الخ ولا بد لنا من توضيح كلامه ﷺ فنقول:

لما كان التكلم فينا بالفكر والروية بمعنى أنا نتفكر في نظم الألفاظ وترتيبها ودالاتها على المعنى أولاً ثم التلفظ بها ثانياً وهو الدليل على الضعف والنقص أولاً وعلى الجسمية ثانياً وكان هذا مظهرنا فيه فإن العرف لا يفهم من التكلم إلا هذا وهو في حقه تعالى محال لكونه منزهاً عن الضعف والجسمية فقال ﷺ لا بروية أي ليس تكلمه تعالى كالتكلم في غيره فهو متكلم بغير هذا الطريق: وحيث أن الإرادة فينا مسبوقة بالعزم اعني القصد والإهتمام أولاً وهذا المعنى لا يعقل في حقه فقال مريد بلا همة، إذ الإهتمام والعزم والقصد وامثال ذلك من الضعف والنقص وقيل الهمة توطين النفس على الفعل وحيث أنه لا نفس له فلا توطين له وهو قريب مما ذكرناه.

وحيث أن كل صانع في صنعه يحتاج إلى الجوارح والأعضاء ظاهراً وهو تعالى منزهاً عن الأعضاء والجوارح فإنها من لوازم الجسم فقال ﷺ صانع لا بجارحة.

وحيث أن كل لطيف فهو في خفاء عن الأبصار بمعنى أنه لا يقدر الإنسان على رؤيته وهو تعالى ليس كذلك بل هو اظهر الأشياء كيف وظهور كل شيء به فقال لطيف لا يوصف بالخفاء.

وحيث أن كل كبير يتصف بالجفاء على الصغير عادة إلا من عصمه الله تعالى الا ترى أن المستضعفين مقهورون دائماً تحت سلطة المستكبرين وهو اعني الجفاء شعبة من الظلم بل هو عينه والله تعالى منزهاً عنه لقبحه فقال ﷺ كبير لا بالجفاء.

وحيث ان البصير يطلق في العرف على من له حاسة بها يدرك المُبَصَّر وهو من لوازم الجسم وهو مُتَزَه عنه وايضا توجب احتياج الموجود اليها في الرؤية وهو تعالى ليس بمُحتاج فقال لا يُوصف بالحاسة وحيث ان الرِّحْمَة فينا منشاها رِقَّة القلب ورافته كما ان الغِلْظَة منشاها قساوة القلب والله تعالى لا قلب له اذ ليس بجِسمٍ فلا رِقَّة له فقال رحيمٌ لا يُوصف بالرِّقَة اذا عرفت هذا فلنذكر امورا:

اخذها: ان الغرض من ذكر هذه الكلمات والأوصاف هو اثباتها له تعالى لا على ما يفهمه العرف بل الغرض اثباتها له تعالى على ما يناسب شأنه.

وثانيها: ان هذه الأوصاف ثابتة للمخلوق ايضا باعطائه تعالى لها ايتاهم ومُعطي الشئ لا يكون فاقدا له فلا مُحالة هي ثابتة له على نحو الأتم الأكمل. وثالثها: انه تعالى منبَع الكمالات ومنشأ الخيرات وحيث انها من الكمالات فلا يجوز ان يكون فاقدا لها للزومه النقص في ذاته والواجب لا يكون ناقصا. □ قوله ﷻ: تَعْنُوا الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ...

اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (١)

و: ﴿وَأَذَكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ (٢)

و: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٣)

والمعنى ان الوجوه صارت خاضعة خاشعة لعظمته تعالى وذلك لأن عظمته غير متناهية فكل عظيم فهو صغيرٌ حقيرٌ بالنسبة الى عظمة الحق وان شئت قلت لا عظمة في جنب عظمته وقوله ﷻ: وَتَجِبُ الْقُلُوبُ اِي سَقَطَتْ وَرَجَعَتْ مِنْ هَيْبَتِهِ وَخَوْفِهِ وَسَطَوْتِهِ وَهَذَا ظَاهِرٌ لِمَنْ عَرَفَ.

ومن خطبة له عليه السلام (١٧٩)

في ذم اصحابه

□ قوله عليه السلام: أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ  
 آيَتَهَا الْفُرْقَةَ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ وَإِذَا دُعِيتُ لَمْ تُجِبْ إِنْ أُمِهَلْتُمْ خُضْتُمْ وَإِنْ  
 حُورِبْتُمْ خُزْتُمْ. وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ وَإِنْ أُحِثُّمُ إِلَى مُشَاقَّةٍ  
 نَكَصْتُمْ. لَا أَبَا لِعَبِيدِكُمْ! مَا تَنْظُرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ الْمَوْتُ أَوْ الذُّلُّ  
 لَكُمْ؟ فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَلَيَأْتِيَنِي لِيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ  
 وَبِكُمْ غَيْرٌ كَثِيرٍ. لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حِمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ  
 مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَسْبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ  
 وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَفَرَّقُونَ  
 عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضَى فَرَضُونَهُ وَلَا سَخَطَ  
 فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لِأَقِي إِلَى الْمَوْتِ قَدْ دَارَسْتُمْ الْكِتَابَ  
 وَفَاتَحْتُمْ الْحِجَابَ وَعَرَفْتُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَسَوَّغْتُمْ مَا مَجَّجْتُمْ لَوْ كَانَ الْأَعْمَى  
 يَلْحَظُ أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمْ  
 ابْنُ النَّابِغَةِ.

ملتحاح السعاده في شرح نهج البلاغه

◀ اللغة

(خُضْتُمْ) بضم الخاء من خاض يخوض خوضاً، على وزن قلتم، والخوض

الغور والمراد في المقام خضتم في كلام الباطل فتقولون كيت وكيت (خزتم) بضم الخاء من خزي يخزي نحو رمى يرمى جمع مخاطب المذكر من فعل الماضي وهو من الخزيان والمراد به الضعف والحقارة (نكصتم) بفتح النون من نكص ينكص نكصا اذا رجع الى القهقري فقوله نكصتم اي رجعتم الى القهقري (قال) اي كاره (حمية) بفتح الحاء المهملة وكسر الميم وفتح الياء المشددة الغيرة (تشحدكم) من شحد يشحد كمنع يمنع اي حدد والمعنى ولا حمية تجددكم (الجفاة) بضم الجيم جمع جاف اي غليظ (الطغام) بفتح الطاء اراذل الناس وشرارهم (تريكة) كسفينة بيضة النعامة بعد الخروج منها وخروج الفرخ منها تركه في مجثمها وهي كناية والمقصود انكم خلف الإسلام وعض السلف (دارستم الكتاب) اي قرأت عليكم القرآن (ابن النابغة) عمرو ابن العاص.

### ◀ المعنى

(أحمدُ اللهَ على ما قضى) وحكم (من أمرٍ وقدر) لنا (من فعل) بحكمته البالغة (وعلى ايتلايى بكم ايتها الفرقة التي اذا أمرت) اي اذا امرتكم بشي (لم تطع واذأ دعوت) اي اذا دعوتكم بشي (لم تجب) اي ليست لكم اطاعة ولا اجابة (ان أمهلتكم) مدة معينة (خضتم) في لهو الحديث وابطيله (وان حوربتكم) اي وان وقعتم في الحرب مع اعدائكم (خزتم) اي ضعفتم وجبتتم (وان اجتمع الناس على إمام) فاطاعوه (طعنتم) على المجتمعين (وان اجتتم إلى مشاققة) كالحرب مع الأعداء مثلاً.

(نكصتم) على اعقابكم (لا أبا لغيركم) دعاء بالذل (ما تنظرون) اي اي شي تنتظرونه بعد وضوح الحق عليكم (ينصركم) من ربكم كما وعدكم الله في كتابه وقال: (ان تنصروا الله ينصركم) (والجهاد على حقاكم؟) مع اعدائكم (الموت أو الذل لكم؟) فان احد الأمرين يصيبكم لا محالة (فوالله) اي اقسم بالله (لئن جاء يومى) واليوم كناية عن الموت (وليايتي) البتة فان الموت مما

لا بدّ منه لكلّ احد (لِيَفْرَقَنَّ) المَوْت (بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ قَالَ) وكارة لعدم وفاءكم بالعهد (وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ) اي وانا في قلة من الأعوان وان كنتم في حولي (لِللّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ) اي اما لكم دين كذلك (وَلَا حَمِيَّةٌ) اي اما حمية لكم (تَشْحَدُكُمْ) وتُحَدِّدْكُمْ في طلب حَقِّكم واجتماعكم (أَوْلَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُنْفَاءَ الطَّغَامَ) من اراد اهل الشام (فَيَتَّبِعُونَهُ) على ما اراد منهم (على غير معونةٍ وَلَا عَطَاءٍ) وصلت منه اليهم (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ) الى الحق (وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الإِسْلَامِ) و عوض السلف (وَبَقِيَّةُ النَّاسِ) من المهاجرين والأنصار (إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ) اي وانا ادعوكم اليها (فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ) فهذا امرٌ عجيب (إِنَّهُ) الضمير للشان، (لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضَى فَتَرْضَوْنَهُ وَلَا سَخَطَ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ) اي لا يوافقكم مني شيء لا ما يرضي ولا ما يسخط (وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَأَقِ إِلَى الْمَوْتِ) لكنه سببا لفراقي عنكم (قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ) وعلمتوه (وَفَاتَحْتُكُمْ الْحِجَابَ) وحاكمتكم المُحَاجَةَ (وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ) من الدين:

(وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَبْتُمْ) اي اعطيتكم من الأموال ما كنتم محرومين عنه (لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ) ويرى (أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ) من نومه (وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمْ) في الدين والدنيا (ابْنُ النَّابِغَةِ) وهو عمرو بن العاص كفى بذلك لهم ذلاً وخزياً:

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَحْمَدُ اللّهُ عَلَيَّ مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ...

قد مرّ الكلام منّا في معنى القضاء والقدر ومحلّهما ووجه الفرق بينهما وقلنا هناك ان القضاء عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات بابداع البارئ تعالى ايها في العالم العقلي على الوجه الكلي بلا زمان على ترتيبها الطولي الذي هو باعتبار سلسلة الزمانيات والمعدات بحسب مقارنة جزئيات الطبيعة المتشعبة الأفراد لأجزاء الزمان:



والقَدْرُ عبارةٌ عن ثُبوتِ صُورِ جَميعِ الموجوداتِ في العالمِ النَّفسيِ على  
الوجهِ الجزئيِّ مطابقةً لما في موادِّها الخارِجِيَّةِ الشَّخصِيَّةِ مُستندَةً الى اسبابها  
الجزئيةِ واجبةٌ بها لازمةٌ لأوقاتها المُعَيَّنة وعليه فالأُمورُ تدخلُ تحتِ القضاءِ  
والأفعالُ تدخلُ تحتِ القَدْرِ وذلكُ لأنَّ كلَّ فعلٍ فهو مُستندٌ الى اسبابه الجزئيةِ  
واجبةٌ بها في وقتِه المُعَيَّنِ، وأما الأمرُ فليس كذلكُ اذ ليس الأمرُ مُستندا اليها بل  
هو ابداعِيٌّ مَحضٌ:

ولعلَّه لهذه الجهة قال اللهُ تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ  
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup> وجه الاستدلال بها أنه  
تعالى قال قَضَى امراً ولم يقل قَضَى فعلاً، وهو يدلُّ على عدم دخول الفعل في  
القضاء، وقال تعالى انما يقول له كُنْ فيكون، وهو دليل على كون الأمر ابداعياً  
غير مُستندٍ الى الأسبابِ والمُعَداتِ وهو لا يكون الا في عالم العقل المُنسلخِ  
عن الزمانِ والمكانِ والسببِ وغيرها وهذا هو السِّرُّ في تعبيره ﷻ وتخصيصه  
الأمر بعالم القَضَى وقال على ما قَضَى من امرٍ، والفعل بالقَدْرِ وقال ﷻ وقَدَّرَ  
من فعلٍ وهو دليل على صحَّة تفسير الفلاسفة للقضاء والقَدْرِ فكانهم اخذوه  
منه ﷻ وهو ﷻ اخذه من القرآن: ﴿وَلَا رَظْبٍ وَلَا يُابِسِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>

ومعنى العبارة اني احمد الله على ما قَضَى وحاكَمَ من امرٍ، وذلك لأنَّ حاكمه  
وقضائه لأجل المصلحة التي رآها في نفس الحُكْمِ ولا شك انه تعالى اعلم  
بمصالح الأمور بالنسبة الى عباده ومع ذلك فهو لا يظلم احداً فكلُّ ما قَضَى به  
صِدْقٌ وحقٌّ وعدلٌ ونعمةٌ على عباده لوجود المصالح الخفية التي لا يعلم بها  
الا هو فيه وحيث انَّ الحمد هو الثناء بالجميل فصَحَّ ان يُحمَدَ على ما قَضَى به:  
ومعنى قوله ﷻ: وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، اني احمده على قدره ايضاً كما احمده على

قضائه فإنَّ القَدْرَ تابعٍ للقضاء بل هو هو بعينه والفرق باعتبار الوجود الواقعي العقلي والخارجي كما عرفت فكُلُّ ما قضى به هو الذي يُوجد بوجوده الخارجي في هذا العالم وهو ظاهر:

وإنما قال ﷺ من امرٍ ومن فعلٍ، بالتَّنكر ولم يقل من الأمر ومن الفعل معرِّفاً، للأشعار بأن قضائه وقدره في جميع الموارد كذلك وبعبارةٍ أخرى أحمدته على كلِّ امرٍ قضى به وكلِّ فعلٍ قدر به لا الأمر الخاصَّ والفعل الخاصَّ:

□ قول ﷺ: وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ آيَتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعُوا وَإِذَا دُعِيتُمْ لَمْ تُجِيبُوا...

الواو للعطف والتقدير أحمد الله تعالى أيضاً على ابتلائي بكم آيتها الفرقة العاصية التي لا طاعة لكم في الأوامر ولا إجابة لكم في الدَّعوات والمراد بالفرقة أصحابه وإنما عبَّرَ ﷺ عنهم بها لتفردهم بأرائهم وعدم اجتماعهم تحت حكم واحدٍ فإنَّ الفرقة تقال للجماعة المتفرقة من الناس كما أنَّ الفريق يقال للجماعة المتفرقة عن آخرين فقال تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (١)

و: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ (٢) ويقال فرقت بين الشينين فصلت بينهما ثمَّ أنه ﷺ بعد تعبيره عنهم بالفرقة الدالَّة على الإفتراق ذكر لهم أوصافاً كلِّها يدلُّ على المدعى:

أحدها: عدم اطاعتهم عن إمامهم فيما أمرهم به ونهاهم عنه وهو دليل على تفردهم بأرائهم فقال ﷺ إذا أمرت لم تطع أي إذا أمرت الفرقة لم تطع ما أمرتها به:

وثانيها: أنَّ الفرقة لم تجب الدَّعوة الحقَّة من الدَّاعي واليه أشار بقوله وإذا دعوتُ أي الفرقة إلى الحقِّ لم تجب بها ومعلوم أنَّ عدم الإطاعة والإجابة دليل على التفرق والتشتت:

وفي قوله عليه السلام: ابتلائي اشارة الى ان اصحابه كانوا كالبلاء له فكما ان الانبياء  
والأوصياء قبله عليهم السلام كانوا مُبتلين بهؤلاء المُنافقين فكذلك هو كان مُبتلى بهم  
وهو من اعظم المصائب اذ داء الجهل والنِّفاق لا دواء له ولذلك قال عليه السلام ابتلاني  
بكم:

□ قوله عليه السلام: **إِنْ أَمِهَلْتُمْ خُضْتُمْ وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُزْتُمْ. وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ إِمَامٍ  
طَعَنْتُمْ وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَيَّ مُشَاقَّةً نَكَصْتُمْ...**

وهذه الأربعة ايضا من اوصافهم فقوله ان امهلتهم خضتم، اي ان امهلتهم عن  
الحرب، من جانب امامكم او من جانب اعدائكم خضتم في لهُو الكلام وباطل  
الحديث فتقولون مثلاً لِمَ كان كذلك وان حوربتم اي ان دُعيتم الى الحرب  
خزتم وضعفتُم فيها هذا اذا قراناه بالخاء المعجمة والراء المهملة واما اذا قلنا  
بالخاء والراء المعجمتين فهو من الخزي وهو الحقارة والذلة وفي بعض النسخ  
خزتم بالخاء المهملة والراء المعجمة وفسره بعض المحيئين بالوهن والضعف  
ايضا وهو كما ترى وان اجتمع الناس على امام واحد بالطاعة والانقياد طعنتم  
عليهم وان اجبتم الى مشاققة نكصتم على اعدائكم فتختارون الفرار على القرار  
والحاصل انكم لعدم استقامتكم على امر واحد من حق او باطل لا يمكن  
للإمام اصلاح امركم فما ذنب الإمام معكم ورؤي اجئتم بالهمزة قاله المعتزلي  
ثم قال ( اي اجئتم قال تعالى فاجاءها المنخاض، الي جذع النخلة) انتهى.

□ قوله عليه السلام: **لَا أَبَا لِعَيْرِكُمْ! مَا تَنْظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَيَّ حَقُّكُمْ؟ الْمَوْتُ أَوْ  
الذُّلُّ لَكُمْ...**

ثم دعى عليهم بالذل وقال لا ابا لغيركم مع ان الظاهر ان يقال لا ابا لكم فهو  
من قبيل اياك اعني واسمعي يا جارة وكلمة (ما) في قوله ما تنتظرون، استفهامية  
والتقدير اي شيء تنتظرون بنصركم على اعدائكم والجهاد على حَقِّكم الذي  
غصبه عدوكم، الموت او الذل قال المعتزلي كانه شرع داعيا عليهم بالفناء  
الكلي وهو الموت ثم استدرك فقال او الذل لأنه ينظر الموت في المعنى لكنه

في الصورة دونه ولقد اجيب دعائه في الدعوة الثانية فان شيعته ذلوا بعده في الأيام الأموية.

وقال الخوئي رحمته بعد نقله عنه ما نقلناه عنه، ففيه اشارة الى ان تاخير الجهاد اما مؤد الى الموت على الفراش او الذل العظيم على سبيل منع الخلو واهل الفتوة والمرؤة لا يرضى بشي منهما والقتل بالسيف في الجهاد عندهم الذل واشهى كما مر بيانه انتهى ما ذكره.

وانا اقول: ما ذكره المعتزلي بعيد عن مساق الكلام اذ ليس في كلامه رحمته ما يدل على الإستدراك وكلمة (او) لا تدل عليه ولو كان الأمر كما ذكره فحق العبارة ان يقال بل الذل مثلاً وهو واضح.

واما ما ذكره الخوئي رحمته فلا اشكال فيه ظاهراً الا ان الموت على الفراش او الذل لا يتفرعان على ترك الجهاد فان الإنسان يموت لا محالة او يذل احياناً ترك الجهاد ام لا وبعبارة اخرى هما لا ربط لهما بترك الجهاد على سبيل منع الخلو واي مانع يمنع من ترك الجهاد والموت على غير الفراش الا ترى ان كثيراً من الأفراد تركوا الجهاد ومع ذلك ماتوا على غير الفراش وهو واضح.

فان الزبير وطلحة واتباعهما كانوا قد تركوا الجهاد معه رحمته بل قاتلوه ومع ذلك لم يموتوا على الفراش وامثالهم كثيرة والخوارج تركوا الجهاد وماتوا على غير الفراش وهكذا واما الذل فان كان مراده به الذل في الدنيا فهو ايضا ممنوع على الكلية نعم في بعض الموارد هكذا والافمعاوية وابن العاص وغيرهما من الأشرار قد تركوا الجهاد ولم يقعوا في الذل في الدنيا، وان كان المراد به الذل في الآخرة فهو شيء آخر لا باس به الا انه ايضا ليس مما يترتب على ترك الجهاد فقط والحاصل ان القول بان ترك الجهاد اما مؤد الى الموت على الفراش او الذل العظيم على سبيل منع الخلو كما ادعاه رحمته لا نفهم معناه. ولنا في المقام تحقيق آخر وهو ان الله تعالى قد وعدكم النصر في كتابه

حيث قال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١)

و: ﴿وَإِنْ قُوَّتْكُمْ لَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢)

و: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (٣)

و: ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (٤) وأمثال ذلك من الآيات

كثيرة فقوله ﷺ: مَا تَنْظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، معناه اي شيء تنتظرون بنصركم الذي وَعَدَكُمْ اللَّهُ به، المَوْت او الذُّلُّ لكم اي تنتظرون المَوْت، او الحقارة والذُّلة، ولا يَتَّحِقُ النَّصْرُ بهما اصلاً فإِنَّ النَّصْرَ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ لِأَنَّ المَجَاهِدَ مَوْتَهُ وَحَيَاتِهِ نُصْرَةٌ وَفَتْحٌ لَهُ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ المَرَادُ مِنَ المَوْتِ مَوْتِ الأَعْدَاءِ وَالمَعْنَى تَنْتَظِرُونَ مَوْتِ الأَعْدَاءِ او الذُّلُّ لَكُمْ المُسَبَّبُ عَنِ حَيَاتِكُمْ وَكِلَاهُمَا بِمَعزُولٍ عَنِ النَّصْرِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ المَرَادُ فِي المَوْتِ المَوْتِ فِي الجِهَادِ وَالمَعْنَى لِأَنَّ لَكُمْ مِنْ اخْتِيَارِ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ أَمَّا المَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ او الذُّلُّ فِي الدُّنْيَا وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ المَوْتِ كَذَلِكَ أَفْضَلُ وَأَشْرَفُ مِنَ الحَيَاةِ مَعَ الظَّالِمِينَ كَمَا قَالَ الحُسَيْنُ ﷺ: أَنِّي لَا أَرَى المَوْتَ الأَسْعَادَةَ وَالحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا وَعَلَيْهِ فَالمَعْنَى أَيُّ شَيْءٍ تَنْتَظِرُونَ المَوْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ او الذُّلُّ وَالحَقَارَةُ وَلا يَخْلُو الأَمْرُ مِنْهُمَا فَإِنَّ المَجَاهِدَ أَمَّا أَنْ يُقْتَلَ او لَا ففِي الأَوَّلِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ وَفِي الثَّانِي أَنْ كَانَ بِتَرْكِهِ الجِهَادِ الذُّلَّةَ وَالمَسْكَنَةَ وَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ ففِيهِ عِزَّةٌ وَسَعَادَةٌ فَعَلَيْكُمْ بِاخْتِيَارِ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ.

□ قوله ﷺ: قَوْلَ اللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَلَيَأْتِيَنِّي لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ...

اي اقسام بالله تعالى لأن جاء يَوْمِي اعني المَوْتِ وليأتيني المَوْتِ قطعاً

لقوله تعالى مخاطباً لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٥)

و: ﴿قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (٦)

١- محمد - ٧

٢- الحشر - ١١

٣- آل عمران - ١٦٠

٤- آل عمران - ١٦٠

٥- الزمر - ٣٠

٦- الجمعة - ٨

و: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (١)

و: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٢)

و: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٣) ولأجل هذه الآيات المصراحة بالموت وأنه لا بد

منه لكل مخلوق قال ﷺ ولياتي بي، مؤكدا بالنون المؤكدة الثقيلة التي تدل على كون الفعل حتما قطعيا، وليفرق الموت بيني وبينكم والحال انا لصحبتكم ومعاشرتكم كاره لا احبها اصلا وقوله ﷺ: وَيَكُمُ غَيْرُ كَثِيرٍ معناه اني افارق الدنيا وانا في قلة من الأعوان وان كنتم حولي كثيرين وعليه فالتقدير وانا بكم غير كثير:

□ قوله ﷺ: لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ...

اللام في قوله ﷺ: لِلَّهِ، أما للتعجب على سبيل الذم او للتعجب والذم تَلَطُّفا وقال المعتزلي اي لِلَّهِ سَعِيكُمْ او لِلَّهِ عَمَلِكُمْ كما قالوا لِلَّهِ دَرْكٌ اي عَمَلِكْ فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَاقِيمَ الضَّمِيرَ الْمُنْفَصِلَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ أَنْتَهُ.

ثم قال ﷺ: أَمَا دِينَ الخ وحاصله ان الذي يجمع الناس في طريق واحد هو احد الأمرين، الدين والحمية وكلاهما قد انتفيا عنكم فلا محالة بقيتم على تَفَرُّقِكُمْ وَتَشَتَّتِكُمْ وذلك لأن الدين اساسه على الاتفاق والوحدة قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٤)

فالتفاق والاختلاف ليس من الدين وحيث انكم متفرقين في امر دينكم ودنياكم فلا دين لكم وايضا لا حمية لكم فانها تمنع الافتراق والاختلاف والتسليم في مقابل الأعداء، ومن كان كذلك اي فاقد للدين والحمية معا فهو ليس بانسان والى هذا المعنى اشار الحسين ﷺ في يوم عاشوراء حيث قال مخاطبا للإعداء ان لم يكن لكم دين فكونوا احرارا في دنياكم، ثم ان الهمزة في قوله ﷺ اما، للإستفهام التوبيخي او التقريرية وعليه فكلمة

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة



الخطبة ١٧٩

٢- القصص - ٨٨  
٤- آل عمران - ١٠٣

١- النساء - ٧٨  
٣- الرحمن - ٢٦

(ما) للنفي، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ (١) و: ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ (٢) ويرد عليه أن لازم ذلك الإثبات فإن النفي في النفي إثبات والمعنى بل هو كاف، وشرحنا صدرك ففي المقام، يكون لكم دين، ومن المعلوم خلافه فكون الهمزة للإنكار لا يستقيم ويمكن الجواب عنه بأنه لا اشكال فيه إذ لم يرد، نفي الدين عنهم مطلقا بل نفي عنهم الدين الذي يجمعهم ولا منافاة بين ثبوت الأول ونفي الثاني وعليه فالدين المطلق كان ثابتا لهم واما الدين المقيد بهذا القيد اعني الدين الواقعي كان مسلوبا عنهم هذا:

واما ما ذكره الخوئي رحمه الله واحتمله من ان كلمة (اما) حرف تحضيض ونقل عن التفتازاني ما نقل فهو ليس بشي وذلك لأن حرف التحضيض يدخل على القسم وما نحن فيه ليس من هذا القبيل كقول الشاعر:

اما والله لو لا خوف واشٍ وعينٍ للخليفة لا تنام  
فالحق في المقام كون الهمزة للإستفهام الإنكاري على ما مر ذكره وبيانه وفي المقام احتمال آخر وهو ان الثبوت الذي يستفاد من النفي في النفي ليس معناه الثبوت عند المخاطب بل معناه الثبوت عند المتكلم على سبيل التمني والترحي فقولنا اما دين معناه وليكن لكم دين وقولنا اما تستحي مثلاً معناه ينبغي ان تستحي وهكذا وكيف كان فالأمر واضح:

□ قوله ﷺ: أَوْلَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ...

الهمزة في المقام ايضا للإستفهام الإنكاري اي العجب ثابت ان معاوية يدعوا الأراذل والأشرار من الناس الى نفسه فيتبعونه ويؤجيبون دعوته على غير معونة ولا عطاء، قال المعتزلي في شرح العبارة فان قلت فاي فرق بين العطاء والمعونة:

قلت - المعونة الى الجند شيء يسير من المال يرسم ترميم اسلحتهم

وإصلاح دوابهم ويَكُون ذلك خارجاً عن العطاء المفروض شهراً فشهراً،  
والعطاء المفروض شهراً فشهراً يكون شيئاً له مقدار يصرف في ائمان الأقوات  
ومَعُونَةَ العيال وقضاء الدَّيُون انتهى.

والشَّارِحُ الخُوْنِيُّ رحمته نقل في شرحه ما نقلناه وارتضاه إذ لم يات بعده بشيء:  
وانا أقول: الفرق الذي ذكره المعتزلي بين المَعُونَةَ والعَطَاءِ استنبطه من عند  
نفسه ولا يساعده عَقْلٌ ولا نَقْلٌ والحق في الفرق بينهما هو أن العطاء عبارة عن  
مطلق البَدَلِ بأيِّ قصدٍ كان والمَعُونَةُ عبارة عن مقدار ما يحتاج المأمور إليه في  
مأموريته أو العبد في غذائه ولباسه وما يحتاج إليه في تَعْيِشِهِ هذا إذا كانت  
المؤنة بالهمزة وأما إذا كانت بالعين من اعانه على كذا كما هو ظاهر المتن.  
فالمراد بها المقدار من المال الذي يدفع إلى الغير بعنوان المُسَاعَدَةِ والإعانة  
إليه إذا عَرَفْتَ هذا فنقول:

مراده عليه السلام أن معاوية يدعوهم إلى نفسه فيتبعونه من غير أن يُعِينَهُمْ  
ويُسَاعِدَهُمْ في تَعْيِشِهِمْ ولا أنه يُعْطِيَهُمْ على الدُّعْوَةِ وإن كان اعانهم واعطاهم  
لا كذلك وبعبارة أخرى ليس المقصود نفي المَعُونَةَ والعَطَاءِ مطلقاً كما ذكره  
المعتزلي بل المقصود نفيهما عنه من جهة الدُّعْوَةِ والفرق بين المقامين ظاهر  
فقوله عليه السلام يدل على أن معاوية كان يدعوهم إلى نفسه وهم اطاعوه بلا قيد ولا  
شرط وحاصل الكلام أن اطاعتهم له لم تكن مَشْرُوطَةً بالمَعُونَةَ والعَطَاءِ بل  
للجهل والحماقة.

□ قوله عليه السلام: وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ  
طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ...

لكن أي وأنا ادعوكم إلى الحق والحال انتم تريكه الإسلام وخلف السابقين  
وبقية المسلمين إلى المَعُونَةَ أو طائفة من العطاء.

وإنما عبر عليه السلام عنهم بالتريغة التي تركها النعام، لكونهم من اشراف القبائل  
وبقايا المهاجر والأنصار ولم يكونوا كاهل الشام في الخبائث والرذالة وعليه فهم



كانوا اولى بالمتابعة والإطاعة عن امامهم من اهل الشأم ولا سيما أنهم كانوا عالمين بان امامهم على الحق ومعوية على الباطل بل اصحاب معاوية ايضا كانوا عالمين به وهو عجيب وقوله ﷺ: إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ

الظاهر ان الجار والمجرور يتعلق بالفاعل المُستتر في قوله ادعوكم اي ادعوكم والحال انتم كذلك الى المعونة او طائفة من العطاء:

□ قوله ﷺ: فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضَى فَرَضُونَهُ وَلَا سَخَطَ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ...

اي وانا ادعوكم كذلك فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ بعدم الإطاعة والتسليم على انه لا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي ما فيه لكم رضا فَرْضُونَهُ كالمعونة والعطاء ولا ما فيه سخط لكم كالجهد فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ والحاصل انكم تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ في الحاليين ولا تقبلون مني شيئا:

□ قوله ﷺ: وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لِآقِي إِلَى الْمَوْتِ...

اي لا شيء عندي احب من الموت اذ به يحصل الافتراق بيني وبينكم ولا مخلص لي غيره:

□ قوله ﷺ: قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ وَفَاتَحْتُكُمْ الْحِجَابَ وَعَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَّجْتُمْ...

اي قد علمتكم الكتاب وهو القرآن وفاتحتكم الحجاب اي حاكمتكم بالمحاجة والمجادلة وعرفتكم من الدين ما انكرتم سابقا وسوغتكم ما مججتم اي اعطيتكم من الأرزاق والأموال ما كنتم محرومين منه والحاصل اني لم اقصر في حقكم ومع ذلك لم اقدر على اصلاحكم لسوء سريرتكم ونفاقكم:

□ قوله ﷺ: لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةَ وَمُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّبِغَةِ...

اي لو كان الأعمى يرى والنائم يستيقظ لابن النابغة، شبهم تارة

بالأعمى واخرى بالنائم فكما ان الوَعظ والنصيحة لا يَنفَع النَّائم وهو نائم  
فكذلك لا يَنفَعكم اذ ليس النَّائم من نام على فراشه فقط بل النَّائم الحَقِيقِي من  
يرى وَيَمشي وَيَسْمَع وهو في غفلةٍ عن الحَقِيقَة وايضا ليس الأعمى مُنحصرا  
باعمى البَصْر بل اشد منه اعمى القلب وانتم كذلك ولنعم ما قيل بالفارسية:

برسيه دل چه سودخواندن وَعظ نرود ميخ آهنين در سنگ

وهذا الذي ذكره عليه السلام حَقُّ لا مَرِيَة فيه وَلَعَمري هذا هو الداء الذي لا علاج له  
والبلاء الذي لا مَخْرَج ولا مَقَرُّ عنه الا بالموت واية مُصِيبَة اعظم منها فان النفاق  
اشد من الكُفْر وَمَنشاه الجهل او حُبَّ الشَّهوات او غير ذلك واني لأعلم علما  
قَطَعيا ان الإبتلاء بهؤلاء وامثالهم، دَعى الأولياء والصُّلحاء في اعظم المَشاكل  
في كلِّ عَصْرٍ وزمان الا ترى انه عليه السلام يقول واقرب الى آخر كلامه.

اي ما اقول في حَقِّ قوم قائدهم ورئيسهم معاوية ابن ابي سفيان وهو اظهر  
من الشَّمس في اوصافه ونَسَبه وكُفْره والحاده ومؤدبهم ابن النابغة اعني عمرو  
بن العاص مركز النفاق الذي لم يُؤمن بالله طَرْفَة عَيْن ولا عَجَب منهما بل  
العَجَب كلِّ العَجَب من النَّاس حيث اختاروهما عَلَيَّ فَتَفَرَّقُوا عَنِّي بل يقولون  
الحَقِّ مَعَ معاوية ولنعم ما قيل بالفارسية:

عَجَب نبود از اين دهر فسونگر  
بسی کرده است اين مام سیه روی  
ولي دارم عَجَب از خلق گيتی  
که بنشانند بجاي پور مادر  
عروسانرا خضاب از خون شوهر  
که با عين و اذن کورند وهم گر



## ﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ (١٨٠) ﴾

قال السيد ﷺ وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَخْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ ﷺ فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ ﷺ لَهُ: أَمِنُوا فَقَطَّنُوا، أَمْ جَبَّنُوا؟ فَظَعَّنُوا فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ ظَعَّنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

□ فقولهُ ﷺ: بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهُمْ وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمَتَّخِلٌ عَنْهُمْ فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَجَمَاحِهِمْ فِي التَّيِّهِ.

◀ اللغة

( قَطَّنُوا ) اي اقاموا ( ظَعَّنُوا ) بالظاء المعجمة ارتحلوا ( أُشْرِعَتِ ) اي سُدَّتْ وَصُوبَتْ نحرهم ( هَامَاتِهِمْ ) الهامات الرؤس جمع هامة ( اسْتَفْلَهُمْ ) اي دعاهم لِلتَّضَلُّلِ وَالْإِنْهَزَامِ ( ارْتِكَاسِهِمْ ) الرُّكْسُ رَدُّ الشَّيْءِ مَقْلُوبًا وَالْإِرْتِكَاسُ الْإِنْقِلَابُ ( جَمَاحِهِمْ ) جَمَحَ الْفَرَسُ غَلَبَ فَارِسَهُ وَرَاكِبَهُ ( التَّيِّهِ ) الضَّلَالَةُ وَالْحَيْرَةُ:

◀ المعنى

قال السيد ﷺ ( وَقَدْ أَرْسَلَ )، امير المؤمنين ﷺ ( رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ )

اي لعلِّي ﷺ ( عِلْمَ أحوالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا ﷺ الرَّجُلُ قَالَ ﷺ :  
 أَمِنُوا فَقَطَّنُوا فَقَالَ الرَّجُلُ فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَىٰ وَارْتِكَاسِهِمْ فِي  
 الضَّلَالِ وَالْعَمَىٰ وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَجَمَّحِهِمْ فِي التِّيهِ عِلْمَ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الكُوفَةِ  
 قَدْ هَمُّوا) وَقَصَدُوا (بِاللَّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَكَانُوا) هَوْلَاءِ الْقَوْمِ (عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْهُ)  
 مِنْ امير المؤمنين (فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ) الی علی (الرَّجُلُ) الَّذِي ارْسَلَهُ ﷺ (قَالَ) عَلِيٌّ  
 (لَهُ) اَي لِلرَّجُلِ (آمَنُوا) واطمانوا هَوْلَاءِ (فَقَطَّنُوا) واقاموا في مقامهم (أَمْ جَبَّنُوا  
 فَظَعَنُوا) وارتحلوا عنه الی مكانٍ آخَرَ (فَقَالَ الرَّجُلُ) المامور (بَلْ ظَعَنُوا)  
 وارتحلوا (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ﷺ بَعْدَ لَهُمْ) لهؤلاء (كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ أَمَا لَوْ  
 أُشْرِعَتْ) اَي سُدِّدَتْ (الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَىٰ هَامَاتِهِمْ) ورؤسهم  
 (لَقَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ) من الطَّغْيَانِ وَالْخُرُوجِ عَنِ دِينِ اللَّهِ (إِنَّ الشَّيْطَانَ  
 الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفَلَّهُمْ) وانهزمهم (وَهُوَ غَدَاً) فِي الْقِيَامَةِ (مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمُتَّخِلٌ عَنْهُمْ)  
 فيقول انا منهم براء (فَحَسْبُهُمْ) وكفاهم ذلًا (بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَىٰ) ودين الحق  
 (وَارْتِكَاسِهِمْ) وانقلابهم (فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَىٰ وَصَدَّهُمْ) ومنعهم (عَنِ الْحَقِّ  
 وَجَمَّحِهِمْ فِي التِّيهِ) والحيرة.

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَمِنُوا فَقَطَّنُوا أَمْ جَبَّنُوا فَظَعَنُوا فَقَالَ الرَّجُلُ بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ  
 الْمُؤْمِنِينَ...

والهمزة للأستفهام والمعنى هل آمنوا واطمانوا من خوفى فاقاموا فى  
 مكانهم ام جبنوا و خافوا عنى فظعنوا و ارتحلوا عنه فقال الرجل فى جواب  
 الأستفهام بل ظعنوا وارتحلوا عنه و لحقوا بالخوارج يا امير المؤمنين.

□ قوله ﷺ: بَعْدَ لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ أَمَا لَوْ أُشْرِعَتْ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصَبَّتِ  
 السُّيُوفُ عَلَىٰ هَامَاتِهِمْ لَقَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ...

البعء بضم الباء و سكون العين المهملة ضدَّ القرب و ليس لهما حدَّ محدِّود

وَأَمَّا ذَلِكَ بِحَسَبِ اعْتِبَارِ الْمَكَانِ بغيره و يقال ذلك فى المحسوس  
والمعقول والاول اكثر، و من الثانى قوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(١)</sup>

و : ﴿فَبَعْدَ لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

و : ﴿فَبَعْدَ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

و : ﴿كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾<sup>(٤)</sup>

والتَّصْبِ فِيهِ لكونه مفعولاً مطلقاً للفعل المحذوف والاصل بَعْدَ، بعداً، لهم  
فهو يفيد التَّوَعُّتَهُ و قوله ﷺ: كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ اشارة على قوله تعالى: ﴿الْأَبْعَدُ  
لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾<sup>(٥)</sup> والمعنى كما بعدت ثمود عن رحمة الله و فى  
تشبيهه ﷺ اياهم بقوم ثمود اشارة الى خروجهم عن الدين و طغيانهم على  
رب العالمين ولاجل هذه سَمَّوَهُم بِالْخَوَارِجِ اى الخوارج عن الدين، و اما  
كلمة (ثمود) بفتح التاء و ضم الميم و سكون الواو والدال .

قال الراغب قيل هو عجمى و قيل هو عربى و ترك صرفه لكونه اسم قبيلة  
و هو فعول من التمد و هو الماء القليل الذى لا مادة له و منه قيل فلان مثمود،  
يقال تَمَدَّتْ النساءُ اى قطعت مادة مائة لكثرة غشيانه لهن و يقال مثمود اذا كثرت  
عليه السئوال حتى فقد مادة ماله هذا بحسب اشتقاق لغة و لئسرا جمالاً الى  
قصته قوم ثمود . قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ  
أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَانْقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَا تُطِيعُوا  
أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ، قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ  
الْمُسْحَرِينَ، مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى  
فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ  
مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>

اعلم: ان الله تعالى بعث صالح ابن ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح الى قومه و هو اين ست عشر سنة فلبث فيهم حتى بلغ عشرين و ماته سنته لايجيبونه الى خير و كان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم انى قد بُعثت اليكم و انا ابن ست عشر سنته و قد بلغت عشرين و ماة سنته و انا اعرض عليكم امرين ان شئتم فاسئلوني حتى اسئل الهى فيجيبكم فيما تسئلوني و ان شئتم سئلت آلهتكم فان اجابتنى بالذى اسئلهَا خَرَجْتُ عَنْكُمْ فَقَدْ شَتَمْتُمْ وَ شَتَمْتُمُونِي فَقَالُوا قَدْ اِنْصَفْتَ يَا صَالِح فَاتَعَدُّوا الْيَوْمَ يَخْرُجُونَ فِيهِ فَخَرَجُوا بِاصْنَامِهِمْ اِلَى ظَهْرِهِمْ ثُمَّ قَرَّبُوا طَعَامَهُمْ وَ شَرَابَهُمْ فَآكَلُوا وَ شَرَبُوا فَلَمَّا فَرَّغُوا قَالُوا يَا صَالِح سَلْ فِدْعَا صَالِح كَبِيرِ اصْنَامِهِمْ فَقَالَ مَا اسْمُ هَذَا فَاخْبِرُوهُ بِاسْمِهِ فَلَمْ يُجِبْ فَقَالَ صَالِح مَا لَهُ لَا يُجِيبُ فَقَالُوا لَهُ ادْعُ غَيْرَهُ فِدْعَاهَا كُلَّهَا بِاسْمَائِهَا فَلَمْ يُجِبْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا قَوْمَ قَدْ تَرَوْنَ قَدْ دَعَوْتُ اصْنَامَكُمْ فَلَمْ يُجِيبْنِي وَاحِدٌ مِنْهَا فَاسْئَلُونِي حَتَّى ادْعُو الْهَيْ فَيُجِيبَكُمْ السَّاعَةَ فَاقْبَلُوا عَلَيَّ اصْنَامَهُمْ وَقَالُوا لَهَا مَا بِالْكُنِّ لَا تُجِيبِنِ صَالِحًا فَلَمْ تُجِبْ فَقَالُوا يَا صَالِح تَنَحَّ عَنَّا وَدَعْنَا وَاصْنَامَنَا قَلِيلاً فَرَمُوا بِتِلْكَ الْبُسْطِ الَّتِي بَسَطُوهَا وَبِتِلْكَ الْاَنْبِيَةِ وَتَمَرَّغُوا فِي التَّرَابِ وَقَالُوا لَهَا لَآن لَمْ تُجِيبِنِ صَالِحًا الْيَوْمَ لِنَفْضِحَنَّ ثُمَّ دَعَوْهُ فَقَالُوا يَا صَالِحِ تَعَالِ فَسَلْهَا فَعَادَ فَسَالَهَا فَلَمْ تُجِبْهُ فَقَالُوا اِنَّمَا ارَادَ صَالِحُ اَنْ يُجِيبَهُ وَيُكَلِّمَهُ بِالْجَوَابِ فَقَالَ صَالِحُ يَا قَوْمَ اَتَرَوْنَ قَدْ ذَهَبَ النَّهَارُ وَآلِهَتُكُمْ لَا تُجِيبُنِي فَاسْئَلُونِي حَتَّى ادْعُوا الْهَيْ فَيُجِيبَكُمْ السَّاعَةَ فَانْتَدَبَ لَهُ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ كِبَرَائِهِمْ وَعِظْمَائِهِمْ وَالْمَنْظُورِ اِيهِمْ فَقَالُوا يَا صَالِحُ نَحْنُ نَسْأَلُكَ قَالَ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ يَرْضَوْنَ بِكُمْ قَالُوا نَعَمْ فَاِنْ اجَابُوكَ هَؤُلَاءِ اجِبْنَاكَ قَالُوا يَا صَالِحُ نَحْنُ نَسْأَلُكَ فَاِنْ اجَابَكَ رَبُّكَ اتَّبَعْنَاكَ وَاجِبْنَاكَ وَتَابِعَكَ جَمِيعُ اَهْلِ قَرْيَتِنَا فَقَالَ لَهُمْ صَالِحُ سَلُونِي مَا شِئْتُمْ فَقَالُوا انْطَلِقْ بِنَا اِلَى هَذَا الْجَبَلِ حَتَّى نَسْأَلَكَ عِنْدَهُ فَانْطَلِقْ وَانْطَلِقُوا مَعَهُ فَلَمَّا اَنْتَهَوْا اِلَى الْجَبَلِ قَالُوا يَا صَالِحُ اسْأَلْ رَبُّكَ اِنْ يَخْرُجَ لَنَا السَّاعَةَ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ نَاقَةٌ حَمْرَاءُ شَقْرَاءُ وَبِرَاءُ عَشْرَاءُ، وَفِي

رواية حمراء شقراء بين جنبيها ميل قال صالح قد سالتموني شيئا يهون على ربي فسأل الله ذلك انصدع الجبل صدعا كادت تطير منه العقول لما سمعوا صوته واضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض ثم لم يفجأهم الا ورأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع فما استتمت رقبتها حتى احبرت ثم خرج سائر جسدها ثم استوت على الأرض قائمة فلما راوا ذلك قالوا يا صالح ما اسرع ما اجابك ربك فسله ان يخرج لنا فصيلها فسأل الله تعالى ذلك فرمت به فذب حولها فقال يا قوم ابقوا شيئا قالوا لا انطلق بنا الى قومنا نخبرهم ما راينا ويؤمنوا بك فلم يبلغ السبعون الرجل اليهم حتى ارتد منهم اربعة وستون رجلاً وقالوا سحر وثبتت السنة وقالوا الحق ما راينا فكثر كلام القوم ورجعوا مكذبين الا السنة ثم ارتاب من السنة واحد فكان فيمن عقرها انتهى.

**اقول:** هذه قصة صالح وقومه مجملًا وغرضنا من ذكرها هو ان نعلم وجه الشبه بين قوم صالح واصحاب امير المؤمنين عليه السلام وان قصة امير المؤمنين عليه السلام مع القوم قصة صالح مع قومه وذلك لأن اصحاب علي بعد ماراوا من المعجزات وخوارق العادات منه عليه السلام اكثر من ان تحصي، مع ذلك لم يؤمنوا بامامته وانكروه ثم قتلوه فحقت عليهم كلمة العذاب في الدارين هذا.

واما قوله عليه السلام أما لو أشرعت الأسيئة إليهم الى آخر كلامه فالأسيئة جمع سنان والمعنى لو سددت وصوبت الأسيئة نحرهم وصبت السيوف على هاماتهم ورؤسهم لقد ندموا على ما كان منهم من العصيان والطغيان والخروج عن دين الحق فما ذكره عليه السلام كناية عن شروع الحرب التيه.

□ قوله عليه السلام: إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَلَّهْمُ وَهُوَ غَدًا مُتَّبِرِيٌّ مِنْهُمْ وَمُتَّخِلٍ عَنْهُمْ... استفلهم اي دعاهم الى التفلل وهو الإنهزام عن الجماعة والمعنى ان الشيطان دعاهم الى ما هم عليه من خروجهم عن طريق الحق ودخولهم في حزب الشيطان وهو اي الشيطان غدا يوم القيامة متبيري منهم ومتخلي عنهم



ومن المعلوم أنّ من كان الشيطان له قريناً فسَاءَ قريناً.

□ قوله ﷻ: فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَىٰ وَأَرْتَكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَىٰ  
وَصَدَّهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَجَمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ...

اي فيكفيهم خزيًا ووبالاً خروجهم من الهدى وطريق الحق وارتكاسهم اي  
رجوعهم في الضلال والعمى وصددهم ومنعهم عن الحق وجماحهم في التيه  
اي الضلالة والحيرة:

## ومن خطبة له عليه السلام (١٨١)

زوى عن نوف البكالى قال خطبتنا هذه الخطبة أمير المؤمنين بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مزرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثغنة بغير فقال عليه السلام:  
 □ قوله عليه السلام: الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر نحمده على عظيم إحسانه وتبّر برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمداً يكون لحقه قضاء ولشكره أداءً وإلى ثوابه مقرباً ولحسني مزیده موجباً ونستعين به استعانة راجٍ لفضله مؤملٍ لتفعه واثقٍ بدفعه معترفٍ له بالطول مذعنٍ له بالعمل والقول وتؤمنٍ به إيمانٍ من رجاه موقناً وأتابٍ إليه مؤمناً وخنع له مذعناً وأخلص له موحداً وعظمه ممجداً ولاذبه راغباً مجتهداً.

لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركاً ولم يلد فيكون مؤروثاً هالكاً ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم. فمن شواهد خلقه خلق السماوات موططات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فأجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبططات ولولا إقرارهن له بالربوبية وإذعانهن بالطواعية لما جعلهن موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الخيران في مختلف فجاج

الْأَقْطَارِ لَمْ يَمْنَعُ ضَوْءَ نُورِهَا، اذْلَهَمَامُ سُجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَلَا اسْتَطَاعَتْ  
جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُوءِ نُورِ الْقَمَرِ  
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ وَلَا لَيْلِ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ  
الْمُتَطَاطِئَاتِ وَلَا فِي بَقَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ  
السَّمَاءِ وَمَا تَلَأَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْعَمَامِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا  
عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهِيطَالُ السَّمَاءِ وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ  
وَمَجْرَهَا وَمَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌ  
أَوْ إِنْسٌ لَا يُدْرِكُ بَوَهُمْ وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهُمْ وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلَا يَنْظُرُ  
بِعَيْنٍ وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ  
وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا بِلَا جَوَارِحَ  
وَلَا أَدْوَاتٍ وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لَوْ صَفِ رَبُّكَ  
فَصِيفُ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدْسِ  
مُرْجَحِينَ مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو  
الْهَيْئَاتِ وَالْأَدْوَاتِ وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ، أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ  
بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ وَاطْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي الْبَسْكُمْ الرِّيشَ وَاسْبَعَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ  
وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ لِدْفَعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ابْنُ  
دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الرَّؤْفَةِ. فَلَمَّا  
اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَاسْتَكْمَلَ مَدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنَبَالِ الْمَوْتِ وَاصْبَحَتِ الدِّيَارُ  
مِنْهُ خَالِيَةً وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ. وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ  
لَعِبْرَةً!

أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ

مَدَائِنِ الرِّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَاؤُهُمْ سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَا سُنَنَ  
الْجَبَّارِينَ! وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَعَسَكَرُوا الْعَسَاكِرَ  
وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ.

وَمِنْهَا

قَدْ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتُهَا وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا  
وَالْتَفَرُّغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ  
مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْأَسْلَامُ وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِجَرَانهِ بِقِيَّتِهِ  
مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّمَهُمْ وَأَدَّيْتُ  
إِلَيْكُمْ مَا آدَتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا  
وَحَدَوْتُمْ بِالزَّوْاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا لِلَّهِ أَنْتُمْ أَنْتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَابِكُمْ  
الطَّرِيقَ وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟ أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا  
كَانَ مُدْبِراً وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى  
بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى، مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِينِ  
الْأَيَّامِ الْيَوْمِ أَحْيَاءٌ؟ يُسَيِّغُونَ؟ الْفُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرُّنْقَ قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ  
فَوْقَاهُمْ أُجُورَهُمْ وَأَحْلَهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. وَأَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا  
الطَّرِيقَ وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟  
وَأَيْنَ نَظَرَ أَوْهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَيْتَةِ وَأُبْرَدَ بِرُؤْسِهِمْ إِلَى  
الْفَجْرَةِ!

قال : ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ ثُمَّ قَالَ ﷺ :

أَوْهٍ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَتَدَبَّرُوا الْقُرْصَ فَأَقَامُوهُ أَحْيَا

السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ الْآ وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي

هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ!

قَالَ نُوفٌ: وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام: فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلَقَيْسِ ابْنِ سَعْدٍ فِي عَشْرَةِ  
آلَافٍ، وَوَلَّابِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ، وَهُوَ  
يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفَيْنَ، فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَهُ  
اللَّهُ فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ، فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَّتْ رَاعِيَهَا، تَحْتَطِفُهَا الذَّنَابُ مِنْ كُلِّ  
مَكَانٍ!

### ◀ اللُّغَةُ

(الْبِكَالِي) بِكسر الباء منسوب الى بني بكال بطن من حِمير وبعضهم  
ضبطوه بفتح الباء وتشديد الكاف على وزن شَدَاد وسياتي توضيحه في الشرح  
(مِدْرَعَة) بكسر الميم وفتح الرءاء قميص ضيق الأكمام من صوف (ثِفْنَة)  
بالكسر ما يمس الأرض من البعير (نَوَامِي) جمع نام بمعنى زائد (الطُّولِ) بفتح  
الطاء الفضل (خَنَع) اي ذَل وخَضَع (لَاذًا) اي لَجَا (يَتَعَاوَرُهُ) اي يَتَدَاوَلُهُ (المُبْرَمِ)  
المُحْكَم (مُوطَّدَات) اسم مفعول من وَطَّدَ يوطِّدُ، على وزن مُحَسَّنَات اي  
مُثَبَّتَات في مداراتها (عَمَدٍ) بفتح العين والميم جمع عِمَاد على خلاف القياس  
ما يُبْنَى عليه الشَّيْءُ (مُتَلَكِّئَاتٍ) على وزن مُتَدَحْرَجَات من تَلَكَّأَ يَتَلَكَّأُ التَّلَكُّوْءُ  
التَّوَقُّفُ والتَّبَاطُوءُ (مُبْطِئَاتٍ) من البَطُوءِ ضدَّ السَّرِيْعِ (الطَّوَاعِيَّةِ) مبالغة في  
الطَّاعَةِ (ادِلْهَام) من ادلَّهُم يدلُّهم ادلَّهُما ما وهو شِدَّةُ الظُّلْمَةِ (سُجْفٍ) بكسر  
السَّيْنِ وفتحها السِّتْرُ (جَلَابِيْبُ) جمع جلاب ثوب واسعة تلبسه المرأة فوق  
ثيابها (الْحَنَادِسِ) جمع حِنْدَس بكسر الحاء اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ (شَاعَ) كَثُرَ (سَاجٍ)  
السَّاجِي السَّاكِنِ (الْمَتَاطِنَاتِ) اي الْمُنْحَفِضَاتِ (يَفَاعٍ) اليَفَاعُ بفتح الياء التُّلُّ او  
مُطَلَّقُ الْمُرتَفِعِ مِنَ الْأَرْضِ (السُّفْعِ) بضم السَّيْنِ جمع سَفَاءٍ وقيل جمع سَفْعَةٍ  
السُّودَاءُ تَضْرِبُ إِلَى الْحُمْرَةِ (يَتَجَلْجَلُ) مُضَارِعٌ مِنْ تَجَلْجَلٌ، وَالجَلْجَلَةُ صَوْتُ

الرَّعْدُ (تَلَأَشَتْ) التَّلَاشِي الإِضْمِحَالُ (بُرُوقٌ) جَمْعُ بَرَقٍ (الْعَقَامُ) السَّحَابُ  
 (الْأَنْوَاءُ) جَمْعُ نَوْءٍ أَحَدُ مَنَازِلِ الْقَمَرِ (السَّمَاءُ) هُنَا الْمَطَرُ وَانْهْطَالُ السَّمَاءِ مَعْنَاهُ  
 نَزُولُ الْأَمْطَارِ (نَائِلٌ) النَّائِلُ الْعَطَاءُ (لَهَوَاتٍ) مَحْرُكَةٌ جَمْعُ لِهَاتٍ، اللَّحْمَةُ  
 الْمَشْرُفَةُ عَلَى الْحَلْقِ فِي اقْصَرِ الْفَمِ (حُجْرَاتٍ) بَضْمُ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْجِيمِ جَمْعُ  
 حُجْرَةٍ وَهِيَ الْعُرْفَةُ (مُرْحَجَيْنِ) الْمُرْحَجُنُ كَالْمُقَشَّعِ الْمَائِلِ وَالْمُتَّحِرِكِ يَمِينًا  
 وَشِمَالًا (مُتَوَلِّهَةٌ) مُتَّحِرَةٌ (الرِّيَاشُ) اللَّبَاسُ الْفَاخِرُ (جُنَّتَيْهَا) بَضْمُ الْجِيمِ وَفَتْحُ  
 النَّونِ الْحَافِظِ (الرَّنَقُ) بِكَسْرِ النَّونِ وَفَتْحِهَا وَسُكُونِهَا الْكَدِيرُ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ:

### ◀ المعنى

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ) بَعْدَ مَوْتِهِمْ (وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ) بِقَضَائِهِ  
 وَقَدْرِهِ (نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَبِيرِ بُرْهَانِهِ) الْمَحْسُوسُ مِنْهُ وَالْمَعْقُولُ  
 (وَنَوَامِي) وَزَوَائِدُ (فَضْلِهِ وَآمِتَانِهِ حَمْدًا) أَيِ احْمَدُهُ حَمْدًا (يَكُونُ) الْحَمْدُ  
 (لِحَقِّهِ) تَعَالَى (قَضَاءٌ وَلِشُكْرِهِ آدَاءٌ) فَإِنَّ شُكْرَ الْمُنْعَمِ وَاجِبٌ عَقْلًا وَشَرْعًا (وَالِي  
 ثَوَابِهِ مُقْرَبًا وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ) أَيِ مَزِيدِ الثَّوَابِ (مُوجِبًا وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً  
 مُعْتَرِفٍ) أَيِ كَاسْتِعَانَةٍ (رَاجٍ لِفَضْلِهِ) أَيِ مِثْلِ اسْتِعَانَةٍ مِنْ يَرْجُو فَضْلَهُ، (مُؤْمِلٍ  
 لِنَفْعِهِ وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ) فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِهِ (مُعْتَرِفٌ) وَمَقَرُّ (لَهُ بِالطُّولِ) وَالْفَضْلِ،  
 (مُدْعِي لَه) تَعَالَى (بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ) أَيِ عَمَلًا وَقَوْلًا لِيَكْمَلَ الْإِيمَانُ (وَتُؤْمِنُ بِهِ  
 إِيْمَانًا مَنْ رَجَاهُ مُوقِنًا) أَيِ تُوْمِنُ بِهِ إِيْمَانُ الرَّاجِي الْمَقْرُونِ بِالْيَقِينِ (وَأَنَابًا) وَ  
 رَجَعَ (إِلَيْهِ مُؤْمِنًا) بِهِ (وَوَخَّعَ) أَيِ وَإِيْمَانًا مِنْ خَنَعَ وَذَلَّ (لَهُ مُدْعِنًا) مُعْتَقِدًا  
 (وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحَّدًا) أَيِ إِيْمَانِ الْمُؤَحَّدِ الْمُخْلِصِ (وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا) وَإِيْمَانًا مِنْ  
 عَظَّمَهُ مَقْرُونًا بِالتَّمْجِيدِ (وَلَاذًا) وَلِجَا (بِهِ) بِاللَّهِ تَعَالَى (رَاغِبًا) إِلَيْهِ (مُجْتَهِدًا)  
 مُجَدِّدًا (لَمْ يُؤَلَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ فِي الْعِزِّ مُشَارَكًا) لِيَكُونَ أَبُوهُ شَرِيكَهُ فِي الْعِزِّ  
 (وَلَمْ يَلِدْ) عَنْ غَيْرِهِ (فَيَكُونُ مَوْرُوثًا هَالِكًا) كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَخْلُوقِ الْمَوْلُودِ

(وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ) ليكون زمانيا (وَلَمْ يَتَعَاوَزْهُ) ويتداوله (زِيَادَةٌ وَلَا  
 نُقْصَانٌ) ليكون جسما او جسمائيا (بَلْ ظَهَرَ) الله تعالى (لِلْعُقُولِ) السليمة (بِمَا  
 آرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقَنِّ) المُحكَم (وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ) الذي لا مُرد له  
 (فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ) الدّالة على وجوده وحكمته (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ مُوْطَدَاتٍ)  
 مُثبتات في مداراتها (بِلَا عَمَدٍ) ترونها (قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ) تُسند اليه (دَعَاهُنَّ) اي  
 دعى الله السّموات (فَأَجَبْنَ) له ( ) طَائِعَاتٍ حال كونها مُطيعين له (مُذْعِنَاتٍ)  
 برُبوِيته (غَيْرِ مُتَلَكِّئَاتٍ) اي غير مُتوقفات (وَلَا مُبْطِئَاتٍ) في حركاتها،  
 (وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ) اي اقرار السّموات (لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَّةِ) اي  
 الإطاعة (لَمَا جَعَلْنَهُنَّ) اي السّموات (مَوْضِعًا) وَمَحَلًّا (لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكَنًا  
 لِمَلَائِكَتِهِ) ليسكنون فيها (وَلَا مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ) اليه يَصعدُ الكَلِم الطَّيِّبِ  
 (وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ) يرفعه (مِنْ خَلْقِهِ) من عباداتهم وحوائجهم (جَعَلَ نُجُومَهَا  
 أَعْلَامًا) اي علامات (يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ) في البحار والصحاري (فِي مُخْتَلَفِ  
 فِجَاجِ الْأَقْطَارِ) اي الطرق الواسعة بين الجبال (لَمْ يَمْنَعُ ضَوْءُ نُورِهَا) اي نُور  
 النُّجُوم (إِذْ لِهَمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ) واستار الظلمات الشديدة (وَلَا اسْتَطَاعَتْ  
 جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ) اي الأثواب الواسعة المُظلمة وهو استعارة (أَنْ تَرُدَّ مَا  
 شَاعَ) وكثُر (فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُوءِ نُورِ الْقَمَرِ) والمقصود ان الجلابيب لم  
 تمنع من نوره (فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ) اي الظلمة  
 الشديدة (وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ) ساكن فان الله جعل الليل سَكنا (فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ  
 الْمُتَطَاطِئَاتِ) المُنخفضات (وَلَا فِي بَقَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ) اعني الجبال  
 المُرتفعة (وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ) اي ما يظهر من صوت الرعد  
 فيه (وَمَا تَلَأَشَتْ) واضمحلّت (عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ) والسحاب (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ  
 وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ) اي منازل القمر يعدها العرب  
 ثمانية وعشرون (وَأَنْهِيضَالُ السَّمَاءِ) ونزول الأمطار (وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ

وَمَقَرَّهَا ) اي مُبتدأها ومُنْتهاها (وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ ) الصَّغار من النَّمَل (وَمَجَرَّهَا)  
اي مَسْكِنها ومَبِيْتها (وَمَا يَكْفِي البُعُوضَةَ مِنْ قُوْتِهَا) ورزقها ( وَمَا تَحْمِلُ الأُنْثَى  
فِي بَطْنِهَا) من ذكر وانثى فهو تعالى يعلم كل ذلك.

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ ) الثَّابِت ( قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ  
أَرْضٌ أَوْ جَانٌ أَوْ إِنْسٌ ) فهو تعالى كان ولم يكن معه شيء (لَا يُدْرِكُ بِوَهْمٍ وَلَا  
يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ ) لإستلزامها التناهي والمحدودية فيه (وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ) عن سؤال  
غيره (وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ) اي العطاء (وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ ) ومكان (وَلَا  
يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ ) فان  
هذه الأوصاف من شئون الأجسام وهو مُتَزَه عنها (الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا  
وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ) لِتَنَزُّهه عنها (وَلَا تُنْطَقُ وَلَا  
لَهَوَاتٍ ) لَعَدَم اللِّسَانِ وَالْفَمِّ له (بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لَوْصِفِ رَبَّكَ  
فَصِيفُ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجَرَاتِ الْقُدْسِ )  
وغرفها (مُرْجَحِينَ ) خاضعين خاشعين لرُبُوبِيته (مُتَوَلِّهَةً ) مُتَحِيرَةً (عَقُولُهُمْ أَنْ  
يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ) فانت اذا لم تقدر على اوصاف هؤلاء الملائكة فكيف  
تقدر على وصف ربك (فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ) والله  
تعالى ليس كذلك وايضا يدرك (وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ ، أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ ) كما هو  
شان المخلوق (فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ وَاطْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ )  
«اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>(١)</sup> (أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ) فانها خير الزاد  
(الَّذِي الْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ) واللباس الفاخر وهو كناية عن ايجادهم (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ  
الْمَعَاشَ وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا ) من النَّاسِ (يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ ) الدائم، (سَلْمًا أَوْ  
لِدْفَعِ الْمَوْتِ ) عن نفسه (سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ ابْنُ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سَحَّرَ لَهُ  
مَلِكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ التُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الرُّزْفَةِ ) والمَنْزِلَة (فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ )



وَرَزَقَهُ (وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ) فِي الدُّنْيَا (رَمَتُهُ قِسْيُ الْفَنَاءِ بِنَبَالِ الْمَوْتِ) وَسَهَامَهُ  
فَمَاتَ (وَاصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ) مِنْ سَلِيمَانَ (خَالِيَةً وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً وَوَرِثَهَا  
قَوْمٌ آخَرُونَ) كَمَا هُوَ كَذَلِكَ فِي حَقِّ الْكُلِّ (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ).

الْمَاضِيَةِ (لَعِبْرَةٌ! أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ  
أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَاؤُهَا) وَأَمْسَاتُوا (سُنَنَ  
الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ) الظَّالِمِينَ ثُمَّ (وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ)  
الكثيرة (وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّتُوا) وَبَنُوا (الْمَدَائِنَ مِنْهَا) أَيِ  
مِنَ الْخُطْبَةِ (قَدْ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتُهَا) أَيِ مَا يَحْفَظُهَا عَلَى صَاحِبِهَا (وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ  
أَدْبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا) وَالضَّمَائِرَ كُلِّهَا إِلَى الْحِكْمَةِ  
(فَهِيَ) الْحِكْمَةُ (عِنْدَ نَفْسِهِ) أَيِ نَفْسِ صَاحِبِهَا (ضَالَّتْهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا) فَإِنَّ الْحِكْمَةَ  
ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ (وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْأَسْلَامُ) أَيِ إِذَا  
صَارَ الْأَسْلَامُ غَرِيبًا اغْتَرَبَ مَعَهُ (وَضَرَبَ بَعْسِيْبٍ ذَنْبِهِ) أَيِ أَصْلَهُ (وَالصَّقَ  
الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ) أَيِ صَدْرِهِ وَمُقَدَّمِ عُنُقِهِ (مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ) خَلْفَةَ (خَلِيفَةً مِنْ  
خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ):

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَشَّتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّمَهُمْ وَأَدَّيْتُ  
إِلَيْكُمْ مَا آدَتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ) فَلَمْ أَقْضِرْ فِيهَا (وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ  
تَسْتَقِيمُوا) لِنِفَاقِكُمْ (وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا) أَيِ لَمْ يَوْثُرْ فِيكُمْ  
الزَّجْرُ أَيْضًا (لِلَّهِ أَنْتُمْ أَتَوَقَّعُونَ) وَتَسْتَنْظِرُونَ (إِمَامًا غَيْرِي يَطَّابِكُمُ الطَّرِيقَ  
وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ) هِيَ هَاتِ (أَلَا إِنَّهُ قَدْ آدَبَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا  
كَانَ مُدْبِرًا) فَالْمُقْبِلُ صَارَ مُدْبِرًا وَالْمُدْبِرُ صَارَ مُقْبِلًا (وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ  
الْأَخْيَارُ وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا) الَّتِي لَا تَبْقَى (بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ) الَّتِي لَا تَفْنَى  
(مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفَكَتْ دِمَاؤُهُمْ) فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (بِصِفِّينَ  
الَّذِينَ كَانُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً) وَقَالَ تَعَالَى بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ

(يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ) وَيَتَجَرَّعُونَهَا (وَيَشْرَبُونَ الرَّثِقَ) الْكَدْرَ (قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوْقَهُمْ أَجُورَهُمْ) فَإِنَّ لَا يَضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ قَطُّ (وَأَحْلَهُمْ) وَاسْكَنَهُمْ (دَارَ الْأَمْنِ) اعْنِي الْجَنَّةَ (بَعْدَ خَوْفِهِمْ) فِي الدُّنْيَا (وَأَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ) الْحَقُّ (وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ) أَي مَاتُوا عَلَيْهِ (أَيْنَ عَمَّارٌ) بَنُ يَاسِرٍ (وَأَيْنَ ابْنُ الثِّيَّهَانِ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَأَيْنَ نَظَرَ أَوْهُمْ) وَامْتَالَهُمْ (مِنْ إِخْوَانِهِمْ) فِي الدِّينِ (الَّذِينَ تَعَاقَدُوا) وَتَعَاهَدُوا (عَلَى الْمَنِيَّةِ) وَالْمَوْتَ (وَأُبْرِدَ بِرُؤْسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ) الظَّلْمَةَ (قَالَ) نُوْفٌ (ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَاطَالَ الْبُكَاءُ ثُمَّ أَوْهَى) أَي اتَّوَجَّعَ (عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ) بِالْعَمَلِ بِهِ (وَتَدَبَّرُوا الْفُرْضَ فَأَقَامُوهُ أَحْيَا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَاجَابُوا) الدَّاعِيَ إِلَيْهِ (وَوَثَّقُوا) وَاطْمَأَنَّنُوا (بِالْقَائِدِ) اعْنِي الْإِمَامَ (فَاتَّبَعُوهُ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ آلا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا) الَّذِي اتَّكَلِمَ فِيهِ (فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ) إِلَى الْجِهَادِ (قَالَ نُوْفٌ: وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَلِقَيْسِ ابْنِ سَعْدٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَآلِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ) (فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ وَهُوَ) أَي امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ) لِحَرْبِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ (فَمَا دَارَتْ) وَتَمَّتْ (الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ) إِلَى الْكُوفَةِ (فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَّتْ رَاعِيَهَا تَخْتَطِفُهَا الذَّنَابُ) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَكَانٍ انْتَهَى.

### ◀ الشرح

اعلم: ان هذه الخطبة قد رواها (نوف البكالي) عن امير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نوف ابن فضالة التابعي البكالي منسوب الى بني بكال بطن من حمير ضبطه بعضهم بتشديد الكاف كشداد قال خطبنا بهذه الخطبة بالكوفة امير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة ابن هبيرة المخزومي، ابن اخت امير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وامه ام هاني بنت ابي طالب كان فارسا مقداما فقيها، وعليه اي

على امير المؤمنين من اللباس مدرعة من صوف وهي قميص ضيق الأكمام  
وحمائل سيفه من ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه عليه السلام ثفنة بعير اي  
مثلها من كثرة السجود فقال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعَوَاقِبُ الْأُمْرِ...

واللأم في قوله الحمد اما للإستغراق او الجنس على ما مر شرحه في أول  
الكتاب والحمد هو الثناء باللسان على الجميل والله علم على الأصح للذات  
الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الكمالية وقد مر تفصيل الكلام  
في معنى الحمد وكلمة الله في شرح الخطبة الأولى تفصيلاً وفي غيرها ايضاً.  
والمعنى ان جنس الحمد او كل مصاديق الحمد مختص بالله تعالى فان  
اللام في الله للإختصاص الذي اليه مصائر الخلق، وفيه اشارة الى قوله تعالى:

﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>

وقوله وعواقب الأمر، الواو للعطف اي الحمد لله الذي اليه عواقب الأمر،  
وفيه اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٥)</sup>

اما مصائر الخلق اليه فلقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ زَاجِعُونَ﴾<sup>(٦)</sup> فالخلق

يرجع اليه بالموت لا محالة فان كل شيء يرجع الى اصله واما ان عواقب الأمر  
اليه فالوجه فيه هو ان عالم الأمر ايضاً مخلوق له كعالم الخلق فاذا صار الخلق  
اليه صار الأمر ايضاً اليه وانما عبر عليه السلام في الأول بالمصائر وفي الثاني بالعواقب  
لأن الخلق يموت ويفنى والأمر لا يموت وبعبارة اخرى الخلق يصير الى  
الموت والأمر الى الإنتهاء ولتوضيح المقام نقول: قال تعالى: ﴿إِلَّا لَهُ النُّخْلُ

٢-النور-٤٢

٤-لقمان-٢٢

٦-البقرة-١٥٦

١-آل عمران-٢٨

٣-ق-٤٢

٥-الحج-٤١

وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup> قَدْ ثَبَّتْ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ وُجُودَاتِ الْأَشْيَاءِ وَصُدُورَهَا مِنَ الْمَبْدِءِ الْأَعْلَى عَلَى ضَرْبَيْنِ .

أحدهما: أن يكون صدور المعلول عن العلة من مُجَرَّدِ جِهَةِ الْفَاعِلِيَّةِ بِلَا مِشَارَكَةِ حَيْثِيَّةِ الْقَابِلِيَّةِ.

وبعبارةٍ أُخْرَى: الْخَلْقُ لَا عَنِ مَادَّةٍ الَّتِي يُسَمَّى فِي الْإِصْطِلَاحِ بِالْإِبْدَاعِ فَهَذَا هُوَ الْمُسَمَّى بِعَالَمِ الْأَمْرِ عِنْدَهُمْ وَقَدْ يُعْبَرُ عَنْهُ بِعَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَعَالَمِ الْغَيْبِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

وثانيهما: أن يكون صدور الشيء عن العلة بمشاركةٍ مَّا مِنَ الْقَابِلِ وَالْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ وَأَنْ شِئْتَ قَلْتَ الْخَلْقَ عَنِ مَادَّةٍ وَمَا يَلْحَقُهَا مِنَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْوَضْعِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِعَالَمِ التَّكْوِينِ وَعَالَمِ الْخَلْقِ وَعَالَمِ الْمَلَكِ وَعَالَمِ الشَّهَادَةِ وَهَكَذَا وَكُلَاهُمَا لَهُ تَعَالَى وَاللَّهِ هَذِينَ الْعَالَمِينَ إِشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَٰهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ﴾<sup>(٢)</sup> وَعَلَيْهِ فَالْأَفْلَاقُ وَالْعُنَاصِرُ وَالْمَوَالِيدُ كُلُّهَا مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَدَاخِلَةٌ تَحْتَهُ وَالْعُقُولُ وَالنَّفُوسُ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ فَعَالَمِ الْأَمْرِ دَفَعِيٌّ أَنِّي لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَعَالَمِ الْخَلْقِ تَدْرِيجِي الْحُصُولِ وَعَالَمِ الْأَمْرِ خَالٍ عَنِ التُّضَادِّ وَالتَّكْثُرِ وَالتَّجَدُّدِ وَالتَّغْيِيرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَفِجٍ بِالْبَصْرِ﴾<sup>(٣)</sup> وَأَمَّا عَالَمِ الْخَلْقِ فَيَشْتَمِلُ عَلَى التُّضَادِّ وَالتَّكْثُرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْبَسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٤)</sup> وَقَدْ يُعْبَرُ عَنْ عَالَمِ الْخَلْقِ بِعَالَمِ الْكُونِ وَالْفَسَادِ وَالكُلِّ صَحِيحِ عِبَارَاتِنَا شَتَّى وَحُسْنِكِ وَاحِدٌ.

إِذَا عَرَفْتَ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ وَالْفَرْقَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ دَرَيْتَ أَنَّ الْمَخْلُوقَ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ مَصِيرُهُ إِلَى الْفَنَاءِ وَالزُّوَالِ كَمَا هُوَ مُقْتَضِي الْحُدُوثِ الزَّمَانِيِّ وَالتَّرْكِيبِ عَنِ مَادَّةٍ وَهَذَا بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ فِي عَالَمِ الْأَمْرِ كَالْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ فَإِنَّ الْمَخْلُوقَ فِيهِ لِيُتَجَرَّدَ عَنِ الْمَادَّةِ وَلَوْ أَحَقَّهَا مِنَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ لَا فَنَاءَ فِيهِ وَلَا

زوال له بل هو باقٍ ببقاء خالقه كما قال ﷺ خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ.

فالنفس الناطقة الإنسانية مثلاً لكونها من عالم الأمر لا تصير إلى الزوال والفناء بل ترجع إلى ربها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾<sup>(١)</sup> فقوله تعالى ارجعي أدل دليل على ما ذكرناه، وأما جسمه وبدنه لكونه من عالم الخلق فهو يضمحل ويفسد لا محالة كما هو شأن الموجود المركب عن الأضداد وهكذا الحال في غيره من الموجودات الخلقية نحو الكواكب والعناصر والمواليد وغيرها لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>(٢)</sup> فقوله ﷺ: إِيَّاهُ مَصَائِرُ الْخَلْقِ إشارة إلى المخلوق الموجود في عالم الخلق، وقوله عواقب الأمر إشارة إلى المخلوق في عالم الأمر وإن شئت انطبق كلامه على الإنسان فالأول إشارة إلى جسمه والثاني إلى رُوحه وأما غير الإنسان مما هو في عالم الخلق فهو ذو وجهة واحدة وهي المصير إلى الرب بالموت والفناء ولا أمر فيها، فتبارك الله أحسن الخالقين:

عشق چون بیند جمال خویش را

در نقاب ودر لباس ما و من

غیرت آرد حُسن را گوید که زود

جامه اغیار بَرکن از بدن

حُسن خود را از لباس آرد برون

باز در ذات خودش سازد وطن

کثرت گوین را در خود کشد

بَحر و حَدّت چونکه گردد موج زن

وقال الشبستری:

جهان خَلق وَاَمْر از یک نفس شد

که هم آندم که آمد باز پس شد

ولی اینجا که آمد شدن نیست

شدن چون بنگری جز آمدن نیست

باصل خویش راجع گشت اشیاء

همه یگ چیز شد پنهان و پیدای

وحيث انه لا مؤثر في الوجود الا هو بل لا موجود بالحقيقة الا واجب الوجود الذي لا اله الا هو الحي القيوم اعني القائم بالذات، وغيره قائم به فمن قام بغيره كيف يكون موجودا واقعا بل وجوده اعتباري محض فالموجودات المتكثرة لبيت الا اعتبارية ومراتب تجلياتها المحضة.

گر نه حُسنش دائما در جلوة است

این نمود و بود عالم از کجا است

از تجلی جمال و حُدّت است

در حقیقت اینکه کثرت را بقا است

هستی عالم همه هستی او است

بی بقای حق جهان عین فنا است

وانت اذا تأملت حق التأمل فيما ذكرناه وكنت من اهله لعلمت ان رجوع الخلق اليه تعالى امر قهري قطعي لا يعقل غيره سواء كان من عالم الخلق ام من عالم الامر وذلك لأن الموجودات الإمكانية ليست الا اقياء واطلال ورجوع الفئ والظل الى ذي الفئ وذي الظل امر لا جد منه بل لا انفكاك بينهما حتى يقال بالمصير والرجوع اليه ولنعم ما قال المولوي:

صورت از بی صورتی آمد برون

باز شد کانا اليه راجعون

پس ترا هر لحظه مرگ و رجعتی است

مصطفی فرمود دنیا ساعتی است

هر نفس نو میشود دنیا وما  
 بی خبر از نو شدن اندر بقا  
 آن ز تیزی قمر شکل آمده است  
 چون سر و گش تیز جنبانی بدست  
 شاخ آتش را بجنبانی تو بساز  
 در نظر آتش نماید بس دراز  
 ولبعض العرفاء :

چندین هزار قطره ز دریای بیکران  
 افشاند آبر فیض بر اطراف کن فکان  
 ناگه در آنمیانہ یکی موج زد محیط  
 هم قطره گشت غرقه وهم گون وهم مکان  
 در ساجت قدم نبود گون را اثر  
 در بحر قطره را نتوان یا فتن نشان  
 جمله یکی بود نبود از ذوئی اثر

توحید بی مشارکت آنجا شود عیان  
 فظهر ممّا ذکرناه انّ الخلق والأمر لا طریق لهما الاّ الیه تعالیٰ فهو الأوّل  
 والآخر وهو علی کلّ شیء قدير.

□ قوله ﷻ: نَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَبِّرُ بُرْهَانِهِ وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ...  
 ثمّ فَضَّلَ ﷻ ما يُحَمِّدُ اللّٰهَ عَلَيْهِ وَذَكَرَ مِنْهُ أَمْوَرًا أَرْبَعَةً:

احدها: عظیم احسانه وهو من تقدیم الصّفة علی الموصوف وهکذا بعده  
 والتّقدیر نحمده علی احسانه العظیم وبرهانه النّیر وفضله النّامی:

أما الأوّل: فهو إشارة الی قوله تعالیٰ: ﴿وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (۱)

و: ﴿وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> ولا شك ان فضله واحسانه الينا كثير واي احسان اعظم واشرف من ايجاده الخلق واعطائه النعم الظاهرة والباطنة: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾<sup>(٢)</sup> وقد ثبت ان الحمد هو الثناء على الجميل بل لا احسان الا احسانه اذ كل من يحسن الى غيره فهو اي المحسن والاحسان له تعالى.

وثانيها: قوله ﷺ: وَنَبِّرْ بُرْهَانِهِ، اي برهانه الظاهر وهو ظاهري وباطني فالأول الأنبياء والرسل والأوصياء والثاني العقل وبهذين البرهانين قد تمت الحجّة على عباده والبرهان الحجّة قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وانما يؤتي به الزاما للخصم.

واما عند الفلاسفة فهو على قسمين، لَمَيِّ وَأَتَمِّي، فان كان العلم من العلة بالمعلول فتسمى بالليّم وان كان العلم من المعلوم بالعلة عكس الأول فهو المسمى بالإن، فالأول كما يقال العالم مُتَغَيِّرٌ، وكلُّ مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ، يَنْتِجُ فَالْعَالَمُ حَادِثٌ، فَصَارَ التَّغْيِيرُ عِلَّةً لِلْحَدُوثِ فِي هَذَا الْقِيَاسِ وَإِنْ عَكَسْنَاهُ فَنَقُولُ: الْعَالَمُ حَادِثٌ وَكُلُّ حَادِثٍ مُتَغَيِّرٌ فَالْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ فَهُوَ بَرْهَانُ الْإِنِّ لَا أَنَا عَلِمْنَا التَّغْيِيرَ مِنَ الْحَدُوثِ وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ اللَّيْمَ أَشْرَفُ مِنَ الْإِنِّ قَالَ السَّبْرَوَارِيُّ فِي مَنْظُومَتِهِ:

بُرْهَانَنَا بِاللَّيْمِ وَالْإِنِّ قَسْمٌ      عِلْمٌ مِنَ الْعِلَّةِ بِالْمَعْلُولِ لِمِ  
وَعَكْسُهُ أَنْ وَلِمُ اسْبَقُ      إِذْ هُوَ بِاعْطَاءِ الْيَقِينِ أَوْثَقُ

اذا عرفت معنى البرهان واقسامه بحسب الاصطلاح فاعلم ان البرهان بهذا المعنى ايضا منه تعالى قد تمّ علينا وقد اشار اليه في كتابه بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>(٤)</sup>  
و: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> فهذا هو الإن حيث ان التفكير في الآيات



والأنفس دَعَانَا إِلَىٰ عِلَّتِهَا وَهِيَ الْوَاجِبُ وَهُوَ مِنَ الْعِلْمِ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالْعِلَّةِ وَمِنَ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١) وَهُوَ مِنَ الْعِلْمِ مِنَ الْعِلَّةِ بِالْمَعْلُومِ فَهَذَا هُوَ اللَّيْمُ:

وَكَيْفَ كَانَ فَلَا شَكَّ لَنَا وَلِكُلِّ عَاقِلٍ فِي وَجُودِهِ وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لَكُونَ الْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ عَلَىٰ اثْبَاتِ وَجُودِهِ قُوَّةَ نَبْرَةِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَىٰ عِبَادِهِ إِذْ بِالْبُرْهَانِ يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَىٰ مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ وَحَيْثُ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ أَشْرَفُ النِّعَمِ فَكَذَا مَا يُوَصِّلُ إِلَيْهَا فَيَجِبُ الْحَمْدُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَنَالَتْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «وَتَوَامِي فَضْلِهِ»، قَالُوا التَّوَامِي جَمْعُ نَامٍ بِمَعْنَى زَائِدٍ وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى نَحْمَدُهُ عَلَىٰ فَضْلِهِ وَاحْسَانِهِ الزَّائِدِ أَوْ نَحْمَدُهُ عَلَىٰ زِيَادَةِ فَضْلِهِ وَاحْسَانِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ فَضْلَهُ عَلَىٰ الْخَلْقِ كَثِيرٌ بَلْ هُوَ دَائِمُ الْفَضْلِ عَلَىٰ الْبَرِيَّةِ كَمَا وَرَدَ فِي الدَّعَاءِ يَادَائِمُ الْفَضْلُ عَلَىٰ الْبَرِيَّةِ يَا بَاسِطُ الْيَدَيْنِ بِالْعَطِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَقْضَيْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٤)

و: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٥) وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ.

وَرَابِعُهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «وَامْتَنَانَهُ أَيَّ نَحْمَدُهُ عَلَىٰ امْتِنَانِهِ، حَمَلَهُ الْخَوْثِيُّ ﷺ عَلَىٰ مَا امْتَنَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ بِاِقْتِضَاءِ رَبُّوبِيَّتِهِ وَحِفْظِ لِبَقَاءِ النَّوْعِ، وَالْأَحْسَنُ حَمَلَهُ عَلَىٰ مَا امْتَنَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْعِبَادِ مِنَ النِّعَمِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي لَا زَوَالَ لَهَا وَلَا دُثُورَ فِيهَا وَهِيَ الْكِمَالَاتُ النَّفْسَانِيَّةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِمُتَابَعَةِ الدِّينِ فَالدِّينُ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَهُوَ الَّذِي يَلِيقُ بِالْإِمْتِنَانِ لِأَنَّهُ يُوجِبُ كِمَالَ الرُّوحِ وَالنِّعَمِ الْمَادِيَّةِ تَوْجِبُ كِمَالَ الْجِسْمِ وَلَعَلَّهُ إِلَىٰ هَذِهِ الْجِهَةِ إِشَارَةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ  
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾  
 قوله ﷺ: حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءٌ وَلِشُكْرِهِ آدَاءٌ وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقْرَبًا وَلِحُسْنِ  
 مَزِيدِهِ مُوجِبًا...

اي نَحْمَدُهُ حَمْدًا فَقَوْلُهُ ﷺ حَمْدًا مَنْصُوبٌ عَلَى كَوْنِهِ مَفْعُولًا مُطْلَقًا لِقَوْلِهِ  
 نَحْمَدُ ثُمَّ أَنَّهُ لَمَّا لَا يُمْكِنُ لِلْعَبْدِ كَانِنًا مِنْ كَانَ حَمْدُهُ تَعَالَى كَمَا هُوَ أَهْلُهُ لِقَوْلِهِ  
 ﷺ: أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، وَثَانِيًا إِنَّ الْحَمْدَ عَلَى النِّعْمَةِ وَنِعْمَهُ تَعَالَى كَثِيرَةٌ  
 لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ ضَبْطُهَا وَاحْصَائُهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا  
 تَحْصُوهَا﴾ (٢) وَثَالِثًا إِنَّ الْحَمْدَ الْكَامِلَ اللَّائِقَ بِشَانَ الْمَحْمُودِ لَا يَتَّحَقُّ إِلَّا بَعْدَ  
 مَعْرِفَتِهِ كَذَلِكَ وَقَدْ ثَبِتَ عَدَمُ امْكَانِ مَعْرِفَتِهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ لِغَيْرِ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ  
 لِإِسْتِحَالَةِ احْطَاةِ الْمُتَنَاهِي بِغَيْرِ الْمُتَنَاهِي وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةِ  
 فَكَمَالِ الْحَمْدِ لِلْعَبْدِ هُوَ أَقْرَارُهُ بِالْعَجْزِ عَنْهُ فَقَالَ ﷺ: حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءٌ  
 وَلِشُكْرِهِ آدَاءٌ الخ مَا قَالَ فَوَصَّفَ ﷺ حَمْدَهُ بِأَوْصَافٍ أَرْبَعَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ لِحَقِّهِ تَعَالَى قَضَاءً، وَحَيْثُ أَنْ حَقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ  
 كَثِيرَةٌ لَا يُمْكِنُ احْصَائُهَا فَحَمْدُهُ كَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ الْإِتْيَانُ بِهِ بِاللَّفْظِ وَالْعَمَلِ  
 فَالْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ بِمَا قَالَ ﷺ كَمَا وَرَدَ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ فَكَانَهُ ﷺ قَالَ  
 أَحْمَدُكَ حَمْدًا يَكُونُ كَذَلِكَ أَي لَاتِقَابِكَ.

وَثَانِيهَا قَوْلُهُ ﷺ: وَلِشُكْرِهِ آدَاءٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٣) وَقَدْ  
 ثَبِتَ أَنَّ الشُّكْرَ لِلْمُنْعِمِ وَاجِبٌ عَقْلًا إِلَّا أَنْ شَكَرَهُ تَعَالَى عَلَى وَجْهِهِ أَيْضًا لَا  
 يُمْكِنُ لِلْمَخْلُوقِ فَقَالَ ﷺ: وَلِشُكْرِهِ آدَاءٌ لِشُكْرِهِ آدَاءً، وَأَمَّا قَالَ فِي الْحَمْدِ  
 قَضَاءٌ وَفِي الشُّكْرِ آدَاءٌ لِنُكْتَةِ وَهِيَ تَظْهَرُ عَلَيْكَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ فَإِنَّ  
 الْحَمْدَ لِلَّهِ تَعَالَى الثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِالْفَضِيلَةِ وَالشُّكْرَ لَا يُقَالُ إِلَّا فِي مَقَابِلَةِ نِعْمَةٍ فَكُلُّ

شكراً حمدٌ وليس كلُّ حمدٍ شكراً إذا عرفت هذا فنقول:

لَمَّا كَانَ مُتَعَلِّقَ الْحَمْدِ مَطْلُقَ الْفَضِيلَةِ نِعْمَةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا وَنَعْنِي بِالنِّعْمَةِ مَا يَسْرِي إِلَى الْغَيْرِ وَبِغَيْرِهَا غَيْرُهُ فَلَا مَحَالَةَ الْحَمْدِ لِلَّهِ تَعَالَى يَكُونُ قَضَاءً لِحَقِّهِ لِإِحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِغَيْرِ النِّعْمَةِ الْمُسْرِيَةِ إِلَى الْعَبْدِ وَهَذَا بِخِلَافِ الشُّكْرِ فَإِنَّهُ لِلنِّعْمَةِ فَقَطْ فَهُوَ آدَاءٌ لِحَقِّهِ تَعَالَى وَلِذَلِكَ أَمَرْنَا بِالشُّكْرِ وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ (١)

و: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (٢)

و: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ (٣) وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ.

وَلَمْ يَأْمُرْنَا بِالْحَمْدِ صَرِيحًا فَلَمْ يَقُلْ أَحْمَدُوا لِي مِثْلًا وَعَلَيْهِ فَالشُّكْرُ كَالْفَرِيضَةِ الْوَاجِبَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِهَا فَكَمَا أَنَّ الْإِتْيَانَ بِهَا وَاجِبٌ عَلَى الْمُكَلَّفِ وَيُعْتَبَرُ عَنْهُ بِالْآدَاءِ إِذَا وَقَعَ فِي وَقْتِهِ فَكَذَلِكَ الشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ إِذَا وَقَعَ فِي وَقْتِهِ آدَاءٌ لَهُ فَافْهَمِ وَالشُّكْرُ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ، شُكْرُ الْقَلْبِ وَهُوَ تَصُورُ النِّعْمَةِ وَتَوَجُّهُ الْقَلْبِ إِلَى الْمُنْعِمِ، وَشُكْرُ اللِّسَانِ وَهُوَ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُنْعِمِ، وَشُكْرُ الْجَوَارِحِ وَهُوَ مُكَافَاةُ النِّعْمَةِ بِقَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى صَرَفَ الْعَبْدُ جَمِيعَ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ شَاكِرًا بِجَمِيعِ الْأَقْسَامِ فَهُوَ شَاكِرٌ كَامِلًا:

وَتَالِثُهَا قَوْلُهُ ﷺ: وَاللِّي ثَوَابِهِ مُقْرَبًا، أَي أَحْمَدُهُ حَمْدًا كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَيَّدَ حَمْدَهُ بِهِ لِأَنَّ كُلَّ حَمْدٍ لَا يَكُونُ مُقْرَبًا إِلَى ثَوَابِهِ تَعَالَى وَهُوَ ظَاهِرٌ فَإِنَّ الْمُنَافِقَ أَيْضًا يَقُولُ الْحَمْدَ لِلَّهِ بَلِ الَّذِي يُقْرَبُ إِلَى ثَوَابِهِ هُوَ الْحَمْدُ الَّذِي صَدَرَ عَنْ حَامِدِهِ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ بِمَعْنَى أَنَّ الْحَامِدَ يَحْمَدُهُ لِكَوْنِهِ أَهْلًا لَهُ وَكَمَا لَهُ بَأَن يَتَّحَقَّقَ مِنْهُ الْحَمْدُ الْقَوْلِيُّ وَالْقَلْبِيُّ وَاللِّسَانِيُّ وَالْحَالِيُّ:

ورابعها قوله ﷺ: وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً، اي حَمداً يَكُونُ لِحُسْنِ مَزِيدِ  
الْحَمْدِ مُوجِباً، وتوضيحه انَّ الْحَمْدَ حَسَنٌ فِي نَفْسِهِ اِلَّا اَنَّ الْحُسْنَ يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ  
وَالنَّقْصَانَ لِكَوْنِهِ مَقُولاً بِالتَّشْكِيكِ فَالْحَمْدُ الْجَامِعُ الْكَامِلُ مَا يَكُونُ مُوجِباً  
لِحُسْنِ مَزِيدِهِ اي مَزِيدِ الْحَمْدِ ثَانِياً وَثَالِثاً وَرَابِعاً وَهَكَذَا:

ويمكن ان يكون مَرَجِعُ الضَّمِيرِ الثَّوَابِ وَالْمَعْنَى حَمداً يَكُونُ لِحُسْنِ مَزِيدِ  
الثَّوَابِ مُوجِباً وَكِلَاهُمَا لَا بَاسَ بِهِ بَلِ الْمَالُ فِيهِمَا وَاحِدٌ فَانَّ مَزِيدَ الْحَمْدِ  
يُوجِبُ مَزِيدَ الثَّوَابِ قَطْعاً:

□ قوله ﷺ: وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ مُعْتَرِفٍ لَهُ  
بِالطُّوْلِ مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ...

بعد الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ تَعَالَى قَالَ وَنَسْتَعِينُ بِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْتِعَانَةَ بَعْدَ  
الْحَمْدِ وَهُوَ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالسَّرْفِ فِيهِ هُوَ اِنَّ الْإِسْتِعَانَةَ طَلِبَ الْإِعَانَةِ وَالطَّلَبُ بَعْدَ  
مَعْرِفَةِ الْوَصْفِ لِلْمُسْتَعَانَ بِهِ فَهُوَ بِوُجُودِ الْوَصْفِ وَمَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِهِ يَسْتَحِقُّ  
الْحَمْدَ ثُمَّ تَصِلُ التَّوْبَةُ بَعْدَهُ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ مِنْهُ ثُمَّ اِنَّ الْإِسْتِعَانَةَ تُتَّصِرُ عَلَى  
قِسْمَيْنِ، صُورِيَّةً - وَحَقِيقِيَّةً:

فَالْإِسْتِعَانَةُ الصُّورِيَّةُ هِيَ الَّتِي لَا تَتَجَاوَزُ عَنْ قَوَالِبِ الْأَلْفَاظِ وَلَا تَسْرِي إِلَى  
الْقَلْبِ وَالْعَمَلِ أَصْلاً وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي يَقُولُهَا الْجَمْهُورُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِمْ حَتَّى فِي  
صَلَوَاتِهِمْ وَاذْكَارِهِمْ وَهَذِهِ الْإِسْتِعَانَةُ لِكَوْنِهَا مَحْدُودَةٌ بِاللَّفْظِ فَقَطْ لَا آثَرَ لَهَا  
كَغَيْرِهَا مِنَ الْأَذْكَارِ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ.

وَأَمَّا الْحَقِيقِيَّةُ مِنْهَا، فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِسْتِمْدَادِ وَطَلِبِ الْإِعَانَةِ مِنَ الرَّبِّ قَلْباً  
وَلَفْظاً وَعَمَلًا بِمَعْنَى أَنَّهُ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَنِ قَلْبِهِ وَيَتَّبِعُهُ الْعَمَلُ وَاللَّفْظُ كَأَشْفَقَ عَمَّا  
فِي الْقَلْبِ وَهَذِهِ الْإِسْتِعَانَةُ لَهَا شُرُوطٌ لَوْ لَمْ تَتَّحَقَّقْ لَيْسَتْ الْإِسْتِعَانَةُ عَلَى  
وَجْهِهَا:

مِنْهَا - التَّخْلِيةُ، اعْنِي تَخْلِيةَ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَتَّحَقَّقَ التَّوَجُّهُ إِلَيْهِ

فَقَطْ.

ومنها - التَّحْلِيَّةُ، اي تَحْلِي الْقَلْبِ بالمعرفة به وانه قادر على كل شيء ولا مؤثر في الوجود الا هو اذ لو لم يَقْطَعْ بكونه مؤثرا وحده لا تكون الاستعانة به تعالى.

ومنها - الْخُضُوعُ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى فَقْرِهِ الذَّاتِي وانه تعالى هو الغني بالذات.

ومنها - الْإِحْتِيَاجُ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِهِ اذ لو لم يَرِ نَفْسَهُ مُحْتَاجَةً إِلَى الْإِسْتِمْدَادِ فلا معنى للإستعانة.

ومنها - الْفَنَاءُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَنْ اِزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِهِ فَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ اذ اذ عرفت هذا فنقول ما ذكره عليه السلام في المقام ليس من شروط تحقق الإستعانة الْحَقِيقَتَهُ بَلْ هُوَ مِنْ أَوْصَافِ كِمَالِهَا فَالشُّرُوطُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَبَعْدَ تَحَقُّقِ الشُّرُوطِ فَالْإِسْتِعَانَةُ لَهَا أَوْصَافٌ.

احدها: ان يكون المُسْتَعِينُ رَاجِيًا لِفَضْلِهِ وَاحْسَانَهُ تَعَالَى اذ لو لم يكن راجيا فَمِمَّنْ يَسْتَعِينُ وَالِى هَذَا الْمَعْنَى اِشَارَ عليه السلام بِقَوْلِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ.

وثانيها: ان يكون المُسْتَعِينُ مُؤَمِّلًا لِنَفْعِهِ اَي لِنَفْعِ الرَّبِّ اَوْ لِنَفْعِ الْإِسْتِعَانَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُؤَمِّلًا لَهُ فَلِمَ يَسْتَعِينُ بِهِ.

وثالثها: ان يكون المُسْتَعِينُ وَاثِقًا مُطْمَئِنًّا بِدَفْعِهِ الْمَضَارَّ عَنِ الْمُسْتَعِينِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ وَاثِقًا بِهِ فَالْإِسْتِعَانَةُ بِهِ لَا مَعْنَى لَهَا وَالْمَفْرُوضُ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ وَلِهَذَا قَالَ عليه السلام: وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ.

ورابعها: ان يكون مُعْتَرِفًا لَهُ تَعَالَى بِالْفَضْلِ اذ لولا اعترافه به ومع ذلك يَسْتَعِينُ بِهِ فَهُوَ لَعَوٌّ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَاليه اِشَارَ بِقَوْلِهِ عليه السلام: مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطُّوْلِ.

وخامسها: ان يكون مُعْتَقِدًا مَذْعِنًا لَهُ تَعَالَى بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ اَي يَقُولُ وَيَعْمَلُ وَالْأَيْكَونُ مُنَافِقًا وَالِى هَذَا الْمَعْنَى اِشَارَ عليه السلام بِقَوْلِهِ مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ.

فالإستعانة اذا كانت مُتَّصِفَةً بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ تَكُونُ كَامِلَةً لَا تَقْصُ فِيهَا فَتَوْثُرُ

اثرًا حَقِيقِيًّا.

□ قوله ﷺ: وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِّنْ رَّجَاءٍ مُّوقِنًا وَأَنَابٍ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا وَخَنَعَ لَهُ مُدْعِنًا  
وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا وَلَا ذِيهَ رَاغِبًا مُّجْتَهِدًا...

الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان الآ ان الإيمان  
ايضا له مراتب ودرجات تتفاوت بتفاوت الأشخاص من حيث الإستعداد  
والمعرفة وقد ورد في بعض الأخبار ان مراتبه عشرة وكيف كان فالكامل من  
الإيمان له اوصاف اشار ﷺ اليها:

احدها: ان يكون المؤمن راجيا موقنا اي لا يكون في ايمانه مضطربا متزلزلاً  
كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾<sup>(١)</sup>  
و: ﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ يُفْضِلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤَقِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
و: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> واليه اشار ﷺ بقوله من  
رَّجَاهُ مُؤْمِنًا:

وثانيها: ان يرجع الى الله تعالى في جميع شئونه ولا يغفل عنه مؤمنا  
والإنابة الرجوع الى الحق والتوبة هي الرجوع عن المخالفة الى الموافقة، وانما  
قال ﷺ واناب ولم يقل وتاب لأن المؤمن الموقن لا يخالف الله ليحتاج الى  
الرجوع عن المخالفة الى الموافقة بل يرجع اليه في جميع حالاته فالتوبة  
بالنسبة الى العاصين والإنابة للمطيعين قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ  
وَاسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾<sup>(٥)</sup>  
و: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾<sup>(٦)</sup>  
و: ﴿رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٧)</sup> وغيرها من الآيات والى  
هذا اشار ﷺ بقوله واناب اليه مؤمنا، وقوله مؤمنا اشعار بان الإنابة بدون

الإيمان لا نفع فيها والإنابة ثلاثة أشياء:

أحدها، الرجوع إلى الحق أصلاً كما رجع إليه اعتذاراً،

وثانيها، الرجوع إليه وفاءً كما رجع إليه عهداً،

وثالثها، الرجوع إليه حالاً كما رجع إليه اجابةً، ولتفصيله مقام آخر.

وثالثها: ان يكون المؤمن خاضعاً لرؤيته ذليلاً لعظمته معتقداً مُدْعِناً بذلك فإن العبد ما لم يُدْعِن بحقارته وذلته ولم يكسر جبلاً انيته في جنب الله تعالى لا يكون مؤمناً به واقعاً واليه الإشارة بقوله ﷺ: وَخَضَعَ لَهُ مُدْعِناً.

ورابعها: ان يكون مُخلصاً في إيمانه مؤحداً إياه اذ لو لم يكن مؤحداً يكون مُشركاً لا مُحالاً والمُشرك كيف يتحقق الإيمان منه مُخلصاً فالإيمان الخالص مُساوٍ للتوحيد الخالص واليه الإشارة بقوله واخْلِصْ لَهُ مُؤْحِداً فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ فِرْعَ التَّوْحِيدِ وَلَا زِمَ لَهُ:

وخامسها: ان يكون المؤمن مُعظماً مُمجداً له تعالى وهو لا يكون إلا بتحقيقه نفسه ولازم ذلك التواضع فإنه من لوازم الإيمان واليه اشار ﷺ بقوله وَعَظَّمَهُ مُمَّجِداً.

وسادسها: ان يكون المؤمن لا إذا به تعالى راغباً إليه مُجداً مُجتهداً فيه وذلك لأن المؤمن الذي آمن بالله قلباً وقرَّ به لساناً لا مُحالاً يكون لا إذا به تعالى والآ لا يكون مؤمناً حقاً وبعبارة أخرى معنى الإيمان الحقيقي بالله هو أنه لا مؤثر في الوجود الآ هو وحده لا شريك له وهذا هو معنى كلامه حيث قال ولاذ به وإنما قيده بالرغبة والاجتهاد اذ لولا الرغبة ثم بعدها الاجتهاد في حفظها لا يدوم الإلتجاء بل يزول بسرعة وهو واضح.

□ قوله ﷺ: لَمْ يُؤَلِّدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَنَّ فِي الْعِزِّ مُشَارِكاً وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَنَّ مَوْزُوثاً هَالِكاً...

قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١)

و: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ» (١)

و: «مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ» (٢)

وقد ثبت في العلوم العقلية ان الله تعالى لم يلد ولم يولد وفي المقام تُشير الى بعض ما لا بد منه فنقول اما انه لم يولد لانه لو وُلد فلا محالة وُلد من غيره فله أمّ وأبّ ولازم ذلك ان يكون الوالد له شريك في العزّ والملك لجريان العزّة بكون والد العزيز عزيزا غالبا، هذا ما ذكروه في المقام في شرح قوله ﷺ: لَمْ يُوَلَدْ فَيَكُونُ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا وَأَمَّا أَنَّهُ لَمْ يَلِدْ لِأَنَّهُ لَوْ يَلِدْ لَكَانَ فَانِيَا يَبْقَى نَوْعُهُ فِي اشخاص اولاده فيكون موروثا هالكا وهذا ما ذكروه في شرح الجملة الثانية.

وانا اقول: في كلامه ﷺ نكتة عقلية غير ما فهمه القوم من ظاهر اللفظ اما قوله ﷺ: فَيَكُونُ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا فمعناه انه تعالى اذا وُلد من غيره فلا يخلو الحال في ذلك الغير اما ان يكون واجب الوجود والصفات كما هو شان المعبود الواقعي او لا يكون فعلى الأول يلزم الشراكة في الألوهية وله بوجوب الذاتي وعليه فعزّة الألوهية مشتركة بين الأب والابن وقد ثبت نفي الشريك له تعالى وعلى الثاني يلزم ان يكون الوالد مُمتنعا او مُمكنا، وليس مُمتنعا اذ المُمتنع لا يكون علة لوجود الشيء فلا محالة يكون مُمكنا ولا يعقل تولد الواجب من المُمكن فان المُمكن بالواجب يخرج عن حدّ الإستواء فكيف يكون علة لوجوده هذا أولا:

وثانيا: كل مولود فهو مسبوق بالعدم وكل مسبوق بالعدم مُمكن فكل مولود مُمكن والمفروض وجوبه،

وثالثا: كل مولود يحتاج الى من يولد منه وكل محتاج مُمكن فهو مُمكن وهذين الأخيرين قد اضمناهما الى الأول تايدا له، والحاصل ان معنى قوله فيكون في العزّ مشاركا ليس معناه ما ذكروه من ان والد العزيز عزيزا غالبا بل معناه ما ذكرناه من العزّة اعني وجوب وجوده تُصير مُشتركة بينهما لإستحالة



ان يكون والده غير واجب الوجود واذا كان كذلك فالعزّ يكون مُشتركا وهو محال كما ذكرناه في شبهة ابن كمونة ورَدّها وقد ذكرنا هناك في جوابها ان الشّيئين ان كانا مُتحدّين بتمام الجهات ذاتا وصفة فليسا بشيئين واقعا لأنّ الأثنيّة تُوجب التّغاير والآ لا تتحقّق.

وان كانا مُتضادّين فكيف يعقل انتزاع مفهوم واحد اعني وجوب الوجود عن المتغايرين بما هما متغايران ذاتا وصفة وهو محال وعليه، ففي المقام نقول لو كان للواجب اب مثلاً وامّ والجامع من يُولد منه فان كان مُغايرا لولده ذاتا وصفة فلا محالة وجوب الوجود لا يصدق عليهما معا بل يصدق على احدهما فالآخر ليس بواجب الوجود وان كان مُتحدّاه بحيث يصدق وجوب الوجود عليهما فالعزّ مُشترك بينهما وحينئذ يعود المَحذُور الذي ذكرناه فننتج انه لا يكون في العزّ مشاركا له فلم يُولد وهو المطلوب:

وامّا الجملة الثانية اعني قوله ولم يلد فاستدلّ على نفيه بكونه مَوْرُوثا هالكا، ففيه ايضا نكتة دقيقة عقلية غير ما ذكروه من ان العادة جرت في موت الوالد قبل الولد ووراثه الولد عنه اذ لقائل ان يقول بحثنا في واجب الوجود وهذه العادة التي تقولون بها في عالم المادّة والطبيعة لا تجري هناك اصلاً ثم اي مانع من ان يكون الواجب مولودا لغيره ومع ذلك لا يموت اصلاً فلا يكون مَوْرُوثاً ولا هالكا وبعبارة اخرى كما انه خلق غيره ولم يمُت ولا يموت كذلك فيما نحن فيه فالحق في تفسير العبارة ان نقول لو يلد فالمولود اما ان يكون واجبا او مُمكنا او مُمتنعاً، لا سبيل الى الثالث لأنّ المفروض وجود المولود ولا يمكن الثاني ايضا لأنّ المُمكن لا يُولد من الواجب وذلك من جهة ان الواجب لا يتطرق اليه العدم اصلاً والمُمكن وجوده وعدمه سيان فانه من شأنه ان يكون ليسا ومن علته ان يكون آيسا وكيف يعقل ان يلد الواجب هذا المولود فلا محالة يبقى لنا الشقّ الأوّل وهو ان يكون المولود ايضا واجبا بالوراثة عن والده فالمولود هو الوارث والوالد هو المورث والإرث هنا مفهوم الوجوب وكونه

مصداقاً له لا غيره واذا كان كذلك اي كان الوالد مُورثاً ولده ما ذكرناه اعني الوجوب فيكون المورث الوالد هالكا ضرورة ان الوجوب لا يصدق على المتغيرين بالذات فيلزم قلب الوجوب بالإمكان وهو الهلاك واما قول بعض المحققين في تفسير سورة الإخلاص في تفسير لم يلد، لأنه لم يجانس ولا يفتقر الى ما يعنيه او يخلف عنه لإمتناع الحاجة والفناء عليه فليس بشيء، نعم لو قلنا بان من يلد او يولد فهو جسم اذ التوليد والتولد من شأن الأجسام وحيث انه ليس بجسم فهو مُنزّه عنهما فلا باس به فان الجسمية تُسارق الإمكان وهو الهلاك فيكون هالكا وما ذكرناه ادق واتقن .

□ قوله **عَلَيْهِ**: وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ...

اي كما انه لم يلد ولم يولد كذلك لم يتقدمه زمان ولا وقت ولم يتعاوره اي لم يتناوب عليه زيادة ولا نقصان فالبحت في مقامين:

**احدهما:** عدم تقدم الوقت والزمان عليه وقيل في الفرق بينهما ان الوقت عبارة عن نهاية الزمان المفروض للعمل وعليه فالفرق بالإطلاق والتقييد او العام والخاص فعلى الأول الوقت عبارة عن الزمان المقيّد وعلى الثاني عن الزمان الخاص وكيف كان لم يتقدم عليه تعالى وقت ولا زمان:

اما الوقت فلاّنه نهاية الزمان المفروض وحيث قد ثبت عدم كونه في الزمان فليس في الوقت ايضا والأصل فيه ان الزمان بمعناه العام الشامل للوقت انما يحصل بوجوده الوهمي عن حركة الأفلاك وحركة الأفلاك مؤخره عن نفي وجود الفلك وهو مؤخر عن وجود العقل وهو مؤخر عن وجود خالقه وعليه فوجود الحق مُقدّم على وجود الزمان بمراحل كثيرة فلو فرضنا تقدم الزمان عليه تعالى يلزم تقدم الزمان على نفسه بمراحل كثيرة وهو محال هذا أولاً:

**وثانيا:** ان لازم تقدم الزمان عليه ان يكون في الزمان وكل موجود فيه فهو زماني وكل زمان وزماني حادث فهو حادث وقد فرضناه قديماً.

**وثالثاً:** لو كان في الزمان فهو محتاج اليه كما هو الشأن في كل زماني، وكل

فتاوح السعادة شرح نوع البلاوة

محتاج مُمكن فهو مُمكن والمفروض أنه واجب.

ورابعا: لو كان فيه يلزم ان يكون له أوّل وكلّ ماله أوّل يكون له آخر وكلّ ماله أوّل وآخر فهو مَحْدُودٌ بَيْنَ الْمَبْدِءِ وَالْمُنْتَهَى وَكُلٌّ مَحْدُودٌ غَيْرُ مُتْنَاهٍ وَقَدْ فَرَضْنَاهُ غَيْرَ مُتْنَاهٍ وَهُوَ خَلْفٌ.

وخامسا: لو كان له أوّل فهو مَسْبُوقٌ بِالْعَدَمِ وَكُلٌّ مَسْبُوقٌ بِهِ حَادِثٌ زَمَانِي وَقَدْ فَرَضْنَاهُ وَاجِبًا.

وثانيهما - عدم توارد الزيادة والنقصان عليه والدليل عليه من وجوه:

احدها: انّ الزيادة والنقصان ان كانا بحسب الكميّة يلزم ان يكون الواجب جسما وكلّ جسم مُمكن وان كانا بحسب الكيفيّة يلزم ان يكون محلّا لتوارد الأعراض عليه والأعرض حادثٌ ومحلّ الحادث ايضاً حادثٌ فهو حادثٌ والمفروض انه قديم هذا أوّلاً:

وثانيا: يلزم ضعفه تارةً وقوّته اخرى اذ النقصان هو الضعف والزيادة قوّة بالنسبة اليه فيلزم ان يكون ضعيفا في وقت وقويا في آخر والضعف والقوّة من لوازم الحدوث.

□ قوله عليه السلام: بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ...

كلمة (بل) للإستدراك والمعنى بل ظهر الواجب للعقول ظهورا كشفيا عقليا بما ارانا من علامات تدبيره المحكم المتقن والقضاء المبرم الذي لا مرّد له فهذان الأمران دليلان على ظهوره عند العقل السليم عن شوائب الأوهام. اما الأول اعني علامات التدبير المتقن فالمراد بها خلقه العالم على احسن النظام وابلغ المرام وهو يدل على وجود خالقه وصانعه أوّلاً وعلى تدبيره وعلمه بالمصالح ثانيا بالبرهان الإنّ.

وتوضيحه اجمالاً هو انّ العالم بشرائره مخلوقٌ مصنوعٌ لخالقه وصانعه ونحن اذا تأملنا في الموجودات بحسب علمنا وقدرتنا على الإدراك نجدها

على احسن الترتيب وابلغ النظام بحيث لا يوجد فيها نقص من جهة الخلقة وترتيب النظم وهذا امرٌ اتفق الكل عليه والعقل يحكم بدلالة وجود المصنوع على وجود الصانع واتقانه واستحكامه على تدبير الصانع وعلمه وحكمته وهذا مما يحكم به العقل في جميع الموارد الا ترى انا اذا راينا بناءً عاليًا مُشيدًا مُنظماً نَحْكُمُ بكمال صانعه وبانيه وبالعكس وعليه فهذا النظام يدل على نظام خالقه وهو المطلوب هذا في المحسوسات.

واما في الأمور العقلية المعنوية فالامر ايضا كذلك وذلك لاننا نرى انا كثيرا ما نريد شيئا ونسعى في الوصول اليه سعيًا بالغا ومع ذلك لا نصل اليه وربما لا نريد شيئا اصلاً ونصل اليه وهو دليل على ان الامر بيد غيرنا وانه هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وليس ذلك الا لقضائه الذي لا نقص فيه اصلاً كما قال ﷻ في بعض كلماته: عرفتُ الله بفسخ العزائم ونقض الهِمَم فلو اجتمعت الجن والإنس على تغيير قضائه لا تقدرُون عليه كما قيل:

ازِمَةُ الْأُمُور طَرًا بِيَدِهِ وَالْكَوْلُ مَسْتَمِدَّةٌ مِنْ مَدَدِهِ

فهذا النظام في الموجودات الخارجية والقضاء المبرم الثابت في المقدرات دليلان على وجوده وظهوره عند العقل واما غير العاقل فلا يقول به لقوله تعالى: ﴿وَكَايِنٌ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤)

و: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٥)

وفي القضاء قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (٦)

و: ﴿وَقَضَى الْأَمْرَ وَاللَّيْلَ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>(١)</sup> وقد مرَّ الكلام فيه سابقاً.  
 □ قوله ﷺ: فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوْطَدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ قَائِمَاتٍ بِلَا  
 سَنَدٍ...

أشار ﷺ إلى بعض شواهد خلقه الدال على عظيم صنعه ولطيف قدرته  
 وذكر منه السموات التي موطدات بلا عمد وقائمات بلا سند، وقوله موطدات،  
 اسم مفعول من وَطَّدَ يُوْطِدُ نحو صَرَفَ يُصْرِفُ يقال وَطَّدَهُ فَتَوَطَّدَ أَي ثَبَّتَهُ  
 فَثَبَّتَ وَالتَّوْطِيدُ التَّثْبِيتُ والمعنى أن السموات ثابتات بلا عمد، والعمد جمع  
 عماد وهو ما يسند به وما يعتمد عليه والعمود وهو ما يقوم عليه الشيء كالبيت  
 مثلاً أيضاً يجمع على عَمَدٍ واعمدة وعليه فقوله ﷺ: بلا عمد أي بلا عمود ولا  
 عماد والمأل واحد.

ثم أن كلامه ﷺ هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ  
 تَرَوْنَهَا﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾<sup>(٣)</sup> وقد مرَّ الكلام في بيان السموات  
 وكيفيتها وخلقها في الخطبة الأولى فلا نطيل الكلام بذكرها ثانياً.

وأما قوله ﷺ: قائمات بلا سند معناه أن السموات قائمات من غير أن تسند  
 قيامها إلى شيء تعتمد عليه لا أنها قائمات بنفسها من غير اسناد قيامها إلى  
 خالقها فإنها من هذه الجهة لها سند إذ لا موجود في دار الوجود ليس له سند  
 يسند إليه إلا الله تعالى وفي كلامه ﷺ اشعار بأن السموات معلقة في الجوّ  
 خلافاً لما عليه القدماء من أهل الهيئة وهو كذلك على آراء المعاصرين.

□ قوله ﷺ: دَعَاهُنَّ فَاجِبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِنَاتٍ...  
 والضّمير في قوله ﷺ: دَعَاهُنَّ يَرْجَعُ إلى السموات والمعنى أن الله تعالى  
 دعى السموات فاجبن حال كونها طائعات غير مُتَمَرِّدَاتٍ، مُذْعِنَاتٍ بالإذعان

التكويني غير مُتلكئات ولا مُتوقفات فيه ولا مُبطنات في الإجابة بل مُسرعات فيها كل ذلك بحسب الأمر التكويني الذي لا عصيان فيه فأنه تعالى اذا اراد فقال كُن فيكون، فالدعوة كانت بالأمر التكويني والى هذا المعنى اشير في القرآن بقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١)

□ قوله ﷻ: وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرَّبُّوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَّةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكناً لِمَلَائِكَتِهِ وَلَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ... اي ولولا اقرار السموات له تعالى بالربوبية وأنه تعالى رب لها واعتقادهن له بالطواعية اي الإطاعة والإنقياد لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكناً لِمَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ مِنْ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَلَا مَصْعَداً أَي مَحَلّاً لَصُعُودِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ فَهَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ تَكْشِفُ عَنْ كَوْنِ السَّمَوَاتِ لَهَا شَرَفٌ عَظِيمٌ وَهُوَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ اعني الإذعان بالإطاعة والإقرار بالربوبية وهو المطلوب.

ثم ان ههنا كلام لا بد من ذكره وهو ان قوله ﷻ لولا اقرار السموات بالربوبية وقوله واعتقادهن له بالطواعية لما كان كذا وكذا يدل بل يصرح باقرار السموات بالربوبية واعتقادهن بالطاعة فما معنى الإقرار والاعتقاد لهن في المقام وقد ثبت ان الإقرار لا يكون الا باللسان والاعتقاد بالقلب والسموات ليس لهن لسان ولا قلب هذا اولاً:

وثانياً: ان الإقرار والاعتقاد بالربوبية والطاعة ان كانا غير مسبوقين بالإرادة فلا اثر لهما وان كانا مسبوقين بها فيلزم ان تكون لهما ارادة وهو خلاف المشهور.

وثالثاً: ان كانت الإرادة مسبوقة بالمبادئ الأربعة الاختيارية فيلزم ان تكون السماء فاعلاً بالاختيار.

وان لم تكن فما معنى الإرادة في المقام وهذه الإشكالات ونظائرها هي

التي اوقعتهم في المحاذير في شرح كلماته ﷺ ولم يقدرُوا على حلها فقالوا في شروحوهم ما قالوا ولعلهم ظنوا انهم وصلوا الى المعنى المقصود ولم يعلموا ان الإشكالات باقية بحالها وما ذكروه وتفقهوه لا ربط له بما نحن بصدده واتي اظن بل اقطع ان المقام من اصعب المقامات ولا يمكن التخلص منه الا بالهام من الله وذلك لأن كلامه ﷺ هذا بظاهره على خلاف الحس والعقل اذ الحس لا يساعده والأدلة العقلية تنفيه اما الشارح المعتزلي فقد حمل الكلام على المجاز وهذا اعني حمل الكلام على المجاز اسهل طريق الى الخلاص عن حل المعضل وادل دليل على قلة فهم الحامل ولو قال لا اعلم تفسير الكلام فهو احسن من حمل الكلام على المجاز بلا قرينة مصححة له ومجرد القول بان الجماد لا يدعى، لا يعد قرينة عليه فان جمادية السموات اول الكلام، والتمسك بالأشعار والحكايات الخرافية التي لا اصل لها لا يفي بالمراد في باب التحقيق ولا شك انه ليس من اهله.

واما الخوئي رحمه الله فهو لم يات في شرحه لهذه الكلمات بشئ يعتمد عليه بل قنع في حل الإشكال بما نقله عن المحقق البحراني رحمه الله في المقام والمحقق ايضا لم يات بشئ بل هو فر من الإشكال فرارا وقال في المقام مقالا ولم يقل بالعجز عن حلها مع انه لو اقر به لكان احسن له ومُلخص البحث ان كلامه ﷺ قد بقي خاليا عن الشرح والتفسير فيما بايدينا من الشروح ونحن نقل عنه ما ذكره في شرحه بعين الفاظه وعباراته كما نقله الخوئي ايضا لتعلم صدق ما ادعيناه.

قال البحراني رحمه الله قوله ﷺ: ولولا اقراره ان قول الله والعمَل الصالح من خلقه كلام حق فان الإقرار بالرؤية راجع الى شهادة لسان الحال في الممكن بالحاجة الى الرب والانقياد لحكم قدرته والظاهر انه لولا امكانها وانفصالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن اهلا لقبول تدبير احوال الملائكة وسكنائها ولم تكن قابلة لصعود الملائكة بالكلم الطيب والأعمال

الصّالحة لِلخَلق وقد سبقت الإِشارة إلى بيان الصّعود بالأعمال وغيرها في  
الخطبة الأولى بحسب الأمكان وَلَفْظُهُ الدّعاء والإقرار والإذعان مُستعارة  
ويحتمل ان يكون حقائق نظرا إلى ان لها ارواحا مُدبرة عاقلة انتهت كلامه رُفع  
مقامه.

### والإشكال عليه من وجوه:

أحدها: انّ البحث ليس في الإقرار فقط بل هو والإعتقاد والإذعان ونسبة  
الإذعان إلى السّموات اشكل من نسبة الإقرار لأنّ الإقرار بلسان الحال له وجه  
وأما الإذعان بقلب الحال فلم يقل به احد وهو ﷺ لم يقل في الإذعان شيئا:

وثانيها: انّ الكلام ليس في الإمكان والإنفعال عن قدرته وتُدبيره بل الكلام  
في الإقرار والإذعان وتصورهما في حقّ السّموات قوله لم يكن فيها عرش  
ولم يكن اهلا إلى آخر ما قال ففيه انّ كون السّموات موضعا للعرش ومَسكنا  
للملائكة ومَصعدا للكلم الطيب ليس لأجل امكانهنّ وانفعالهنّ بل لأجل  
الإقرار بالربوبية والإذعان بالطاعة والكلام في كَيْفِيَةِ الإقرار والإذعان فما ذكره  
خارج عن حريم النّزاع وهكذا الكلام في قوله وقد سبقت الإِشارة إلى بيان  
الصّعود بالأعمال الخ فأنه ايضا خارج عن البحث.

وثالثها: انّ قوله، لَفْظُ الدّعاء والإقرار والإذعان مُستعارة، فيقال هذا هو  
المُدعى وعليكم بالدليل وغير ذلك من الإشكالات الواردة عليه وعلى غيره  
وكيف كان فالذي يَخْتلج بالبال في حلّ الإشكال او الإشكالات وجوه كلّها  
مُحتمل لا نقطع بها وذلك لأنّ السّموات وما فيها لا يُمكن لنا العلم بها ولا  
لغيرنا بل العلم بها والأسرار المودعة بها موكول إلى خالقها والمُقرّبين من  
انبيائه واوصيائه الذين افاض الله عليهم شايب الرحمة وخصّهم بالعلم  
والمعرفة وغيرهما من الصّفات فنقول:

أحدها: ان يقال انّ الإقرار والإذعان لا اختصاص لهما باللسان والقلب  
المُصطلحين اعني الجارحتين المخصوصتين في الإنسان حتّى يقال بالمجاز



في غيره بل الإقرار والإذعان في كل شيء بحسبه والدليل على ما ذكرناه بعد  
مُساعدة اللّغة موارد استعمالهما فيها، أمّا اللّغة:

قال الرّاعب في المفردات الإقرار اثبات الشّي قال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ  
مَانِشَاءً إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾<sup>(١)</sup> وقد يكون ذلك اثباتا أمّا بالقلب وأمّا باللسان أو  
بهما انتهى.

وقال في دَعَن، مُدَعِنين أي مُنقادين يقال ناقة مُدعان أي مُنقادة انتهى وعليه  
فالإذعان الإنقياد.

أمّا الإستعمال - ففي الإقرار قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَانِشَاءً إِلَىٰ أَجَلٍ  
مُّسَمًّى﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ومن المعلوم أنّ

الإقرار في هذه الآيات لم يكن بالجراحة المخصوصة اعني اللسان بل بمعنى  
الإثبات فقوله تعالى في الآية الأولى ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء أي نُثبت فيها  
وفي غيرها من الآيات أيضا لم يكن باللسان إذ لم يكن هناك لسان إذ الكلام  
في عالم الذر اعني عالم الأرواح قبل خلق الجسد واللسان وهو ظاهر.

وفي الإذعان: فقد نقلنا عن الرّاعب أنّه يقال ناقة مُدعان أي مُنقادة، ومعلوم  
أنّ النّاقة ليس فيها اعتقاد بالمعنى المُصطلح الذي مركزه القلب إذا عرفت هذا  
بحسب موارد اللّغة والإستعمال في الإقرار والإذعان فقد دُرِيت صحّة ما  
ذكرناه من أنّه لا اختصاص لهما بما ذكروه في الإنسان فقط.

وحيث أنّه لا دليل على كون اللفظ مجازا في غير الإنسان فلا محالة يُحمل  
على الحقيقة إذ لا معنى لأصالة الحقيقة إلا هذا وما نحن فيه من هذا القبيل فلا

١- الحجّ - ٥

٢- الحجّ - ٥

١- الحجّ - ٥

٢- البقرة - ٨٤

٥- آل عمران - ٨٧

مجازاً اصلاً وعلى المدعى الإثبات فالمعنى أنه لو لا اقرارهنّ اي اثباتهنّ لله تعالى بالزبوية واذعانهنّ اي انقيادهنّ بالطاعة لما كان كذا وكذا وهذا ممّا لا اشكال فيه اصلاً وأما أنّ الإثبات والانقياد هل هما فيهنّ تكويناً او تشريعاً بمعنى أنّ السموات هكذا خلقت فاطعن اطاعةً تكوينية او اخترت لأنفسهنّ هكذا بالإرادة والاختيار فالظاهر هو الأول اذ الأوامر التشريعية للمكلفين بالأحكام والتكاليف وشرطه العقل ولم يقل احد بأن السموات من العقلاء واذا انتفى الأمر التشريعي يبقى التكويني اذ لا ثالث لهما فالمقصود اقرارهنّ واذعانهنّ تكويناً بحسب الجبلة والطبيعة:

وثانيهما: ان يقال بأن المراد اقرار اهل السموات واذعان اهل السموات وهذا ايضا مُحتمل، كما في قوله تعالى واسئل القرية اي واسئل اهل القرية وعليه فالمعنى لو لا اقرار اهل السموات واذعانهم له تعالى بالطاعة لما كان كذا وكذا ويؤيد هذا المعنى أنّ المكان بما هو لا شرف له وشرف المكان بالمكين فشرف السموات بسكانهنّ وما جعل الله فيهنّ من العرش والكُرسي واللّوح والقلم والمقرّبين من ملائكته وهو ظاهر فقوله ﷺ: ولو لا ذلك لما جعلهنّ لعرشه موضعا الخ معناه أنّ هذا الشرف قد حصل للسموات بسبب ما فيها من الموجودات وذلك كما أنّه لو لا الرّسول في المدينة لما كانت مهبط الوحي ولو لا بيت الله في مكة لما كان فيها شرف وتَعْظيم ولو لا قبر الحسين ﷺ بكربلاء لما كان في تربته شفاءً ونظائره كثيرة اللهم الا ان يقال أنّ هذا الشرف كان ثابتاً للسموات قبل وجود الموجودات فيهنّ كما يترأى من ظاهر العبارة فانّ قوله ﷺ: لو لا كذا لما كان كذا يدل على أنّ ما جعل الله فيهنّ انما جعله فيهنّ لشرفهنّ بالإقرار والاذعان وعليه فهذا الإحتمال يسقط ويبقى الشق الأول بلا معارض وكيف كان فالأمر واضح وانما اوقعهم في الإشكال ظنهم أنّ الإقرار والاذعان يختصان بالإنسان او كلّ موجود عاقل وليس كذلك ولترجع الى الشرح فقوله ﷺ: لما جعلهنّ، اللام في موضع التعليل اي العلة في جعلهنّ كذا

وكذا هي الإقرار والإذعان ثم أشار ﷺ إلى أمور ثلاثة كلها يدل على شرف السموات:

أحدها: أنه جعلهن مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ، والعَرْشُ بفتح العين وسكون الواو والشين في الأصل شيءٌ مُسَقَّفٌ وجمعه عرُوشٌ ومنه قيل عرشتُ الكرم وعرشته إذا جعلت له كهيئة سَقْفٍ ثم كُنِيَ به عن العِزِّ والسُّلْطَانِ والمَمْلَكَةِ قيل فلان ثلَّ عرشه قاله الراغب في المفردات:

وقد مرَّ الكلام في بيان ماهية العرش وموارد استعماله مفصلاً في المُجلد الأول من الكتاب وأما عرش الرَّحْمَنِ فهو ممَّا لا يَعْلَمُه البَشَرُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا بِالِاسْمِ.

والمُعْتَمَدُ فِيهِ هُوَ مَا رَوَى لَنَا مِنَ الْمُعْصُومِينَ فَإِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ أَدْرَى بِمَا فِي الْبَيْتِ وَقَدْ وَرَدَتِ الْآيَاتُ بِوُجُودِ الْعَرْشِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١)

و: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢)

و: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٣)

و: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٤)

و: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (٥) وغيرها من الآيات

هذا كله بالنسبة إلى أصل وجوده:

وأما أنه ما هو فقد قلنا إن العلم بحقيقة العرش غير ممكن لنا وخصوصاً إن الأخبار فيه أيضاً مختلفة فمنها ما يدل على أن العرش والكُرسي جسمان عظيمان خلقهما الله فوق سبع سموات وظاهر أكثر الأخبار أن العرش أرفع من الكرسي ويلوح من بعضها العكس.

ومنها - ما يدل على أن المراد بالعرش العلم وذلك لأن منشأ ظهوره سبحانه

٢- الانبياء- ٢٢

٤- التوبة- ١٢٩

١- طه- ٥

٢- المؤمنون- ٨٦

٥- الرعد- ٢

على خلقه العلم والمعرفة وبه يتجلى على العباد فكأنه عرشه وحمّته الأنبياء والأئمة لأنهم خزنة علم الله سبحانه في سمائه وارضه.

ومنها- ما يدل على ان المراد به الملك وهو ايضا ظاهر.

ومنها- الجسم المحيط وجميع ما في جوفه او جميع خلق الله كما ذكره

الصدوق عليه السلام.

ومنها - اطلاقه على كل صفة من صفاته الكمالية والجلالية اذ كل منها

مستقر لعظمته وجلاله وبها يظهر لعباده على قدر قابليتهم ومعرفتهم، فله

تعالى عرش العلم، وعرش القدرة وعرش الرحمانية وعرش الرحيمية وعرش

الوحدانية وعرش التنزه وهكذا.

وكيف كان فلا شك ان العرش موجود ومع ذلك فهو من اشرف

الموجودات لكونه منشوبا اليه تعالى ولا شك ايضا في كونه في السموات

اعني بها فوق المخلوقات فان السماء في الأصل فوق وسماء كل شيء فوقه

واما السموات بالمعنى الذي في كتب القدماء فهو وهم محض.

وحيث انه قد ثبت ان شرف المكان بالمكين والسموات جعلهن الله تعالى

موضعا لعرشه فهو دليل على شرف السموات وهو المطلوب.

وثانيها: انه تعالى جعلهن مسكنا لملائكته، وتقرير هذا الاستدلال ان

الملائكة ولا سيما المقربين منهم من اشرف الموجودات واسبقها وجودا لا

يعصونه ابدا وهم بامرهم يعملون وقد اسكنهم الله تعالى في السموات ومن

المعلوم ان المكان لو لم يكن قابلا للشرف والتعظيم فكيف يصير مكانا

لاشرف خلقه وافضل برّيته، واما البحث في حقيقة الملائكة وكيفيةهم واطوار

خلقهم واقسامهم واصنافهم فقد مرّ مفصلاً في شرح الخطبة الأولى فلا نعيده.

ان قلت - أستم تقولون بان الأنبياء والأوصياء كانوا اشرف من الملائكة

وهم يسكنون الأرض فيلزم ان تكون الأرض اشرف من السماء فان شرف

المكان بالمكين.

قلت اما أولاً: فالحكم باعتبار الأعم الأغلب وحيث ان الملائكة كلهم اجمعون مطيعون لله تعالى لا يعصونه ابدا واكثر افراد الإنسان يعصونه والانبيا والأوصياء قليلون بالنسبة الى سائر الأفراد فصَح ان يقال ان الملائكة اشرف من بني آدم.

وثانيا: ان اثبات الشئ لا ينفي ما عداه فاثبات الشرف للسّموات لا ينفيه عن الأرض وهو ﷻ لم يقل ان السّموات اشرف بل اثبت لهنّ الشرف وهو غير منكر.

وثالثا: ان المكان الذي لا يعصى الله فيه اشرف من المكان الذي يعصى فيه وهذا هو الفرق بين السماء والأرض فالسّموات بذلك اشرف.

وثالثها: انه تعالى جعلهنّ مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه. قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وتقرير الإستدلال هو ان السّموات محلّ الطيبات والأرض ليست كذلك فالسّموات اشرف ان قلت - الأرض مصدر الطيبات ومحلّ الأعمال الصالحة والسّموات محلّ عروجها وصعودها اليهنّ فيلزم ان تكون الأرض اشرف لمصدريتها بالنسبة اليها.

قلتُ اما أولاً: فهذا دليل عليكم لا لكم وذلك لأنّ صعود الأعمال والكلم الطيب الى السّموات دليل على عدم قابلية الأرض لها فالسّموات اشرف.

وثانيا: ان الكلام في اثبات اصل الشرف لا في اثبات كون احدها اشرف من الآخر حيث انه ﷻ سكت عن هذه الجهة نسكت عنها نحن ايضا.

□ قوله ﷻ: جَعَلَ نُجُومَهَا اَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ...  
اي جعل الله تعالى نجوم السموات اعلاما يستدل بها الحيران في الطرق

الواسعة المختلفة في اقطار الأرض وفيه اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ

وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (١)

والنجوم جمع النجم وهو في الأصل الكوكب الطالع، يقال نجم اي طلع  
 نجوما ونجما، فصار النجم مرّة اسما ومرّة مصدرا والنجوم ايضا مرّة اسما  
 كالقلوب والجيوب واخرى مصدرا كالطلوع والغروب واستدلال الحيران بها  
 معناه ان الحيران في الصحاري والبراري والبحور يستند اليها في طريقه  
 ويعتمد عليها في وصوله الى مقصده في الشرق والغرب والشمال والجنوب.  
 □ قوله ﷻ: لَمْ يَمْنَعُ ضَوْءُ نُورِهَا، اذْلِهَمَامُ سُجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ...

اي لم يمنع ضوء نور النجوم شدة ستر ظلمة الليل وبعبارة اخرى جعل الله  
 النجوم في النورانية لم يمنع عنها ظلمة الليل ولو بلغت ما بلغت.  
 □ قوله ﷻ: وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي  
 السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُوءِ نُورِ الْقَمَرِ...

الجلابيب جمع جلباب وهو الثوب شبه ﷻ الليل المظلم بمن لبس الثوب  
 الأسود على سبيل الاستعارة التخيلية والمعنى ان اثواب سواد الليل المظلمة  
 الشديدة لم تقدر على ان ترد ما شاع وكثر في السموات من تلالوء نور القمر  
 والحاصل ان الظلمة غير مانعة عن تلالوء نور القمر وهو امر محسوس نراه في  
 الليل ولا يحتاج الى توضيح وبيان:

□ قوله ﷻ: فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ...

الفرق بين السواد والغسق والداج هو ان السواد اول الظلمة او مطلقها  
 والغسق شدة الظلمة والداج الظلمة مع الغيم واما الساج فمعناه الساكن ومعنى  
 الجملة سبحانه من لا يخفى عليه سواد الشدید من الظلمة ولا يخفى عليه ليل  
 ساج وساكن، ففي قوله ﷻ: سواد غسق اشاره الى قوله تعالى: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ  
 لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ (١)

و: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٢) وفي قوله ﷻ: وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ اشاره الى قوله

فتح السواد في شرح نهج البلاغة

تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾<sup>(١)</sup> أَي جَعَلَ اللَّيْلَ مَحَلًّا وَمَوْضِعًا لِلِاسْتِرَاحَةِ وَالنُّوْمِ وَأَنَّمَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ ﷻ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ لَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ وَاضِحٌ:

□ قوله ﷻ: فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ وَلَا فِي بَقَاعِ السُّفَعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ...  
الْبَقَاعُ بَفَتْحِ الْيَاءِ التَّلُّ أَوْ الْمُرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ مُطْلَقًا، قَالَ فِي الْمُنْجِدِ الْيَفْعُ وَالْبَقَاعُ، التَّلُّ الْمَشْرِفُ أَوْ كُلُّ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ جَمْعُ يَفْعٍ، وَأَمَّا الْبَقَاعُ فَهُوَ جَمْعُ بُقْعَةٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْأَوَّلَ بَقَاعٌ بِالْبَاءِ وَالثَّانِي يَفْعٌ بِالْيَاءِ وَالْفَاءُ وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِيِّينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ الْمُنْخَفِضَاتِ وَلَا فِي بَقَاعِ السُّفَعِ اعْنِي الْجِبَالَ الْمُرْتَفِعَاتِ الْمُتَجَاوِرَاتِ وَالْحَاصِلُ هُوَ تَعَالَى عَالِمٌ بِمَا فِي الْمُنْخَفِضَاتِ وَالْمُرْتَفِعَاتِ:

□ قوله ﷻ: وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرُّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَمَا تَلَأَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ...  
وأيضاً هو تعالى عالم بما يتجَلَّجَلُ وَيَتَصَوَّتُ بِهِ الرُّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَمَا تَلَأَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ وَاضْمَحَلَّتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ وَالسَّحَابِ:

□ قوله ﷻ: وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَأَنْهِيطَالُ السَّمَاءِ...  
أَي وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ الشَّجَرِ الَّتِي تُزِيلُهَا وَتُحْرِكُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا الرِّيَّاحُ الشَّدِيدَةُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَى الْأَنْوَاءِ، وَأَنْهِيطَالُ السَّمَاءِ هَطُولُ الْأَمْطَارِ كُلِّ ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ:

أَعْلَمُ: أَنَّ الْأَنْوَاءَ جَمْعُ نَوْءٍ بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الْوَاوِ فَهَمْزَةٌ وَهِيَ عَلَى مَا قَالَ فِي الْمَجْمَعِ نَقْلًا عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ نَجْمًا مَعْرُوفَةٌ الْمَطَالِعُ فِي أِزْمَنَةِ السَّنَةِ يَسْقُطُ مِنْهَا فِي كُلِّ ثَلَاثِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ نَجْمٌ مِنَ الْمَغْرِبِ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَيَطْلُعُ الْآخَرُ مُقَابِلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ وَانْقِضَاءُ هَذِهِ الثَّمَانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ مَعَ انْقِضَاءِ

السَّنة وكانت العرب في الجاهلية اذا سقط منها نجم وطلَّع الآخر قالوا لا بد ان يكون عند ذلك مَطَرٌ فينسبُون كلَّ غيث يكون عند ذلك الى النجم ويقولون مطرنا بنوء كذا ويُسمى نوء لأنه اذا سَقَطَ السَّاقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق وذلك التَّهْوِض هو النوء فَسُمِّي النجم به قالوا وقد يكون النوء السَّقُوط وانما غلط النبي ﷺ القول فيمن يقول مطرنا بنوء كذا لأن العرب كانت تقول انما هو فعل النجم ولا يجعلونه سقيا من الله واما من جعل المَطَر من فعل الله واراد مطرنا بنوء كذا في هذا الوقت فلا بأس فيه انتهى:

روي في البحار عن تفسير علي ابن ابراهيم باسناده عن ابي عبد الرحمن السلمي ان عليا قرأ بهم الواقعة، وتجعلون شكركم انكم تكذبون، فلما انصرف قال اني قد عرفت انه سيقول قائل لِمَ قراها هكذا قراتها اني سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأها كذلك وكانوا اذا مطر وقالوا امطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله وتجعلون شكركم انكم تكذبون انتهى.

وقال الجزائري في النهاية ثلاث من امر الجاهلية الطعن في الأنساب والنيافة والأنواء: (وروي ايضا عن معاني الأخبار باسناده عن الباقر عليه السلام ثلاثة من عمل الجاهلية الفخر بالأنساب والطعن في الأحساب والإستسقاء بالأنواء انتهى...

وعن الخصال باسناده عن جعفر ابن محمد عن علي قال رسول الله ﷺ اربعة لا تزال في امتي الى يوم القيامة الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والإستسقاء بالنجوم والنيافة الخبر انتهى...

وعن الخرايج - روي انه في وقعة تبوك اصاب الناس العطش (عطش) فقالوا يارسول الله لو دعوت الله لسقانا فقال ﷺ لو دعوت الله لسقيت قالوا يارسول الله ادع لنا ليسقينا فدعا فسالت الأودية، فاذا قوم على شفير الوادي يقولون مطرنا بنوء الذارع وبنوء كذا فقال رسول الله الاترون فقال خالد لأضرب اعناقهم فقال رسول الله يقولون هكذا وهم يعلمون ان الله انزله انتهى...



وعن العياشي عن يعقوب ابن شعيب قال سالت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»<sup>(١)</sup> قال كانوا يَمْطُرُونَ بِنُوءٍ كذا وبنوء كذا انتهى والأحاديث منقولة عن «البحار ج - ١٤ ص - ١٦٨»...

إذا عرفت معنى الأنواء وأنها مذمومة فلا بد لك من ان تعلم ان ذكره الأنواء وازافته العواطف اليها لا ينافي ما في هذه الأخبار من ذم الأنواء والإعتقاد بها فلا يذهب عليك انه عليه السلام قد حَكَمَ بصحة الأنواء بل ما ذكره من جهة ان العرب كانت كذلك هكذا قالوا في وجه الإعتذار عنه:

ولقائل ان يقول ان كان الأنواء مذمومة في الإسلام فهذا الإعتذار لا يسمع وذلك لأن اضافة العواصف دليل على صحتها عنده عليه السلام والآ فلا معنى لهذه الإضافة ثم كيف يعقل ان يتكلم عليه السلام على مذاق العرب في عهد الجاهلية في مواظبه ونصائحه فلا بد لنا من محمل آخر في كلامه صونا من كلامه عليه السلام عن شائبة التقرير الذي هو من المعصوم حجة كما ثبت في محله فنقول:

العواصف جمع عاصفة وهي مؤنث العاصف وتجمع على العاصفات ايضا يقال عَصَفَتْ عَصَفاً وَعَصَوْفاً، الرِّيحُ اشْتَدَّتْ فَهِيَ عَاصِفَةٌ وَعَاصِيفٌ، وعليه فالعصف الشدة، وقد يجيء بمعنى، مال يقال عَصَفَ الشَّيْءُ أَي مَالَ وبمعنى الهلاك يقال عَصَفَتْ الحرب بالقوم اي ذهبت بهم واهلكتهم، وبمعنى الجُرْ قبل الدرك يقال عَصَفَ الزَّرْعُ اذا جُرَّ قَبْلَ ان يُدْرَكَ وغير ذلك من المعاني:

وأما الأنواء فهي جمع نُوءٍ، وله ايضا معان، منها السَّقُوطُ يقال نَاءٌ يَنْوَأُ نُوءاً وَتَنَوَا نَهَضَ بِجُهْدٍ وَمَشَقَّةٍ سَقَطَ وَمِنْهَا الْبُعْدُ يقال نَائٍ عَنهُ أَي بَعُدَ، وَمِنْهَا الْمُعَادَاةُ يقال نَاوَاهُ مَنَاوَاةً وَنَوَاءً، فَاخْبِرْهُ وَعَارِضْهُ وَعَادَاهُ، وَمِنْهَا النَّجْمُ اذا قَالَ لِلْغُرُوبِ، وَمِنْهَا الْمَطَرُ، وَمِنْهَا الْعَطَاءُ، وَالنُّوءُ اِيضاً النَّبَاتُ وَالْبَقْلُ، وَمِنْهَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَوْمُ فِي شُرُوحِهِمْ وَحَمَلُوا الْأَنْوَاءَ عَلَيْهِ اذا عَرَفَتْ هَذَا فَنَقُولُ مَا الَّذِي ذَلَّ عَلَيَّ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرُوهُ اعْنِي سَقُوطَ نَجْمٍ مِنَ الْمَنَازِلِ فِي

المغرب وطلوع ما يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً إلى آخر ما ذكره حتى يلزم المحذور.

وأي اشكال في حمل الأنواء على غيره فيقال وهو تعالى يعلم ما تسقط من ورقة تزيلها عن مكانها ومحلها عواصف الأنواء أي الرياح الشديدة التي تسقطها بجهد ومشقة فإن الرياح هي التي تسقط الورقة عن محلها وعليه فالإضافة أعني إضافة العواصف إلى الأنواء من إضافة الصفة إلى الموصوف والتقدير الأنواء العواصف لا من إضافة الموصوف إلى الصفة كما زعموه، أو يقال بأن الأنواء وصف للعواصف ومعناها البعد أي الرياح الشديدة البعيدة من جهة مهبّتها، أو يقال الأنواء بمعنى الأمطار والعواصف جمع عاصفة وهي الهالكة والمعنى الأمطار الهالكة في شدتها وأمثال ذلك من المعاني المناسبة للمقام، وأما ترك هذه المعاني كلها والأخذ بالمعنى الشاذ النادر الذي تفوه به بعض العرب في عهد الجاهلية فهو بعيد عن الصواب وقد صرح صاحب المنجد بأن هذا المعنى مما قيل، وانت ترى أن التعبير بالقييل مشعر بتمريضه وحاصل الكلام أن حمل الأنواء على ما ذكره لا دليل عليه أن لم يكن من حمل الكلام على ما لا يرضى به صاحبه هذا وأما قوله ﷺ: وَأَنْهَيْتَ السَّمَاءَ فَمَعْنَاهُ تَزُولُ الْمَطَرُ مُتَابِعًا إِذَا كَانَ عَظِيمَ الْقَطْرِ فَانْهَيْتَ السَّمَاءَ أَنْزَلَهَا الْمَطَرُ كَذَلِكَ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ عَدَدَ قَطْرِ الْمَطَرِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ.

□ قوله ﷺ: وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجْرَّهَا وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا...

الواو للعطف أي وكذلك يعلم الله تعالى بعلمه الشامل الكامل مسقط القطرة من المطر أي ما ينزل المطر عليه وهو محل سقوطها وأيضا يعلم مقر القطرة أعني محل قرارها قبل النزول وبعده، ويعلم مسح الذرة أي محل سحب صغار النمل ومحل جرّها ويعلم ما يكفي البعوضة من قوتها وذلك لأنه خالقها ورازقها ويعلم ما تحمل الأنثى في بطنها من ذكر أو أنثى والملاك في

الكلّ أنّه بكلّ شيءٍ عليمٍ وقد فرغنا عن اثباته عقلاً ونقلاً في بحث الصفات.  
□ قوله ﷺ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ  
أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ...

بعد الفراغ من علمه المحيط بكلّ شيءٍ وقدرته القاهرة على جميع  
المقدورات شرع في البحث عن وجوده وما يتعلّق به، فكانه توهّم متوهم أنّ  
علمه كذلك بعد خلقه الموجودات لا قبله وهو المُعبّر عنه بالعلم الحُصولي  
اعني الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل ولأجل دفع هذا التوهّم قال ﷺ  
ليس الأمر كذلك بل هو كان عالماً قادراً حكيماً وهكذا سائر الصفات قبل  
وجود الموجودات.

فقال الحمد لله الكائن قبل أن يكون كُرْسِيِّ إلى آخر ما قال وتوضيحه أنّ  
الله تعالى كان موجوداً ثابتاً في وجوده قبل الموجودات وقد ثبت أنّ الصفات  
من العلم والقدرة وغيرهما عين ذاته لا زائدة عليه وإذا كان كذلك فكان عالماً  
قادراً وهكذا قبل الخلق وهو المطلوب ثمّ أنّه قد مضى الكلام في معنى الحمد  
والله والكائن في شرح الخطبة الأولى وشرنا هناك إلى موارد استعمالات،  
كان، وقلنا أنّ الكائن الفاعل من الكون، وإنّ كلمة، كان، تستعمل ناقصة وهي  
التي لها اسمٌ وخبرٌ نحو كان زيد قائماً وتامة وهي التي لا خبر لها ومعناها  
الثبوت وكثير من المتكلمين يستعملونها في معنى الإبداع وعليه فالكائن معناه  
الثابت أو المبدع وقالوا إذا استعمل في الله تعالى فهو مُنسلخ عن الزمان بمعنى  
عدم اخذ مفهومه فيه إذا عرفت هذا.

فالمعنى حبس الحمد أو كلّ الحمد لله أي للذات الواجب الوجود  
المُستجمع لجميع الصفات الكمالية الذي هو ثابت قبل أن يكون كُرْسِيه وغيره  
من المخلوقات كما هو شأن العلة فكان الله ولم يكن معه شيءٍ والأمر أيضاً ليس  
معه شيءٍ ومع ذلك كان عالماً بالأشياء قبل وجودها إذ العلم عين ذاته لا صفة  
زائدة عليه فتقدم الذات يستلزم تقدم العلم أيضاً وهكذا القدرة والإرادة

وغيرها فعلمه بها قبل وجودها هو علمه بذاته وقد ثبت ان العلم بالعلة التامة هو العلم بالمعلول بعينه.

علني وجه الكمال والتمام وهذا العلم لا يستلزم وجود المعلول ولا نعني بالعلم الحضوري الا هذا.

والكُرسي بضم الكاف وسكون الراء في العرف اسم لما يجلس عليه كما قال تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾<sup>(١)</sup> وهو في الأصل منسوب الى الكرسي بكسر الكاف اي المتلبد المجتمع والكرسي اصل الشئ وكل مجتمع من الشئ كرسي وكيف كان فقد ورد في الكتاب العزيز ان لله تعالى كرسي كما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> ثم ان حقيقة الكرسي خفية علينا كحقيقة العرش واللوح والقلم وغيرها فلا يعلمها الا هو واما موارد استعمال اللفظ فيها فقد قيل انه العلم وقيل كرسيه تعالى ملكه، وقيل هو الفلك المحيط بالأفلاك اعني فلك الأفلاك وغير ذلك من الأقوال:

روى في البحار باسناده عن حفص ابن غياث قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل وسع كرسيه السموات والأرض قال عليه السلام علمه انتهى» ج ١٤ - ص ٩٨...

وايضا باسناده عن المفضل ابن عمر قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما فقال عليه السلام العرش في وجهه هو جملة الخلق والكرسي وعاؤه وفي وجهه آخر هو العلم الذي اطلع الله عليه انبيائه ورسله وحججه والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه احدا من انبيائه ورسله وحججه انتهى» ص ٩٨...

وايضا باسناده عن الفضل قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى وسع كرسيه السموات والأرض قال عليه السلام يا فضل السموات والأرض وكل

شيء في الكرسي انتهى» (ص ٩٨)...

وايضا - عن عبد الله ابن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام في الآية فقال عليه السلام السموات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر احد قدره انتهى « ص ٩٨ »...

وايضا - عن حنان ابن سدير قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال عليه السلام ان للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب وصنع في القرآن صنعة على حدة، فقوله رب العرش العظيم، الملك العظيم، وقوله الرحمن على العرش استوى، يقول على الملك احتوى وهذا ملك الكينونية في الأشياء، ثم العرش في الوصل مفرد من الكرسي لأنهما بابان من اكبواب الغيوب وهما جميعا غيبان وهما في الغيب مقرونان لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع وفيه الأشياء كلها والعرش والباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكسف والكون والقدر والحد والأيان والمشية وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والتترك وعلم العود والبدء فهما في العلم بابان مقرونان لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه اغيب من علم الكرسي الحديث وهو من مشكلات الأخبار لا تنال اليه ايدي الإنكار «(ص - ٩٨)»...

وايضا عن العياشي - عن الأصبح قال سئل امير المؤمنين عن قول الله عز وجل وسع كرسيه السموات والأرض فقال عليه السلام ان السماء والأرض وما بينهما من خلق مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه باذن الله انتهى «(ص - ٩٩)»...

والأحاديث بهذه المضامين كثيرة وقال الصدوق عليه السلام اعتقادنا في الكرسي انه وعاء لجميع الخلق من العرش والسموات والأرض وكل شيء خلق الله تعالى في الكرسي وفي وجه آخر الكرسي هو العلم انتهى).

اقول: والذي يجب ان نعتقده هو وجود الكرسي والعرش لنص الكتاب

عليهما وأما حقيقتهما ما هي فالعلم بهما لخالقهما:

وأما العرش فقد مرّ ذكره ﷺ وأما السماء والأرض والإنس والجان أيضا مضى الكلام في معانيها مفضلاً فلا نعيدها ثانياً والمقصود اثبات علمه تعالى بالموجودات قبل وجودها:

□ قوله ﷺ: لَا يُدْرِكُ بَوَهُمْ وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهُمْ وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلَا يَنْظُرُ بَعَيْنٍ وَلَا يُحَدِّدُ بَأَيْنٍ وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ...

أما أنه تعالى لا يدرك بالوهم لأن القوة الواهية لا تدرك إلا المعنى الجزئي المضاف إلى صورة محسوسة كعداوة زيد وصداقة عمر والمحبة الجزئية التي تدركها الصخلة من أمها والعداوة الجزئية التي تدركها من الذئب وحافظ المعنى الجزئي يسمى بالحافظة كما قال السبزواري في المنظومة:

والوهم للجزئي من معنى علم حافظه حافظة لقد رسم  
والله تعالى ليس من المعاني أولاً ولا يكون جزئياً مضافاً إلى صورة  
محسوسة ثانياً، أما أنه ليس من المعاني فالأن المعنى لا وجود له في الخارج  
وهو موجود في الخارج وإذا لم يكن من المعاني فلا يكون كلياً ولا جزئياً  
لأنهما من المعاني ولهذا لا يدرك بالوهم أي لا يتعلق الوهم به كما قال الصادق  
ﷺ: كلما فسّرتموه باوهامكم فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم:

وثانيها: أنه لا يقدر بفهم، إذ لو قدر بفهم لكان محدوداً محاطاً وكل محدود  
مُتَنَاهٍ وكل مُتَنَاهٍ ممكن والمفروض أنه واجب غير مُتَنَاهٍ وإنما قلنا لكان  
محدوداً، لأن التقدير مساوق للمحدودية.

وثالثها: ولا يشغله سائل، أي لا يشغله تعالى سؤال سائل عن سائل آخر  
وقد مرّ الكلام فيه عند قوله ﷺ: وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ فِي الْخُطْبَةِ الْمِائَةِ وَالسَّابِعَةِ  
والسبعون فراجع إن شئت هناك:

ورابعها: ولا ينقصه نائل، أي العطاء وذلك لأن النقص والكمال من لوازم

التناهي الا ترى انه يقال هذا الخط اقصر وانقص من هذا الخط او هذا المقدار انقص من هذا المقدار وهكذا. واما اذا كان الشئ غير متناه فلا يتصور فيه النقص والتمام والضعف والكمال وحيث ان الواجب غير متناه ذاتا وصفة وفعلاً فلا يعقل هناك نقص اصلاً فان النقص من لوازم الإمكان قوله **لَا يَنْظُرُ بَعَيْنٍ**.

وخامسها: ولا ينظر بعين، لأن العين الحاسة من لوازم الجسم وهو تعالى منزّه عنه فالمسلوب عنه تعالى هو النظر بالعين اي بسببها لا مطلق النظر اذ هو في حقه ثابت بنص الكتاب: قال الله تعالى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** (١)

و: **﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** (٢)

وسادسها: قوله **لَا يُحَدُّ بِأَيِّ** قد مرّ الكلام في معنى الحد غير مرّة وهكذا في الأين وفي المقام نقول الحد في الأصل الحاجز بين الشئين الذي يمتنع اختلاط احدهما بالآخر يقال حَدَّدْتُ كذا اي جعلت له حدّاً يميّز به وحدّ الشئ الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره:

واما في اصطلاح المنطقيين فهو ينقسم الى تامّ وناقص، والتام عبارة عن التعريف بالجنس القريب والفصل القريب كما يقال في تعريف الإنسان، حيوان ناطق، والناقص، عبارة عن التعريف بالجنس البعيد والفصل القريب كما يقال الإنسان جسم ناطق، او بالفصل وحده كما يقال الإنسان ناطق اذا عرفت معنى الحد لغةً واصطلاحاً فنقول:

واجب الوجود لا يُحدُّ مُطلقاً لا لغةً ولا اصطلاحاً، اما اللغة فلأن الحد فيها الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره ومعلوم ان الوصف كذلك لا يمكن الإتيان به اذ لازم ذلك هو كون الواجب مُحاطاً وقد ثبت انه غير متناه ذاتا وصفة وغير المتناهي لا يكون مُحاطاً لِلزومِهِ اجتماع النقيضين هذا اولاً:

وثانيا الحدّ هو المُميّز عن غيره من مشاركاته ولا شريك له في وجوب وجوده حتّى يُميّز الحدّ عن غيره.

وأما الحدّ الإصطلاحي فاستحالته فيه تعالَى أنّ أساس الحدّ على بيان الماهيّة عن مشاركتها في الجنس ولا ماهيّة له فلا جنس له ولا فصل له فالحدّ بهذا المعنى أيضا في حقّه محال فثبت أنّه تعالَى لا يُحدّ أصلاً سواء كان بالأين أو بالوضع أو بالكيف أو بالزمان وهكذا غيرها من الأعراض النسبية.

ان قلت - قوله **عَلَيْهِ**: وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْحَدِّ مُطْلَقًا إِذْ نَفَى الْمُقَيَّدَ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْمُطْلَقِ قُلْتُ نَعَمْ - لكنّ المقام ليس من باب المطلق والمقيد بل من باب الأصل والفرع وانتفاء الأصل يلزم انتفاء الفرع وذلك لأنّ الأين هيئة تحصل من كون الشّيء في المكان، وحيث أنّ المكان من لوازم الجسم وهو تعالَى ليس بجسم فليس في مكانٍ وإذا لم يكن في مكانٍ فلا تحصل له هيئة حاصلة من كون الشّيء في المكان فلا يوصف باينٍ ليكون محدّوداً مُحاطاً به وهذا الملاك بعينه موجود في غيره من الأعراض النسبية فإنّها تُوجب المَحْدُودِيَّةَ أيضا وعليه فانتفاء الأين هو انتفاء غيره من الأعراض ولعلّه لهذه الجهة قال **عَلَيْهِ**: وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ مُنْكَرًا وَلَمْ يَقُلْ بِالْأَيْنِ مُعْرِفًا فَإِنَّ الْأَيْنَ مُعْرِفًا إِشَارَةً إِلَى الْأَيْنِ الْمُصْطَلَحِ وَأَمَّا مُنْكَرًا فَهُوَ أَعَمٌّ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَيْنِ فِي عُرْفِ النَّاسِ هَذَا أَوَّلًا،

وثانيا، نقول سلّمنا ولكن قولكم أنّه يُحدّ بغير الأين من الأعراض النسبية يصح بناءً على حجّية مفهوم الوصف وقد ثبت في الأصول عدم حجّيته. وسابعها: وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ، قالوا في شرح العبارة المراد به نفي الكميّة المنفصلة عنه أي ليس فيه اثنيّة وتعدّد، ونقل عن المجلسي، أي لا يوصف بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج أو ليس فيه تركّب وازدواج امرين أو بأنّ له صاحبة، وقال الشّارح المعتزلي ولا يوصف بالأزواج أي صفات الأزواج وغير ذلك من الأقوال:



**اقول:** الأزواج جمع الزوج والزوج يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة وايضا يقال في غيرها كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بأخر مماثلاً له او مُضاداً فقولُه **﴿القرين﴾**: وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا قَرِينَ لَهُ بَأْيٍ مَعْنَى كَانَ مِمَّاثِلاً كَانَ أَوْ مُضَاداً لِعَدَمِ الْمِثْلِ وَالضَّدِّ لَهُ تَعَالَى وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ كَلِمَاتِهِمْ فِي شَرْحِ الْعِبَارَةِ وَلَنَا فِي الْمَقَامِ تَحْقِيقَ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ زَوْجٍ مَخْلُوقٍ فَلَوْ وَصَفْنَاهُ بِهِ لَكَانَ مَخْلُوقاً وَكُلُّ مَخْلُوقٍ مُمَكِّنٌ فَهُوَ مُمَكِّنٌ وَالْمَفْرُوضُ وَجُوبُهُ وَصُورَةُ الْقِيَاسِ هَكَذَا.

هذا زوج، وكل زوج مخلوق، فهذا مخلوق، أما الصغرى فظاهر على الفرض وأما الكبرى اعني كل زوج مخلوق فيدل عليه العقل والنقل.

**أما العقل:** فلأن الزوجية مُسَارِقَةٌ لِلْأَثْنَيْنِيَّةِ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا مَعَ وُجُودِ الْقَرِينِ فَنَقُولُ قَرِينِ الْوَاجِبِ لَا يَخْلُو أَمَّا أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقاً لِلوَاجِبِ أَوْ لَا يَكُونَ مَخْلُوقاً لَهُ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَخْلُوقاً لَهُ، أَمَّا أَنْ لَا يَكُونَ مَخْلُوقاً أصلاً كَالوَاجِبِ الْمَفْرُوضِ أَوْ مَخْلُوقٍ لغير الواجب فالاحتمالات في المقام ثلاثة، كونهما معا مخلوقين لغيرهما، وكون احدهما مخلوقاً لآخر والثالث عدم المخلوقية لهما معا ولا رابع في المقام.

أما الأول - اعني كونهما مخلوقين لغيرهما فهو المدعى والثاني - اعني كون احدهما مخلوقاً للآخر فالمخلوق لا يكون قريناً لخالقه فهو خروج عن الفرض، والثالث - اعني عدم المخلوقية فيلزم ان يكونا معا مُتَصَفَيْنِ بِوَجُوبِ الْوُجُودِ وَحَيْثُذِ فَإِنْ كَانَا مُتَغَايِرَيْنِ ذَاتَا يَلْزَمُ انْتِزَاعُ الْوَجُوبِ عَنْ شَيْئَيْنِ مُتَغَايِرَيْنِ بِالذَّاتِ وَقَدْ ثَبِتَ اسْتِحَالَتُهُ وَإِنْ كَانَا مُتَّحِدَيْنِ ذَاتَا فَلَا يَصْدُقُ الزَّوْجُ إِذِ الزَّوْجُ مَالُهُ قَرِينٌ غَيْرُهُ فَثَبِتَ أَنَّ كُلَّ زَوْجٍ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقاً وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

**وأما النقل:** قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ

الْأَرْضُ﴾ (١)

و: «وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» (١)

و: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا» (٢)

و: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» (٣) وغيرها من

الآيات.

بل يظهر من الآيات أنه ليس في عالم الإمكان ما لا زوج له وهو كك والذي لا زوج له فهو خارج عن عالم الإمكان فهو واجب الوجود لا محالة فالواجب لا زوج له هذا.

بحث فلسفي: اعلم أنه قد ثبت في الفلسفة أن كل ممكن له ماهية ووجود فهو مركب منهما ولذا اشتهر بينهم هذه العبارة كل ممكن زوج تركيب له ماهية ووجود فإطلاق الزوج على الممكن بهذا الاعتبار دليل على أن ما ليست له ماهية ووجود بعنوان التركيب فليس بممكن فهو أي ما ليس بممكن أما واجب أو ممتنع فإن المفاهيم لا تخلو من هذه الثلاثة أما الممتنع فهو خارج عن البحث إذ لا وجود له فيبقى في المقام الواجب فينتج أن الواجب لما لا يتركب منهما ليس بممكن وان شئت قلت:

كل ممكن زوج والواجب ليس بممكن فهو ليس بزواج ونعني بالزوج في المقام الماهية والوجود أو المادة والصورة في الموجودات الخارجية والجنس، والفصل في الموجودات العقلية إذا عرفت هذا.

فلا يبعد حمل كلامه عليه السلام على هذا المعنى فقوله عليه السلام: «وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ» معناه ليس له وجود و ماهية ليكون ممكنا بل هو صرف الوجود لا أنه شيء ثبت له الوجود بل هو حقيقة الوجود ولا يخفى أن هذا المعنى أولى مما ذكره لكونه أعم وأشمل وأدق وأتقن وعليه فقوله تعالى والذي خلق الأزواج كلها أي خلق الممكنات كلها فإنها مركبة من ماهيته ووجود الواجب تعالى هو الفرد:

مفتاح السعادة في شرح نوح البلاغة

١٢٥

٢- التحل- ٧٢

١- الزخرف- ١٢

٣- فاطر- ١١

الخطبة ٨١

وثانيها قوله ﷺ: ولا يخلق بعلاجٍ، قالوا اي لا يحتاج في خلقه للمخلوقات  
التي مزاوله ومعالجة وآلة وحيلة كسائر ارباب الصنائع، اقول العلاج بكسر  
الجيم مصدر عالجه معالجة وعلاجاً اي زاوله وما رسه واللّه تعالى لا يخلق  
كذلك لعدم احتياجه الى المزاوله والممارسة وقدرته على الإيجاد بدونهما  
وهو ظاهر:

وتاسعها قوله ﷺ: لا يدرك بالحواس، اي ان الله تعالى لا يدرك بالحواس  
الظاهرة منها والباطنة والوجه فيه هو ان الإدراك بها يستلزم احاطة المدرك  
بالمُدرك واللّه تعالى مُحيط بكلّ شيء فلا يكون مُحاطاً وقد مرّ تفصيل ذلك  
غير مرّة وقوله ﷺ هذا من قبيل ذكر العام بعد الخاص فانه قوله ﷺ لا يدرك  
بوهم داخل فيما قال ﷺ في المقام:

وعاشرها قوله ﷺ: ولا يقاس بالناس، قال الراغب في المفردات الناس قيل  
اصله اناس فحذف فاؤه لما ادخل عليه الألف واللام وقيل قلب من نسي  
واصله انسيان على وزن اعلان وقيل اصله من ناس ينوس اذا اضطرب انتهى:  
وقال في المنجد الناس اسمٌ وضع للجمع كالرّهط والقوم واحدة انسان من  
غيره لفظه ويصغر الناس على نؤيس انتهى.

ثم ان المراد بقوله ﷺ: لا يقاس بالناس انه تعالى لا يقاس به ذاتاً وصفةً  
وفعلاً:

اما ذاتاً: فلكونه واجب الوجود والناس مُمكن الوجود وهو خالق والناس  
مخلوق وهو قديم والناس حادث وهكذا ولا يقاس الواجب بالممكن اصلاً  
وهو ظاهر:

واما صفةً: فلأن الصفات في الواجب عين ذاته فهو علم كله وقدره كله  
وارادة كله وهكذا لا انه ذات موصوف بهذه الصفات بمعنى ان الذات شيء  
والعلم شيء آخر عارض عليه واما الصفات في الناس فليست كذلك ضرورة  
انها زائدة على الذات في المخلوق فقولنا الله تعالى عالم قادر مثلاً لا يقاس

بقولنا زيد عالم قادر:

وَأَمَّا فِعْلًا: فَلَأَنَّ فِعْلَ الْحَقِّ اِبْدَاعِيٌّ أَي اِيْجَادٌ لَا مِنْ مَادَّةٍ وَأَمَّا امْرُهُ إِذَا ارَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَفِعْلُ النَّاسِ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ بِالْأَدْوَاتِ وَالْأَسْبَابِ وَوُجُودِ الْمُقْتَضَى وَرَفْعِ الْمَوَانِعِ وَغَيْرِهَا مِنَ الشَّرَائِطِ فَهُوَ تَعَالَى غَنِيٌّ فِي فِعْلِهِ عَنِ غَيْرِهِ وَالنَّاسُ مُحْتَاجُونَ إِلَى غَيْرِهِمْ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْوَاجِبَ غَنِيٌّ ذَاتًا وَصِفَةً وَفِعْلًا وَالنَّاسُ مُحْتَاجٌ فَقِيرٌ ذَاتًا وَصِفَةً وَفِعْلًا فَكَيْفَ يُمْكِنُ قِيَاسُ الْوَاجِبِ بِغَيْرِهِ وَتَخْصِيصُهُ ﷺ لِلنَّاسِ بِالذِّكْرِ لِكُونَ الْإِنْسَانِ اشْرَفَ الْمَخْلُوقَاتِ وَاكْمَلَهَا لِكُونِهِ مَعْجُونًا مُرَكَّبًا مِنَ الْأَضْدَادِ جَسْمًا وَنَمُودَجًا لِلْعَالَمِ الْكَبِيرِ رُوحًا وَنَفْسًا فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَعَ هَذِهِ الْمَزَايَا لَا يُقَاسُ الْوَاجِبَ بِهِ فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَعَدَمُ قِيَاسِهِ تَعَالَى بِهَا أَوْلَى وَأَمَّا حَمَلُهُمْ كَلَامَهُ ﷺ فِي الْمَقَامِ عَلَى نَفْسِي التَّشْبِيهِ كَمَا قَالَ الْخَوَثِيُّ أَي لَا يَشْبَهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْبِهَةُ وَالْمُحْسِمَةُ، فَهُوَ وَإِنْ يُمْكِنُ ارْجَاعُهُ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ إِلَّا أَنْ سَوَّقَ الْكَلَامَ يَا بَاهُ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا بِلَا جَوَارِحٍ وَلَا أَدْوَاتٍ وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ...

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١)

و: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (٢)

وفي قوله ﷺ: وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا

تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا

أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا

اَتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ<sup>(١)</sup> والمقصود ان الله تعالى كلمه واره من آياته ما اراه بلا جوارح الي آخره مع ان التكلم بالنسبة الي غيره تعالى لا يكون الا بالتطوق بجارحة اللسان وهذا هو السر في قوله تعالى تكليما اي كلم الله موسى تكليما غير تكليم الناس وذلك لأن تكليم الناس باللسان وتكليم الله تعالى ليس كذلك وتوضيح المقام يستدعي البحث في مقامين:

المقام الأول في كلامه تعالى وكيفية تكلمه لموسى عليه السلام فنقول لنا في المقام

اصلان:

الأول: انه متكلم ومعنى التكلم فيه.

والثاني: في تكلمه لموسى وانه ما هو وكيف هو:

اما اثبات اصل التكلم له تعالى فقد مر الكلام فيه عند بحثنا في صفاته تعالى ومع ذلك نشير اليه اجمالا ونقول هو ثابت له تعالى نقلا وعقلا واجتماعا.

اما النقل: فقد مضت الآيات فيه وبعد الآيات المصراحة به لا نحتاج الى ذكر الأخبار.

واما العقل: فلأن التكلم كمال للموجود وعدمه نقص له والواجب كامل من جميع الجهات ذاتا وصفة فلو لم يقدر على الكلام يكون ناقصا والناقص مُمكِن والمفروض انه واجب فهو متكلم، وثانيا انه تعالى خلق من خلقه من يكون متكلمًا كالإنسان، والمَلِك والجن وقد ثبت ان معطي الشيء لا يكون فاقدًا له فهو ان كان متكلمًا فهو المطلوب والآ فكيف اعطى التكلم لغيره، وثالثا ان الكتب السماوية كلها كلام الحق وهو دليل على المطلوب:

واما الإجماع: فقد قام من جميع الملل كاليهود والنصارى والمسلمين وغيرهم من اتباع الأديان السماوية على اتصافه تعالى بالكلام ولم نعلم فيه مخالفا والحق ان اصل التكلم له تعالى مما لا شك فيه واما الخلاف في كَيْفِيَّتِهِ

في حقّه وهي التي صارت معركة بين القوم كما ستعلمه:

الأصل الثاني في معنى التّكلم في حقّه تعالى وكيفيّة صدوره عنه.

اعلم: أنّ التّكلم مصدر من باب التّفعل والتّكليم مصدر من باب التّفعل يقال تكلّم يتكلّم تكلّما، كما يقال كلّم يكلّم تكلّما، واصله الكلّم وهو في اللّغة الجرح وقال في المفردات، الكلّم التّأثير المُدرِك باجدي الحاسّتين فالكلام مُدرِك بحاسّة السّمع والكلّم بحاسّة البصر، انتهى هذا في اللّغة:

وأما في الإصطلاح فالكلام يُطلق على الألفاظ المنظومة وعلى المعاني التي تحتها مَجْمُوعَة وعند النّحويّين يقع على الجُزء منه اسما او فعلاً او أداة بشرط كونه مفيدا اي يَصحّ السّكوت عليه لما قال ابن مالك في منظومته:

كلامنا لفظٌ مُفيدٌ كاستقيم      واسمٌ وفصلٌ ثمّ حرفُ الكلّم  
وأما معنى التّكلم وكيفيته في الله تعالى فهو لا يظهر لك الآ بعد معرفتك به  
في الإنسان فنقول:

قال بعض المُحقّقين أنّ الإنسان اذا اراد ان يتكلّم بكلام فمبدا هذه الإرادة أولاً صورة عَقْلِيّة حاصلة في القوّة النّاطقة على وجه البساطة والإجمال وينشا من هذه القوّة اثرٌ في القلب والمراد منه هاهنا الرّوح النّفساني المُدبّر لبلدن الإنسان لا العَضو الصّنوبري الشّكل بل هو مظهر ذلك الرّوح ومُستواه بمنزلة العرش الذي استوى عليه الرّحمن ثمّ يسري منه اثرٌ الى الدّماغ بواسطة الرّوح الحيواني الذي هو بخارٌ لطيف حاصل من صفوة الأخلاط كما أنّ الأعضاء البدنية حاصلة من كدرها وذلك الأثر هو الصّورة الخيالية للكلام او الكتاب. ثمّ يظهر اثره وصورته المَحسوسة في الخارج بواسطة الأعصاب الدّماغية الخارجية من الدّماغ بان يسري فيها اثر الدّماغ ومن الأعصاب الي الأوتار والرّباطات المُتعلقة بالعضل فيتّحرك بها الأعضاء الأولى كالة الذّوق او الة اللمس كاللسان واليد فيوجد صورة الحرف والصّوت في صحيفه الهواء المقرّوع الخارج من الجوف المنقوش بصورة الحروف والكلمات اللفظية

بواسطة التقاطيع العارضة له عند المَخارج او في صَحيفة القرطاس المَكْتُوب  
بصورة الحُرُوف والكلمات الكتابية وهذا غاية نزوله من عرش القلب او ماهو  
اعلى منه الى بسيط الصَّحيفة الهوائية او الأرضية ثم يرتفع منه اثر وصوره الى  
الصَّماخ وهو عضو غُضْرُوفِي في مركب من العناصر الأربعة ومنه بواسطة  
العَضلات والأوتار الى الأعصاب ومن الأعصاب الى الأرواح الدماغية ومنها  
الى الدماغ ومنه الى القُوَّة الخيالية وهلم الى الناطقة وبعدها فهذا الترتيب  
الصَّعُودي على عكس الترتيب النزولي قال اذا عَلِمْتَ هذا فِقِس عليه كلام الله  
وكتابه وعابنهما بعين المُكاشفة لأن هذا من عجائب سِرِّ الأدمي.

فاعلم ان حقائق الأشياء ثابتة في عِلْم الله تعالى بل في قَلَم قُدْرته على وجه  
بسيط مُقدس اعلى واقدس من سائر العلوم التَّفصيلية وهي ايضا مَسْطُورة في  
اللَّوح المَحْفُوظ بل عقول الملائكة المُقْرِبين وكما ان المُتَكَلِّم يَتَّفَكَّر اَوَّلًا  
ويخطر بباله صورة ما يُريد ان يَتَكَلَّم به ثم يُخرجه من الضمير الى الهواء  
الخارج فتلك صورة حُكْم الله واطهاره مافي عِلْمه المَكْتُون عن اعين الخلق  
اذا خرج من الغيب الى الشَّهادة حتى نزلت الى نهاية تدبير الأمر فعند ذلك اوان  
الشَّرُوع في الصَّعُود اليه والعُروج اليه يَصْعَد الكَلِم الطيب والعمل الصالح كما  
قال يُدبر الأمر من السَّماء الى الأرض ثم يعرج اليه، انتهى ما اردنا نقله عنه  
والكلام طويل وانا اقول الحق في المقام انه تعالى اذا اراد ان يَتَكَلَّم فهو يوجد  
الكلام بايجاد حُرُوفه في الخارج خروجا ابداعيا واما كَيْفِيَّة التُّكَلِّم في حَقِّه  
تعالى فلا نعلمه اصلاً والذي كَلِّفنا به هو الإعتقاد بانه مُتَكَلِّم كما انه عالم قادر  
مُريد واما حَقِيقَة هذه الصِّفات فيه تعالى وكَيْفِيَّة اتِّصافه بها فلا يُمكن لنا فهمها  
ودرُكها وتَصُورها وحيث انه ﷻ قال في الجُملة السَّابِقة ولا يُقاس بالنامي  
فصرف الكلام عنه اولي والوجه هو ان الله تعالى واجب الوجود وخالق كل  
شيء وموجده فكما ان المَخْلُوق لا يقدر على فهم ذاته والوصول الى حَقِيقَة  
الوَهْيِته فكذلك لا يمكن له الإحاطة بصفاته من حيث الحَقِيقَة فان الصِّفات

عين الذات فخفاء الذات هو خفاء الصفات بعينه.

الأصل الثاني - في كيفية تكلمه تعالى لموسى وأنه باي نحو كان فنقول:  
روي الفيض رحمته في تفسيره الصافي نقلاً عن الخصال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام ولياليهن ما طعم موسى ولا شرب فيها فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله عز وجل انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم وفي التوحيد عن الكاظم في حديث فخرج بهم إلى طور سيناء فاقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسال الله تعالى ان يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى وسمعوا كلامه من فوق واسفل ويمين وشمال ووراء وامام ان الله عز وجل احذته في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى يسمعه من جميع الوجوه انتهى.

وعن امير المؤمنين عليه السلام كلم الله موسى تكليماً بلا جوارح وادوات وشفه ولهوات، وايضا عنه عليه السلام في حديث وقد ساله رجل عما اشبهه عليه من الآيات، وكلام الله ليس بنحو واحد منه ما كلم الله به الرسل ومنه ما قذفه في قلوبهم ومنه رؤيا يريها الرسل وحي وتنزيل يتلى ويقرا فهو كلام الله فاكتف بما وصفت لك من كتاب الله فان معنى كلام الله ليس بنحو واحد فان منه ما تبلغ رسل السماء رسل الأرض انتهى.

المقام الثاني: في شرح قوله عليه السلام: وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً، اي ارى الله تعالى موسى من آياته التكوينية التي دلت على عظمته، عظيماً من سماع الصوت من الجهات الست ورؤيته نارا بيضاء من شجرة خضراء كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ، أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى



وفي المقام ابحاث طويلة عميقة لا تسعها افهام اكثر العلماء فضلاً عن غيرهم ونحن اعرضنا عن ذكرها والبحث عنها عملاً بقوله كَلَّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ وَقَوْلِهِ ﷻ اتَّقُوا مَوَاضِعَ التَّهْمِ.

□ قوله ﷻ: بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لَوْصِفِ رَبِّكَ فَصِفِ جِبْرِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجِحِينَ مُتَوَلِّهَةً عَقُولُهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ...

كلمة بل، للإستدراك والمعنى ان كنت صادقاً فيما تقول وتتكلم في وصف ربك فصِف جبرئيل وميكائيل وغيرهما من الملائكة المُقَرَّبِينَ الَّذِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجِحِينَ أَي مُتَوَاضِعِينَ مُتَخَاضِعِينَ لِعَظْمَةِ اللَّهِ مُتَوَلِّهَةً أَي حَائِرَةً أَوْ مُتَخَوِّفَةً عَقُولُهُمْ عَنِ تَحْدِيدِ أَحْسَنِ الْخَالِقِينَ وَالغَرَضُ أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فَكَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى وَصْفِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنْ مَنْ عَجَزَ عَنِ وَصْفِ الْمَخْلُوقِ فَهُوَ عَنِ وَصْفِ الْخَالِقِ اعْجَزَ هَذَا أَوَّلًا:

وثانياً: ان المُقَرَّبِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ عَجَزَتْ عَنْ وَصْفِهِمْ لِعَظَمَتِهِمْ وَشَرَفِ خَلْقَتِهِمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَنِ وَصْفِ الْخَالِقِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَلَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ تَحْدِيدُهُ أَصْلًا بَلْ صَارُوا مُتَوَلِّهِينَ حَائِرِينَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالَتِهِ فَكَيْفَ يُمْكِنُ لَكَ وَالْأَمْثَالُكَ وَصْفِ الْخَالِقِ فَانْتَ أَوْلَى بِالْعَجْزِ وَالْوَصْفِ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي حَقِيقَةِ الْمَلَائِكَةِ وَأَطْوَارِهِمْ فَقَدْ مَرَّ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الْأُولَى مُفْصَلًا فِرَاجِعِ هُنَاكَ.

□ قوله ﷻ: فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذُوُّ الْهَيْئَاتِ وَالْأَدْوَاتِ وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ، أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ...

اي انما يُعرف الشئ بصفته او صفاته اذا كان ذوي الهيئات والادوات كما اذا

أردت تعريف الكرسي مثلاً تقول وصفه كذا وحشبه كذا وشكله كذا وفي الإنسان لونه كذا وقامته كذا وعينه ورجله ويده وشعره كذا وهكذا فهذه الأوصاف تكشف عن موصوفها وتعرفه حقّ التعريف بل الأكثر في تعاريفهم يعتمدون على الأوصاف فإن الصفة كاشفة عن الموصوف إذا كان كذلك .

هكذا يمكن تعريف الموصوف بالصفة في الموجودات التي تنقضي بالفناء إذا بلغ أمدها كالممكنات من غير ذوي الهيئات والأدوات كالماء والهواء والأفلاك والنجوم وغيرها فقولهُ ﷺ: ذو الهيئات والأدوات إشارة إلى الأجسام والأشكال وقوله ﷺ: من تنقيض إشارة إلى غيرها من الموجودات الممكنة في عالم الوجود وعليه فالملاك في ادراك الشيء بالصفة هو أحد هذين الأمرين أو كلاهما والجامع بينهما هو الإمكان فكلّ ممكن يُعرف بالصفة أو يُمكن أن يُعرف بها وأما ما ليس مُتصفاً بهما أو باحدهما فلا يمكن ادراكه بسبب وصفه وصورة القياس هكذا.

هذا من ذوي الهيئات والأدوات وكلّ ما كان كذلك يمكن ادراكه بالصفة فهذا مُدركٌ بها وهذا ممّن ينقضي أمده بالفناء وكلّ ما كان كذلك فهو مُدرك بالصفة فهذا مُدركٌ بها.

ثمّ نقول الواجب تعالى مُنزه عن الأمرين وكلّ ما كان كذلك لا يُدرك بها فهو لا يُدرك بها.

□ قوله ﷺ: فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلُّ ظَلَامٍ وَاطْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلُّ نُورٍ....

فقوله ﷺ لا إله إلا هو كلمة التوحيد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (١)

وقوله ﷺ: أَضَاءَ بِنُورِهِ أَيِ اضْأاء الله بنور ذاته كلّ ظلام، قال الخوئي رحمه الله والنور والظلام في القرينة الأولى يَحتملان المَحسوس وغيره فإن اريد به الظلام المَحسوس فالمراد اضْأاءته بانوار الكواكب والنيرين وان اريد به الظلام

المعقول اعني ظلمة الجهل فالمراد اضاءته بانوار العلم والشرائع ثم قال واما القرينة الثانية المقصود بها ان جميع الأنوار المحسوسة او المعقولة مضمحلة في نور علمه وظلام بالنسبة الى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده وكمال وجوده هكذا قال الشارح البحراني ثم انه اشكل عليه الأمر وعلم ان ما ذكره البحراني لا يرجع الى محصل فقال ما لفظه وفيه انه لم يقل اظلم بنوره كل نور بل قال اظلم بظلمته وهو ينافي هذا المعنى فالأنسب ان يراد بالنور والظلمة الوجود والعدم ويصح ذلك التأويل في القرينة الأولى ايضا فيكون الإضاءة والإظلام فيهما كناية عن الإيجاد والإعدام ثم قال ويحتمل على بعد ان يكون الضمير في قوله عليه السلام: **بِظُلْمَتِهِ** راجعا الى كل نور لتقدمه رتبته فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ الى النور هو ما ينسب اليه تعالى فتلك الجهة نور واما الجهات الراجعة الى الممكنات فكلها ظلمة انتهى ما ذكروه.

وانا اقول: انما ذكرنا ونقلنا ما حققه في المقام او نقله عن البحراني بالفاظه وعباراته لتعلم ان هذين العلمين لم يفهما مراده عليه السلام ولم يصل الى معنى كلامه اصلاً وقد مرّ منا مرارا ان الخوئي رحمته الله وهكذا غيره من المتأخرين الذين تصدوا لشرح كلام امير المؤمنين عليه السلام اذا وصلوا الى امثال هذه العويصات التي لا يمكن فهمها ودركها الا بالبرهان والكشف قلّدوا البحراني فقالوا ما قالوا من غير علم لهم بما قال ولا تمييز لهم فيما ظهر منه في المقال وهذه الرؤية متداولة بين اكثر المؤلفين بل المصنفين وليت شعري ما الذي حملهم على هذه الطريقة وانت اذا تأملت في المقام لعلمت صحة ما قلناه لك فما ذكره البحراني رحمته الله في الفقرة الثانية التي هي الأصل في المقام لا نفهم معناه ولا ربط له بكلامه عليه السلام وذلك لأن كون الأنوار المحسوسة والمعقولة مضمحلة في نور علمه مما لا شك فيه ولكنه خارج عن البحث فان البحث في معنى قوله عليه السلام: **وَإِظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلُّ نُوْرٍ** ، فالضمير في قوله عليه السلام: **بِظُلْمَتِهِ** الى اي شيء يرجع فان كان المرجع فيه هو الله بقرينة مقابلة اعني قوله (بنوره) يصير المعنى ان الله

تعالى كما اضاء بنوره كل ظلام فقد اظلم بظلمته كل نور، والمفروض ان الله تعالى لا ظلمة له بل هو نور محض، وان كان المرجع فيه شيئاً آخر فما هو، والحاصل انه كيف اظلم بظلمته كل نور وهل يعقل اظلام النور بظلمة الله وهذا هو الإشكال الذي صيرهم صرعى وعقولهم حيارى، واما قول الخوئي رحمه الله بعد اعتراضه على البحراني، وان الإضاءة والإظلام فيهما كنايةتان عن الإيجاد والإعدام وان المراد بالنور الوجود وبالظلمة العدم، فيقال له: الإشكال باق بحاله بل صار اصعب وذلك لأن المعنى على ما ذكره يصير هكذا:

ان الله تعالى اضاء بنوره اي بوجوده كل ظلام اي كل عدم هذا في الجملة الأولى واما الثانية ان الله اظلم اي اعدم بظلمته اي بعدمه كل نور ووجود وهذا المعنى مما لا نفهمه فان تفهمه فافهم نعم لو كانت العبارة الثانية وانا بنوره كل ظلمة لكان لما ذكره وجه هذا ما ذكره في المقام واما الشارح المعتزلي فهو بمعزل عن هذه الأبحاث فراح واستراح:

والذي حصل لنا في المقام بعون الملك الوهاب هو غير ما ذكره وتوضيحه يتوقف على بيان معنى الظلام والإظلام والظلمة والنور فنقول: الظلام بفتح الظاء اسم للظلمة قال في لسان العرب يقال ليلة ظلماء اي مظلمة والظلام اسم يجمع ذلك كالسواد ولا يجمع مجري مجري المصدر، وقيل الظلام اول الليل وان كان مقرا يقال اتيت ظلاما اي ليلاً اي عند الليل قاله سيبويه، واما الإظلام فقال فيه، اظلم:

القوم، دخلوا في الظلام، وقال في موضع آخر اضاء اي اصاب ضوء واطلم اي اصاب ظلمة والنور بضم النون الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار وهو محسوس ومعقول فالمحسوس منه ما ذكرناه والمعقول ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن فهو بعين البصيرة كما ان الأول بعين البصر والظلمة خلافه والإشراقون اطلقوا النور على الوجود لكونه واجدا لخاصيته

فقالوا النور هو الظاهر بالذات والمُظْهر للغير كما ان الوجود كذلك ولذلك يُعبّرون عن الواجب بنور الأنوار اي حقيقة الوجود اذا عرفت هذا فنقول:  
 اما الجُملة الأولى اعني قوله ﷻ اضاء بنوره كل ظلام معناه اضاء بنور وجوده كل ظلمة اي صارت الظلمات بنور وجوده مُستضيئة مُستنيرة وذلك لأن وجوده تعالى علة لايجاد المُمكنات التي هي الظلمات المنسوبة فان المُمكن لكونه في مرحلة الإستواء بين الوجود والعدم يحتاج في خروجه منها الى علة خارجة عن مقام ذاته نفيًا للتسلسل وهي لا تكون مُمتنعًا لإستحالة كون المُمتنع علة لايجاد فلا محالة هي واجبة فالواجب هو المُخرج له عن مرحلة الإستواء اعني الظلمة المَعنوية فصَح ان يقال اضاء بنور وجوده كل ظلمة اي كل مُمكن كما قيل.

بنور وجهه استنار كل شيء وعند نور وجهه سواء في  
 وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> وهذا ممّا لا كلام فيه بيننا  
 وبينهم ظاهراً:

واما الجُملة الثانية اعني قوله واظلم بظلمته كل نور ففيه احتمالان:  
 احدهما: ان يكون الضمير في قوله ﷻ: بظلمته راجعاً الى الظلام في الجُملة  
 السابقة وعليه فمعنى الجُملة الثانية انه تعالى اظلم بظلمة الظلام كل نور  
 ووجوده ففيه اشارة الى الوجود الذي هو نور محض يصير بسبب تعلقه  
 بالماهيات المُظلمة ايضاً مظلماً لخلطه بها والآ فهو في حد ذاته لا ظلمة فيه  
 وذلك لأن الظلمة شر والشر ظلمة والشر مُستند الى الماهية لا الى الوجود  
 فالوجود خير محض لا شر فيه اصلاً والشرور المُستندة الى المُمكن من ماهيته  
 لا من وجوده الا ان الوجود مع طهارته وقداسته اذا اختلط بالماهية المُظلمة  
 فكانه يصير مُظليماً بحسب الظاهر فلولا هذا الإختلاط والإمتزاج في ظاهر  
 الأمر لما كان المَوْجُود المَخْلُوق مُظليماً اصلاً ولكنه تعالى هكذا اراد لأجل

المصالح:

وثانيهما: ان يكون الضمير راجعا اليه تعالى كما في قوله بنوره، وعليه فالمعنى كما ان الله تعالى اضاء بنوره كل ظلام كذلك اظلم بظلمته التي خلقها كل نور ووجود ففيه اشارة الى ان الظلمة مخلوقة مَجْعولة له كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾<sup>(١)</sup> سواء كان الجعل بسيطا ام كان مُركبا فالمعنى ان الله كما يقدر على اخراج الظلمة الى النور كذلك يقدر على اخراج النور الى الظلمة وادخاله فيها فان الأمر بيده وهو على كل شيء قدير، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ.

هذا ما خَطَرَ لَنَا بِالْبَالِ وَمَعَ ذَلِكَ مَا ادْرِي اصْبْتُ او اخطأتُ، فتدبر في المقام فانه من مزوال الأقدام والحمد لله رب العباد:

□ قوله ﷺ: **أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش...**

قد مرّ الكلام في التقوى وبيان ماهيتها وما ورد في مدحها في الآيات والأخبار غير مرّة، والرياش بكسر الراء جمع ريشة وهي في الأصل كسوة الطائر وزيتته فهي للطائر كالشعر لغيره، وقال في المنجد الرياش هو ما كان فاخرا من اللباس والأثاث انتهى.

**اقول** وكيف كان فلا شك ان الله تعالى هو الذي البسنا الرياش وفي تعبيره ﷺ بقوله ألبسكم، ما لا يخفى لطفه حيث اشار ﷺ به الى قوله تعالى حيث قال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله ﷺ: **وأسبغ عليكم المعاش.** اشار الى قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>(٣)</sup> يقال درع سابغ اي تام واسع وعنه استعير اسبغ الوضوء واسبغ النعم، والمعنى اني اوصيكم يا عباد الله بتقوى الله كما اوصاكم الله

تعالى بها في كثيرٍ من آياته الذي البسكم الرياش من المال والأثاث واللباس وغيرها واستبغ وانتم عليكم المعاش فيما تحتاجون اليه في تعيشكم وحياتكم من النعم الظاهرة والباطنة التي ان تعدوها لا تحصوها وذلك لأن شكر المنعم واجب عقلاً وشرعاً والشكر لا يتم بالقول فقط بل هو قولٌ وفعلٌ وحالي والقول والحال لا يترتب عليهما اثر ما لم يقرنا بالعمل ولا نعني بالتقوى الآ هذا:

□ قوله ﷺ: وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ لِدْفَعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ ابْنُ دَاوُودَ ﷺ...

اي ولو ان احدا من المخلوقين يجد الى البقاء الدائم في دار الدنيا سبيلاً وطريقاً لثلا يموت لكان ذلك الشخص هو سليمان ابن داود النبي وذلك لما قال ﷺ:

□ قوله ﷺ: الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النَّبُوءَةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ...

فان سليمان ﷺ كان سلطاناً على الجن والإنس ظاهراً وباطناً اما ظاهراً فانه قد تيسر له ما لم يتيسر لاحد قبله ولا بعده لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ، وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(١)</sup> واما باطنا فلمقام النبوة والنبوة من اعلى المقامات وقوله ﷺ: مَعَ النَّبُوءَةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾<sup>(٢)</sup> والزلفة المنزلة.

والمقصود ان سليمان مع هاتين المنزلتين لم يجد سلماً الى البقاء في الدنيا بل مات كما قال ﷺ.

□ قوله ﷺ: فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنَبَالِ الْمَوْتِ وَاصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ...

الإستيفاء اخذ الحقّ تماماً يقال استوفى حقه اي اخذه تاماً وافياً، والقسي بكسر القاف والسّين والياء المشددة جمع قوس بفتح القاف وسكون الواو وهو مصدر من قاس يقوس قوساً وهو آلة على شكل نصف دائرة ترمى به السهام وهي مؤنثة وقد تذكر ما قاله في المنجد انتهى والمعنى فلما اخذ سليمان طعمته من الدنيا بالتمام والكمال واستكمل مدته وانقضى عمره ورّمته قسيّ الفناء، شبهه عليه السلام الموت بصاحب القوس ثم اثبت له اقواساً يرمى بها الى الأحياء تخيلاً فهو من الإستعارة التخييلية كانياب اغوال ولذلك قال عليه السلام بنبال الموت فإنّ النبال جمع نبله وقيل جمع النبل والنّبل والنّبل هو الثاني وقيل انّ النبله تجمع على النبال والنبلات معا وكيف كان فالمعنى واضح وانّ سليمان بعد استيفاء الطعمة واستعمال المدة صار هدفاً لسهام الموت فمات واصبحت الديار التي كان فيها خالية منه والمساکن التي كان ساكنها معطلة وورثها اي الديار والمساکن قوم آخرون كما هو حال الدنيا ومن فيها وهو دليل على عدم اعتبارها واذا كان سليمان مع علو شأنه ومقامه حاله هكذا فما ظنك بغيره من الناس:

وحيث انجر الكلام الى سليمان فلنذكر اجمالاً من حاله اعلم انّ سليمان، بضمّ السّين تصغير سلمان وهو علم لسليمان النبي عليه السلام وقيل في اسمه سليم وسلام فغيروه ضرورة كما قال الشاعر:

ودعا بمحكمة امين سكتها  
وقال النابغة:

مضاعفة تخيرها سليم  
وقال الخطيب:

فيه الرماح وفيه كل سابغة  
جدلاء محكمة من نسج سلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنطِقَ



الطَّيْرِ وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ، وَحُشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ  
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ» (١)

روي في البحار عن الكافي باسناده عن بعض اصحابنا قال قلت لأبي جعفر  
الثاني عليه السلام أنهم يقولون في حدائث سنك فقال ان الله تبارك وتعالى اوصى الى  
داود ان يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم فانكر ذلك عباد بني اسرائيل  
و علمائهم فاوحى الله تعالى ان خذ عصي المتكلمين وعصا سليمان واجعلها  
في بيت واختم عليه بخواتيم القوم فاذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد  
اورقت واثمرت فهو الخليفة فاخبرهم داود فقالوا قد رضىنا وسلّمنا انتهى ج ٥  
ص ٣٥٤ واما حشمته وجلالته:

(روي المجلسي في البحار عن الأصبع قال خرج سليمان ابن داود من بيت  
المقدس مع ثلاث مائة الف كرسى عن يمينه وثلاث مائة الف كرسى عن  
يساره عليها الجن وامر الطير فاظلتهم وامر الريح فحملته حتى وردت بهم  
المدائن:

ثم رجع ومات في اصطخر ثم غدا فانتهى الى جزيرة بركادان ثم امر الريح  
فخففتهم حتى كادت اقدامهم يصيبها الماء فقال بعضهم لبعض هل رايتم  
ملكا اعظم من هذا فنادى ملك من السماء لثواب تسبيحة واحدة اعظم مما  
رايتم انتهى) وايضا باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر قال عليه السلام كان لسليمان  
حصن بناه الشياطين له فيه الف بيت في كل بيت طروقه منهن سبع مائة امة  
قبطية وثلاث مائة حرّة قهيرة فاعطاه الله قوة اربعين رجلا في مباحصة النساء  
وكان يطوف بهن جميعا ويسعفنهن قال وكان سليمان يامر الشياطين فتحمل له  
الحجارة من موضع الى موضع فقال لهم ابليس كيف انتم قالوا ما لنا طاقة بما  
نحن فيه فقال ابليس اليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغا قالوا نعم قال  
فانتم في راحة فابلغت الريح سليمان ما قال ابليس للشياطين فامرهم يحملون

الحجارة ذاهبين ويحملون الطين راجعين الى موضعها فتراى لهم ابليس فقال كيف انتم فشكوا اليه فقال الستم تنامون بالليل قالوا بلى قال فانتم في راحة فابلغت الريح ما قالت الشياطين وابليس فامرهم ان يعملوا بالليل والنهار فما لبثوا الا يسيرا حتى مات سليمان قال وخرج سليمان يستسقي ومعه الجن والانس فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحها رافعة يدها وتقول اللهم انا خلق من خلقتك لا غنى بنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن كان معه ارجعوا فقد شفع فيكم غيركم وفي خبر قد كفيتم بغيركم انتهى).

عمره ومدة ملكه وموته: (روي في البحار باسناده عن موسى ابن جعفر عليه السلام قال ما بعث الله نبيا قط الا عاقلا وبعض النبيين ارجح من بعض وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشرة سنة ومكث في ملكه اربعين سنة وملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشر سنة ومكث في ملكه ثلاثين سنة انتهى).

(روي في البحار باسناده عن ابي الحسن الرضا عن ابيه موسى ابن جعفر عن ابيه جعفر ابن محمد عليه السلام قال عليه السلام ان سليمان ابن داود قال ذات يوم لأصحابه ان الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي سخر لي الريح والانس والجن والطير والوحوش وعلمني منطق الطير واتاني من كل شيء ومع جميع ما اوتيت من الملك ما تم لي سرور يوم الى الليل وقد احببت ان ادخل قصري في غد فاصعد اعلاه وانظر الى ممالكها فلا تاذنوا لأحد علي لئلا يرد علي ما ينغص علي يومي قالوا نعم فلما كان من الغد اخذ عصاه بيده وصعد الى اعلى موضع من قصره ووقف متكئا على عصاه ينظر الى ممالكه مسرورا بما اوتي فرحا بما اعطي اذ نظر الى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فلما بصره سليمان قال له من ادخلك الى هذا القصر وقد اردت ان اخلو فيه اليوم فباذن من دخلت فقال الشاب ادخلني هذا القصر ربّه وباذنه دخلت فقال ربّه احقّ به مني فمن انت فقال انا ملك الموت:

قال ﷺ وفيما جئت قال جئت لأقبض رُوحك قال امض لما امرت به فهذا اليوم سروري وابى الله عز وجل ان يكون لي سرور دون لقاءه فقبض ملك الموت رُوحه وهو متكى على عصا بقى سليمان متكئا على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون اليه وهم يُقدِّرون انه حَيٌّ فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال ان سليمان قد بقى متكئا على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم يئم ولم ياكل ولم يشرب انه لربنا الذي يجب علينا ان نعبده وقال قوم ان سليمان ساحرٌ وانه يرينا انه واقف متكى على عصاه يسحر اعيننا وليس كذلك فقال المؤمنون ان سليمان هو عبد الله ونبيه يدبر الله بما شاء فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة فدبت في عصاه فلما اكلت جوفه انكسرت العصا وخرَّ سليمان من قصره على وجهه فشكرت الجن للأرضة صنيعها فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان الا وعندها ماءٍ وطين وذلك قول الله تعالى عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١)

ثم قال الصادق ﷺ والله ما نزلت هذه الآية هكذا واثما نزلت فلما خرَّ تبَيَّنَتِ الإنس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انتهى والأحاديث كلها في البحار - ٥ ص - ٣٤٩ الى ٣٦٦ .

□ قوله ﷺ: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيَنَّ الْعَمَالِقَةَ وَأَبْنَاءَ الْعَمَالِقَةِ! أَيَنَّ الْفَرَاعِنَةَ وَأَبْنَاءَ الْفَرَاعِنَةَ أَيَنَّ أَصْحَابَ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَاؤُهُمْ سُنَّنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَا سُنَّنَ الْجَبَّارِينَ!...

بعد ذكره ﷺ سليمان وانه مع حشمته وجلالته وثبوتة قد مات ولم يقدر على دفع الموت عن نفسه فسائر الناس اولى بالعجز، اشار الى ملوك الجبابرة والميل الطاغية وانهم ايضا قد ماتوا ولم يقدروا على دفع الموت عن انفسهم

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

وإنما اشار ﷺ إلى الفراعنة وامثالهم بعد الإشارة إلى سليمان مع أنه ﷺ من اعدل الملوك واصلحهم وهؤلاء بالعكس للإشعار، بأن الموت مما لا مَحِيصَ عنه للبتر والفاجر والمسلم والكافر والعاقل والظالم وإن الدنيا ونعيمها زائلة لا محالة فلا يبقى للإنسان إلا عمله فكما أن سليمان ﷺ مع نبوته وعدالته ومُلكه الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده عَجَزَ عن دفع الموت عن نفسه كذلك العمالقة والفراعنة وغيرهم من الظالمين لم يقدرُوا عليه وإلى هذا المعنى اعني قطعياً الموت لكل مخلوق اشار الله تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١)

و: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢)

و: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (٣)  
و: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٤) وغيرها من

الآيات.

وكذلك قال ﷺ: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَي فاعتبروا منها لأنفسكم فانكم تموتون.

كما أنه قد مات من كان قبلكم كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٥) وفي قوله ﷺ: (لَعِبْرَةٌ) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٦) وأما العمالقة، فقبيل أنهم قوم من ولد عمليق كقنديل، ابن لاوذ ابن ارم ابن سام ابن نوح وهم أمم تفرقوا في البلاد، وقيل العمالقة الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد، وفي الحديث كان حول مكة يوم قدوم ابراهيم واسماعيل وهاجر ناس من العمالقة، وفي الدعاء دعا يوشع على العمالقة حين حاربوه فاصبحوا موتى كأنهم اعجاز نخل خاربة،

وقال في لسان العرب العَمَلِقُ الجور والظلم، والعملاق الطويل والجمع عماليق وعمالقة وعمالق بغير ياء الأخيرة نادرة إلى أن قال والعمالقة من عاد وهم بنو عملاق، قال الأزهري عملاق أبو العمالقة وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام على عهد موسى ثم وقال الجوهري العماليق والعمالقة قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن أرم ابن سام ابن نوح انتهى أقول قد عرفت أن العمالقة جمع عملاق وعليه فقول الأزهري أنهم من ولد عملاق من ولد عملاق أولى من سائر الأقوال وقد نقلنا عنهم ما ورد في الحديث من أنهم كانوا حول مكة حين قدوم إبراهيم واسماعيل ولعله إلى هذا المعنى أشار العمليق أو العملاق حيث قال:

لَمَّا رَأَيْتِ النَّاسَ فِي تَبْلِيلٍ      وَسَارِ مَنَا ذُو اللِّسَانِ الْأَطْوَلِ

فُسِرْتُ طُرًا بِالسَّوَادِ الْمِنْهَلِ      نَحْنُ يَمِينُ الشَّمْسِ فِي تَمَّهْلِ

ورابت في بعض التواريخ أن أمارة مكة كانت بيد معاوية ابن بكر الذي كان منسوبا إلى قوم عاد أبا وأما وردوا مكة أقام زعمائهم في بيت معاوية ابن بكر واشتغلوا باللغو واللعب فقال لقمان وميرئد وهما كانا من اتباع هود النبي ﷺ باطنا أن هؤلاء لا يمكن لهم التخلص عن القحط والغلا فانشدا في ذلك ابياتا أولها:

عَصَتْ عَادُ رُسُولِهِمْ وَأَسَا      عَطَاشًا لَا يَنْتَلَهُمُ السَّمَاءُ

ويظهر مما ذكرناه أن العمالقة كانوا من قوم عاد وقد اهلكهم الله تعالى كما اهلك غيرهم من الظالمين المعاندين وتفصيل الكلام فيهم مسطور في كتب المؤرخين:

وأما الفراعنة: فقد اشتهر طغيانهم وعصيانهم وأنهم كانوا ظالمين مفسدين في الأرض والفراعنة جمع فرعون على وزن بردون وهو غير منصرف لأنه اسم أعجمي فنقل منه إلى العلم وكان لقباً لكل من ملك مصر وهو عاتٍ مُتمرِدٌ يقال فرعن فرعنة، الرجل إذا تكبر وكان ذا ذهأٍ ومُنكرٍ، تفرعن النبات طال

وقوي، تَفَرَعَنَ فلان علينا طغى وتَجَبَّرَ وتخلَّقَ باخلاق الفراعنة اذا عرفت  
معنى الفراعنة بحسب اللغة فاعلم ان الفراعنة ثلاثة، فرعون الخليل واسمه  
سنان، وفرعون يوسف واسمه الرِّيان بن الوليد وفرعون موسى واسمه الوليد  
بن مصعب كذا قيل والأمر سهل:

وقد حكى الله تعالى في كتابه في قصته ومن تبعه ما يُغنيننا عن التواريخ وما  
ذكره المؤرخون فيها وذلك لأن التواريخ ظنَّته السُّند والدلالة ولا سيما بالنسبة  
الى ما قبل الإسلام فانها فيه غير معتمَدٍ قطعاً واما القرآن فهو قَطْعِي السُّند  
والدلالة في امثال هذه الأمور وان كانت دلالة في بعض الموارد كالمُتشابهات  
مثلاً ظنيته ومانحن فيه ليس منها وقد اشار الله تبارك وتعالى الى ملكه وظلمه  
ثم الى هلاكه وموته، والآيات الواردة وان كانت مُختصة بفرعون موسى ظاهراً  
الا ان حكم الأمثال واحد فان الفراعنة كانوا كذلك في الظلم والطغيان  
والتفاوت بينهم بالشدة والضعف كما هو الأصل في جميع الموارد فقال تعالى  
في المقام الأول:

- (١) اعني علوه وطغيانه: ﴿وَأَنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُشْرَفِينَ﴾  
و: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا﴾<sup>(٢)</sup>  
و: ﴿إِذْ هَبَّ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾<sup>(٣)</sup>  
و: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾<sup>(٤)</sup>  
و: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>  
و: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾<sup>(٦)</sup>  
و: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(٧)</sup>  
و: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَارِ﴾<sup>(٨)</sup>

و : ﴿ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ابْنَيْ لِي صَرِحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (١)

و : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ (٢)

و : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنَ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣)

و : ﴿ هَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ (٤)

و : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ ﴾ (٥)

وغيرها من الآيات.

وفي المقام الثاني:

اعني هلاكه قال: ﴿ قَلَمًا اسْفُونا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ وَاجْمَعِينَ، فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ (٦)

و : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٧)

و : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (٨)

و : ﴿ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (٩)

وهذه هي بعض الآيات الواردة في المقام فاعتبر منها ان كنت من المُعتبرين فإن فيها كفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد نعوذ بالله من غضبه ونقمته.

قصة اصحاب الرس: واما اصحاب الرس، قال الراغب في المفردات، اصل

- |                     |                  |
|---------------------|------------------|
| ١- غافر- ٣٤         | ٢- غافر- ٣٧      |
| ٣- الزخرف- ٥١       | ٤- البروج- ١٧/١٨ |
| ٥- الفجر- ١٠        | ٦- الزخرف- ٥٥/٥٦ |
| ٧- الاعراف- ١٣٠     | ٨- الاعراف- ١٣٣  |
| ٩- الاعراف- ١٣٦/١٣٧ |                  |

الرَّسُّ الأثر القليل الموجود في الشئ يقال سمعتُ رسًا من خَبَرٍ، ورَسَّ الحديث في نفسي، ووَحَدَ رسًا من حَمَى، ورَسَّ الميِّتَ دُفِنَ وجُعِلَ اثرا بعد عينٍ انتهى وقيل هو وادٍ كما قال الشاعر - وهُنَّ لوادي الرَّسِّ كاليدِ لِلْفِمِّ:

قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾<sup>(١)</sup> قيل في تفسير الآية الرَّسُّ البئر المطوية بالحجارة والرَّسُّ اسم بئرٍ كانت لبقيةٍ من ثَمُود كذبوا نبيهم ورَسَّوه في بئرٍ وعن تفسير علي بن ابراهيم اصحاب الرَّسِّ هُنَّ اللواتي باللواتي وهُنَّ الرِّسِّيَّات والرَّسُّ اسم وادٍ، وفي الغريب الرَّسُّ اسم معدنٍ، وكلُّ ركيَّة لم تطوف هي رَسٌّ، وعن معاني الأخبار معنى اصحاب الرَّسِّ انهم تُسبوا الى نهرٍ يقال له الرَّسُّ من بلاد المشرق، وقد قيل ان الرَّسُّ هو البئر وان اصحابه رَسَّوا نبيهم بعد سليمان ابن داود وكانوا يَعْبُدُونَ شَجَرَةَ صَنْوَبَرٍ يقال لها شاه درخت، كان غرسها يافث ابن نوح عليه السلام فانبئت لنوح بعد طوفان وكان نسائهم ليستغلن بالنساء عن الرجال فعذبهم الله بريح عاصفٍ شديد الحمرة وجعل الأرض من تحتهم حَجَرٌ كبريتٍ تتردد وظلتهم سحابة سوداء مظلمة فانكشفت عليهم كالقبة جمرة تلهب فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص في النار ورَسَّ الحَمَى ورَسَّيها واحد وهو اول مَسَّها، يقال فلان يَرَسُّ الحديث في نفسه اي يُحدِّث به، والرَّسِّيَّس الشئ الثابت، وقال في لسان العرب رَسٌّ بينهم يَرَسُّ رسًا، اصلح وعن ابن الأعرابي الرِّسَّة السارية المحكمة، وقال ابو مالك رِسيَّس الحَمَى اصلها، قال ذو الرِّمة:

إذا غيَّر النَّايَ المحبِّينَ لَمَّ اجد رسيَّسُ الهوى من ذكر مَيِّته يبرح  
ثمَّ نقل باقي الأقوال فيه ومن جملتها قول ابن عمرو فأنه قال الرِّسيَّس العاقل الفطن والأقوال كثيرة وأما وجه تسميتهم باصحاب الرَّسِّ وأنه من هُم فقد روي في البحار باسناده عن الرِّضا عن آبائه عليهم السلام عن الحسين ابن علي قال أتى علي ابن ابي طالب قبل مقتله بثلاثة ايام رجلٌ من اشراف بني تميم يقال له



عَمرو فقال يا امير المؤمنين عليه السلام اخبرني عن اصحاب الرّس في ايّ عَصْرِ كانوا  
واين كانت منازلهم وَمَنْ كان ملكهم وهل بَعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ اليهم رَسولاً ام لا  
وبماذا هَلَكُوا فاني اجد في كتاب الله عزَّ وجلَّ ذكرهم ولا اجد خَبْرهم فقال له  
عليّ لقد سالت عن حديث ما سالتني عنه احد قبلك ولا يَحَدِّثُكَ به احد بعدي  
الا عَنِّي وما في كتاب الله عزَّ وجلَّ آية الا وانا عَرَفْتُ تَفْسِيرَها وفي ايّ مكان  
نَزَلَتْ من سَهْلٍ او جَبَلٍ وفي ايّ وَقْتٍ نَزَلَتْ في ليلٍ او نهارٍ وان هاهنا لَعِلْمَا  
جَمًا وَاشار الى صدره ولكن طُلَّابُه يَسِيرُ وعن قليلٍ يَنْدُمُونَ لو فَقَدُونِي كان من  
قِصَّتِهِمْ يا اخا تَمِيمِ اَنَّهُمْ كانوا قوما يَعْبدُونَ شَجَرَةَ صَنْوَبِرٍ يقال لها شاه درخت  
وكان يافث ابن نوح عَرَسَها عليّ شفير عَيْنٍ يقال لها زُوَيبَاث كانت انبَتَتْ لنوح  
بعد طوفان وانما سَمَّوا اصحاب الرّس لأنَّهُمْ رَسَّوْا نَبِيَّهُمْ في الأرض وذلك بعد  
سليمان ابن داود وكانت لهم اثنتي عشرة قرية عليّ شاطئِ نَهْرٍ يقال له الرّس  
من بلاد المَشْرِقِ وبهم سَمِّيَ ذلك النهر.

ولم يكن يومئذٍ في الأرض نَهْرٌ اغزر منه ولا اعذب منه ولا قُرَى اكثر ولا  
اعمر منها تسمى احدِيهِنَّ اَبان، والثانية اَذر، والثالثة دَي، والرابعة بَهْمَن،  
والخامسة اسفند، والسادسة فَروردين، والسابعة ارديبهشت، والثامنة خُرداد،  
والثامنة مرداد، والعاشر تير، والحادي عشر مِهْر، والثاني عشر شَهريور،  
وكانت اعظم مدائنهم اسفند وهي التي ينزلها ملكهم وكان يُسَمَّى تركوذ بن  
عابور بن يارش بن ساذ بن نُمرود بن كنعان فرعون ابراهيم، وبها العين  
والصنوبرة وقد عَرَسُوا في كل قرية منها حَبَّةً من طَلْع تلك الصنوبرة واجروا  
اليها نهرا من العين التي عند الصنوبرة فَنَبَت الحَبَّة وصارت شَجَرَةً عظيمة  
وَحَرَّمُوا ماء العين والأنهار فلا يَشْرَبُونَ منها ولا انعامهم ومن فعل ذلك قتلوه  
ويقولون هو حياة آلِهتنا فلا ينبغي لأحدٍ ان ينقص من حياتها ويشربونهم  
وانعامهم من نهر الرّس الذي عليه قراهم وقد جعلوه في كل شهرٍ من السَّنَةِ في  
كل قرية عيدا اليه اهلها فيضربون عليّ الشَّجَرَةَ التي بها كِتْلَةٌ من حَرِيرٍ فيها من

انواع الصُور ثم ياتون شاة وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويسعلون فيها النيران بالخطب فاذا سَطَعَ دُخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر الى السماء خروا للشجرة سُجداً يَبْكُون وَيَتَضَرَّعون اليها ان ترضى عنهم فكان الشيطان يَجِيءُ فيُحَرِّك اغصانها ويُصيح من ساقها صياح الصبي ان قد رَضِيتُ عنكم عبادي فطيبوا نفسا وقرؤا عينا فيرفعون رؤسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف وياخذون الدستبند فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون وانما سميت العجم شهرهم بأبان وأذر ماه وغيرهما اشتقاقا عن اسماء تلك القرى لقول اهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليها صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقا من ديباج عليه من انواع الصُور وجعلوا له اثني عشر بابا كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للصنوبرة خارجا من السرادق ويُقربون لها الذبائح اضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجئ ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا ويعدهم ويؤمنهم باكثر ما وعدتهم ومنتهم الشياطين كلها يرفعون رؤسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون غيره ولا يتكلمون من الشرب والعزف فيكونون على ذلك اثني عشر يوما ولياليها بعدد اعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون فلما اطال كفرهم بالله عز وجل وعبادتهم بعث الله عز وجل اليهم نبيهم (نبيا) من بني اسرائيل من ولد يهود ابن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى عبادة الله عز وجل ومعرفة ربوبيته فلا يتبعونه فلما راي شدة تماديهم في الغي والضلال وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والنجاح وحضر عيد قريتهم العظمى.

قال: يارب ان عبادك ابوا الا تكذبي والكفر بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فايبس شجرهم اجمع وارهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم فهاهم ذلك وقطع بهم وصاروا فرقتين فرقة قالت سحر

إِهْتِكُمْ هَذَا الرَّجُلُ زَعَمَ أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَيْكُمْ لِيَصْرِفَ  
وَجُوهَكُمْ عَنِ الْإِهْتِكُمْ إِلَى الْإِلهِ وَفَرَقَةَ قَالَتْ لَأَبْلُ غَضِبْتَ إِلَيْهِمْ حَتَّى رَأَتْ هَذَا  
الرَّجُلَ يُعِيبُهَا وَيَقَعُ فِيهَا وَيَدْعُوَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهَا فَحَجَبَتْ حُسْنَهَا وَبَهَاؤُهَا  
لِكَيْ تَغْضَبُوا لَهَا فَتَنْتَصِرُوا مِنْهُ فَاجْمَعِ رَأْيَهُمْ عَلَيَّ قَتَلَهُ فَاتَّخَذُوا أَنْبِيَاءَ طَوَالاً  
مِنْ رِصَاصٍ وَاسِعَةٍ الْأَفْوَاهِ ثُمَّ أَرْسَلُوهَا فِي قَرَارِ الْعَيْنِ إِلَى أَعْلَى الْمَاءِ وَاحِدَةً  
فَوْقَ الْأُخْرَى مِثْلَ الْبِزَانِجِ وَزَحُوا مَا فِيهَا مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ حَفَرُوا فِي قَرَارِهَا بِنِزَا  
ضَيْقَةٍ الْمَدْخَلِ عَمِيقَةٍ وَأَرْسَلُوا فِيهَا نَبِيَّهُمْ وَالْقَمُومَ فَأَهَا صَخْرَةً عَظِيمَةً ثُمَّ  
أَخْرَجُوا الْأَنْبِيَاءَ مِنَ الْمَاءِ وَقَالُوا نَرْجُو الْآنَ أَنْ تَرْضَى عَنَّا إِلَيْهِمَا إِذَا رَأَتْ أَنَا قَدْ  
قَتَلْنَا مَنْ كَانَ يَقَعُ فِيهَا يَصُدُّ عَنْ عِبَادَتِهِمْ وَدَفَنَاهُ تَحْتَ كَبِيرِهَا يَتَشَفَى مِنْهُ فَيَعُودُ  
لَنَا نُورُهَا وَنَضْرَتُهَا كَمَا كَانَ قَبْلُهَا عَامَةً يَوْمَهُمْ يَسْمَعُونَ أَيْنَ نَبِيَّهُمْ وَهُوَ يَقُولُ  
سَيِّدِي قَدْ تَرَى ضَيْقَ مَكَانِي وَشِدَّةَ كَرْبِي فَارْحَمْ ضَعْفَ رِكْنِي وَقَلَّةَ حَيْلَتِي  
وَعَجَلَ بَقْبُضِ رُوحِي وَلَا تُؤَخِّرْ أَجَابَةَ دَعْوَتِي حَتَّى مَاتَ ﷺ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ  
جَلَالُهُ لَجِبْرِئِيلَ يَا جِبْرِئِيلُ ايْظُنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ غَرَّهُمْ حِلْمِي وَامِينُوا  
مَكْرِي وَعَبَدُوا غَيْرِي وَقَتَلُوا رَسُولِي أَنْ يَقُومُوا لِغَضْبِي أَوْ يَخْرُجُوا مِنْ سُلْطَانِي  
كَيْفَ وَأَنَا الْمُنْتَقِمُ مِنْ عَصَانِي وَلَمْ يَخْشَ عِقَابِي وَأَنِّي خَلَقْتُ بَعِزَّتِي وَجَلَالِي  
لَأَجْعَلَنَّهُمْ عِبْرَةً وَنِكَالاً لِلْعَالَمِينَ فَلَمْ يَرْعَهُمْ وَهُمْ فِي عِيدِهِمْ ذَلِكَ الْآبِرِيحُ  
عَاصِفٍ شَدِيدَةِ الْحُمْرَةِ فَتَحِيرُوا فِيهَا وَذَعَرُوا مِنْهَا وَتَضَامَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ  
سَارَتْ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ حَجَرٌ كَبِيرٌ يَتَوَقَّدُ أَظْلَمَتْهُمُ سَحَابَةٌ سُودَاءُ فَالْقَتِ  
عَلَيْهِمْ كَالْقَبَّةِ جَمْرًا يَلْتَهَبُ فَذَابَتْ أَبْدَانُهُمْ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ فِي النَّارِ فَانْعَوذُ  
بِاللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ مِنْ غَضَبِهِ وَنُزُولِ نَقْمَتِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ  
انْتَهَى.

اقول: وقد نقل المجلسي رحمته في المقام احاديثا مختلفة متغايرة عن العامة  
وفي بعضها ان الرس رسان وفي بعضها ان الرس واحد وهم بقيّة ثمود قوم  
صالح والحاصل ان الأقوال فيهم مختلفة وهو ممّا لا يهمنّا البحث فيه والذي

يَهْمَنَا هُوَ اثْبَاتٌ وَجُودِهِمْ وَهُوَ ثَابِتٌ بِصَرِيحِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ  
الْمُعْتَمَدُ فِي الْمَقَامِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِحَارِ الْأَنْوَارِ ج ٥ ص ٣٦٨ ط  
كمپاني

ثُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْعِمَالِقَةَ وَالْفِرَاعِنَةَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ  
وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ﷺ: الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ الْمُرَادُ بِهِمْ أَصْحَابَ الرَّسِّ دُونَ  
غَيْرِهِمْ لَمَا عَرَفْتَ مِنْ حَالِهِمْ وَقَتْلِهِمْ نَبِيِّهِمْ وَالْأَمْرُ سَهْلٌ بَعْدَ أَنَّهُمْ اعْنَى الْفِرْقِ  
الثَّلَاثَةِ فِي الظُّلْمِ وَالْفِسَادِ لَا فِرْقَ بَيْنَهُمْ وَقَوْلُهُ ﷺ: وَأَخْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ  
الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَسُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَلَكُوا  
مَسَلَكَ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْفِسَادِ فَضَلُّوا وَاضَلُّوا وَمَنْ كَانَ لِذَلِكَ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ جِوَارِ  
رَحْمَةِ اللَّهِ قَرِيبٌ إِلَى غَضَبِهِ وَنَقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأَلُوفِ وَعَسَاكَرِ  
وَمَدَنُوا الْمَدَائِنَ...

وَالْمَقْصُودُ أَنْ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مِنَ الْمَوْتِ وَالْعَذَابِ لَمْ يَنْحَصِرْ بِالْعِمَالِقَةِ  
وَالْفِرَاعِنَةَ وَأَصْحَابِ الرَّسِّ بَلْ يُقَاسُ عَلَيْهِمُ الْبِوَاقِي مِنْ نَظَائِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ  
الْمُلُوكِ ذَوِي الْإِقْتِدَارِ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأَلُوفِ بَفَتْحِهِمُ الْأَمْصَارَ  
وَجَمْعِهِمُ الْعَسَاكَرَ وَبِنَائِهِمُ الْمَدَائِنَ وَالْجِوَابِ أَنْ كُلَّهُمْ مَاتُوا وَصَارُوا أَسْرَاءَ  
لِلْجِنَادِلِ وَالتُّرَابِ وَهَذَا هُوَ حَالُ الدُّنْيَا وَمَشِيهَا مَعَ مَنْ هُوَ فِيهَا وَمَا كَانَ آخِرُهُ هَذَا  
فَالْحَذَرُ عَنْهُ أَوْلَى وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَّا الْكَلَامُ فِي حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَذَمِّهَا وَذَكَرْنَا الْآيَاتِ  
وَالْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِيهَا فَلَا نَعِيدُ الْكَلَامَ بِذِكْرِهَا ثَانِيًا بَلْ ثَالِثًا وَرَابِعًا:

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَمِنْهَا: قَدْ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتُهَا وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا  
وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا...

قَدْ قَلْنَا أَنَّ الْجُنَّةَ بَضْمُ الْجِيمِ نَوْعٌ مِنَ السَّلَاحِ يُسْتَفْعَى بِهَا فِي الْحُرُوبِ  
وَالْغَزَوَاتِ لِحِفْظِ الْبَدَنِ وَاسْتِعْمَالِهَا فِي الْمَقَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ حَيْثُ شَبَّهَ  
ﷺ الْحِكْمَةَ بِالْإِنْسَانِ الَّذِي وَقَعَ فِي الْحَرْبِ فَكَمَا أَنَّهُ يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى شَيْءٍ  
يَصُونُهُ عَنِ الْخَطَرِ وَالْقَتْلِ فَكَذَلِكَ تَحْتَاجُ الْحِكْمَةُ إِلَى شَيْءٍ يَصُونُهَا عَنِ الزَّلَّةِ

والإنحراف عن سِيرِ الحَقِّ ولأجل هذا يقال إن لكلِّ شيءٍ جُنته تَصُونه إذا عرفت هذا فنقول:

اختلفوا في مرجع الضمير في قوله ﷺ: (قد لبس) وبعبارة أخرى الموصوف بهذه الصفة مَنْ هُوَ، فمنهم من قال أنه القائم ﷺ وقيل يعني به ولي الله في الأرض اعني به ما قاله الصوفية من أن الأرض لا تخلو عن الأبدال والأولياء، وعن الفلاسفة أن مراده ﷺ به العارف وقالت المعتزلة يُريد به العالم بالعدل والتوحيد وامثال ذلك من الأقوال ولكل منها وجهٌ وجيه ولا يبعد أن يكون الفصل من خطبة حُذفت صدرها أو لم يظفر الرضى به ومثله كثير في الكتاب.

وانا أقول: رجوع الضمير المُستتر في الفعل اعني به قوله (لبس) إلى العارف السالك بمعناه العام أولى من رجوعه إلى القائم بشخصه وذلك لأن العارف بمعناه العام يشمل بل هو ﷺ مصاديقه واجلي مفاهيمه وإنما قلنا أولى لأن القائم ﷺ حين تَكَلَّمَهُ ﷺ بهذا الكلام لم يكن موجوداً ظاهراً كما هو ظاهر فَعَوْدَ الضمير إليه ﷺ لا معنى له إلا على القول بأن المُستقبل إذا كان قطعي الوجود فهو في حكم الماضي فكأنه ﷺ قد وجد سابقاً وانت ترى أن هذا الحمل خلاف ظاهر اللفظ وحقيقته وثانياً أن قوله ﷺ فيما بعد هذا الكلام (وهي عند نفسه ضالته التي يطلبها وحاجته التي يسأل عنها) لا يساعد ما ذكره من الكلام إشارة إلى القائم ﷺ إذ لا يصح أن يقال أن الحكمة ضالة الإمام التي يطلبها وحاجته التي يسأل عنها، كما هو ظاهر وعليه فَعَوْدُهُ إلى العارف أولى والمعنى أن العارف قد لبس للحكمة أي للإنتفاع بها جنتها وهي التي تَصُونها عن الزلات وتحفظها عن الآفات وهي كناية عن مخافة الله كما قال الرسول ﷺ: راس الحكمة مخافة الله.

أو المراد بها الزهد والعبادة والتقرب إلى الله تعالى في أفعاله وأقواله فأنها جنتها عن الخطرات وقد مرَّ منَّا الكلام في معنى الحكمة وماهيَّتها وأقسامها

والمراد بها في المقام المعارف الحقّة.

وقوله عليه السلام: وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا الضّمير الى الحكمة اي جميع ادب الحكمة  
وقوله والاقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها الضمائر كلها يرجع الى الحكمة.  
□ قوله عليه السلام: فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّةٌ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ  
مُعْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ وَضُرِبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ...

فهو اي العارف الحكيم مغترب اذا اغترب الإسلام معناه انه مع الإسلام لا  
يفارقه فاذا صار الإسلام غريبا اغترب معه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بُدَا الْإِسْلَامَ  
غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وقوله عليه السلام: وَضُرِبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ) كناية عن التّعَب  
والإعياء فإن عَسِيبَ الذَّنْبِ اصله، وبعبارة اخرى شبه عليه السلام الأسلام بالبعير المبارك  
في قلة النفع والضعف وحيث ان البعير اذا تاذى ضرب بذنبه فكذلك المغترب  
في غربة الإسلام في قلة نفعه وضعفه، وقوله عليه السلام: وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهَا اي  
مقدم عنقه فلا يكون له تَصَرُّفٌ وَلَا تَهْوِضٌ.

□ قوله عليه السلام: بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ...

والتقدير هو اي العارف بقية من بقايا حجته اي حجة الله وخليفة من  
خلائف انبيائه والمقصود ان العارف الحكيم في عين غربته وعزلته يكون من  
بقايا حجة الله تعالى فإن الحجة قد تكون مستورة عن اعين الناس والشارح  
الحوثي رحمته الله جعل هذين الوصفين اعني الخليفة والحجة دليلاً على ان المراد  
بقوله عليه السلام قد لبس للحكمة الخ.

هو القائم المنتظر لانحصار الوصفين فيه واعتراض في المقام على البحراني  
والمعتزلي في صرفهما اللفظ عنه عليه السلام وحمله على العارف، قل كل يعمل على  
شاكلته:

□ قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَشَّتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّمَهُمْ  
وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا آدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا  
وَخَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا...

قوله ﷺ: بُشِّتُ مِنْ بَثٍّ يُبْثُ نَحْوَ مَدٍّ يُمَدُّ وَالْبَثُّ بِفَتْحِ الْبَاءِ فِي الْأَصْلِ التَّفْرِيقَ وَاثَارَةَ الشَّيْءِ كَبَثَ الرِّيحِ التَّرَابَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمُفْرَدَاتِ وَالْمَعْنَى أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَشَّتُ وَفَرَّقْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ فِي الْأَمَكِنَةِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَزْمَنَةِ الْمُسْتَحْدِثَةِ وَقُلْتُ لَكُمْ فِيهَا مَا قَالَ الْأَنْبِيَاءُ لِأُمَّمِهِمْ فَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي شَيْئًا وَادَّيْتُ لَكُمْ مَا آدَتْ الْأَوْصِيَاءَ الَّتِي مَنْ بَعْدَهُمْ وَادَّبْتُمْ بِسَوَاطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا بِالْعَدْلِ وَالْأَدَبِ وَخَدَوْتُمْ بِالزَّوْاجِرِ وَالنَّوَاهِي فَلَمْ تَجْتَمِعُوا عَلَى التَّمَكِينِ وَالطَّاعَةِ.

وَالْحَاصِلُ إِنِّي لَمْ أَلِ جُهْدًا فِي تَادِيْبِكُمْ وَاصْلَاحِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ إِلَّا أَنْ جُهْدِي لَمْ يَنْفَعْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: لِيْلِهِ أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّابِكُمُ الطَّرِيقَ وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟ ...

أَيُّ إِنِّي أَتَعَجَّبُ مِنْكُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ وَتَنْتَظِرُونَ أِمَامًا غَيْرِي يَطَّابِكُمُ الطَّرِيقَ أَيُّ يَذْهَبُ بِكُمْ فِي طَرِيقِ النَّجَاةِ وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ أَيُّ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْهَمْزَةُ فِي قَوْلِهِ أَتَتَوَقَّعُونَ لِلِإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي أَيُّ لَا يَنْبَغِي هَذَا التَّوَقُّعُ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّوْبِيخِ وَهُوَ أَوْلَى وَاصْلَحَ.

تَنْبِيْهٌ: قَالَ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ ﷺ: وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا آدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ، مَا لَفْظُهُ، وَالْأَوْصِيَاءُ الَّذِينَ يَأْتَمِنُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُوا خُلَفَاءَ بِمَعْنَى الْأَمْرَةِ وَالْوَلَايَةِ فَإِنَّ مَرَّتَبَتَهُمْ أَعْلَى مِنْ مَرَاتِبِ الْخُلَفَاءِ أَنْتَهَى وَأَوْرَدَ الْخُوْثِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْهُ فِي شَرْحِهِ ثُمَّ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ وَقَالَ وَمُحْضَلٌ تَأْوِيلُهُ أَنَّ الْوَصَايَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِثْمَانِ عَلَى الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَهُوَ غَيْرُ مَلَازِمٍ لِلْخُلَافَةِ وَالْوَلَايَةِ فَلَا يَكُونُ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَى خِلَافَتِهِ ﷺ وَكَوْنُهُ أَوْلَى بِالْتَّصَرُّفِ وَأَتَمَّا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ وَصِيًّا مُؤْتَمِنًا عَلَى الْأَسْرَارِ فَقَطْ وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ هَذَا الْكَلَامِ غَرَضُ الشَّارِحِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ اصْلَاحُ مَذْهَبِهِ الْفَاسِدِ فَإِنَّ كَلَامَهُ ﷺ لَمَّا كَانَ ظَاهِرًا فِي وَصَايَتِهِ الْمُسَاوِقَةِ لِلْخُلَافَةِ وَالْوَلَايَةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الشَّيْعَةِ

الإمامية اراد الشارح صرفه عن ظاهره وأوله بما يوافق مذهب الاعتزال:  
 أقول: ما ذكره عليه السلام حق حقيق بالإتباع فإن تاويل المعتزلي كلامه عليه السلام لا  
 مُحَصَّل له إلا التَّعَصُّب والعِنَاد وذلك لأنَّ عَلِيًّا عليه السلام قال وأدَّيْتُ ما أدَّت الأوصياء،  
 وهذا الكلام نصُّ علي كونه وصيا لرسول رب العالمين اذ لولا ذلك لما صح  
 كلامه فإن غير الوصي كيف يمكن له التَّفَوُّه به فخاف المعتزلي وحَمَلَ الكلام  
 علي ما لا يرضى به صاحبه وحيث أنَّ الشارح الخوئي عليه السلام ادَّيَّ حقَّ الكلام في  
 جوابه فلا نحتاج إلى التَّكَلُّم فيه إلا أنَّ لنا في المقام بحث لا باس بالإشارة إليه  
 تايدا لما ذكره الخوئي عليه السلام وهو أنَّ قوله عليه السلام وأدَّيْتُ ما أدَّت الأوصياء وان كان  
 كالنَّص منه عليه السلام في وصايته رَدًا علي العامة حيث زعموا أنه عليه السلام لم يَعدَّ نفسه من  
 الأوصياء إلا أنَّ الدليل لا يَنحصر به بل كلامه عليه السلام هذا إلى قوله ويُرشدكم  
 السَّبيل مُثَبِّت لِلْمُدَّعي فان امكن لِلْمُعْتزلي التَّاويل في كلمة الوصي فما يقول  
 في غيرها وبعبارة اخرى كلمة الأوصياء او الوصي ان كان معناها ما ذكره في  
 تاويله فقوله عليه السلام من بعده إلى آخر كلامه يدلُّ علي الإمرة والولاية بلا كلام  
 ولتوضيحه نقول ذكر عليه السلام في المقام امورا.

احدها قوله عليه السلام: وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا آدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهُوَ يَدَّلُ عَلَيَّ  
 أَنَّ الْوَصَايَةَ لَا تَنحَصِرُ بِهِ بَلْ هِيَ ثَابِتَةٌ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَيَدَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ مِنْ بَعْدِهِمْ  
 أَي كَمَا أَنَّ الْأَوْصِيَاءَ قَبْلِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ آدَّتْ وَصَايَتَهُ إِلَى مِنْ بَعْدِهِ كَذَلِكَ أَنَا  
 آدَّيْتُ مَا آدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ أَي آدَّيْتُ الْوَصَايَةَ إِلَى مَنْ يَكُونُ بَعْدِي وَهُوَ الْحَسَنُ عليه السلام  
 وَهَكَذَا الْحَالُ إِلَى آخِرِ الْأَوْصِيَاءِ فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ عليه السلام  
 بَعْدِهِمْ الْوَصِيَّ بَعْدَ الْوَصِيِّ لَا غَيْرَ الْأَوْصِيَاءِ وَهَذَا الْكَلَامُ يَدَّلُ قَطْعًا عَلَيَّ  
 الْوَصَايَةَ كَالنَّبُوءَةِ فِي كَوْنِهَا مُتَّصِلَةٌ فَكُلُّ نَبِيٍّ لَهُ وَصِيٌّ لَا مَحَالَةَ وَلَا نَبُوءَةَ بِغَيْرِ  
 وَصَايَةٍ هَذَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَصْلِ الْوَصَايَةِ.

وثانيها قوله عليه السلام: وَأَدَّيْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَهُوَ يَدَّلُ عَلَيَّ أَنَّ  
 الْوَصَايَةَ الْمَذْكُورَ فِي كَلَامِهِ غَيْرَ مَا فَهَمَهُ الْمُعْتزلي مِنْ أَنَّهَا الْإِثْمَانُ عَلَيَّ الْأَسْرَارِ



والأحكام فقط، بل الوصاية مُلازمة للإمارة والولاية كما تقول الشيعة فإن الإئتمان على الأسرار لا يُعقبه سَوَطٌ أصلاً فقولُه ادُّبْتُكُمْ بِسَوَطِي أدل دليل على أنه ﷺ كان مأموراً باصلاح دُنْيَاهُمْ كما كان مأموراً باصلاح عُقْبَاهُمْ ومن كان مأموراً بتاديب الناس واصلاح معاشهم وامورهم الدنيوية هو الأمير والولي فوصايته كانت ملازمة لولايته وامارته وهو المطلوب.

وثالثها قوله ﷺ: وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، وجه الدلالة على المُدَّعى فيه ايضاً ظاهر فإن الحدي بالزواجِر والنواهي ليس من وظائف الوصي بالمعنى الذي ذكره المعتزلي فحسبُ اذ وظيفته الإرشاد فقط واما الحدي بالزواجِر فهو وظيفة الإمام الحاكم الوالي على الناس الا ترى انه ﷺ لم يقل هذا الكلام قبل امارته وحكومتِه مع انه كان وصياً بالمعنى الذي ذكره المعتزلي وهو ظاهر.

ورابعها قوله ﷺ: اتَّوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي الى آخر كلامه، ففي هذا الكلام نص ﷺ على امامته وانه كان لائقاً بالإمامة لا غيره وهذا الكلام يدل بمفهومه على ان الخلفاء قبله لم يَطَّوُّوا بهم الطريق ولم يُرشدوهم الى السبيل وهو الدليل على عدم لياقتهم بهذا المقام مع ان الإمارة والحكومة كانت ثابتة لهم وذلك لعدم كونهم اوصياء وبعبارة اخرى لو كانت الإمارة كافية في المقام فلم يُرشدوهم الى السبيل ففي الإرشاد الى طريق الحق نحتاج الى الوصفين معا وهو دليل على تلازمهما

□ قوله ﷺ: أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً... قالوا وهو الصلاح والرَّشَادُ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ او في أيام خلافته ﷺ.

اقول: هذا التفسير مما لا باس به الا انه تفسير خاص ولا دليل عليه فحمله على العموم اولى وعليه فالمراد ان بانقطاع الوصي وختم دائرة النبوة قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلاً اليها من الصفات الحسنة والملكات الفاضلة والصلحاء

من الرجال وامثال ذلك واقبل اليها ما كان مُدبراً من رذائل الأخلاق وسيئات الأعمال وذلك أنّ الغرض الأصلي من بعث الأنبياء وجعل الشرائع والأديان إنّما هو بسط العدالة واتّصاف الناس بالأوصاف الحميدة.

وذلك لا يتمّ إلاّ باتباع الناس اوصياء الأنبياء بعد موتهم فانهم المرشدون الى سننهم وحيث أنّ المسلمين بعد موت النبي ﷺ اعرضوا عن وصيه واتبعوا غيره فلا جرم ادبر من الدنيا واقبل منها ما ادبر فذهب الإيمان والشرف والغيرة والعدالة وقام مقامها التفاق والطغيان والجور كلّ ذلك ببركة السقيفة واتباع الناس حَمِيَّتِهِمُ الجاهلية ثمّ اوضح ﷺ كلامه وقال:

□ قوله ﷺ: وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى...

وفي بعض النسخ ازمع الترحال وهو الأصح وازمع الأمر، وعليه، وبه، ثبت عليه واطهر فيه عزماً والترحال من الرحيل وهو الانتقال من مكان الى مكان والمعنى أنّ عباد الله الأخيار والصلحاء والأبرار قد انتقلوا من الدنيا الى الآخرة وباعوا قليلاً من متاع الدنيا الذي لا يبقى بكثيرٍ من الآخرة الذي لا يفنى فباعوا القليل بالكثير وانتقلوا من دار الفناء الى دار البقاء وفيه اشارة الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَنْبِشُوا بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَالْآخِرَةُ وَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾<sup>(٣)</sup> وغيرها من الآيات وقد مرّ الكلام في الباب مفضلاً غير مرة: □ قوله ﷺ: مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ إِلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسَيِّغُونَ؟ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّثْقَ...

عَبَّرَ ﷺ عَنْهُمْ بِالْأَخْوَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup> وكلمة (ما) في قوله ما ضَرَّ لِلنَّفْسِ أَي لَيْسَ يَضُرُّهُمْ مَوْتُهُمْ وَشَهَادَتُهُمْ بِصِفَتَيْنِ إِنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ مِثْلَ حَيَاتِنَا يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ وَيَتَجَرَّعُونَهَا وَيَشْرَبُونَ الْكِدْرَ مِنْ كَثْرَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَكَيْفَ يَضُرُّهُمْ مَوْتُهُمْ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وذلك لأنَّ الْحَيَاةَ عَلَى قَسْمَيْنِ بَدَنِي وَرُوحِي وَإِنْ شَتَّ قَلْتَ عُنْصُرِي مُلْكِي، وَبِرَزْخِي مَلَكُوتِي وَالْأَوَّلُ عَامٌّ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ الْعُنْصُرِيَّةِ بَلِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالثَّانِي خَاصٌّ بِالنَّفُوسِ النَّاطِقَةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ لِقَوْلِهِ ﷺ: خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ وَكَمَا أَنَّ فِي هَذِهِ النَّشَاةِ شَعُورٌ وَادْرَاكٌ كَذَلِكَ فِي تِلْكَ النَّشَاةِ مِنْ غَيْرِ فَرَقٍ بَيْنَ النَّشَاتَيْنِ وَالدَّلِيلُ عَلَى الْمُدْعَى مِنَ النَّقْلِ فَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْآيَاتِ وَمِنَ الْعَقْلِ فَوَجُوهُ:

أحدها: أَنَّهُ قَدْ ثَبَّتَ أَنَّ الرُّوحَ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ عَنِ الْبَدَنِ لَا يَفْنِي بَلْ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ وَهُوَ عَالَمُ الْمَلَكُوتِ وَحَيْثُ قَدْ ثَبَّتَ أَنَّ الشُّعُورَ وَالْإِدْرَاكَ مِنَ الرُّوحِ لَا مِنَ الْجَسَدِ كَمَا تَرَى أَنَّ الْبَدَنَ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الرُّوحِ عَنْهُ لَا يَشْعُرُ وَلَا يَدْرِكُ فَلَا مَانِعَ عَقْلًا مِنَ الشُّعُورِ وَالْإِدْرَاكِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ كَمَا كَانَ كَذَلِكَ قَبْلَ تَعَلُّقِهِ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾<sup>(٤)</sup> وَمَعْلُومٌ أَنَّ هُنَاكَ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْجَسَدُ الْعُنْصُرِي وَالْخِطَابُ وَالْجَوَابُ مَوْقُوفَانِ عَلَى الشُّعُورِ وَالْجَوَابِ مِنْ غَيْرِ شُعُورٍ لَا فَائِدَةٌ فِيهِ وَلَا يَصِحُّ الْإِحْتِجَاجُ بِهِ وَهَكَذَا الْكَلَامُ بَعْدَ الْمَوْتِ هَذَا إِذَا قُلْنَا بَأَنَّ الْإِدْرَاكَ مِنْ خَوَاصِّ الرُّوحِ وَلَا دَخَلَ لِلْبَدَنِ فِيهِ وَإِنَّ الْبَدَنَ آلَةٌ مَحْضَةٌ وَأَمَّا إِذَا قُلْنَا بَأَنَّ الْإِدْرَاكَ لَهُمَا مَعًا بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِلرُّوحِ إِدْرَاكَ شَيْءٍ إِلَّا بِسَبَبِ الْبَدَنِ لَا مِنْ حَيْثُ الْآلَةُ بَلْ مِنْ جِهَةِ الشَّرِكَةِ، فَتَقُولُ فِي الْجَوَابِ أَمَّا أَوَّلًا فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ

كما قلنا في جسد الميّت والروح قبل تعلقه به وثانيا على فرض التسليم فالبدن لا يختص بهذا الجسم العنصري وای اشكال في تعلقه بالبدن المثالي الذي هو هو وغيره وادراكه به كما هو قول كثير من المحققين حيث ذهبوا الى تعلقه به بعد مفارقتة عن هذا البدن العنصري فيدرك ويشعر به وهو عالم المثال او البرزخ على اختلاف التعابير:

وثانيها: لا شك أنك نائم في هذا العالم لإنغمارك في الماديات وحجابك في غواشي الطبيعة وهكذا تكون ما دام كونك في الدنيا وان كنت عارفا فالناس كلهم نيام فاذا ماتوا انتبهوا وتكشف لهم عند الانتباه بالموت حقائق ما سمعوه من الأمثلة وارواحها ويعلمون ان تلك الأمثلة كانت قسورا وقوابل لتلك الأرواح ويعاينون صدق القران والأحاديث النبوية كما يتيقن ذلك المؤذن صدق قول ابن سيرين وصحة تعبيره للرؤيا وكل ما يراه الإنسان في هذا العالم من قبيل الرؤيا ويصل كل احد بعد الموت الى تعبیر رؤياه فيقول الغافل: (يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول) (ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا، يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله) الى غير ذلك من الآيات كل ذلك لما كنت نائما في هذه الحياة الدنيا وانما يقظتك بعد الموت وعند ذلك تصير بصيرا اهلا لمُشاهدة صريح الحق اذا عرفت هذا فقد علمت ان الشعور، الواقعي والإدراك الحقيقي هو بعد الموت وهو اي الإدراك موقوف على الحياة فان ما لا وجود له لا درك له قطعا فثبت ان الإنسان بعد الموت حي مدرك دركا يناسب تلك النشأة اكمل واحسن منه في الدنيا الدنية الفانية المظلمة وهذا الدرك بالنسبة الى الكاملين اوسع واوفر كما انه في الدنيا ايضا كذلك وهو المطلوب:

وثالثها: ان الإنسان له درك وشعور وهذا مما لا كلام فيه حسا وعيانا ونعني به انه في الدنيا يدرك الألام واللذات من الحسيات والعقليات وهذا في الدنيا

لكلِّ احدٍ ومن جملتها الهموم والغموم التي يدركها الإنسان بسبب الروح، وقد ثبت ان الإنسان ليس هذا الجسم المحسوس بل هو نفسه الناطقة او ما شئت فسمه فعلى قول من يقول ان شَيْئَةَ الشَّيْءِ بصورته لا بمادته وصورة الإنسان هي فصله الأخير اعني نفسه الناطقة القدسية فالإنسان هو النفس لا غيرها والمفروض انها باقية بعد الموت واذا كانت باقية بذاتها فكذلك لوازمها واما على قول من يقول بغير هذه المقالة فلا محالة يقول بان الإنسان هو المجموع المركب من النفس والبدن والبدن اعم من هذا البدن العنصري والبدن البرزخي المثالي وهو اعني المثالي موجود هناك فالإنسان موجود واذا كان الإنسان موجودا هناك بوجوده البرزخي فهو مدرك وهو المطلوب.

**ورابعها:** ان الموت ليس الا الانتقال من دار الى دار بمعنى ان الإنسان بموته ينتقل من دار الدنيا الى دار الآخرة كما قال رسول الله ﷺ انما تنتقلون من دار الى دار، ومعنى هذا الكلام ان الفرق بين النشأتين انما هو بالمكان فقط فالإنسان بعد الموت هو الإنسان قبله من حيث الدرك والفهم والعقل وغيرهما نعم من حيث القوى الجسمية التي من تبعات الجسم العنصري الذي يناسب هذا المكان اعني الدنيا يفترق الحال فيه ولكنه من لوازم المكان ولا ربط له بالإنسانية اصلاً فهو بعد الموت يأكل ويشرب وينكح ويسر ويغتم وهكذا الا ان هذه الأمور في كلتا النشأتين بحسبهما لإختلاف المكان فيهما فالفرق في الكيفية لا في اصل الموضوع وهو لا يضرنا في المقام وقد وردت الآيات والأخبار به ايضا بل اساس المعاد عليه وهو المطلوب.

فقد ثبت عقلاً ونقلاً ان الإنسان بموته لا يفنى بل هو باقٍ ولازم البقاء بالمعنى الذي ذكرناه وهو انه يسبيغ العُصص ويشرب الرُنق كما نحن نسيغها ونشربه فكلامه ﷺ لا خفاء فيه اصلاً:

□ قوله ﷺ: **قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ قَوْفَاهُمْ أُجُورَهُمْ وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ...**  
اي قد والله لقوا الله بموتهم وشهادتهم في سبيله لقاءً عقلياً واقعياً بعين

البصيرة والقلب فوفاهم الله اجورهم التي وعدهم بها في دار الدنيا واحلهم دار  
الامن اي جوار رحمة بعد خوفهم في الدنيا فان المؤمن خائف مادام كونه في  
الدنيا فقوله ﷺ: فوفاهم اجورهم، اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١)

و : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ  
فَضْلِهِ﴾ (٢)

و : ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ﴾ (٣)

و : ﴿أَنَّمَا تُوقَنُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٤) وغيرها من الآيات.

وفي قوله ﷺ: احلهم دار الامن اشارة الى قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ  
وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٥)

و : ﴿وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (٦)

و : ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ (٧)

و : ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَمَبٌ﴾ (٨)

□ قوله ﷺ: وَأَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟  
وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ ...

كلمة (اين) للإستفهام وفي المقام جيء بها للتوجع والتحسر والمعنى اين  
اخواني في الدين الذين ركبوا الطريق اي طريق الحق ومضوا وماتوا على الحق  
والمقصود ان حياتهم وموتهم كان على الحق ثم صرح ﷺ باسم بعضهم وقال  
اين عمّار الى آخره وتخصيصه ﷺ هؤلاء الثلاثة بالذكر اما لمزيد شرفهم على  
غيرهم واما لأنهم من اكبر مصاديق اخوانه واشهرها بين الناس وكيف كان فلا  
شك في أنهم من كبار اصحاب الرسول واصحابه لم يختلف فيه احد وحيث

أنه أشار إليهم في كلامه فلا بأس بالإشارة إلى أحوالهم إجمالاً فنقول:  
عَمَّارٌ، بفتح العين وتشديد الميم فعَّال للمبالغة، معناه، القوي الإيمان الحليم  
الوفور في كلامه القائم بالأمر والنهي إلى أن يموت الطيب الثناء، قاله في  
المنجد مادة (عمر) قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة ما لفظه:

عَمَّارُ ابْنِ يَاسِرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ كِنَانَةَ ابْنِ قَيْسِ بْنِ الْحُصَيْنِ بْنِ الرَّدِيمِ  
مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ يَامِ بْنِ عَنَسِ بْنِ سَاكِنَةَ بْنِ مَالِكِ  
الْعَنْسِيِّ وَكُنِيَّتُهُ أَبُو الْيَقْظَانَ حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ وَأُمُّهُ سُمَيَّةٌ مَوْلَاةٌ لَهُمْ كَانَ عَمَّارٌ  
مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ هُوَ وَأَبُوهُ وَكَانُوا مِمَّنْ يُعَذِّبُ فِي اللَّهِ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ  
عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ صَبْرًا أَلْ يَاسِرُ أَنْ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ وَاخْتَلَفَ فِي هِجْرَتِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ  
وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا ثُمَّ شَهِدَ الْيَمَامَةَ فَقَطَّعَتْ أُذُنَهُ بِهَا  
وَاسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ عَلَى الْكُوفَةِ وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ مِنَ النَّجْبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ قَالَ  
عَاصِمٌ عَنْ زُرِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ فَذَكَرَ مِنْهُمْ عَمَّارًا وَعَنْ  
عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ اسْتَأْذَنَ عَمَّارٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ اسْتَأْذِنُوا لَهُ مَرَّحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَّيِّبِ  
وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ ذَلِكَ وَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ عَمَّارًا مَلَى  
إِيمَانًا إِلَى مَشَاشِهِ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجِدٍ وَسَنَدُهُ حَسَنٌ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ  
قَالَ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمَّارٍ كَلَامٌ فَاعْلَظْتُ لَهُ فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ خَالِدٌ  
فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ رَأْسَهُ وَقَالَ مِنْ عَادِي عَمَّارٍ عَادَاهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْغَضَ عَمَّارًا ابْغَضَهُ  
اللَّهُ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ وَتَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ عَمَّارًا تَقَتَّلَهُ  
الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ قُتِلَ بِصَفِينِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ فِي رَبِيعٍ وَلَهُ ثَلَاثُ  
وَتِسْعُونَ سَنَةً وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ نَزَلَ فِيهِ (الَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)  
وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةَ أَحَادِيثٍ أَنْتَهَى أَقُولُ وَأَمَّا فِي رِوَايَاتِ الشَّيْخَةِ فَمَدْحُهُ  
أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَذَكَرَ فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِ الْأَحَادِيثِ مِنْ طَرَفِنَا وَلَا سِيَّمَا أَنَّ الرَّجُلَ  
مِمَّنْ شَهِدَ الْكُلَّ بِصَلَاحِهِ وَسَدَادِهِ كَمَا عَلِمْتَ مِمَّا نَقَلْنَاهُ عَنِ الْإِصَابَةِ وَالْكَتُبِ  
مِنَ الطَّرْفَيْنِ مَشْحُونَةٌ بِذِكْرِ فَضَائِلِهِ وَمَنَاقِبِهِ.

ابن التيهان - قال في الإصابة ابو الهيثم بن التيهان بفتح المثناة فوقانية مع كسرهما بن مالك عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر ابن زعور الأنصاري الأوسي وزعور اخو عبد الأشهل ويقال التيهان.

لقب واسمه مالك وهو مشهور بكنيته وقد وقع في مصنف عبد الرزاق ان اسمه عبد الله قال ابن اسحاق فيمن شهد بدرًا ابو الهيثم واسمه مالك واخوه عتيك ابنا التيهان الى ان قال وأخى النبي ﷺ بينه وبين عثمان ابن مظعون وشهد المشاهد كلها ومناقبه كثيرة جدًا ويُقال قُتل بصفين سنة سبع وثلاثين وقيل مات في حياة النبي ﷺ وقيل توفي سنة احدى وعشرين وقيل سنة عشرين والأشهر الأول:

واما ذو الشهادتين، اسمه خزيمه قال في الإصابة خزيمه بن ثابت الفاكهه بالفاء وكسر الكاف ابن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غياث بالمعجمة والتحتانية وقيل بالمهملة والنون ابن عامر بن خطمة بفتح المعجمة وسكون المهملة واسمه عبد الله بن جشم بضم الجيم وفتح المعجمة ابن مالك الأوس الأنصاري الأوسي ثم الخطمي وامه كبشة بنت اوس الساعدته ، وكنيته ابو عمارة من السابقين الأولين شهد بدرًا وما بعدها وقيل أول مشاهده احد الى ان قال وهو من اصحاب النبي ﷺ اتباع فرسا من اعرابي الحديث وفيه قال النبي ﷺ من شهد له خزيمه فحسبه وروي الدارقطني من طريق ابي حنيفة ان النبي ﷺ جعل شهادته شهادة رجلين وفي البخاري من حديث زيد ابن ثابت قال فوجدتها مع خزيمه ابن ثابت الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادتين الى ان قال، ان خزيمه استشهد بصفين وروي احمد من طريق ابي معشر عن محمد بن عمارة بن خزيمه قال مازال جدي كانا سلاحه حتى قُتل عمارة بصفين فسئل سيفه وقاتل حتى قُتل وهو القائل:

ابو حسنٍ ممّا نخاف من الفتن  
وما فيهم بعض الذي فيه من حسن  
اذا نحن بايعنا عليًا فحسبنا  
وفيه الذي فيهم من الخير كله



**اقول:** والأحاديث المروية في فضله كثيرة من الطرفين لا نحتاج الى ذكرها فان الرجل اشهر من ان يُوصف وقد اجمعت الأمة على جلالته وعظم شأنه وكفى في فضله ان رسول الله جعل شهادته شهادة رجلين ففي جعله ﷺ بمنزلة عدلين في الشهادة ومن صدقه الرسول هكذا فهو غني عن التعريف وقصته مشهورة مذكورة في كتب التواريخ وقد اشار اليها الشارح الخوئي رحمه في شرحه مفصلاً رواها عن الصدوق في الفقيه ان شئت فراجعها فانها مذكورة في اكثر الكتب المدونة في هذا الفن واجمال القصة ان النبي ﷺ ابتاع فرسا من اعرابي فاسرع النبي المشي اليه ليقتضيه ثمن فرسه فابطا الاعرابي ثم انكر وطلب منه الشاهد على البيع اذ اقبل خزيمة ابن ثابت الأنصاري فقال اشهد يا رسول الله لقد اشتريته منه فقال الاعرابي اتشهد ولم تحضرنا وقال له النبي اشهدتنا فقال لا يا رسول الله ولكني علمت انك قد اشتريت افاصدقك بما جئت به من عند الله ولا اصدقك على هذا الاعرابي الخبيث فعجب له رسول الله ﷺ فقال له يا خزيمة شهادتك شهادة رجلين وبالجُملة هو من كبار اصحاب الرسول ﷺ كماخويه وقل ما يوجد في اصحاب مثلهم.

□ قوله ﷺ: **وَأَيْنَ نَظَرَ أَوْهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاهَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ بِرُؤْسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ!...**

الواو للعطف والكلام في الإستفهام في قبله والنظراء جمع نظير وهو الشبيه والعديل والمثل وامثال ذلك في الدين والورع والمعنى اين اشباح هؤلاء الثلاثة من اخوانهم في الدين تعاهدوا وتعاهدوا على المنية والموت كابن بديل وهاشم المرتال وغيرهما ممن تعاهدوا على الموت في سبيل الله والجهاد مع اعداءه وابرد اي ارسى برؤسهم الى الفجرة الكفرة من اهل الشام ولا شك ان هذا من هوان الدنيا ودنائتها وحقارتها.

قال الرواي ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فاطال البكاء ثم قال ﷺ.

□ قوله ﷺ: ثُمَّ أَوْهٍ عَلَيَّ إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَتَدَبَّرُوهُ الْفَرَضَ  
فَأَقَامُوهُ أَحْيَاوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ...

كلمة أوه، بضم الألف اسم فعلٍ بمعنى اتوجع والمعنى اتوجع واتحسر على  
إخواني في الدين الذين مضوا وماتوا وقد قرأوا القرآن فاحكموه أي قرائتهم  
كانت صحيحة متقنة عن علم وفهم وتدبرٍ والغرض اعني الواجبات من  
الأحكام فاقاموه بالمواظبة عليها في أوقاتها والإتيان بها تامة الأجزاء والشرائط  
مُتقربا إليه تعالى بها فإنها الوسائل في الوصول إلى مقام القرب.

□ قوله ﷺ: دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ...

عني بالقائد نفسه الشريفة والمقصود أنهم كانوا مطيعين لي فاذا دعوا  
للجهاد اجابوا الداعي ووثقوا بقائدهم فاتبعوه ولم يخالفوه .  
ثم نادى باعلى صوته.

□ قوله ﷺ: ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ الْجِهَادَ الْجِهَادَ عَبَادَ اللَّهِ آلا وَإِنِّي مُعَسِكِرٌ فِي  
يَوْمِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَا حَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ!...

الجهاد بكسر الجيم كالقتال مصدر قولك جاهد مجاهدةً وجهادا، استفراغ  
الوسع في مدافعة العدو وهو ثلاثة اضرب مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة  
الشيطان، ومجاهدة النفس والجهاد الكامل ما تدخل الثلاثة فيه كقوله تعالى:  
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾<sup>(١)</sup> وتكرير لفظ الجهاد في كلامه ﷺ للتأكيد  
ومزيد الشرف وأنه لا ينبغي ان يُترك وقد تكلمنا في الجهاد وفضله  
وذكرنا الآيات والأخبار الواردة فيه فيما مضى ولا شك أنه من اعظم الفرائض  
وانفعها دنيا ودينا لكونه يُوجب اعلاء كلمة الحق وامحاء الباطل وانتشار العدل  
وغير ذلك من الأمور النافعة كما ان تركه يُورث الدُّلَّ والحِقارة ورواج المنكر  
ونشر الظلم وغيرها وكيف كان دعاهم ﷺ إلى الجهاد مع اعداء الذين وقال اني  
مُعَسِكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا أَي اجتمع العسكر في هذا اليوم في المعسكر وهو

محل اجتماع العسكر وأما المُعسكر في كلامه فهو بكسر الكاف اسم فاعل من  
عَسَكَ يُعسِكُ نحو دَحْرَجٌ يُدَحْرَجُ ثم قال فمن أراد الرّواح إلى الله أي  
الإرتحال إليه بالشّهادة فليخرج إلى المُعسكر، قال ثوف وعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام في  
عشرة آلاف ولقيس ابن سعد ابن عبادة الأنصاري رحمه الله عشرة آلاف  
ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ولغيرهم من الأصحاب على أعداد  
آخر قِلَّةٌ وكثرةٌ وهو عليه السلام يُريد الرّجعة إلى صفين لحرب أهل الشام فما دارت  
الجمعة حتّى ضربه المَلْعُون ابن مُلْجَم لعنه الله فتراجعت العساكر إلى الكوفة  
فَكُنَّا كَاغْنَامٍ

فَقَدَّتْ رَاعِيَهَا تَخْتَطِفُهَا الذُّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، واختطافُ الذُّنَابِ كناية عن  
النَّهْبِ وَالْقَتْلِ وَالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ وَأَمْثَالِهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ شَهَادَتِهِ  
عليه السلام مِنَ الطُّغَاةِ اللَّثَامِ اعْنِي معاوية واتباعه من اوباش الشام.

ومن خطبة له (١٨٢)

□ قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةِ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةِ خَلْقِ الْخَلَائِقِ بِقُدْرَتِهِ وَاسْتَعْبَادِ الْأَرْبَابِ بِعِزَّتِهِ وَسَادَةِ الْعُظَمَاءِ بِجُودِهِ وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا وَلِيَحْذَرُواهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا وَلِيُبْصِرُواهُمْ عُيُوبَهَا وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبِرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِحِهَا وَأَسْقَامِهَا وَخَلَالِهَا وَحَرَامِهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ. أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا مِنْهَا

فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ وَرَاجِرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورَهُ وَاكْتَمَلَ بِهِ دِينَهُ وَقَبَضَ نَبِيَّهُ وَقَدَّرَ فَرَعَهُ إِلَى الْخَلْقِ مَنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَتْ مَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُوا إِلَيْهِ فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَسَخِطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَنْ يَسِخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي آثَرِ بَيْنٍ وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ قَدْ كَفَاكُمْ مَوْنَةَ دُنْيَاكُمْ وَحَسْبَكُمْ عَلَى الشُّكْرِ. وَافْتَرَضَ مِنَ السِّنْتِكُمْ الذِّكْرَ.

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَىٰ وَجَعَلَهَا مُمْتَهِي رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مَنْ خَلَقَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي  
 أَنْتُمْ بَعِينُهُ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ  
 قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِرَامًا لَا يَسْقِطُونَ حَقًّا وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا وَاعْلَمُوا إِنْ مَنْ يَتَّقِ  
 اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ وَتُورًا مِنَ الظُّلْمِ وَيُخَلِّدْهُ فِيهَا اسْتَهْتَتْ نَفْسَهُ  
 وَيُنزِلْهُ مَنزِلَةَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارٍ اضْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَتُورُهَا بَهْجَةٌ  
 وَزُورُهَا مَلَائِكَتُهُ وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ فَبَادِرُوا الْمَعَادَ سَابِقُوا الْآجَالَ. فَإِنَّ النَّاسَ  
 يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ وَيَسُدُّ عَنْهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ  
 فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ  
 لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَقَدْ أُوذِئْتُمْ مِنْهَا بِالْإِزْتِحَالِ وَأَمْرُكُمْ فِيهَا بِالزَّادِ وَاعْلَمُوا إِنَّهُ لَيْسَ  
 لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي  
 مَصَائِبِ الدُّنْيَا.

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةِ تُذْمِيهِ وَالرَّمْصَاءِ تُحْرِقُهُ  
 فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيعِ حَجَرٍ وَقَرِينِ شَيْطَانٍ أَعْلَمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا  
 إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعُضْبِهِ وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا  
 جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ.

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَاقُ  
 النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ وَنَشَبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ فَاللَّهُ اللَّهُ  
 مَعَشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ  
 فَاسْعَوْا فِي فِكَالِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلِقَ رَهَائِنُهَا أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ وَاضْمِرُوا  
 بَطُونَكُمْ وَاسْتَعْلِمُوا أَقْدَامَكُمْ وَانْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ وَخَذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ مَا تُجَدُّوا بِهَا  
 عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنْ تَنْصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ  
 وَيَثِّبُ أَقْدَامَكُمْ، وَقَالَ مِنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ  
 كَرِيمٌ فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَسْتَفْرِضْكُمْ مِنْ قُلِّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَاسْتَفْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَإِنَّمَا آرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَبَادِرُوا  
بِعَمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ  
وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا  
وَنَصَبًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.  
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ  
الْوَكِيلُ

### ◀ اللغة

(منصَبته) المَنْصِبَةُ كَمَصْطَبَةِ التَّعَبِ (وَلِيَهْجُمُوا) هَجَمَ عَلَيْهِ كَنَصَرَ دَخَلَ غَفْلَةً  
(بِمُعْتَبِرٍ) مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ بِمَعْنَى الإِعْتِبَارِ وَالِإِتْعَازِ (مَصَاحِحًا) جَمْعُ مَصِحَّةٍ بِكسْرِ  
الصَّادِ وَفَتْحِهَا بِمَعْنَى الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ (أَسْقَامَهَا) جَمْعُ سَقَمٍ وَالْمَرَضِ (بِرَجْعِ)  
الرَّجْعِ التَّرْدِيدِ أَوْ النَّفْعِ (طَابَقِينَ) الطَّابِقُ الأَجْرُ الكَبِيرُ (الْيَفْنُ) مَحْرُكَةُ الشَّيْخِ  
الكَبِيرِ (لَهْزُهُ) أَي خَالِصَهُ (الْقَتِيرُ) الشَّيْبُ (نَشَبَتْ) أَي عَلَقَتْ (حَسِيسَ)  
الحَسِيسِ الصَّوْتِ الخَفِيِّ (نَصَبًا) النِّصْبُ التَّعَبُ.

### ◀ المعنى

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ) فِي الأَفَاقِ وَالْأَنْفُسِ (مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ) بِالْبَصَرِ (الْخَالِقِ)  
لِكُلِّ شَيْءٍ (مِنْ غَيْرِ مَنْصِبَةٍ) وَلَا تَعَبٍ (خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ) الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ  
(وَاسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ) أَي طَلَبَ مِنْهُمُ العُبُودِيَةَ (بِعِزَّتِهِ) أَي بَقَهْرِهِ وَغَلْبَتِهِ (وَسَادَ  
العُظَمَاءَ) مِنْ مَخْلُوقِهِ (بِجُودِهِ) وَافِاضَتِهِ (وَهُوَ الَّذِي أَسَكَّنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ وَبَعَثَ  
إِلَى الجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ) لِيَهْدِيَهُمُ إِلَى الخَيْرِ (لِيَكشِفُوا لَهُمْ) أَي لِيُظْهِرُوا لَهُمْ  
(عَنْ غِطَائِهَا) أَي غِطَاءِ الدُّنْيَا (وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا) وَمَضَارِهَا (وَلِيَضْرِبُوا  
لَهُمْ أَمْثَالَهَا وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبِرٍ) لِيَعْتَبِرُوا بِهَا وَفِيهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ اعْتِبَارٍ (مِنْ  
تَصَرَّفِ مَصَاحِحِهَا وَأَسْقَامِهَا) أَي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ (وَلِيَبْصُرُوهُمْ  
عُيُوبَهَا) عُيُوبُ الدُّنْيَا (وَخَلَالِهَا وَحَرَامِهَا) فِي الشَّرَائِعِ . (وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ)

الْمُنْقَادِينَ (وَالْعَصَاةِ) الْمُذْنِبِينَ (مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ) الْأَوَّلِ لِلأَوَّلِ وَالثَّانِي لِلثَّانِي  
 (وَكِرَامَةٍ وَهَوَانٍ) كَذَلِكَ (أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ) أَي كَمَا طَلَبَ  
 مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَحْمَدُوهُ (جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) وَحَدًّا (وَلِكُلِّ قَدْرٍ) وَحَدًّا (أَجَلًا)  
 وَمُدَّةً (وَلِكُلِّ أَجَلٍ) وَمُدَّةً (كِتَابًا) وَرُقُومًا (مِنْهَا) أَي مِنَ الْخُطْبَةِ، (فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ  
 وَزَاجِرٌ) وَنَاهِي (وَصَامِتٌ) مِنْ جِهَةٍ (وَنَاطِقٌ) مِنْ أُخْرَى (حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ)  
 الْمُتَكَلِّفِينَ (أَخَذَ) اللَّهُ (عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ) فِي الْأَزْلِ (وَأَوْزَتَهُنَّ عَلَيْهِ) عَلَى الْقُرْآنِ أَوْ  
 عَلَى الْمِيثَاقِ (أَنفُسَهُمْ أَمْ نُورَهُ وَاكْمَلَ بِهِ دِينَهُ وَقَبِضَ نَبِيَّهُ ﷺ) بَعْدَ اكْتِمَالِ دِينِهِ  
 بِهِ (وَقَدْ فَرَّغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى) بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالنَّبِيِّ ﷺ (فَعَظَّمُوا) أَي  
 الْأَنْبِيَاءَ (مِنْهُ) مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (مَا عَظَّمَ) اللَّهُ (مَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ) فَإِنَّ اللَّهَ (لَمْ يُخْفِ)  
 وَلَمْ يَسْتِرْ (عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا رَضِيَهُ) مِنْ طَاعَتِهِ (أَوْ كَرِهَهُ) مِنْ  
 مَعْصِيَتِهِ (إِلَّا وَجَعَلَ) اللَّهُ (لَهُ) لِلشَّيْءِ (عَلَمًا بَادِيًا وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ  
 تَدْعُو إِلَيْهِ) لِقَبْحِ الْعِقَابِ بِلَا بَيَانٍ عَقْلًا (فَرِضَاهُ) أَي فَرَضِي اللَّهُ (فِيمَا بَقِيَ) وَلَمْ  
 يَأْمُرْكُمْ بِهِ (وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ) وَلَمْ يُذَكِّرْ (وَاحِدًا وَاعْلَمُوا إِنَّهُ لَنْ يَرْضَى) اللَّهُ  
 (عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ (وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ  
 بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) مِنَ الْأُمَّمِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ حَالَكُمْ حَالَهُمْ وَحُكْمُهُمْ  
 حُكْمُكُمْ مِنْ جِهَةِ الرِّضَا وَالسَّخَطِ (وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي آثَرِ بَيْنٍ) أَي تَسِيرُونَ فِي  
 آثَرِهِمْ (وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ) وَالْمُرَادُ بِالرَّجْعِ أَمَّا  
 التَّرْدِيدُ أَوْ الْقَوْلُ النَّافِعُ (قَدْ كَفَّأْمُ مَوْنَةٌ دُنْيَاكُمْ) فَإِنَّ الرِّزْقَ بِيَدِهِ (وَخَتُّكُمْ) اللَّهُ  
 (عَلَى الشُّكْرِ) وَقَالَ لِأَنَّ شُكْرَتَكُمْ لِأَزِيدَتِكُمْ (وَافْتَرَضَ) وَأَوْجَبَ اللَّهُ (مِنْ  
 السِّنِّتِكُمْ الذُّكْرَ) بِمَعْنَاهِ الْعَامَّ أَوْ الْخَاصَّ (وَإِذَا صَاكُمْ) اللَّهُ (بِالتَّقْوَى) فَإِنَّهَا خَيْرُ  
 الزَّادِ (وَجَعَلَهَا) أَي التَّقْوَى (مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتُهُ مَنْ خَلَقَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ  
 بِعَيْنِهِ) وَمَنْظَرُهُ فَإِنَّهُ يَرَاكُمْ (وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ) فَإِنَّهُ يَأْخُذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ  
 (وَتَقَلُّبِكُمْ) وَتَصَرَّفِكُمْ (فِي قَبْضَتِهِ) وَقُدْرَتِهِ (إِنْ أَسْرَرْتُمْ) شَيْئًا فِي ضَمَائِرِكُمْ  
 (عَلِمَهُ) لِكُونِهِ عَالِمًا بِالضَّمَائِرِ (وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ) بِهِ (كُتِبَتْ) بِوَسْطَةِ الْمَلَائِكَةِ الْكَاتِبِينَ

(قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِرَامًا) من الملائكة (لا يُسْقِطُونَ حَقًّا وَلَا يُثَبِّتُونَ بَاطِلًا) كما  
 هو مُقْتَضَى العَدْلِ (وَاعْلَمُوا إِنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ) ولا يَعصيه  
 (يَجْعَلُ) الله (لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ) والحوادث المَهْلِكَة (وَتُورًا) اي يجعل له  
 نورا (مِنَ الظُّلْمِ) اي ظلمات الغي والجهالة (وَيُخَلِّدُهُ) ويسكنه (فِيمَا اسْتَهْتَتْ  
 نَفْسُهُ وَيُنزِلُهُ مَنزِلَةَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ) اي يسكنه في الجنة ومقام القرب فان فيها ما  
 اسْتَهْتَتْ نفسه (فِي دَارٍ) ومقام (اضْطَنَّعَهَا) واتخذها (لِنَفْسِهِ ظِلًّا عَرْشُهُ وَتُورَهَا  
 بَهْجَةً وَزُورًا) مَلَائِكَةٌ وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ) وفي اوصاف الجنة (فَتَبَادِرُوا)  
 وسارعوا (الْمَعَادَ) الذي لا محيص عنه (وَسَابِقُوا الْآجَالَ) قبل وصولها اليكم  
 (فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطَعَ بِهِمُ الْأَمَلُ) فلا يصل اليه (وَيَرْهَقُهُمُ الْأَجَلُ) وهو  
 المَوْت فَانَّه ياتي بغتةً (وَيَسُدُّ عَنْهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ) اذ لا توبة بعد المَوْت (فَقَدْ  
 أَصْبَحْتُمْ) فِي الدُّنْيَا (مِثْلَ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) وهو قولهم (لَعَلِّي  
 أَعْمَلُ صَالِحًا) <sup>(١)</sup> (وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ) اي سفر الآخرة (مِنْ دَارٍ  
 لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ) وهي الدُّنْيَا (وَقَدْ أُوذِئْتُمْ) مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (مِنْهَا) مِنَ الدُّنْيَا  
 (بِالْإِرْتِحَالِ) عنها (وَأَمَرْتُمْ فِيهَا) فِي الدُّنْيَا (بِالزَّادِ) وهو التَّقْوَى (وَاعْلَمُوا إِنَّهُ  
 لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ) الذي فِي ابدانكم (صَبْرٌ عَلَى النَّارِ) (فَارْحَمُوا نَفْسَكُمْ  
 فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا) واختبرتموها (فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا) وعلمتم ضعفها (أَفَرَأَيْتُمْ  
 جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَنْزَةَ تُدْمِيهِ وَالرَّمْصَاءِ) اي الأرض الشديدة  
 الحَرَارَةِ (تُحْرِقُهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ) البَدَنُ (بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ) اي آجَرَيْنِ او حَجَرَيْنِ (مِنْ  
 نَارٍ ضَجِيعِ حَجَرٍ) كما قال تعالى وقودها النَّاسُ والحجارة (وَقَرَيْنِ شَيْطَانٍ)  
 وانيسه وهو من اشدَّ العذاب (أَعْلَمْتُمْ إِنَّ مَالِكًا) مَلَكٌ سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَى جَهَنَّمَ (إِذَا  
 غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ) واكل (بَعْضُهَا بَعْضًا لِعَظْمِهِ) اي لغضب مالك (وَإِذَا  
 زَجَرَهَا) اي اذا زجر مالك النار توثبت بين ابوابها جزعا) وقرعا (من زجرته  
 أَيُّهَا الْيَقِينُ) اي الشَّيْخُ (الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ) وغالطه (القيتر) والمشيبي

مَفَاتِحُ السَّعَادَةِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ



(كَيْفَ أَنْتَ) اي كيف حالك (إِذَا التَّحَمَّتْ) والتَّصَقَّتْ (أَطْوَأقُ النَّارِ بِعِظَامِ  
الْأَعْنَاقِ) كما قال تعالى: ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> (وَنَشَبَتِ) وعلقت  
(الْجَوَامِعَ) اي الأغلال الجامعة (حَتَّى أُكَلَّتْ) النار (لُحُومُ السَّوَاعِدِ) قَالَلَهُ اللَّهُ  
مَعَشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ) اي والحال انتم سالمون (فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ  
وَفِي الْفُسْحَةِ) والوسعة (قَبْلَ الضِّيقِ فَاسْعَوْا) سَعِيَا بَلِيغَا (فِي فِكَاكِ رِقَابِكُمْ)  
وَعَتِقِهَا (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلِقَ رَهَائِئُهَا) ولم تقدرُوا على فكاكها (أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ)  
بِالْيَقْظَةِ فِي اللَّيْلِ (وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ) بِالصِّيَامِ وَالْجُوعِ (وَأَسْتَعْلَمُوا أَقْدَامَكُمْ)  
فِي الْمَشْيِ إِلَى الْخَيْرَاتِ (وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَكُمْ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ (وَخَذُوا مِنْ  
أَجْسَادِكُمْ) بِالرِّيَاضَاتِ (مَا تُجَدُّوْا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) فِي وَصُولِهَا إِلَى الْكَمَالَاتِ  
(وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا) أَي بِالْأَجْسَادِ (عَلَيْهَا) عَلَى النَّفُوسِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ  
تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وَقَالَ تَعَالَى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ  
قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> الْإِسْتِشْهَادَ بِالْآيَاتِ لِإِثْبَاتِ الْمُدْعَى  
(فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ) اللَّهُ (مِنْ دَلِيلٍ) وَعَجَزَ (وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ) اللَّهُ تَعَالَى (مِنْ قَلْبٍ)  
وَفَقِرَ (إِسْتَنْصَرَكُمْ) وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فَلَيْسَ فِيهِ  
ذَلٌّ (وَأَسْتَقْرِضْكُمْ) وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فَهُوَ الْغَنِيُّ  
وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ (أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ) وَيَخْتَبِرْكُمْ (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فِي الدُّنْيَا  
(فَبَادِرُوا) وَسَارِعُوا (بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ) وَهِيَ الْجَنَّةُ  
(رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ) وَأَذَانَهُمْ (أَنْ تَسْمَعَ  
حَسِيْسَ نَارٍ) وَصَوْتِهَا الْخَفِيِّ فَضْلًا عَنْ مَسْهَا (وَصَانَ) وَحَفِظَ (جَسَادَهُمْ أَنْ  
تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا) وَتَعَبًا (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ  
أَقُولُ) لَكُمْ (مَا تَسْمَعُونَ) بِأَذَانِكُمْ (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ وَهُوَ  
حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ):

□ قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةِ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ...

قد مضى الكلام في معنى الحمد وكلمة، الله غير مرّة والمقصود أنّ جنس الحمد للذات الواجب الوجود المُستجمع لجميع الصفات الكمالية فإن لفظه الله عَلَّمَ على الأصح للذات كذلك وقوله ﷺ: المعروف اي الذي يُعرف من غير مَنْصَبَةٍ وتَعَبٍ في مقامين:

احدهما: كونه تعالى مَعْرُوفًا من غير رُؤْيَةٍ.

وثانيهما: كونه خالقًا من غير مَنْصَبَةٍ.

أما المقام الأول: فقد مرّ الكلام فيه عند قوله ﷺ لا تُدركه العيون بمشاهدة العيان مفضلاً ومع ذلك نقول المراد بالرؤية المنفية الرؤية بالبصر لا الرؤية بالقلب لقوله ﷺ ولكن تُدركه القلوب بحقائق الإيمان وفي الحقيقة هذا البحث ينحل إلى اصلين، كونه تعالى مَعْرُوفًا، وإن المعرفة بغير رُؤْيَةٍ ويدل على الأول قوله (المَعْرُوف) وعلى الثاني قوله (من غير رُؤْيَةٍ) أما أنه مَعْرُوف فلأنّ ظهور الأشياء ووجودها به تعالى لأنّه مُوجدُها ولازم ذلك هو ان يكون اعرف الأشياء واظهرها الا ترى انّ ظهور الأجسام في عالم الحس للرؤية بالنور فلولا النور لا يرى شيء فالنور منشأ الظهور ومبدء التجلي لها في عالم الحس فلا محالة يكون اعرف واظهر منها وكيف يعقل كون الظاهر اعرف مما به الظهور وهو الأصل وذلك الفرع اذا عرفت هذا في النور الحسي فقيس عليه النور المعنوي الواقعي فالواجب تعالى اصل الوجود وحقيقته ومبدء الظهور والتجلي اذ به ظهرت الأشياء وتجلت فهو اعرف الأشياء واظهرها الا انه من كثرة ظهوره في خفاء كما قيل:

يَآمَنُ هُوَ اخْتَفَى لِفِرْطِ نُورِهِ      الظاهر الباطن في ظُهُورِهِ

هذا بحسب مقام الشهود لا ريب فيه واما بحسب مقام البرهان فنقول، لو كان الواجب تعالى غير معروف بذاته فينبغي ان يُعَرَفَ حتّى يُعَرَفَ وقد ثبت

انَّ المَعْرَفَ يكون اجلئ من المَعْرَفِ لا مساويا له فضلاً عن كونه اخفئ ولا شئ في عالم الوجود اعرف منه ولا مساويا له في الظهور اذا لكُل معلول له والمعلول لا يكون مساويا للعللة فضلاً عن كونه اجلئ فهو دائما اخفئ منها وكيف يعقل تعريف الواجب بما هو اخفئ منه ظهورا فظهوره بذاته ولا نعني بالمعروفية الا هذا فثبت انه معروف وهو المطلوب:

واما كون مَعْرُوفِيته تعالى بغير رُؤْيَةٍ فلان الرُؤْيَةَ البَصْرِيَّةَ لا تَتَعَلَقُ الا بالاجسام فان العين لا ترى ما ليس بجسم وهو تعالى ليس بجسم فلا يرى بها وصورة القياس هكذا.

الله تعالى معروف برؤية البصر، وكل معروف بها جسم، فهو تعالى جسم، وقد ثبت انه ليس بجسم فنقول الله تعالى غير معروف بالرؤية، وكل غير معروف كذلك ليس بجسم فهو ليس بجسم وهو المطلوب.

ومُحَصَّلُ معنى الجملة ان الله تعالى مَعْرُوفٌ بغير الرُؤْيَةَ بالبصر التي تختص بالاجسام بل يُعْرَفُ بعين البصيرة وحقيقة الإيمان فهو ﷻ لم ينفي الرُؤْيَةَ مُطلقا بل نفي رُؤْيَةَ الحاسة وهو الظاهر من الآيات والأخبار وكلامه ﷻ في غير المقام نص فيما ذكرناه كما عرفته مفضلاً:

واما البحث في المقام الثاني: اعني الخالق من غير منصبته فهو ايضا ينحل الى اصلين،

احدهما: انه تعالى خالق.

وثانيهما: ان خالقيته من غير منصبته ولا تعب.

اما الأصل الأول: فهو مما لا كلام فيه عقلاً وتقالاً وقد فرغنا عن البحث والإثبات في هذا الأصل واما الثاني اعني كونه يقال خالقا من غير منصبته فلو جهين، احدهما ان التعب والنصب من شئون الجسم ولو ازمه والله تعالى ليس بجسم فلا تعب فيه، وثانيهما ان النصب في الخلق الإبداعي لا معنى له والله تعالى فاعل وموجد بالإبداع فلا نصب فيه بيانه ان الإبداع هو الإيجاد لا

عن مادّةٍ وليس هو إلا مُجرّد الأمر التكويني المنبعث عن الإرادة وعليه فاذا قال له كُن فيكون، وفي المقام وجه آخر وهو أنّ التَّعَبَ اعني المَشَقَّةَ في الفعل غير مطلوب لكلّ موجود في افعاله واقواله وهو ظاهر وحينئذٍ نقول التَّعَبَ مَنْقُورٌ مطرودٌ بحسب الفطرة والواجب تعالى امّا يمكن له الإيجاد بلا تَعَبٍ او لا يمكن فعلى الأوّل اعني امكان الإيجاد بلا تَعَبٍ فان اوجد مَقْرُونًا به فهو غير عاقلٍ وان اوجد بغيره فهو المطلوب،

**وعلى الثاني:** اعني عدم الإمكان يلزم العجز عليه وهو ينافيه، فثبت أنّ الله خالق من غير مَنْصَبَةٍ وهو المطلوب.

□ قوله ﷻ: خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ...

اثبت ﷻ في الجملة السابقة كونه خالقاً في حدّ نفسه ثمّ افاد ﷻ انه خلق الخلائق اعني الموجودات الإمكانية بقدرته الكاملة الشاملة لا بمعونة شيءٍ آخر او شخصٍ آخرٍ وحيث انه قد ثبت عينيّة الصفات للذات بمعنى انه ليس هناك ذات وقُدرة بل القُدرة عين الذات فيرجع المعنى الى انه تعالى خلق الخلائق بذاته وبعبارةٍ اخرى هو تعالى لا يحتاج الى القُدرة في الإيجاد ولا الى صنعةٍ اخرى غير مقام ذاته فان ذاته قُدْرته وعلمه وارادته وهكذا.

وقوله ﷻ: وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، اي طلب العبودية من الأرباب والعُظماء بعزّته اي بقهره وغلبته وهذا الطلّب منه تعالى تشرّيعي يمكن فيه التّخلف لا تكويني لا يمكن فيه التّخلف:

وقوله ﷻ: وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، قالوا في شرح الكلام اذ كلّ عظيم فهو بمقتضى امكانه مُفتقر الى افاضة وجوده، اقول ويمكن ان يستفاد من كلامه ﷻ شيءٌ آخر مضافاً الى ما ذكره وهو أنّ العُظماء اي الأشراف كائناً من كان لا يتّصفون بالجوود والذي فيهم هو الإنفاق فانّ الجُود افاضة ما ينبغي لا لعوضٍ ولا لغرضٍ وهو مُختصّ به تعالى واما غيره فلا وعليه فالمعنى انه تعالى تفوّق على غيره بجوده اي بسبب جوده الذي ليس في غيره:

□ قوله ﷺ: وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ...  
السَّكُونُ بضم السين في الأصل بثبوت الشيء بعد تحريكه ويستعمل في  
الإستيطان أيضا يقال سَكَنَ فلان مكان كذا أي استوطنه.

وحيث أن الموجودات المخلوقات في الدنيا على قسمين قسم منها لا  
يحتاج الى المكان المصطلح اعني ما يسكن فيه كالعقول والنفوس والملائكة  
وغيرها مما ليس له جسم كثيف حتى يحتاج الى الحيز وقسم منها يحتاج اليه  
كالإنسان والحيوان والجماد والنبات مثلا فقولهُ ﷺ: أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ يحمل  
على المعنى الأول اعني ثبوت الشيء وقراره فالمعنى أن الله تعالى اسكن اي  
اثبت وأقر خلقه في الدنيا واما المعنى الثاني فلا يجوز حمل الكلام عليه الا  
بضرب من التاويل اذ ليس للنفس والعقل مثلا في الدنيا مسكنا يسكنان فيه  
بالمعنى الثاني نعم لهما مسكن بالمعنى الأول:

وقوله ﷺ: وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ والدليل على أن البعث اليهم  
جميعا قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ  
آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا  
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>

□ قوله ﷺ: لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا وَلِيَحْذَرُواهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ  
أَمْثَالَهَا...

الضمائر كلها ترجع على الدنيا واللام الداخلة على الفعل في الموارد كلها  
للاغاية وحيث أنه ﷺ قال في الجملة السابقة وبعث الى الجن والإنس رسله  
فكانه قيل له ﷺ ولماذا بعث الله رسله اليهم فقال ﷺ في الجواب بعثهم اليهم  
ليكشفوا اي ليظهروا لهم عن غطاء الدنيا ويعرفوها لهم كما هي هي وغطاء  
الدنيا عبارة عن زخارفها ونعيمها وعلائقها المانعة عن الوصول الى كنهها  
وحقيقتها وانها دائرة فانية وهذه الأغطية هي التي تحجب اهلها عن معرفتها

كما هي عليه واليهما اشار الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿زَيْنَ لِنَاسٍ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (١)  
والجامع حُبُّ الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصَمُّ وَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ  
عَنْ رُؤْيَةِ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ:

وليحذروهم من ضرائها اشارة الى ان الدُّنْيَا مثلها مثل الحيَّة باطنها سم وظاهرها لئيم فالأنبياء بعثوا ليحذروا النَّاسَ مِنْهَا لِئَلَّا يَعْتَمِدُوا عَلَيْهَا وَقَوْلُهُ ﷺ لِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا بَقَاءَ لَهَا فَهِيَ فَانِيَةٌ فِي ذَاتِهَا وَكُلُّ مَا فِيهَا أَيْضًا لَا بَقَاءَ لَهُ فَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً فَكَمَا أَنَّ الْمَاضِينَ مَاتُوا كَذَلِكَ أَنْتُمْ فَمِنَ الْأَمْثَالِ:

قال رسول الله ﷺ من أحب دنياه أضرب بأخرته، وقال امير المؤمنين الدُّنْيَا دَوَّلٌ فَاطْلُبْ حَظَّكَ مِنْهَا بِاجْمَالِ الطَّلَبِ وَقَالَ ﷺ مِنْ آمَنَ الزَّمَانَ خَانَهُ وَمَنْ غَالَبَهُ أَهَانَهُ، وَقَالَ ﷺ الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ فَكِلَاهُمَا عَنْكَ سِيَمِضِي وَلَنْعَمَ مَا قِيلَ:

وإن امرؤ دنياه أكثر هممه لمستمسك عنها بحبلٍ غرورٍ  
وقال بعضهم إياك والإغترار بالدُّنْيَا والرُّكُونُ إِلَيْهَا فَإِنَّ أَمَانَتَهَا كاذبةٌ وَأَمَالُهَا خائبةٌ وَعَيْشُهَا نكدٌ وَصَفْوُهَا كدرٌ وانت منها على خطرٍ أماناً نعمةً زائلةً وأماناً بليَّةً نازلةً وأماناً مُصيبةً مَوْجعةً وأماناً مَنِيَّةً مَفْجعةً.

وقال آخر صاحب الدُّنْيَا فِي حَرْبٍ يَكَايِدُ الْأَعْدَاءَ (الْأَهْوَاءَ) لَتَنْقُدِحَ وَالْجَهَالَةَ لَتَقْمَعَ وَالْأَرْوَاحَ لَتَنْدَفِعَ وَالْأَمَالَ لَتَنَالَ وَالْمَكْرُوهَ لِيَزَالَ وَبَعْضُ ذَلِكَ عَنْ بَعْضٍ شَاغِلٌ وَالشُّغْلُ عَنْهُ ضَائِعٌ فَلَمَّا رَأَى الْحُكَمَاءُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى أَحْكَامِ ذَلِكَ تَرَكُوهَا لِيَحْرُزُوا مَا يَبْقَى وَيَتْرَكُوا مَا يَفْنَى وَالْأَمْثَلَةُ كَثِيرَةٌ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِبِهَا وَأَسْقَامِهَا وَخَلَالِهَا وَحَرَامِهَا...

الهُجُومُ الدَّخُولُ عَلَى غَفْلَةٍ وَالْمَعْنَى بُعِثُوا لِيَدْخُلُوا عَلَى النَّاسِ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْهُمْ لِيَسْتَيْقِظُوا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَفَرَطِ الْجَهَالَةِ مِنْ تَعَرَّفِ مَصَّاحِ الدُّنْيَا وَاسْقَامِهَا وَالْمُرَادُ بِمَصَّاحِ الدُّنْيَا وَاسْقَامِهَا أَمَّا الصِّحَّةُ وَالسَّقَمُ فِي الْأَبْدَانِ وَتَعَاقِبُهُمَا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى أَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي غَفْلَةٍ عَنْ سِرِّ تَعَاقِبِ الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ عَلَى الْأَبْدَانِ حَتَّى تَبْهَمَ الرَّسُلُ إِلَى أَنَّ هَذَا ابْتِلَاءٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِيَعْرِفَ الْإِنْسَانُ عَجْزَهُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِيَدِهِ فَالْكَلَامُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْحَقِيقَةِ:

وَأَمَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا الصِّحَّةَ وَالْمَرَضَ لِلدُّنْيَا فَالصِّحَّةُ كِنَايَةٌ عَنْ أَقْبَالِهَا وَالْمَرَضُ كِنَايَةٌ عَنْ أَدْبَارِهَا وَالْمَعْنَى أَنَّ النَّاسَ كَانُوا غَافِلِينَ عَنْهُمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا فَالرَّسُلُ تَبْهَمَ عَلَيْهِمَا فَالْكَلَامُ مَجَازٌ حَيْثُ شَبَّهَ عَلَيْهَا الدُّنْيَا بِالْبَدَنِ ثُمَّ اثْبَتَ لَهَا الصِّحَّةَ وَالْمَرَضَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ التَّخِيلَةِ وَهُوَ وَاضِحٌ:

□ وَقَوْلُهُ عَلَيْهَا: «وَلِيُبَيِّنَنَّ لَهُمْ عَيْبُوبَهَا إِلَى آخِرِهِ أَي لِيَجْعَلُوهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ عَيْبِ الدُّنْيَا وَيُعَلِّمُوهُمْ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا...»

وَأَنَّ أَي شَيْءٍ مِنْهَا حَلَالٌ يَجُوزُ أَكْلُهُ وَأَي شَيْءٍ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ أَكْلُهُ وَالْمَقْصُودُ تَعْلِيمُ الدِّينِ:

□ قَوْلُهُ عَلَيْهَا: «وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ...»

الْوَاوُ لِلْعَطْفِ أَي وَلِيُبَيِّنَنَّ لَهُمْ مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُطِيعِينَ وَالْعَاصِينَ غَدَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقَامَاتِهَا لِلْمُطِيعِينَ وَالنَّارِ وَدَرَكَاتِهَا لِلْعَصَاةِ الطَّاغِينَ وَابْتِلَاءُ الْكِرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ لِلأَوَّلِ وَالْهَوَانِ وَالْخِذْلَانَ لِلثَّانِي كَمَا دَلَّتْ عَلَى الْأَمْرَيْنِ الْآيَاتُ فَقَالَ فِي الْمُطِيعِينَ: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»<sup>(١)</sup>

و: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (١)

و: ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (٢)

و: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ (٣)

وفي العصاة قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٤)

و: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ،

وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِغَادٍ قَوْمٍ هُودٍ﴾ (٥)

و: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ آخِذَةً رَابِيَةً﴾ (٦)

و: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ﴾ (٧)

و: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ (٨) وغيرها من الآيات:

□ قوله ﷺ: أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَلِكُلِّ قَدْرٍ اجْلًا وَلِكُلِّ اجْلٍ كِتَابًا...

أي أحمد الله تعالى متقربا إليه كما طلب الحمد من خلقه حيث قال: ﴿وَقُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ (٩)

و: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (١٠)

و: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ (١١) وغيرها من الآيات:

والمقصود أنني أحمدته كما طلب من خلقه أن يحمدوه لا كما يحمد نفسه

ويُلَيِّقُ بِهِ فَإِنَّ الْحَمْدَ بِهَذَا الْمَعْنَى مُخْتَصٌّ بِهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى حَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى

يَتَّصِرُ عَلَى قَسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا حَمْدُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَثَانِيهِمَا حَمْدُ الْمَخْلُوقِ إِتْيَاهُ

وَالأَوَّلُ مُخْتَصٌّ بِهِ لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهِ فَإِنَّ الْحَمْدَ مُتَّفَعٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ

١- الفتح- ١٧ النساء- ١٣

٣- التوبة- ٧١

٥- هود- ٥٩ و ٦٠

٧- ص- ٥٥

٩- الاسراء- ١١١

١١- النمل- ٩٣

٢- الفتح- ١٦

٤- البقرة- ٦١

٦- الحاقة- ١٠

٨- القلم- ٣١

١٠- طه- ١٣٠



والحمد الكامل للذات الواجب الوجود لا يتمشى إلا لمن عرف ذاته كاملاً ولا يعرف الذات إلا من احاط به والمخلوق عاجز عن الإحاطة فهو عاجز عن الحمد كما هو اهله كما قال رسول الله ﷺ وهو اقرب الخلق اليه أنت كما اثبتت على نفسك والثاني حمد المخلوق له على قدر طاقتهم ومعرفتهم به وهو يختلف شدة وضعفاً وكمالاً ونقصاً فقوله ﷻ: كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ مَعْنَاهُ أَحْمَدُهُ كَمَا طَلَبَ مِنْ خَلْقِهِ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَلْزِمُ التَّكْلِيفَ بِمَا لَا يُطَاقُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١)

و: ﴿جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٢) أي حدًا وهو دليل على محدودية الخلق في ذاته وصفاته وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣)

فإن القدر يلازم الخلق منه وقوله ﷻ: وَلِكُلِّ قَدْرٍ اجْتِلَاءٌ، أي زماناً ومدة كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٤)

و: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٥)

و: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ﴾ (٦)

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ (٧)

و: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (٨) ومُلَخَّصُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ

لكل شيء قدراً، أي كل شيء مقدور له وكل مقدور مؤجل باجل وكل مؤجل مكتوب في اللوح المحفوظ:

□ قوله ﷻ: فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ وَزَاجِرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ اخذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ...

٢-الطلاق ٣

٤-الروم-٨

٥-الرعد-٣٨

٨-النبأ-٢٩

١-بقره ٢٨٦

٢-الطلاق-٢

٥-الشورى-١٤

٧-آل عمران-١٤٥

القرآن هو الكتاب المُنزَل على النبي ﷺ والزَّجْر بفتح الزاء وسكون الجيم مصدر قولك زَجَر يَزْجُر زَجْرًا وهو في الأصل طَرْدٌ بصوتٍ يقال زَجَرته فانزَجَرْتُمْ استعمل في الطرد تارةً وفي الصوتِ اخرى.

فمن الأول: اعني الطرد خاصة قوله تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾<sup>(١)</sup> اي الملائكة التي تزجر السحاب.

ومن الثاني: قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآثَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾<sup>(٢)</sup> اي طردٌ ومنعٌ عن ارتكاب المآثم وهذا هو المراد في المقام والمعنى ان القرآن امرٌ بالطاعات والخيرات زاجرٌ ومنعٌ عن العصيان والآفات صامتٌ لكونه كلام الحق وناطقٌ لأن الكلام هو المتكلم بوجهٍ وان شئت قلت صامتٌ ظاهراً وناطقٌ باطناً واطلاق النطق على الكتاب لا باس به اما لأن النطق لا يختص باللسان فان نطق كل شيء بحسبه واما على سبيل المجاز وكيف كان فقوله ﷺ اشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

وانما قال ﷺ امرٌ زاجرٌ وصامتٌ ناطقٌ بغير حرف العطف ولم يقل امرٌ وزاجرٌ وصامتٌ وناطقٌ لِنكتهِ خفيةٍ وهي ان القرآن في عين كونه امراً زاجرٌ وفي عين كونه صامتاً ناطقاً ايضاً فزجره في امره ونطقه في صمته ولا يخفى على اللبيب حسنه:

واما كونه حُجَّةَ الله على خلقه اخذ عليهم ميثاقه، فلأن الحُجَّةَ في الأصل الدلالة المبيّنة للحُجَّةِ اي المقصد المستقيم والقرآن كذلك فانه الدليل المبيّن للمقصد المستقيم قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

واما انه اخذ عليهم اي على الناس ميثاقه فلقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ

مِثْقَالِ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ  
يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾

وقوله ﷺ: وارتهن عليه انفسهم اي حبس نفوسهم في صنك المؤاخذه حتى يردوا حق القرآن من العمل به فان لم يفعلوا لم يخلصوا بل يهلكوا ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٢) و: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣) وقد مر الكلام في لزوم العمل به مفضلاً فلا تُعيد:

□ قوله ﷺ: اتم نوره واكمل به دينه وقبض نبيه وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى...

المراد بالنور في المقام هو القرآن والمعنى ان الله تعالى اتم نوره وكتابه واكمل به دينه لا نقص فيه وقبض نبيه ﷺ بعد اتمام النور واكمال الدين به اما انه نور فلان النور هو الظاهر بذاته والمظهر لغيره والقرآن هكذا وقد اطلق الله تعالى عليه النور حيث قال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٤)

و: ﴿قَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (٥)  
و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا نُورًا مُبِينًا﴾ (٦)  
و: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٧)

وقوله ﷺ: واكمل به دينه اشارة الى كمال الدين به كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٨) ثم قال ﷺ: وقبض نبيه اي دعاه الى جوار رحمته والحال انه قد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به اي نبيه ﷺ والاحكام ان كانت بفتح الألف فهي جمع الحكم والمعنى ان الله تعالى قبض نبيه بعد فراغه من احكام الهدى به ﷺ ويمكن ان يكون بكسر الألف ليكون مصدرا من احكم اي اتقن وعليه فالمعنى قبض نبيه

٢- الطور- ٢١  
٤- المائدة- ١٥  
٦- النساء- ١٧٤  
٨- المائدة- ٣

١- الاعراف- ١٦٩  
٣- المدثر- ٢٨  
٥- التغابن- ٨  
٧- الصف- ٨

بعد اتقان الهدى به اي بعد ما جعل الله اساس الهداية بوجوده ﷺ مُحَكَّمًا  
مُتَقَنًا والمعنى الثاني اولى ووفق بسياق العبارة:

□ قوله ﷺ: بِهِ فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا  
مِنْ دِينِهِ...

اي فَعَظَّمُوا اي الأنبياء عليهم السلام من الله سبحانه ما عَظَّمَ الله من نفسه  
فَعَظَّمُوهُ كما عَظَّمَ نَفْسَهُ ولم ياتوا بشي من عند انفسهم فكل ما قالوه في نُعُوتِهِ  
واوصافه لكم كان مُسْتَنَدًا الى الوحي منه تعالى اليهم فلم يتركوا في الباب شيئا  
الا ما تَرَكَه الله لَهُمْ فَإِنَّ الله تعالى لَمْ يَخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا من دينه الذي ارتضاه  
لكم فاسكتوا عما سَكَتَ اللهُ عنه.

□ قوله ﷺ: وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا وَآيَةً مُحَكَّمَةً  
تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ...

اي وَلَمْ يَتْرِكْ اللهُ تعالى لكم من الأحكام شيئا رَضِيَهُ او كَرِهَهُ اي من اوامره  
ونواهيه الا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا باديا يُسْتَدَلُّ به عليه وآيَةً مُحَكَّمَةً تَزْجُرُ وَتُنْهَى عنه  
او تَدْعُو اليه والحاصل انه تعالى لَمْ يَتْرِكْ شيئا عن غفلة وجاهالة بل جَعَلَ لكل  
الأحكام دليلاً من الكتاب والسنة فالحُجَّةُ قد تَمَّتْ بذلك عليكم قُلْ فَلِلَّهِ  
الحُجَّةُ البالغة:

□ قوله ﷺ: فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ...

قَالُوا في شرح الكلام يعني ان مَرْضِيَهُ فِيمَا بَقِيَ واحد وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ  
واحد وكذلك مَسْخُوطُهُ فِيمَا واحد، قاله الخوئي رحمه في شرحه تبعاً للمُحَقِّقِ  
البحراني رحمه ولم يَنْقُلْ في شرحه كلام البحراني بِتَمَامِهِ فإنه قال بعد هذا الكلام  
اشارة الى ان المَرْضِيَّ له من الأحكام او المَسْخُوطِ فِيمَا مَضَى هو المَرْضِيَّ  
والمَسْخُوطِ فِيمَا بَقِيَ من الأوقات واستقبل من الزمان وحكمه في كونه مَرْضِيًّا  
او مَسْخُوطًا واحد في جميع الأوقات لا يَتَّغَيَّرُ ولا يَنْقُصُ وفيه ايماء الى ان رَفَعَ  
شي من الأحكام السابقة بالقياس والزاي لا يجوز كما سبق بيان مذهبه ﷺ في  
ذلك انتهى.

اقول: اما ما ذكره الخوئي رحمته الله فهو ليس كلاما براسه وتحقيقا وتفسيرا على حدة بل هو مُتَّخَذٌ من البحراني كما عرفت ونحن نقول في جوابه كلامه رحمته الله بمعزلٍ عن هذا التفسير راسا بل ليس هذا شرحا لكلامه اصلاً والإنصاف ان البحراني رحمته الله قال في المقام كلاما خاليا عن المعنى المُحَصَّلِ واطنٌ انه لم يفهم ما قال كما انا ايضا لا نفهمه وليت شعري ما معنى هذه المُلَفِّقاتِ واي رَبط له بنفي القياس الا ترى انه يقول - اشارة الى المرَضِي له او المَسْخُوط فيما مَضَى هو المرَضِي او المَسْخُوط فيما بقى وحُكمه فيهما واحد لا يَتَّغَيَّر ولا ينقص، فمعنى هذا الكلام ان المرَضِي له تعالى من الأحكام في جميع الأوقات لا يَتَّغَيَّر كما ان المَسْخُوط ايضا كذلك فالمرَضِي مَرَضِيٌّ دائما والمَسْخُوط كذلك، وهذا قولٌ ينكره العقل والشرع اما العقل، فلأن الله تعالى جَعَلَ الأحكام من الأوامر والنواهي تابعة للمصلحة والمفسدة وهما تختلفان بحسب الأزمنة فاي اشكالٍ عقلاً في تغيير الحكم والمفروض انه فاعل مُختار عالم بعواقب الأمور وتُسميه احيانا بالنسخ فلو قلنا بعدم جواز تغييرها يلزم ان يكون الواجب تعالى مُوجِباً في حكمه وهو كما ترى.

واما نقلاً: فلقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿يَمْخُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> فلو كان الأمر كما ذكره من ان الأحكام في جميع الأوقات لا يَتَّغَيَّرُ فَمَا معنى المَحْوِ والإثبات ثم ما معنى النسخ الذي اتفق الكل على جوازه ووقوعه شرعا وعقلاً نعم ان اراد بعدم تغيير الأحكام في الأزمنة عدم تغييرها بعد نزول القرآن وموت النبي صلوات الله عليه فهو ممّا له وجهٌ وجيهٌ لقوله رحمته الله حلالٌ مُحَمَّدٍ حلالٌ الى يوم القيامة وحرامه حرامٌ كذلك الا ان كلام امير المؤمنين عليه السلام لا ينظر اليه بل هو عامٌ بالنسبة الى جميع الأنبياء والشرائع الا ترى انه عليه السلام قال فيما قبل هذا الكلام، فعظّموا منه سبحانه ما عَظَّم من نفسه وقال عليه السلام فيما بعد هذا الكلام واعلموا انه لن يرضى

عنكم بشئٍ سخطه على من كان قبلكم فقبل الكلام وبعده يدلان على ارادة معنى العام ومعلوم ان الأحكام كانت متغيرة بحسب الأزمنة والأوقات في الأمم الماضية والقرون السالفة فتخصيص الكلام لما بعد موت النبي الى يوم القيامة مما لا دليل عليه والذي نقول في حل الإشكال هو ان الله تعالى ذكر لعباده في كتبه المنزلة بواسطة الأنبياء احكاما من الأمر والنهي وغيرهما وترك احكاما لم يذكرها لهم لا لجهلٍ او غفلةٍ منه بل لمصلحةٍ رآها فيه وهو ظاهر كما في الإسلام ايضا كذلك ومع ذلك فقد منعنا عن التكلم فيها والبحث عنها بلّم ولما فقال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلُكُمْ تَسْوَأَكُمْ﴾ (١)

وقال ﷺ: اسكتوا عما سكت الله عنه وهذا مما لا كلام فيه فمعنى العبارة ان رضى الله تعالى فيما ذكره لكم وبيّنه بسبب كتابه وسنة رسوله وما بقى عنده ولم يذكره لكم لمصلحةٍ رآها في تركه واحداً اي كما ان المذكور مرضى كذلك المتروك فليس كل متروك مَبْغُوضاً عنده او ان له رضى بالمذكور ورضى بالمتروك كل ذلك لم يكن فالرضا واحد فيهما وانما يزيد وجود المصلحة في الذكر في بعض الأحكام وعدمه في آخره وهكذا في النواهي سواء كانت في الأحكام الشرعية او الأعم منها وغيرها فما ذكره منها وما لم يذكره لما ذكرناه من وجود المصلحة وعدمه واحداً في كونه مَسْخُوطاً هذا ما خطر بالبال في حل الإشكال.

ثم ان الشارح المعتزلي زاد في الطنبور نغمة اخرى قال ما لفظه، فرضاه فيما بقى واحداً، ان ما لم ينص عليه صريحاً بل هو في محل النظر ليس يجوز للعلماء ان يجتهدوا فيه فيحله بعضهم ويحرمه بعضهم بل رضا الله سبحانه امرٌ واحداً وكذلك سخطه فليس يجوز ان يكون شئ من الأشياء يفتي فيه قوم بالحل وقوم بالحرمة وهذا قول منه ﷺ بتحريم الاجتهاد وقد سبق منه ﷺ مثل هذا الكلام مرارا انتهى.

**اقول:** ما ذكره وان كان شَطَطًا من الكلام وَلَا يليق بالجواب ومع ذلك نقول ان كان معنى العبارة كما نقول وانه لا يجوز الاجتهاد فيما لا نص فيه، فتكليف العباد في هذه الموارد ما هو فان لم نقل بالاجتهاد فلا بد لنا من القول بالقياس وحيث ان القياس باطل عقلاً ونقلاً فالاجتهاد حقُّ هذا اولاً:

وثانياً: ان قوله عليه السلام فرضاه فيما بقى واحدا لا ينافي الاجتهاد فان المجتهد يقول هذا ما ادنى اليه ظني ولا يقول هذا ما ادنى اليه قطعي وعبارة اخرى هو ليس بجاعلٍ للحكم الواقعي بازاء حكم الله الواقعي حتى يقال بالمنافاة بين الحكمين بل هو يستنبط الحكم عن ادلته ويعمل به اصاب او اخطأ فالقول بتحريم الاجتهاد يوجب تعطيل الشريعة وتفصيل الكلام فيه موكول الى محله:

□ قوله عليه السلام: **وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بَشْيٍ سَخَطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بَشْيٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...**

اي لن يرضى الله تعالى عنكم بشيء تعملون به وكان مسخوطا على من كان قبلكم وايضا لن يسخط ولن يغضب عليكم بشيء رضىه ممن كان قبلكم والحاصل ان المسخوط مسخوط الآن والمرضى كذلك.

والمقصود ممن كان قبلهم يمكن ان يكون المسلمين الذين كانوا قبلهم ويمكن ان يكون غيرهم من الأمم الماضية والثاني اولى بقريته السياق والأول اقرب بقرب الجوار وملخص المقال ان حالكم حالهم لإشتراكم في التكليف معهم:

□ قوله عليه السلام: **وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي آثَرِ بَيْنٍ وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ...**

اي وانما تسيرون في طريق الذين في اثر بين لا خفاء فيه وذلك لأن الحكم واحد بالنسبة الى جميع المسلمين فالواجب واجب والحرام حرام وهكذا فكل حكم من الأحكام التي كانوا مكلفين به انتم ايضا لا بد لكم من متابعتهم ويمكن ان يكون المراد انتم تسيرون في اثرهم في التكلم بالرجع وذلك لأنهم

قالوا بعد موتهم ربّ ارجعون لعلّي اعْمَل صالحا فيما تركتُ فكذلك انتم  
والإحتمالان جاريان اذا حَمَلْنَا الرّجَال على الرّجَال في الأُمَم الماضية الآ ان  
الإحتمال الأوّل بالمُسلمين انسب واما الثّاني فهو اعمّ منهم ومن غيرهم من  
اتباع الأنبياء.

هذا وفي المقام احتمال آخر في قوله برّجع، وهو انّ المراد به القول النّافع  
احتمله البحراني رحمه الله واختاره الخوئي رحمه الله وعليه فالمعنى وان تتكلّموا بقولٍ نافع  
قد قالوه قبلكم وتنطقوا بكلام يعود منفعة وفائدته اليكم والى غيركم  
وخصّصه البحراني بكلمة لا اله الا الله وبه قال المعتزلي ايضا وحيث انه كان  
اقدم من البحراني والخوئي فهما اخذا ما اخذا منه ولست ادري ما الذي دَعَاهُم  
الى هذا القول فعلى قولهم انكم تتكلّمون بكلمة لا اله الا الله التي تكلم بها من  
كان قبلكم ولما كان كذلك فانتم على اثرٍ بيّنٍ لهم من جهة التّقول بكلمة  
التّوحيد وانت ترى انّ هذا الحَمَل بعيد عن سياق العبارة واظنّ انّ الدّاعي اليه  
هو انّهم راوا انّ كلمة الرّجع جاءت في اللّغة بمعنى النّفع يقال ليس في هذا  
الكلام رجّع اي نفع فقالوا بهذه المقالة ليثبتوا بها اشتراكهم في التّوحيد والنّفع  
العائد منه ولم يعلموا انه فرق بين قولنا قولٌ رجّع ورجع قولٍ سلّمنا.

لكنّ الرّجع العود الى ما كان منه البدء ومجيئه بمعنى النّفع قليل جدا يجي  
به في بعض الموارد وحمل الكلام على ما هو اكثر استعمالاً فيه اولى من حمّله  
على النّادر الشاذّ الا لضرورة اقتضت ذلك وما نحن فيه ليس من هذا القبيل  
ومجرّد حمل المعتزلي الكلام عليه لا يوجب المصير اليه وكيف كان فحمل  
الكلام على معناه المشهور اولى والمقصود انكم تندمّون وتسالون الرّجعة كما  
سالوها قبلكم قال الله تعالى: ﴿عَٰذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِك رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> فعلى  
قول المعتزلي اي نفع بعيد وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾<sup>(٢)</sup> اي ذات  
النّفع، وامثال ذلك كثيرة فليس يجوز ان يحمل هذه الكلمة في جميع الموارد  
على النّفع:



□ قوله ﷻ: قَدْ كَفَّأَكُمْ مَوْنَةَ دُنْيَاكُمْ وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ. وَافْتَرَضَ مِنَ السِّتِّكُمْ الذُّكْرَ...

بيّن في المقام امورا:

احدها:

انّ الله تعالى قد كفاكم مؤنة دنياكم ويرزقكم من حيث لا تعلمون لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَايَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾<sup>(١)</sup>  
و: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾<sup>(٢)</sup>  
و: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(٣)</sup>  
و: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>  
وثانيها:

انّ الله تعالى حثكم ورغبكم على الشكر في قبال النعم التي انعمها عليكم فقال في كتابه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>  
و: ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾<sup>(٦)</sup>  
و: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>  
وثالثها: انه تعالى افترض واوجب من السيتكم الذكر فقال في كتابه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>  
و: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٩)</sup>  
و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١٠)</sup>  
و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١١)</sup> وغيرها من الآيات.  
□ قوله ﷻ: وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتُهُ مَنْ خَلَقَهُ...

١- النحل-١١٢  
٢- الحجر-٢٠  
٣- القمر-٣٥  
٤- البقرة-١٥٢  
٥- الأحزاب-٤١

١- هود-٦  
٢- الذاريات-٥٨  
٣- ابراهيم-٧  
٤- النمل-٤٠  
٥- الجمعة-١٠  
٦- فاطر-٢

ورابعها: اوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه اما انه اوصى بالتقوى فلقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (٢)

و: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٣)

واما ان التقوى منتهى رضاه فلقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤)

و: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٥)

وقوله ﷻ: وحاجته من خلقه ليس المراد به احتياج الله تعالى الى التقوى فيهم ليلزم الفقر المساوق للإمكان بل الحاجة في المقام السؤال اي هكذا سال الله عباده وقد مر الكلام في التقوى وفضلها مفصلاً:

□ قوله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعِينِهِ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ إِنَّكُمْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ...﴾

وذلك لأن الله تعالى يراكم قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦)

و: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (٧)

و: ﴿وَإِنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَإِنَّ سَعْيَهُ لَسَوْفَ يَرَى﴾ (٨)

وقوله ﷻ: ﴿وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ﴾، اشارة الى قوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٩)

و: ﴿مَنْ ذَابَتْهُ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٠)

وقوله ﷻ: ﴿وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ﴾ اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

٢- آل عمران - ١٠٢

٤- البقرة - ١٩٤

٦- الحشر - ١٨

٨- النجم - ٣٩ و ٤٠

١٠- هود - ٥٤

١- البقرة - ١٩٧

٣- المجادلة - ٩

٥- الزخرف - ٢٥

٧- العلق - ١٤

٩- الرحمن - ٤١

قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

وقوله ﷺ: **إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ أَيَّ عِلْمٍ تَعَالَى مَا أَسْرَرْتُمْ فِي صَمَائِرِكُمْ**  
لقوله تعالى: **«الَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِذَا تِلَاوَةُ التَّوْرَةِ أُوتِيَتْهُمْ أَنْ يُسْمِعُوا بِنهَايَتِهِمْ لِقَوْمٍ يُسَخِرُونَ»** ﴿٢﴾

و: **«وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»** ﴿٣﴾

وقوله ﷺ: **وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ، وَفِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنْ الْإِسْرَارَ لَمْ تَكْتُبْ مَا لَمْ تَعْلَنْ**  
بِهَا وَهُوَ كَذَلِكَ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ مَا يُعْلِنُونَ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ بِأَيْدِي  
مَلَائِكَتِهِ كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ: **«بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ»** ﴿٤﴾

و: **«قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَخْرَجاً إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ»** ﴿٥﴾

و: **«وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»** ﴿٦﴾

□ قوله ﷺ: **قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةَ كِرَاماً لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً وَلَا يُثَبِّتُونَ بَاطِلاً وَاعْلَمُوا**  
**إِنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً...**

أي قد وكَّلَ اللهُ بكم ملائكة يحفظونكم عن البلياء ويكتبون ما يعملون من  
الأعمال قال الله تعالى: **«وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ»** ﴿٧﴾ وقوله

تعالى: **«وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً»** ﴿٨﴾ وفي قوله ﷺ: **لَا**  
**يُسْقِطُونَ حَقّاً وَلَا يُثَبِّتُونَ بَاطِلاً** إشارة إلى عدالتهم في ما وكَّلوا به فلا يسقطون

حقاً من صاحب الحق ممَّا فعله ولا يثبتون له باطلاً وكذباً ممَّا لم يفعل، وقوله  
ﷺ واعلموا إشارة إلى قوله تعالى: **«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً»** ﴿٩﴾

و: **«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً»** ﴿١٠﴾

و: **«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً»** ﴿١١﴾

١- الزمر-٦٧

٢- الزخرف-٨٠

٣- الملك-١٢

٤- الزخرف-٨٠

٥- يونس-٢١

٦- الانعام-٦١

٧- الانفطار-١٠

٨- الانعام-٦١

٩- الطلاق-٢

١٠- الطلاق-٤

١- الزمر-٦٧

٢- الملك-١٢

٣- الملك-١٢

٤- يونس-٢١

٥- يونس-٢١

٦- الانعام-٦١

٧- الانفطار-١٠

٨- الانعام-٦١

٩- الطلاق-٢

١٠- الطلاق-٤

١١- الطلاق-٥

□ قوله ﷺ: مِنَ الْفِتَنِ وَتُوراً مِنَ الظُّلْمِ وَيُخَلِّدُهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَيُنزِلُهُ مَنزِلَةَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ...

هذه كلها من آثار التقوى ولوازمها اي من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن الحادثة المهلكة وذلك لأن الإنسان في معرض الخطأ والعصيان ومحلّ للحوادث والبلايا فلو لم يحفظه الله تعالى عنها كيف يقدر على التخلص منها. والمراد بالفتن اما الفتن الدنيوية او الدنيوية والأولى كالبَدَع المحدثّة في الدين والثانية كالحروب والحوادث الواقعة الموجبة لوقوع النفس في التهلكة والجمع اولى فان الحافظ هو الله تعالى واما الخروج من الظلم الى النور ليس المراد بهما الظلمة والنور الحسين بل المراد هو العقليان المعنويان اعني الخروج من ظلمة الضلالة الى نور الهداية ومن ظلمة الجهل الى نور العلم والمخرج هو الله تعالى لقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (١)

و: ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ (٢)

ثم بعد خروج العبد عن هذين الأمرين يخلده فيما اشتتهت نفسه، والمقصود الجنة اذ هي مقام الخلود.

وقوله ﷺ: فيما اشتتهت نفسه اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٤)

و: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (٥)

و: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (٦)

وغيرها من الآيات وقوله ﷺ: وَيُنزِلُهُ مَنزِلَةَ الْكَرَامَةِ اشارة الى قوله

تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (١)

و: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (٢)

و: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣)

□ قوله ﷺ: فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَنُورُهَا بَهْجَةٌ وَزُورُهَا مَلَائِكَتُهُ وَرُقَقَاؤُهَا رُسُلُهُ...

وهذه هي اوصاف الجنة رزقنا الله اياها فقوله في دار ابي يجعل الله المتقين في دار لها اوصاف خمسة:

احدها: انه تعالى اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، قالوا اي اتَّخَذَهَا صُنْعَهُ وَخَالَصَتْهُ وَاخْتَصَّهَا بِكَرَامَتِهِ، وانا اقول الإصطناع المُبالغة في اصلاح الشئ فقوله ﷺ: فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا اي اصْلَحَهَا اصْلَاحاً كَامِلاً وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ تَنْزِهُهَا عَنِ التَّهْمُومِ وَالْآفَاتِ وَالْحَوَادِثِ وَامْتِنَانِهَا مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ مُحْفُوفَةٌ بِهِ وَاضَافَتَهَا إِلَى نَفْسِهِ تَدَلُّ عَلَى شَرَفِهَا تَعْظِيمِهَا لَهَا وَتَرْغِيبِهَا فِيهَا كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَسَبَ الْبَيْتِ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ وَطَهَّرَا بَيْتِي، ثُمَّ أَنَّ هَذِهِ الدَّارُ عِبَارَةٌ عَنِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ بِهَا هَكَذَا قَالُوا وَالْأَظْهَرُ عِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا دَاراً أَعْلَى وَاشْرَفَ مِنَ الْجَنَّةِ الْمَوْعُودِ وَيُعْبَرُ عَنْهَا بِمَقَامِ الرِّضْوَانِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَرِضْوَانِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ مَقَامَ الْقُرْبِ أَوْ جَنَّةَ النَّعِيمِ وَامْتِنَانِ ذَلِكَ مِنَ التَّعَابِيرِ وَهَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ الْأَبْرَارِ وَالِيهِ اشِيرُ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (٤)

و: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَريراً، وَذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلاً﴾ (٥) وحاصل الكلام ان هذا المقام من اعلى مقامات الجنة وهو مقام القرب الذي لا يدانيه شيء ولا يمكن لنا وصفه فان

فتح السعادة في شرح نهج البلاغة

١- المؤمنون - ٢٩  
٢- المعارج - ٢٥  
٣- الدهر - ١٣/١٤  
٤- الكهف - ١٠٧  
٥- المطففين - ٢٢=٢٥

١- المؤمنون - ٢٩  
٢- المعارج - ٢٥  
٣- الدهر - ١٣/١٤

اللذات الروحانية لا تُوصف اصلاً إلا بدركها، وفي قوله ﷺ إيماء إلى ذلك فإن الدار التي اصطنعها الله لنفسه لا يعرفها إلا هو وما ذكره ﷺ في المقام إنما هو بعض اوصافها لا أنه بيان حقيقتها وماهيتها فهو في الحقيقة من شرح الإسم فإن الروحانيات لا يمكن بيانها في قوالب الألفاظ:

وثانيها: **ظُلُّهَا عَرْشُهُ**، وهو دليل على أنها مقام القرب وقد مرّ الكلام في العرش ومعانيه وأنه مما لا يعلمه إلا هو فقوله ﷺ: **ظُلُّهَا عَرْشُهُ** باعتبار قرب المقام به لا أن للعرش ظل كما هو كذلك بحسب اصل اللغة فإنه في الأصل شيء مسقف فهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعِدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (١)

وثالثها: **وَتُورُهَا بِهَجَّةٍ**، أي نور هذه الدار بهجة الله وسروره فهم يستضيئون بنور الله تعالى:

ورابعها: **وَزُورُهَا مَلَائِكَتُهُ**.

وخامسها: **وَرُقُفَاؤُهَا رُسُلُهُ** أي لا يزورهم إلا الملك المقرب ولا يرفقهم إلا النبي المرسل وحسن اولئك رفيقا فإن الرفيق من أحسن النعم ومجالسة الأولياء من اللذات:

□ قوله ﷺ: **فَبَادِرُوا الْمَعَادَ سَابِقُوا الْأَجَالَ**. فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْتَقِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَيَزْهَقَهُمُ الْأَجَلُ وَيَسُدُّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ...

بادروا، فعل امر من بادر يُبَادِرُ مُبَادِرَةً وبادرا أي أسرع، بادر فلانا الشيء سبقه، والمعنى سارعوا إلى المعاد ولا تغفلوا عنه وسابقوا الأجال قبل حلولها ووصولها إليكم قال رسول الله ﷺ: **مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا** أي موتوا بالموت الإرادي قبل الموت الطبيعي والغرض اعرضوا عن الدنيا وزخارفها وارغبوا إلى الآخرة فإن الموت الإرادي في الحقيقة هو بغض الدنيا وحب الآخرة ثم العمل كذلك وإنما أمرهم وأمرنا بذلك لأن الإنسان إذا غفل في الدنيا

عن مَوْتِهِ وَمَعَادِهِ وَكَانَ مُسْتَعْرِقًا فِي الدُّنْيَا وَحَطَامَهَا ثُمَّ ادْرَكَهُ الْأَجَلَ الْمَحْتُومَ  
الَّذِي لَا مَخِيصَ عَنْهُ فَهُوَ فِي حُسْرَانٍ مُبِينٍ وَلَأَجَلَ هَذَا قَالَ ﷺ إِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ  
أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَجَلَ أَنْ النَّاسَ يُوشِكُ أَي يَقْرُبُ وَيَدْتُو أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَجَلَ  
أَي يَنْقَطِعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً وَهُوَ لَيْسَ إِلَّا الْإِفْتِرَاقُ  
وَالْإِنْقِطَاعُ أَي قَطَعَ الْأَمَالَ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَرْغَمُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (٢)

و قوله ﷺ: رَهَقَهُمُ الْأَجَلَ يُقَالُ رَهَقَهُ الْأَمْرُ غَشِيَهُ بِقَهْرٍ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْأَجَلَ  
يَغْشِيهِمْ بِقَهْرِهِ وَغَلَبَتِهِ وَقَوْلُهُ ﷺ وَيَسُدُّ عَنْهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ، أَي بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٍ  
قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ أَمَّا بَعْدُهُ فَهُوَ مَسْدُودٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ  
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ  
إِنِّي تُوبْتُ الْآنَ﴾ (٤) وَاصِلُ التَّوْبَةِ الرَّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ يُقَالُ تَابَ إِذَا رَجَعَ وَقَدْ  
تَكَلَّمْنَا فِي التَّوْبَةِ مُفْصَلًا:

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَنْتُمْ بَنُو  
سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ...

أَي كَمَا أَنَّ السَّابِقِينَ سَأَلُوا الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَلَمْ يُفْغَدْهُمْ فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ  
وَالْفَرْقُ أَنَّكُمْ مَاتُوا وَأَنْتُمْ أَحْيَاءُ وَبَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ الْآخِرَةَ مِنْ دَارٍ هِيَ الدُّنْيَا  
الَّتِي لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ حَقِيقَةً بَلْ هِيَ دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةَ دَارُ قَرَارٍ كَمَا قَالَ ﷺ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ وَأَمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ...

الْإِرْتِحَالُ الْإِشْعَارُ وَالْمَعْنَى أَنَّكُمْ عَلِمْتُمْ بِالْعَقْلِ وَالْحِسِّ الْإِرْتِحَالَ وَالْإِنْتِقَالَ  
عَنْهَا إِلَى الْآخِرَةِ وَالْآيَاتُ أَيْضًا مُصَرِّحَةٌ بِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ

الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴿١﴾ وغيرها من الآيات.

وأمرتم فيها بالزَّاد، لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢)

□ قوله ﷺ: **وَاعْلَمُوا إِنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ فَارْحَمُوا نَفْسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا...**

ثم حذَّروهم عن النار وقال واعلموا انه ليس لهذا الجلد اعني به قشر البدن صبرٌ على النار والتعبير بالجلد اشارة الى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ (٣) في تفسير القمي قيل لأبي عبد الله ﷺ كيف تبدل جلودٌ غيرها قال ارايت لو اخذت لبنة فكسرتها وصيرتها ثرابا ثم ضربتها في القالب اهي التي كانت انما هي ذلك وحدث تغييرا واحدا والأصل واحد انتهى ج ١ ص ١٤١ وقال الفيض في الصافي، في الإحتجاج عن الصادق ﷺ انه سال ابن ابي العوجاء عن هذه الآية فقال ما ذنب الغير قال ﷺ ويحك هي هي وهي غيرها قال فمثل لي في ذلك شيئا من امر الدنيا قال نعم ارايت لو ان رجلا اخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبتها فهي هي وهي غيرها انتهى وقال البيضاوي بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الإحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال +تعالى ليذوقوا العذاب اي ليذوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور انتهى.

اقول: ويؤيد ما ذكره البيضاوي من ان العذاب في الحقيقة للنفس قوله ﷺ:

فَارْحَمُوا نَفْسَكُمْ فَلَوْ كَانَ الْعَذَابُ لِلْجِلْدِ حَقِيقَةً يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ فَارْحَمُوا جُلُودَكُمْ أَوْ أَبْدَانَكُمْ وَقَوْلُهُ ﷺ: فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا الضَّمِيرُ إِلَى النَّفْسِ أَيْ جَرَّبْتُمُ النَّفْسَ فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا وَعَلِمْتُمْ مَرَارَتَهَا وَصَعُوبَتَهَا فَكَيْفَ أَنْتُمْ فِي



الآخرة والحال ان مصائب النار لا تقاس بمصائب الدنيا اصلاً وحيث انجر الكلام الى النار فلا بأس بالإشارة الى بعض ما ورد فيها زيادةً على ما ذكرناه سابقاً في شرح كلماته ﷺ ليكون الناظر على بصيرة في معاده ومآله ولا يكون على غفلة أيام حياته وتصدر كلامنا بكلام الله في كتابه: قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١)

وفي تفسير علي ابن ابراهيم عن ابي بصير عن ابي عبد الله ﷺ قال قلت له يا ابن رسول الله خوّفني فان قلبي قد قسى قال ﷺ يا ابا محمد استعد للحياة الطويلة فان جبرئيل جاء الى النبي ﷺ وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجي وهو مبتسم فقال رسول الله ﷺ يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً فقال يا محمد قد وضعت منافخ النار فقال ﷺ وما منافخ النار يا جبرئيل فقال يا محمد ان الله عز وجل امر بالنار فنفخ عليها الف عام حتى ابيضت ثم نفخ عليها الف عام حتى احمرت ثم نفخ عليها حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لو ان قطرة من الضريع قطرت في شراب اهل الدنيا لمت اهلها من نتنها ولو ان حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها ولو ان سربالاً من سربال اهل النار عُلق بين السماء والأرض لمت اهل الدنيا من ريحه انتهى «تسليّة الفؤاد ص ٢٤٠»...

وعن امالي الصدوق مسنداً عن عمرو بن ثابت عن الباقر ﷺ قال ان اهل النار يتعاونون فيها كما يتعاونون الكلاب والذئاب ممّا يلقون من اليم العذاب. ما ظنك يا عمرو بقوم لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها عطاش فيها جياع، كليله ابصارهم، صم بكم عمي مسودة وجوههم خاسئين فيها نادمين مغضوب عليهم فلا يرحمون من العذاب ولا يخفف عنهم وفي النار يسجرون ومن الحميم يشربون ومن الزقوم ياكلون وبكلايب النار يحطمون انتهى «ص ٢٤١»...

وعن معاني الأخبار عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى لا يثين فيها احقابا  
قال الاحقاب ثمانية احقاب والحُقبة ثمانون سنة والسنة ثلاث مائة وستون  
يوما واليوم كالف سنة مما تعدون انتهى «ص ٣٤٢»...

وعن آمالي الشيخ في كتاب امير المؤمنين الى اهل مصر في وصف النار  
قعرها بعيد وحرها شديد وشرابها صديد وعذابها جديد ومقامها حديد لا  
يفتر عذابها ولا يموت ساكنها دار ليس فيها رحمة ولا تسمع لأهلها دعوة  
الخير «ص ٣٤٢»...

وفي البحار عن الصادق عليه السلام ان ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار  
جهنم وقد اطلقت سبعين مرة بالماء ثم التهبت ولو لا ذلك ما استطاع آدمي  
ان يطفأها وانه ليؤتى بها يوم القيمة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة  
لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جئا على ركبتيه فرعا من صرختها  
انتهى «ص ٢٤٣»...

والأحاديث كثيرة وحيث انا قد تكلمنا في الجنة والنار وبيننا حقيقتهما  
ومكانهما ونقلنا اقوال الفلاسفة فيهما مفضلاً في ما مضى فالإطالة مما لا وجه  
لها.

□ قوله عليه السلام: أَفْرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكََةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةَ تُذْمِيهِ وَالرَّمْضَاءِ  
تُحْرِقُهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَيْنِ مِنْ نَارٍ...

الشُّوْكََةُ بفتح الشين وسكون الواو وفتح الكاف الواحدة من الشوك، ابرة  
العقرب، حمرة تعلق الجسد، السلاح وجِدته القُوَّة والبأس، النَّكَايَةُ في العدو  
يقال لا تشوكك مني شوكة اي لا يلحقك مني اذى قاله في المنجد:

والعَثْرَةُ بفتح العين وسكون الراء، السَّقْطَةُ، الدِّلَّة، الجِهَاد والحَرْب  
جمَعها عَثْرَات: والرَّمْضَاءُ بفتح الراء وسكون الميم يقال ارمض الشيء اي  
احرقه، ارمض الحز القوم اشتد عليهم فأذاهم، والطَّائِفَيْنِ بفتح الباء والقاف  
على ما في النسخ تثنية الطابق وهو الأجر الكبير ولا يبعد ان يكون بكسر القاف

على صيغة الجمع والأول اوضح وأصح، والمعنى افرايتم جزع احدكم من الشوكة اي ابرة العقرب تُصيبه والعثرة تُدميه والرمضاء تُحرقه اي اذا انتم تجزعون من هذه الأمور التي هي بالنسبة الى عذاب الآخرة يسيرة قليلة فكيف بكم اي كيف لا تتاذون اذا كنتم بين طابقين وأجرين من نارٍ وقد علمتم النار وشدتها وحرارتها:

□ قوله ﷺ: ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينِ شَيْطَانٍ أَعْلَمْتُمْ إِنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِعُضْبِهِ وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ...

اي وكيف بكم اذا كنتم ضجيج حَجَرٍ في النار قيل هو حَجَر الكبريت لأنها احَرَّ شيء وقيل غير ذلك، وقَرِين شيطانٍ ولعمري هو من اشد العذاب لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ: اعلمتم الى آخر كلامه ﷺ وصف لمالك النار وهو ملك موكل عليها باذن الله تعالى يُسمى به كما ان الموكل على الجنة يُسمى بالرضوان والمالك مظهر غضبه تعالى وسخطه والرضوان مظهر رحمته وشفقته رزقنا الله الجنة ونعوذ به من النار.

وقوله ﷺ اذا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً مَعْنَاهُ اَكَلَ بَعْضُهَا بَعْضاً وهو كناية عن شدة التهابها اذا غَضِبَ المالك عليها وقوله اذا زَجَرَهَا اي زَجَرَ المالك النار تَوَثَّبَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَيْنَ ابْوَابِ النَّارِ جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ .

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا الْيَفْنُ الْكَبِيرُ الَّذِي أَيُّهَا الْيَفْنُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمْتَ أَطْوَأَقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ وَنَشَبَتْ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لَحُومَ السَّوَاعِدِ فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَةِ قَبْلَ السُّقْمِ وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ...

قال في المنجد اليَفْنُ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ وَخَالَطَهُ الْقَتِيرُ وَالْمَشِيبُ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمْتَ أَيِ التَّصَقْتَ وَانضَمَّتْ أَطْوَأَقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ وَنَشَبَتْ أَيِ اغْلَقَتْ الْأَغْلَالَ الْجَامِعَةَ بَيْنَ الْأَيْدِي وَالْأَعْنَاقِ حَتَّى أَكَلَتْ لَحُومَ

السَّوَاعِدِ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَتِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ الْآمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١)

و: ﴿أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢)

و: ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٣)

و: ﴿أَنَا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ (٤)

وقوله ﷺ: قَالَ اللَّهُ اللَّهُ أَي أَحذروه والحال انتم سالمون في الصَّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ وَالْمَرَضِ أَي اغتنموا الصَّحَّةَ قَبْلَ الْمَرَضِ وَالْفُسْحَةَ وَالسَّعَةَ قَبْلَ الضَّيْقِ اعْنِي الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ فَإِنَّ الْفُرْصَةَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ:

□ قوله ﷺ: فَاسْعُوا فِي فِكَائِكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِئُهَا...

أَي فَاسْعُوا سَعِيًا بَلِيغًا فِي فِكَائِكِ رِقَابِكُمْ وَعِثْقِهَا مِنَ النَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِئُهَا وَالضَّمِيرُ إِلَى الرَّقَابِ وَأَصْلُ الرَّهْنِ مَا يُوَضَعُ وَثِيقَةً لِلَّذِينَ وَالرَّهَانُ مِثْلُهُ وَقَوْلُهُ ﷺ: رَهَائِئُهَا جَمْعُ رَهِينَةٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٥) أَي ثَابِتَةٌ مُقِيمَةٌ وَقِيلَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَي كُلُّ نَفْسٍ مُقَامَةٌ فِي جِزَاءِ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَالْكَلَامُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْإِسْتِعَارَةِ وَحَاصِلُ الْمَعْنَى رِقَابِكُمْ مَرَهُونَةٌ بِالْأَعْمَالِ الصَّادِرَةِ مِنْكُمْ فَفَكُّوْهَا قَبْلَ وَصُولِ الْمَوْتِ إِلَيْكُمْ فَإِنَّ الْمَوْتَ يَغْلِقُ رَهَائِئَهَا لِسُدِّ بَابِ التَّوْبَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَلَا يَحْصُلُ الْفُكُّ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ اعَانَا اللَّهُ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ ﷺ:

□ قوله ﷺ: أَسْهَرُوا عْيُونََكُمْ وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْلِمُوا أَقْدَامَكُمْ وَانْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ مَا تُجِدُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ...

فَكَانَ قِيلَ لَهُ ﷺ كَيْفَ نَعْتَقُ وَنَفِّكَ رِقَابَنَا عَنْ رَهَائِئِهَا قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ فَقَالَ ﷺ:

بِأَمْرِ يَنْبَغِي مُرَاعَاتِهَا:

احدها: قِلَّةُ النَّوْمِ فِي اللَّيْلِ وَاسْهَارُ الْأَعْيُنِ بِهِ لِتَهْجُدَ.

وثانيهما: اضممار البُطون اي عدم امتلائها من الأغذية والأشربة عن الحلال فضلاً عن الحرام يقال ضَمَرَ البَعير ضُمُوراً من باب قَعَد دَقَّ لَحْمَهُ وَمِنْهُ الْآيَةُ ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(١)</sup> قالوا الضامر المهتم البطن المهزول الجسم وكل ذلك معلول لعلّة الأكل وعدم الإهتمام بالبطن اكثر مما هو لازم له لحفظ النفس.

وثالثها: استعمال الأقدام للقيام بها في الخيرات كالصّلوة والحجّ وقضاء الحوائج وامثالها،

ورابعها: انفاق المال الزائد على قدر نفقته ونفقة عياله ومن هو تحت تكفله فإن الإنفاق في سبيل الله ممدوح.

وخامسها: خذوا من اجسادكم ما تجدوا بها على انفسكم وهو كناية عن تقليل الأكل وتكثير الكمالات النفسانية وفي بعض النسخ، تجودوا بدل تجدوا وهو اولي.

وحاصل الكلام انه ينبغي لكم ان لا تكونوا بحيث لم يكن لكم همّ إلا البطن فإنه من شئون الحيوانات بل توجّهوا واعتنوا بالنفوس فإن في كمالها سعادة الدارين وحلاوة النشاطين فإن شئنيّة الشئ بصورته لا بمادته والإنسان انسان بها لا بالحسد

□ قوله ﷺ: وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَقَالَ مِنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ...

اي ولا تبخلوا بالأجساد عن النفوس بان تحفظوا اجسادكم وتضيّعوا نفوسكم قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ فِي دِينِهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُؤَفِّقْكُمْ فِيهِ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ عَلَيْهِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾<sup>(٢)</sup>

وجه الإستدلال بهما ظاهر وذلك لأن الآيتين تدلان على أن الله تعالى ليس بغافل عما تعملون وإن من سلك مسلك الحق يؤيده ومن يقرضه يُضاعفه له ثم اوضح ﷺ كلامه:

□ قوله ﷺ: فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلِّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَاسْتَقْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ...

اي لم يطلب منكم النصير من احتياج وضعف فيه ولم يطلب منكم القرض لفقره وقلة ماله بل طلب منكم النصير وله جنود السموات والارض ولا يكون ذليلاً ضعيفاً وايضا طلب منكم القرض وله خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد ومن كان كذلك فكيف يكون فقيراً محتاجاً ولما كان هناك مظنة سؤال وهو انه تعالى لم استنصر واستقرض.

□ قال ﷺ: وَإِنَّا أَرَادْنَا أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ...

اي اراد الله بالاستنصار والاستقراض ان يبلوكم ويختبركم ايكم احسن عملاً، ان قلت هو تعالى عالم بعباده وافعالهم واقوالهم بل هو اعلم واعرف بهم منهم انفسهم كما هو شان العلة التامة وقد دل عليه العقل والنقل فما معنى الإختبار والإمتحان، قلت الإختبار يتصور على قسمين احدهما الإختبار من جهة ان المختبر لا يعلم ثم يصير عالماً بحاله، والثاني ان المختبر يعلم ومع ذلك يختبر الشخص ليعلم الشخص مقامه ومنزلته وما نحن فيه من هذا القبيل فان الله تعالى لا يحتاج الى امتحاننا ليعلم حالنا بل الإمتحان لأجل اننا لا نعرف نفوسنا واقعا ونظن بل نقطع بالخير واما بعد الإختبار فنعلم ان ما كنا نظنه او نطمع به كان خطأ فاجشاً، ثم قال ﷺ فبادروا اي سابقوا وسارعوا باعمالكم في الدنيا تكونوا مع جيران الله في داره اعني الجنة:

□ قوله ﷺ: رَافَقَ بِهِمْ رُسُلُهُ وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ...

بَيَّنَّ ﷺ اوصاف الدار اعني الجنة او مقام القرب فقال رافق بهم رسله، كما قال تعالى وحسن اولئك رفيقا وازارهم ملائكته والتعبير بازار دون زار للدلالة على الملائكة يزورنه بامر من الله واذنه واكرم اي اكرم الله تعالى اسماعهم في الجنة ان تسمع حسيس نار اي صوتها الخفي فضلا عن رؤيتها والدخول فيها، وسان وحفظ اجسادهم ان تلقى فيها لغوبا ونصبا اي شدة ولغوا وتعبا قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١)

و: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا﴾ (٢)

ثم قال ﷺ ذلك اي ذلك المقام من فضل الله ورحمته وتوفيقه ونصره يؤتیه من يشاء من عباده الصالحين المستعدين لقبول الفيض والله ذو الفضل العظيم، على عباده الا انه تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها: □ قوله ﷺ: أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ...

اي انا اقول: ما تسمعون مني وما على الرسول الا البلاغ واستعين بالله تعالى على نفسي وانفسكم في الهفوات والزلات قولاً وعملاً وهو يكفي لنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين.

## ﴿ومن كلام له ﷺ (١٨٣)﴾

قاله ﷺ للبرج ابن مسهر الطائي وقد قال لا حكم الا لله

□ قوله ﷺ: أَسْكُتُ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَيْلًا  
شَخْصُكَ خَفِيًّا صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتُ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

### ◀ اللغة

(أَثْرَم) الثُّرْم مَحْرُكًا سَقُوطُ الثَّنِيَّةِ مِنَ الْأَسْنَانِ (ضَيْلًا) الضُّيْلُ بفتح الضاد  
التَّحْيِيفُ الْمُهْزُولُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الضُّعْفِ (نَعَرَ) أَي صَاحَ (نَجَمْتُ) أَي ظَهَرَتْ  
(الْمَاعِزِ) وَاحِدُ الْمُعْزِ اسْمُ جِنْسٍ وَهُوَ خِلَافُ الضَّانِ:

### ◀ المعنى

(أَسْكُتُ) عَنِ الْكَلَامِ (قَبْحَكَ اللَّهُ تَعَالَى) فِي الدَّارَيْنِ (يَا أَثْرَم) يَا سَاقِطَ الثَّنِيَّةِ  
(فَوَاللَّهِ) اقسِمَ بِهِ (لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ) عَلَى الْبَاطِلِ (فَكُنْتُ فِيهِ) فِي الْحَقِّ (ضَيْلًا)  
ضَعِيفًا (شَخْصُكَ خَفِيًّا صَوْتُكَ) أَي كُنْتَ حَقِيرًا خَامِلَ الذِّكْرِ خَفِيَ الصَّوْتُ وَهُوَ  
كِنَايَةٌ عَنِ عَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى كَلَامِهِ (حَتَّى إِذَا نَعَرَ) وَصَاحَ (الْبَاطِلُ نَجَمْتُ)  
وَظَهَرَتْ فِي النَّاسِ (نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ) أَي كَظْهُورِ قَرْنِهِ:



□ قوله ﷺ: أَسْكُتُ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَيَّالًا...  
 قال ﷺ هذا الكلام للبرج ابن مسهر الطائي حين قال لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ بِحَيْثُ  
 يَسْمَعُهُ ﷺ وكان هذا القائل من الخوارج وكان شعارهم هكذا وقد مرَّ الكلام  
 فيهم مُفْضَلًا وتسميتهم بها لخروجهم عن الدين أو لخروجهم على علي ﷺ  
 والمآل واحد فقال ﷺ مخاطبا إياه أَسْكُتُ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ أَي قَبْحَ اللَّهِ  
 وَجَهَكَ فِي الدَّارَيْنِ يَا أَثْرَمُ أَي سَاقِطَ الثَّنِيَّةِ وَأَمَّا قَالَ ﷺ لَهُ ذَلِكَ تَحْقِيرًا وَاهَانَةً  
 كَمَا يُقَالُ يَا أَعُورَ يَا لَكَعَ وَآمِثَالِ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ ﷺ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ عَلَى  
 الْبَاطِلِ.

والمراد به أمّا تُصَدِّيه لِأَمْرِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ وَأَمَّا ظَهُورَ الْحَقِّ بِصَفَيْنِ كَمَا  
 عَرَفْتَ مُفْضَلًا وَكَيْفَ كَانَ قَالَ ﷺ: فَكُنْتُ فِيهِ ضَيَّالًا أَي ضَعِيفًا ذَلِيلًا خَامِلًا  
 الذِّكْرَ كَمَا قَالَ ﷺ:

□ قوله ﷺ: شَخْصُكَ خَفِيًّا صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتُ نُجُومَ قَرْنِ  
 الْمَاعِزِ...

أَي شَخْصُكَ كَانَ ضَعِيفًا وَصَوْتُكَ خَفِيًّا لِعَدَمِ التَّفَاتِ أَحَدٍ بِهِ وَبِصَوْتِهِ حَتَّى  
 إِذَا نَعَرَ وَصَاحَ الْبَاطِلُ نَجَمْتُ وَظَهَرَتْ كَنُجُومِ قَرْنِ الْمَاعِزِ وَظَهُورِهَا وَالْغَرَضُ  
 مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ تَحْقِيرَهُ وَتَوْهِينَهُ:

## ومن خطبة له ﷺ (١٨٤)

□ قوله ﷺ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَاقِهِ وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ وَاحِدٌ لَا يَبْعَدُ دَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً بَلْ كَبَّرَ شَأْناً وَعَظَّمَ سُلْطَاناً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ﷺ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وَظُهُورِ الْفَلَجِ وَإِيضاحِ الْمُنْهَجِ قَبْلَ الرِّسَالَةِ صَادِعاً بِهَا وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاً عَلَيْهَا وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً وَعُرَا الْإِيمَانِ وَثَبَّةً.

منها في صفة خلق اصناف من الحيوان

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةً وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ أَلَّا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا

خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَاتَّقَنَ تَرْكِيبَهُ وَقَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ  
وَالْبَشَرَ أَنْظَرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِعْرِ جُحَّتِيهَا وَلَطَافَةِ هَيْبَتِيهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلِحْظِ  
الْبَصْرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ  
الْحَبَّةَ إِلَى حُجْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبُرْدِهَا وَفِي وَرُودِهَا  
لِصَدْرِهَا مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ وَلَا يُحْرِمُهَا الدِّيَانُ  
وَلَوْ فِي الصِّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا وَفِي عُلُوِّهَا  
وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِيهَا وَأُذُنِيهَا  
لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا  
وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَلَمْ يُعْنَهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ وَلَوْ  
ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ  
هُوَ فَاطِرُ النَّحْلَةِ لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَمَا الْجَلِيلُ  
وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً.

وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَّاحُ، فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ  
وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ  
هَذِهِ الْجِبَالِ وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ قَالُوا لَوْلَى  
لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَلَا لِاخْتِلَافِ  
صُورِهِمْ صَانِعٌ وَلَمْ يَلْجُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا وَهَلْ يَكُونُ  
بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ!

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرًا وَوَيْنٍ وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ  
قَمْرًا وَوَيْنٍ وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ  
وَنَائِبَيْنِ بِيهَا تَقْرِضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِيهَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ وَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ دَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرَدَّ الْحَرْثُ فِي نَزَوَاتِيهَا وَتَقْضَى مِنْهُ  
شَهَوَاتِيهَا وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدَقَّةً.

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَيَعْفُرُ

لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سُلْمًا وَضَعْفًا وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا  
فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرَّيْشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى  
النَّدَى وَالْيَبْسِ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ وَهَذَا  
حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ دَعَا كُلُّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ  
فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا وَعَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

### ◀ اللّغة

(الأمَد) الغاية (العَمَد) بالتَّحْرِيك جمع عمود (المشاعرة) انفعال احدي  
الحواس بما تحسّه من جهة عروض شيءٍ منه عليها (المَرَائِي) جمع مرآة بفتح  
الميم المنظر (انعَلَج) بالتَّحْرِيك الإنعلاج الطُّلب وقيل النّصرة واصله سكون  
العين (أمرَاس) جمع المرسي وهو جمع المرساة بالتَّحْرِيك وهي الحبل  
(البَشْرَ) بالتَّحْرِيك جمع بشرة مثل قَصَب وقَصَبَة ظاهر الجلد (النَّمَلَة) واحدة  
النمل (حُجْرَهَا) بالضم الحفرة التي تحتفرها الهوام (وزودها لصدرها) الورد  
الإشراف على الماء للشرب والصدر مُحَرَّكاً الرُّجُوع بعد الورد (الجامس)  
الجامد (شراسيف) بفتح الشين اطراف الأضلاع التي تشرف على البطن  
(القلال) جمع قلة بالضم وهي راس الجبل (أوعوا) أوعى كوعى اي حفظه  
(قَمَرَاوَيْنِ) اي مُضِيئَيْنِ (نَابَيْنِ) النَّاب من الأسنان خلف الرباعية (مِنْجَلَيْنِ)  
المنجل وزان منبر حديدة تقضب بها الزرع (دَبَّهَا) دفعها (نَزَوَاتِهَا) نزا عليه  
وئَبَ (القياد) بكسر القاف ما يقاد به واعطاه الإنقياد (اليبس) ضد الرطوبة  
(ديمها) الدائم كاليهم جمع ديمة مطرٌ يدوم في سكونٍ بلا رعدٍ وبرقٍ  
(جدوبها) الجدوب بضم الجيم انقطاع المطر انتهى.

### ◀ المعنى

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ) والحواس (وَلَا تَحْوِيهِ) ولا تكتنفه  
(الْمَشَاهِدُ) اي المجالس والأماكن (وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ) اي نواظر الأبصار (وَلَا

تَحْجُبُهُ ) اي لا تُسْتَرُّهُ (السَّوَاتِرُ) الجِسْمَانِيَّةُ (الدَّالُّ) اي الَّذِي يَدُلُّ (عَلَى قِدْمِهِ) وَازَلِيَّتِهِ (بِحُدُوثِ خَلْقِهِ) وَعَدَمِ اَزَلِيَّتِهِ (وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ) اي وَيَدُلُّ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ (عَلَى وُجُودِهِ) فَانَ الْخَلْقُ مَحْتَاجٌ اِلَى الْخَالِقِ (وَبِاشْتِبَاهِهِمْ) اي اِشْتِبَاهِ الْخَلْقِ وَكَوْنِ اِحْدِهِمْ شَبِيهَا بِالْآخَرِ (عَلَى اَنْ لَا شَبَهَ لَهُ) لِيَصِيرَ كَالْمَخْلُوقِ (الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ).

وَوَعَدَهُ (وَارْتَفَعَ عَنْ ظَلْمِ عِبَادِهِ) لِقُبْحِ الظُّلْمِ شَرَعًا وَعَقْلًا (وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ) لِكَوْنِهِ تَعَالَى قَائِمًا بِالْقِسْطِ مُنْزَهًا عَنِ الظُّلْمِ (مُسْتَشْهِدٌ) وَمُسْتَدَلٌّ (بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى اَزَلِيَّتِهِ) اي اَزَلِيَّتِهِ ذَاتَهُ (وَبِمَا) اي وَمُسْتَشْهِدٌ اَيْضًا (بِمَا وَسَمَهَا) اي وَسَمَ الْأَشْيَاءَ (مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ) اي اسْتَدَلَّ مِنْ عَجْزِ الْأَشْيَاءِ عَلَى قُدْرَةِ ذَاتِهِ (وَبِمَا اضْطَرَّهَا) الْأَشْيَاءَ (إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ) اي اسْتَدَلَّ مِنْ اضْطِرَّارِهَا إِلَى الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ وَيَقَائِهِ (وَاحِدٌ لَا يَعْدِدُ) بَلْ بِالْوَحْدَةِ الْحَقَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ (دَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ) اِذْ لَا غَايَةَ لِدَوَامِهِ (وَقَائِمٌ) بِذَاتِهِ (لَا يَعْمَدُ) يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي قِيَامِهِ (تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ) اي لَا مِنْ طَرِيقِ الْحَوَاسِ (وَتَشْهَدُ لَهُ) شُهُودًا عَيْنِيًّا عَقْلِيًّا، (الْمَرَائِي) وَالْمُبْصِرَاتِ (لَا بِمُحَاضِرَةٍ) اي لَا بِحُضُورِ الْمُدْرِكِ لَدَى الْمُدْرِكِ حُضُورًا خَارِجِيًّا اَوْ عَقْلِيًّا كَالْتَّصُورِ مَثَلًا (لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ) فَانَ الْمُتَنَاهِي لَا يَحِيطُ بِغَيْرِ الْمُتَنَاهِي (بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا) اي اَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَلَّى فِي الْأَشْيَاءِ تَجَلَّى الْعِلَّةِ فِي الْمَعْلُولِ (وَبِهَا) اي بِالْأَشْيَاءِ اَوْ بِالْعُقُولِ (اِمْتَنَعَ مِنْهَا) فَانَهَا قَدْ دَلَّتْ عَلَى اسْتِحَالَةِ الرُّؤْيَةِ وَالْإِحَاطَةِ (وَالْيَهَا) اي إِلَى الْعُقُولِ (حَاكِمَةً) اي جَعَلَ الْعُقُولَ السَّلِيمَةَ قَاضِيَةً حَاكِمَةً عَلَيْهِ (لَيْسَ) اللَّهُ تَعَالَى (بِذِي كِبَرٍ اِمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَاتُ) فَانَ الْكِبَرَ بِهَذَا الْمَعْنَى مِنْ لَوَازِمِ الْجِسْمِ كَمَا قَالَ ﷺ ( فَكَبَّرْتُهُ تَجْسِيمًا ) وَهُوَ تَعَالَى مُنْزَهٌ عَنْهُ (وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمْتُهُ تَجْسِيدًا) فَانَ عِظَمَتُهُ مَعْنَوِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَهِيَ لَا غَايَةَ لَهَا (بَلْ كَبَّرَ شَأْنًا وَعَظَّمَ سُلْطَانًا) فَوْقَ التَّصَوُّرِ وَالْإِدْرَاكِ (وَأَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ) الْخَالِصُ عَنِ الْكَدِرَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ (وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ) الْمُرْتَضَى ﷺ

(أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ) من المعجزات وخوارق العادات (وَتَظْهُورِ الْفَلَجِ) اي الظفر والنصر (وَإِيضاً الْمُنْهَجِ) والطريق (فَبَلَغَ الرَّسَالََةَ صَادِعاً بِهَا) امثالاً لأمره واصل الصدع هو الشق في شيء (وَحَمَلَ) الناس (عَلَى الْمَحَجَّةِ) اي الجادة الواضحة (دَالاً عَلَيْهَا) وهاديا اليها (وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ) بين الناس (وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ) وحبال الدين (مَتِينَةً) متقنة (وَعُورَا الْإِيمَانِ) وحبال اليقين (وَوَثِيقَةً) اي مُحْكَمَةً (مِنْهَا) من الخطبة (في صفة خلق اصنافٍ من الحيوان (وَلَوْ فَكَّرُوا) اي الناس (فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النَّعْمَةِ) التي انعم الله بها عليهم (لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ) المُستقيم (وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) يوم القيمة (وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةً) كليله (وَالْبَصَائِرُ الْقَلْبِيَّةَ مَذْخُولَةً) بالشبهات والأوهام (أَلَّا يَنْظُرُونَ) الناس (إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ) الله (كَيْفَ أَحْكَمَ) واتقن، (خَلَقَهُ وَاتَّقَنَ) واحكم (تَرْكِيْبَهُ) وخلق له اي للصغير (وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ) والجلد (أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصْرِ) لحقارتها.

فإن البصر يراها بعسر ومشقة (وَلَا يُمْسِتْدُرِكُ الْفِكْرَ) اي لا يدركها الفكر ايضاً بسهولة (كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى حُجْرِهَا) لتاكلها في مواقع الإضطرار (وَتُعِدُّهَا) اي الحبة (فِي مُسْتَقَرِّهَا) اي محل قرارها (تَجْمَعُ) النملة في حرها في ايام الصيف (لِبُرْدِهَا) وايام شتائها (وَفِي وِرْوِدِهَا لِصَدْرِهَا) اي لرجوعها (مَكْفُولَةً) من الله تعالى (مَرْزُوقَةً بِوَفْقِهَا) اي ان الله تعالى كفيل على رزقها بما يوافق حال النملة (لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ) ابداً (وَلَا يُحْرِمُهَا الدِّيَانَ) عن الرزق اصلاً (وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ) الجمد (وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا وَفِي عُلُوقِهَا وَسُفْلِهَا) والضمائر ترجع الى النملة (وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفٍ بَطْنِهَا) اي لو فكرت ايضاً في اطرافها التي تشرف على البطن (وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنَيْهَا وَأُذُنَيْهَا لَقَضَيْتَ) وحكمت (مِنْ خَلْقِهَا) اي خلق النملة (عَجَباً وَلَقِيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً) ومشقة فإن وصفها

صَعَبٌ عَسِيرٌ ( فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا ) مَعَ صِغَرِ جُثَّتِهَا ( عَلَى قَوَائِمِهَا وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ) الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ( لَمْ يَشْرَكْهُ ) اللَّهُ تَعَالَى ( فِي فِطْرَتِهَا ) وَخَلَقَهَا ( فَاطِرٌ ) وَخَالِقُ آخَرَ ( وَلَمْ يُعِنُّهُ ) أَي لَمْ يُعِنْ اللَّهُ ( فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ ) غَيْرُهُ تَعَالَى ( وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ ) أَي غَايَاتِ الْفِكْرِ ( مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ ) كَلِمَةٌ مَا نَافِيَةٌ أَي لَيْسَتْ دَلَّتْكَ ( إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمَلَةِ ) وَخَالِقَهَا ( هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ) مَعَ طَوْلِ قَامَتِهَا ( لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيْءٍ ) أَي دَقَّةِ التَّفْصِيلِ فِي هَذَيْنِ الْمَوْجُودِينَ تَدَلُّكَ عَلَى أَنَّ الصَّانِعَ وَاحِدٌ ( وَمَا ) أَي لَيْسَ ( الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ) مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ( فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً ) ( وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ ) وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ( فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَطَوْلِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ ) فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا تَدَلُّكَ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِهَا ( فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ ) وَانكَرَ ( الْمُقَدَّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبَّرَ ) مَعَ وَضُوحِ الْأُمُورِ ( زَعَمُوا ) أَي زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ ( أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ ) الَّتِي تَنْبَتُ فِي الصَّحَارِيِّ ( مَا لَهُمْ ) أَي لَيْسَ لَهُمْ ( زَارِعٌ وَلَا ) أَي لَيْسَ ( لِإِخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ ) بَلْ وَجَدَ الْإِخْتِلَافَ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ ( وَلَمْ يَلْجُوا ) وَلَمْ يَعْتَمِدُوا فِي زَعْمِهِمْ هَذَا ( إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا ) وَحَفَظُوا وَالْعَاقِلُ لَا يَقُولُ كَذَلِكَ ( وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ ( بَانٍ ) ( أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ ) وَالْجَوَابُ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ وَجَدْتَ هَذِهِ الْأُمُورَ بِنَفْسِهَا ( وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ ) اللَّهُ تَعَالَى ( لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ) أَي جَعَلَ الْعَيْنَيْنِ مُضِيئَتَيْنِ كَاللَّيْلَةِ الْمُنِيرَةِ بِالْقَمَرِ ( وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ) .

مِنَ عَيْنِ النَّاطِرِينَ ( وَفَتَحَ لَهَا ) لِلْجَرَادَةِ ( الْقَمَّ السَّوِيَّ ) الْمُسْتَوِي ( وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ وَنَابِيئِينَ ) وَسَنِينَ ( بِهِمَا تَقْرِضُ ) وَتَقْطَعُ ( وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ ) أَي يَدَيْنِ وَرِجْلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ ( يَرْتَهَبُهَا الزُّرَّاعُ ) وَيَخَافُهَا فِيهِ ( وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا )

ومنعها (وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ) اي ولو ائفقوا فيه (حَتَّى تَرِدَ الْحَرثَ فِي نَزَوَاتِهَا) اي ترد الجرادة الحرث في وثباتها (وَتَقْضِي مِنْهُ) من الحرث (شَهَوَاتِهَا وَ) والحال ان (خَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدِيقَةً) طولاً وعرضاً وهو كناية عن صغر جسده (فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) كما هو شأن المخلوق بالنسبة الى الخالق (وَيُعْفِرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا) عنت الوجوه للحَيِّ الْقَيُّومِ (وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا) والمقصود ان الخلق لا بد له من الإطاعة والإنقياد والخوف وامثال ذلك من شؤون العبودية (فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ) واحصائه تعالى كناية عن احاطة علمه (وَأَرْسَى) اي احكم واثبت (قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبْسِ) اي على البحر والبر (وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ) يعلم ذلك كله (دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَّلَ لَهُ بِرِزْقِهِ) لأنه خلقه وضمن رزقه (وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ) اي الثقيلة بما فيها من الماء (فَأَهْطَلَ دِيمَمَهَا) اي جعل مطرها متتابعة (فَأَهْطَلَ دِيمَمَهَا) في كل بلدٍ وارضٍ على وفق الحكمة (فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا) وييسرها:

### ◀ الشرح

□ قوله ﷻ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ...

مضى الكلام في معنى الحمد وكلمة (الله) غير مرّة نفي ﷻ عنه في المقام

امورا اربعة:

احدها: انه تعالى لا تدركه الشواهد وفسروها بالحواس اي لا تدركه

الحواس الظاهرة فيها والباطنة واطن ان هذا التفسير منهم لأجل الفرق بين

قوله ﷻ هذا وقوله ولا تراه النواظر حيث لم يقدروا على اثبات الفرق بين

الشواهد والنواظر بغير هذا والعجب ان المحقق البحراني قال بهذه المقالة



وتبعه الخوئي رحمه الله كما هو دابه في امثال المقام واعجب منه تقليد البحراني عن المعتزلي فإنه ايضا قال بهذه المقالة وشرحه مقدّم على الشرحين فالكلّ قلّدوه: فنقول، تفسير الشواهد بالحواس ممّا لا يُساعده العقل والنقل واللغة ولست أدري من اين اخذ المعتزلي هذا المعنى فإنه قال الشواهد هيهنا يريد بها الحواس وسمّاها (شواهد) اما لحضورها او لأنها تشهد على ما تدركه وثبتته عند العقل انتهى.

وانت خبير بانّ هذه الإستحسانات وامثالها لا توجب صرف اللفظ عن معناه الأصلي اذا عرفت هذا فنقول .

الشواهد جمع شاهدة وهي مؤنث الشاهد وهو فاعل من شهد يشهد فهو شاهد واصل الشهود الحضور مع المشاهدة اما بالبصر او بالبصيرة قاله الراغب في المفردات وعليه فالمعنى لا تُدركه البصائر القلبية كما لا تُدركه الأبصار والنواظر الحسية هذا معنى العبارة من غير تصرّف فيها:

ان قلت - ما الفرق بين الإدراك والرؤية حيث قال في المقام لا تدركه وفي الجملة الآتية لا تراه:

قلت - الإدراك شان القلب والرؤية شان البصر بحسب الحقيقة واما على طريق المجاز فقد يتّصف كلّ واحد من القلب والبصر بوصف الآخر فيقال ان القلب راه والبصر ادركه هذا على مذهب القوم من ان البصر يرى واما على مذهبنا فالرؤية ايضا للقلب والبصر وانما هو اعني البصر آلة الرؤية للقلب وهكذا بالنسبة الى سائر الحواس وانما لا تُدركه البصائر القلبية لأن الإدراك لا يتحقّق الا بعد احاطة المُدرك وحيث ان الواجب غير مُتناه ذاتا وصفةً والمخلوق مُتناه كذلك فالإحاطة لا تتحقّق فلا ادراك هناك ولهذا السّر لم يقل عليه السلام لا تعرفه الشواهد اذ المعرفة بها مُمكنة ولو كانت ضعيفة واما الإدراك فلا يمكن اصلاً لكونه غير مقولٍ بالتشكيك بخلافها فإنها مقولة به واما ما ذكره من ان المراد بالشواهد الحواس فهم كروا على ما فرّوا عنه من حيث انهم لم

يَشْعُرُوا بِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ فَسَّرُوا الشَّوَاهِدَ بِالْحَوَاسِّ لِثَلَا يَلْزَمُ التَّكْرَارَ حَيْثُ قَالَ ﷺ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرَ فَكَانَتْهُ ﷺ قَالَ لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرَ وَهِيَ أَيْضًا مِنْهَا فَكَانَ ذِكْرُهَا لِعَوَائِدِهَا لِمُؤَمَّلِ الْحَوَاسِّ النَّوَظِرَ فَوَقَعُوا فِيهَا خَافُوا مِنْهُ وَأَمَّا عَلَى الْمَخْتَارِ فَالْفَرْقُ وَاضِحٌ:

وِثَانِيهَا: وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، يُقَالُ حَوَيْتُ الشَّيْءَ إِحْوَيْتُهُ إِذَا ضَمَمْتَهُ وَاسْتَوَلَيْتَ عَلَيْهِ وَحَوَيْتُهُ مَلَكَتُهُ وَجَمَعْتُهُ وَحَوَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا احْطَا بِهِ مِنْ جِهَاتِهِ، وَالْمَشَاهِدُ جَمْعُ مَشْهَدٍ وَهُوَ الْمَحْضَرُ وَالْمَعْنَى لَا تُحِيطُهُ الْمَشَاهِدُ وَالْمَحَاضِرُ وَأَمَّا الشَّرَاحُ فَقَدْ فَسَّرُوا الْمَشَاهِدَ بِالْمَجَالِسِ وَالْأَمْكِنَةَ وَلَا بَأْسَ بِهِ إِذَا ارَادُوا مِنْهَا مَا ارَدْنَاهُ فَإِنَّ الْمَالَ وَاحِدٌ وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ عَدَمُ خُلُوقِ الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا عَنْهُ تَعَالَى فَهُوَ حَاضِرٌ فِي الْجَمِيعِ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْحُضُورَ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ حُضُورِ الْجِسْمِ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ لَوْجِهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْحُضُورَ بِهَذَا الطَّرِيقِ يَلْزَمُ خُلُوقَ سَائِرِ الْأَمْكِنَةِ عَنْهُ لِإِسْتِحَالَةِ كَوْنِ جِسْمٍ وَاحِدٍ فِي آيٍ وَاحِدٍ فِي مَكَانَيْنِ لِلزُّومِ اجْتِمَاعِ النَّقِيضَيْنِ وَهُوَ مُحَالٌ بِالِاتِّفَاقِ:

وِثَانِيهِمَا: أَنَّ الْمَكَانَ مِنْ مَقُولَةِ الْإَيْنِ وَهِيَ أَحَدِي الْمَقُولَاتِ التَّسْعِ الْعَرَضِيَّةِ وَقَدْ قِيلَ فِي تَعْرِيفِ الْإَيْنِ، هَيْئَةٌ تَحْصُلُ مِنْ كَوْنِ الشَّيْءِ فِي الْمَكَانِ، أَيْ هَيْئَةٌ خَاصَّةٌ وَكَوْنٌ خَاصٌّ وَلَيْسَ مُجَرَّدَ نِسْبَةِ الشَّيْءِ إِلَى الْمَكَانِ، أَيْنَ كَمَا تَوَهَّمُ وَعَلَى هَذَا فَصَّحَ قَوْلُهُ ﷺ: لَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ تَثَبَّتْ لَهُ تَعَالَى هَيْئَةٌ خَاصَّةٌ وَالْهَيْئَةُ مِنْ لَوَازِمِ الْجِسْمِ وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ مِثْلًا إِلَى أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ كَوْنُهُ تَعَالَى مُحَاطًا وَكُلِّ مُحَاطٍ مَحْدُودٍ مُتَنَاهٍ وَكُلِّ مُتَنَاهٍ مُمَكَّنٍ وَقَدْ فَرَضْنَاهُ وَاجِبًا هَف:

وِثَالِثُهَا: وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرَ، وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ عِنْدَ شَرْحِنَا لِقَوْلِهِ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَقَوْلُهُ ﷺ: الْمَعْرُوفُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيِيٍّ وَقَوْلُهُ ﷺ: لَا تُدْرِكُهُ الْعْيُونَ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَأَمْثَالِهَا فَلَا نَطِيلَ الْكَلَامِ بِذِكْرِهِ وَالَّذِي لَا يَبْدَأُ لَنَا مِنْ ذِكْرِهِ هُوَ أَنَّهُ

عَلَيْهِ لَمْ قَالَ لَا تَرَاهُ النَّوَظِرَ وَلَمْ يَقُلْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُونَ وَالْأَبْصَارَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ فِي غَيْرِهِ  
 مِنَ الْمَوَارِدِ فَنَقُولُ النَّوَظِرَ جَمْعُ النَّظْرَةِ وَهِيَ مُؤَنَّثُ النَّظَرِ وَالتَّانِيثُ بِاعْتِبَارِ  
 الْعَيْنِ يُقَالُ يُعِينُ عَيْنَ نَظْرَةٍ، وَالنَّظَرُ فِي الْمُقْلَةِ السَّوَادِ الْأَصْغَرَ الَّذِي فِيهِ انْسَانُ الْعَيْنِ  
 وَلِهَذَا يُقَالُ لِلْعَيْنِ النَّظْرَةُ أَيِ الَّتِي لَهَا نَظْرَةٌ أَيِ سَوَادٌ فِيهِ انْسَانُ الْعَيْنِ ثُمَّ أَنَّ  
 النَّظَرَ يَقَعُ عَلَى الْأَجْسَامِ وَالْمَعَانِي فَمَا كَانَ بِالْأَبْصَارِ فَهُوَ لِلْأَجْسَامِ وَمَا كَانَ  
 بِالْبَصَائِرِ فَهُوَ لِلْمَعَانِي وَحَيْثُ أَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ فَلَا يُدْرِكُ بِالْبَصْرِ وَحَيْثُ  
 أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَعَانِي فَلَا يُدْرِكُ بِالْبَصِيرَةِ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ: لَا تَرَاهُ النَّوَظِرَ مَعْنَاهُ لَا تَرَاهُ  
 الْأَبْصَارَ الظَّاهِرَةَ وَلَا الْبَصَائِرَ الْقَلْبِيَّةَ الْبَاطِنَةَ وَعَلَيْهِ فَهَذَا الْكَلَامُ اعْنِي قَوْلُهُ لَا تَرَاهُ  
 النَّوَظِرَ بَعْدَ قَوْلِهِ لَا تُدْرِكُهُ الشُّوَاهِدُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذِكْرِ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ  
 وَأَمَّا لَا تَتَّعَلِقُ بِهِ الرَّؤْيِيَّةُ وَالنُّظْرُ مُطْلَقًا لَمَّا ذَكَرْنَاهُ وَأَنَّ شَرْطَ تَحَقُّقِ الرَّؤْيِيَّةِ بِالنُّظْرِ  
 الْمَحَازَاةُ بَيْنَ الْمُبْصِرِ وَالْمُبْصَرِ وَهِيَ مِنْ خَوَاصِّ الْأَجْسَامِ وَهُوَ مُنْزَعٌ عَنِ  
 الْجِسْمِيَّةِ وَلَوْ أَرَادَهَا:

وَرَابِعُهَا: وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، قَالَ الْخَوَنُزَنِيُّ لِأَنَّ الْمَحْجُوبِيَّةَ بِالسَّوَاتِرِ  
 الْجِسْمَانِيَّةِ مِنْ أَوْصَافِ الْأَجْسَامِ وَعَوَارِضُهَا انْتَهَى.

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ - تَقْيِيدُ السَّوَاتِرِ بِالْجِسْمَانِيَّةِ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَكَلَامُهُ عَلَيْهِ خَالَ  
 عَنْهُ فَإِنَّهُ قَالَ لَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ وَلَمْ يَقُلْ لَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ الْجِسْمَانِيَّةُ وَبِعِبَارَةٍ  
 أُخْرَى صَاحِبُ الْكَلَامِ أَطْلَقَ كَلَامَهُ وَشَارَحَهُ قَيْدَهُ أَلَيْسَ هَذَا مِنْ حَمْلِ الْكَلَامِ  
 عَلَى مَا لَا يَرْضَى بِهِ صَاحِبُهُ وَمُجْرَدِ حَمْلِ الْبِحْرَانِيِّ الْكَلَامِ عَلَى التَّقْيِيدِ لَا يَكُونُ  
 مُجَوِّزًا لَهُ وَالْمَعْنَى أَنَّ السَّوَاتِرَ لَا تَحْجُبُهُ سِوَاكَ كَانَتْ جِسْمَانِيَّةً أَمْ غَيْرَهَا فَإِنَّ  
 السَّوَاتِرَ لَا تَنْحَصِرُ بِالسَّوَاتِرِ الْجِسْمَانِيَّةِ فَإِنَّهَا قَدْ تَكُونُ غَيْرَ جِسْمَانِيَّةٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ  
 السَّتْرَ فِي الْأَصْلِ الْمَنْعَ فَكُلُّ مَانِعٍ مِنْ رُؤْيِيَّةِ الشَّيْءِ فَهُوَ سَاتِرٌ قَالَ الرَّاعِبِيُّ فِي  
 الْمُفْرَدَاتِ السَّتْرُ تَعْطِيَةُ الشَّيْءِ، وَالْإِسْتَارُ الْإِخْتِفَاءُ انْتَهَى.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِخْتِفَاءَ كَمَا يَكُونُ بِسَبَبِ السَّتْرِ الْجِسْمَانِيِّ كَذَلِكَ يَكُونُ بِغَيْرِهِ  
 أَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ ظَاهِرٌ فِي الْأَجْسَامِ وَالثَّانِي فِي غَيْرِهَا وَلِتَوْضِيحِهِ نَقُولُ كُلَّ مُسْتَوْرٍ

أما جسمٌ أو غير جسم، أما الجسم فستره واختفائه يمكن ان يكون لأمرٍ.  
أحدها: وجود الساتر الجسمي كما انا لا نرى الشئ من وراء الجدار مثلا فان  
الجدار ساتر بيننا وبينه وهو جسم،

وثانيها: بعد المفرد فاننا لا نرى الشئ عن بعيد ولو لم يكن بيننا وبينه ساترٌ  
جسمي بل البعد المفرد في الحقيقة هو الساتر.

وثالثها: عدم المحاذاة بين الرائي والمرئي وان كان المرئي قريبا منه،  
فالساتر عدم المحاذاة.

ورابعها: الظلمة فانها من السواتر ولا يكون جسما وغير ذلك من السواتر  
وأما غير الجسم فستره واختفائه لا يكون الا لكونه غير جسم فالساتر فيه ليس  
الا عدم السنخية بين الرائي والمرئي وأما غيره من السواتر فلا مدخل له في  
عدم رؤيته سواء كان من الأجسام كالجدار واللباس والحجر وغيرها ام من  
غيرها كالظلمة والبعد المفرد وعدم المحاذاة وغيرها وذلك لأن شرط الرؤية  
وهو السنخية مفقودٌ واذا انتفى الشرط انتفى المشروط والواجب تعالى كذلك  
فكونه غير محجوب بالسواتر ليس من جهة فقدان سواتر الجسمانية او  
وجودها بل من جهة انه ليس بجسم وهذا معنى قوله لا يرى: ولا تحجبه السواتر  
اي هو محجوبٌ عن الأنظار وجدت السواتر ام لم توجد وسواء كانت السواتر  
جسمانية او غير جسمانية فتخصيص الكلام او تقييده بالسواتر الجسمانية لا  
معنى له الا ترى انا لا نرى المجردات كلها وهي محجوبة عنا كالعقل والنفس  
والملائكة بناء على كونهم منها بل ولا غير المجردات مما ليس بجسم كثيف  
كالهواء والشيطان والجن وامثالها والله تعالى ايضا كذلك الا ان الفرق بينه  
وبينها هو انه يرانا ولا يخفى عليه شئ وغيره ليس كذلك فهو مع كل شئ لا  
بمقارنةٍ وغير كل شئ لا بمزايلةٍ او هو داخل في الأشياء لا كدخول شئ في  
شئٍ وخارج عنها لا كخروج شئٍ عن شئٍ فوجود السواتر وعدمها بالنسبة اليه  
على حدٍ سواء فان السواتر ان كانت معدومة فلا تكون فيها لأن العدم لا يصلح

ولا يكون مؤثرا وان كانت موجودة فلا محالة تكون مُمكنة وكل مُمكن مخلوق له تعالى والمخلوق لا يكون ساترا لخالقه فثبت انه لا تحجبهُ السواتر وهو المطلوب.

□ قوله عليه السلام: الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ...

القِدَمُ والحُدُوثُ في الإِصْطِلاحِ يَطْلُقَانِ عَلَى مَعِينِينَ الذَّاتِي، والزَّمَانِي، والقَدِيمِ الذَّاتِي مَا لَا أَوَّلَ لَهُ ذَاتًا بِمَعْنَى عَدَمِ مَسْبُوقِيَّتِهِ بِغَيْرِهِ لَا بِالْعِلَّةِ وَلَا بِالزَّمَانِ وَلَا بِغَيْرِهِمَا وَالزَّمَانِي مَا لَهُ أَوَّلُ زَمَانًا وَمَسْبُوقٌ بِغَيْرِهِ اعْنِي الْعِلَّةَ وَأَمَّا عُبْرُ عَنْهُ بِالْقَدِيمِ مِنْ جِهَةِ أَنَا لَا نَعْلَمُ أَوَّلَهُ وَقَالَ بَعْضُ أَنَّ الْقَدِيمَ الزَّمَانِي مَا هُوَ مَسْبُوقٌ بِعِلَّةٍ فَقَطْ وَأَمَّا الزَّمَانِ فَلَا لِعَدَمِ وَجُودِهِ هُنَاكَ، وَالْحَادِثُ الذَّاتِي هُوَ الْقَدِيمِ الزَّمَانِي بِعَيْنِهِ وَالزَّمَانِي مَا لَهُ أَوَّلُ زَمَانًا وَبِذَلِكَ عَرَفْتَ أَنَّ إِطْلَاقَ الْقَدِيمِ عَلَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَادِثِ الزَّمَانِي فَإِنَّهُ قَدِيمٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقَدِيمِ الذَّاتِي إِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الْقَدِيمِ وَالْحَادِثِ فَتَقُولُ:

قوله عليه السلام: الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ فَهُوَ بَرَهَانٌ أَنَّ اعْنِي بِهِ الْعِلْمُ مِنَ الْمَعْلُولِ بِالْعِلَّةِ وَكَيْفِيَّةِ الْإِسْتِدْلَالِ أَنَّهُ لَا شَكَّ فِي حَدُوثِ الْخَلْقِ أَمَّا ذَاتَا كَمَا عَلَيْهِ الْكُلُّ وَأَمَّا زَمَانًا كَمَا عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ فَإِنَّ مِنَ الْفَلَسْفَةِ مَنْ قَالَ فِي الْخَلْقِ بِالْحُدُوثِ الذَّاتِي اعْنِي كَوْنَهُ مَسْبُوقًا بِالْعِلَّةِ وَانْكَرَ الْحُدُوثَ الزَّمَانِي فِيهِ لِثَلَا يَلْزَمُ انْقِطَاعَ الْفَيْضِ وَلِلْبَحْثِ فِيهِ مَقَامٌ آخَرَ وَأَمَّا أَصْلُ الْحُدُوثِ ذَاتًا فَهُوَ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْكُلُّ وَهُوَ يَكْفِينَا فِي الْمَقَامِ.

وعليه فحُدُوثُ الْخَلْقِ يَدُلُّ عَلَى قِدَمِ الْخَالِقِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَالِقَ لَا يَخْلُو أَمَّا أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا أَوْ يَكُونَ حَادِثًا وَلَا وَاسِطَةً بَيْنَهُمَا فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ وَإِنْ كَانَ الثَّانِي فَتُنْقَلُ الْكَلَامُ إِلَيْهِ وَنَقُولُ أَنَّهُ حَادِثٌ وَكُلُّ حَادِثٍ يَحْتَاجُ إِلَى مُحَدِّثٍ فَإِنْ كَانَ قَدِيمًا فَهُوَ وَإِنْ كَانَ حَادِثًا يَتَسَلَّلُ أَوْ يَنْتَهِي إِلَى مَا لَيْسَ بِحَادِثٍ وَهُوَ لَا مُحَالَةَ قَدِيمٍ فَتُثَبِتُ أَنَّ حَدُوثَ الْخَلْقِ يَدُلُّ عَلَى قِدَمِ الْخَالِقِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ:

وأما أن حدوث الخلق يدل على وجوده تعالى فلأن الخلق الموجود يحتاج إلى خالق لا محالة والخالق ان كان معدوما يلزم كون المعدوم علة للموجود وهو محال وان كان موجودا فهو المطلوب فثبت أن حدوث الخلق يدل على وجوده تعالى وهو المطلوب.

ان قلت - أليس قوله ﷺ: الدال على قدمه بحدوث خلقه مغنيا عن قوله وبحدوث خلقه على وجوده بمعنى أن القدم لا ينفك عن الوجود فكل قديم موجود ولا عكس:

قلت - أما أولاً فلنائل ان يقول بعدم الملازمة اذ القديم ما لا أول له او لا علة له سواء كان موجودا ام لم يكن، وعلى فرض التسليم غرضه ﷺ من ذكر الجملتين اثبات أن للحدوث جهتين جهة حدوثه وجهة وجوده وبعبارة اخرى جهة ذاته وحقيقته وجهة وجوده فجهة ذاته تدلنا على أن له خالق قديم دفعا للدور والتسلسل وجهة وجوده تدلنا على وجود خالقه اذ المعدوم لا يؤثر وعلة الموجود موجودة:

وقوله ﷺ: وباشتباهم على أن لا شبهة له، اي اشتباه الموجودات المحدثثة يدل على أنه لا شبهة له تعالى وذلك لأن الإشتباه من شئون المخلوق الحادث فلو كان له تعالى شبهة ونظير يلزم ان يكون حادثا فان حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد وحيث أنه قد ثبت أنه ليس بحادث فلا شبهة له وقد مر الكلام فيه وفيما قبله.

□ قوله ﷺ: الذي صدق في ميعاده وأزف عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه...

أما أن الله تعالى صدق في ميعاده فلائه لو لم يصدق لكان كاذبا والكذب قبيح وهو منزلة عنه وأما نقلاً فلنقله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(١)</sup> و: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَعَدَالِلَهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله ﷺ: وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، اي هو تعالى اجل شانا وارفع مقاما من ان يظلم على عباده عقلاً ونقلاً اما العقل فلأن الظلم قبيح ونقص في الوجود وهو مؤثره عن الإتصاف به، والنقل فلقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

وقوله ﷺ: وَقَامَ بِالْقِسْطِ، اشارة الى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٨)</sup>

و: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٩)</sup>

وقوله ﷺ: وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ مَعْنَاهُ قَدْ ظَهَرَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فِي الْقِسْطِ فَإِنَّ الْقِسْطَ وَالْعَدْلَ وَاحِدٌ مَعْنَى مُخْتَلَفٌ لَفْظًا كَالْإِنْسَانَ وَالْبَشَرَ وَتَكَرَّرَ الْعِبَارَةُ لِلتَّوْضِيحِ أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَرْفِ الْمَوْضُوعِ هَكَذَا قِيلَ:

اقول: ويمكن الفرق بينهما بأن القسط هو التصيب بالعدل يقال تقسطنا بيننا اي اقتسمنا والقسطاس الميزان اذ به ياخذ كل واحد من البائع والمشتري قسطه اي نصيبه من الثمن والمُثْمَن، واما العدل فهو الحكم على المدرك عن بصيرة فالعدل هو التقسيط على سواء وبعبارة اخرى هو الحكم على القسط اي اخذ التصيب بالقسط يناسب الموضوعات والعدل يناسب الأحكام ولهذا روي بالعدل قامت السموات والأرض تبنيها على انه لو كان ركن من الأركان

١- الزوم- ٦  
٢- يونس- ٤٤  
٣- العنكبوت- ٤٠  
٤- الانبياء- ٤٧

١- الزمر- ٧٤  
٢- النساء- ٤٠  
٣- الكهف- ٤٩  
٤- آل عمران- ١٨  
٥- يونس- ٥٤

الأربعة في العالم زائد على الآخر او ناقصا عنه لم يكن العالم منتظما وبهذا قد ظهر لك الفرق بينهما وأنه ﷺ لم قال بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه، حيث أنه ﷺ خصص القسط بالخلق والإيجاد والعدل بالحلم فمعنى العبارة الأولى ان كل مخلوق اخذ نصيبه في الوجود، ومعنى الثانية ان الله تعالى عدل عليهم في حكمه بالتفسيط ففي الكلام دقة لم يتفطن اليها احد من الشراح:

□ قوله ﷺ: مُسْتَشْهَدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِّيَّتِهِ وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ...

اي ان الله تعالى مستشهد على ازليته وقدرته ودوامه بامور ثلاثة، فاستشهدوا على ازليته بحدوث الأشياء وذلك لما مر من ان حدوث الخلق يدل على قدمه وكل قديم ازلي بل هما مترادفان فان الأزلي ما لا أول له والقديم كذلك او ان الأزلي غير مسبوق بالغير والقديم كذلك وعليه فحدوث الأشياء كما يدل على قدمه يدل على ازليته ايضا وهو المطلوب.

واستشهد على قدرته بما وسَمها اي الأشياء والوسم العلامة ومعنى الكلام انه جعل للأشياء علامات تُعرف بها وهو دليل على ضعفها ونقصها في حد ذاتها اذ لولا هذه العلامات لم تُعرف الأشياء واذا كان الأمر فيها كذلك فنقول ان كان لخالق الأشياء ايضا علامات يُعرف بها فهو ايضا مخلوق ضعيف وان لم يكن فهو قادر قوي والأول مُتتفٍ فالثاني هو الحق وبعبارة اخرى ان للمخلوق علامات تدل على عجزه وضعفه وفي راسه الإمكانية فهذه العلامات ان وجدت في الخالق فهو ايضا عاجز ضعيف يحتاج الى غيره كما هو شان الضعيف وان لم يكن كذلك فهو غير ضعيف ولا نعني بالقادر الا هو لعدم وجود الوساطة بين الضعف والقُدرة وهو واضح:

واستشهد على دوامه وبقائه بما اضطرها اي الأشياء من الفناء بحيث لا محيص لها عنه وجه الإستشهاد به هو انه لا شك ان المخلوق يُفنى عقلاً ونقلاً





وثالثها: ما كان لموضوعه غير الأولين شيئا آخر غير الوضع كالعقل والنفس  
اذ لا وضع لهما لتجردهما والوضع من شئون المادة فقد ظهر ممّا ذكرناه لك ان  
الواحد بالعدد الذي يقال له الواحد العددي والشخصي ونحوهما له موضوع لا  
محالة والوحدة عارضة عليه:

فقوله **لا**: **وَاحِدًا لَا يَعْدَدُ** اشارة الى نفي اقسامه الثلاثة اي ان الله تعالى واحد  
الا ان وحدته تعالى ليست وحدة عددية باقسامها الثلاثة لعدم وجود الموضوع  
هناك وقد عرفت الواحد بالعدد لا يتفك عنه وحيث لا موضوع فالأقسام كلها  
باطلة لتوقفها عليه والدليل على المدعى انه لو كان لوحة الحق موضوعا فلا  
محالة تكون الوحدة عارضة عليه وهو باطل لوجهين:

**احدهما**: يلزم الإحتياج المساق للإمكان المنافي للوجوب وذلك لأن  
الموضوع محتاج الى عروض الوحدة عليه ليتصف بها والا لا يكون موصوفا  
بالوحدة واذ ثبت الإحتياج ثبت الإمكان بل هو هو في الواقع والمفروض انه  
واجب.

**وثانيهما**: يلزم التركيب في ذاته تعالى ضرورة ان الموضوع في الوحدة غير  
الوحدة مفهوما وان اتحدا مصداقا وخارجا ولا نعني بالتركيب الا هذا وكل  
مركب محتاج الى اجزائه وكل محتاج ممكن:

ان قلت - تغاير المفهومي لا يضّر والذي يضّر بالوحدة هو التغاير  
المصداقي والا فصفت الواجب تغاير ذاته مفهوما ضرورة ان العلم والقدرة  
والإرادة مفاهيمها غير مفهوم الذات الواجبي وانتم لا تقولون بالتركيب هناك  
وليكن المقام من هذا القبيل:

قلت - الصفات عين الذات وجودا بمعنى ان العلم لم يعرض على الذات  
وبعبارة اخرى اذا قلنا انه عالم او قادر لا نعني به ذات وعلم اي معروض  
وعارض بل وجود الذات وجود العلم وبالعكس وهذا بخلاف المقام فان  
الوحدة العددية الموضوع او المعروض او الذات او ما شئت فسمه ماخوذ فيها

بمعنى أنّ الوحدة بدونها ليست عددية فالتركيب هنا قطعي بخلافه هناك حيث  
 أنّ الأمر في الصفات بالعكس وان شئت قلت في الوحدة العددية العارض  
 والمعرض موجودين بوجودين في الواقع أحدهما وجود جوهرى والآخر  
 عرضي ووجود العرض غير وجود الجوهر بحسب نفس الأمر فإنّ الجود  
 موجود لا في موضوع والعرض موجود في الموضوع نعم هما في الوجود  
 الخارجى واحد مصداقا وأما في باب الصفات فليس وجود العلم مثلاً غير  
 وجود الذات لا واقعا ولا خارجا فافهم فإنّه دقيق لا تراه في غير شرحنا هذا  
 فإنّ الشراح قد قنعوا في المقام بشرح اللفظ:

فاذا ثبت كونه تعالى واحدا لا بالعدد فلا محالة هو واحد بالوحدة الحقة  
 الحقيقة بحسب الوجود فإنّه تعالى حقيقة الوجود، والوجود المنبسط فعله  
 وكلمته هذا هو الذي فهمناه من العبارة والأمر اليك وأما أنّه تعالى قائم لا بامد.  
 فالأمد محرّكة مدّة لها حدّ مجهول اذا اطلق وقد يُقيّد ويقال امد كذا كما  
 يقال زمان كذا فالفرق بين الأمد والزمان أنّ الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان  
 عام في المبدء والغاية وأما الأبد فهو عبارة عن مدّة الزمان التي ليس لها حدّ  
 محدود ولا يتقيّد فلا يقال ابد كذا، ولذا قال بعضهم المدي والأمد يتقاربان كما  
 قال بعض آخر الأمد والأبد يتقاربان مع الفرق المذكور وعليه فمعنى قوله ﷺ:  
 دائم لا بامد أنّه ليس لوجوده زمان او مدّة لها حدّ مجهول ليثبت له الحدّ في  
 وجوده زمانا او أنّه ليس له زمان كذا ومدّة كذا كلّ ذلك لم يكن والوجه في  
 المنع أنّه لو كان له امد وزمان فهو زماني لا محالة اذ لا نعني بالزماني إلا ما هو  
 فيه وكلّ زماني حادث فهو تعالى حادث والمفروض أنّه قديم هف.

وثانيا: لو كان دائما بالزمان فهو قائم بغير ذاته وكلّ قائم بالغير مخلوق  
 ممكن والمفروض أنّه واجب فثبت أنّ ديموميته بذاته لا بالزمان، وهنا وجه  
 آخر وهو أنّه لو كان دائما بالزمان يلزم التناقض وذلك لأنّ الديمومية تنافي  
 الزمان الحادث الذي لا يكون دائما البتة فإنّ الدائم ما لا أول له ولا آخر له

والزّمان له أوّل وآخر فكيف يعقل قوام الدّائم به وهل هذا الآ قيام غير الممتّاهي  
بالممتّاهي او القديم بالحادث والثّابت بالممتّغير والكلّ كما ترى:

وقوله ﷺ: قائم لا بعَمَد، اي أنّه تعالى قائم بذاته وأنما فسّرنا الكلام به لأنّ  
قوام كلّ موجودٍ إمّا بذاته او بغيره ولا ثالث وحيث أنّه تعالى قائم لا بعَمَد يعتمد  
عليها فلا محالة قائم بذاته وهو المطلوب:

امّا أنّه بلا عَمَد فلائّه لو كان له عَمَد فهو مُحتاج في قوامه وقيامه بها والآ فلا  
فائدة في وجودها وكلّ مُحتاج مُمكنٌ فهو مُمكن وقد ثبت وجوبه هف وثانيا  
نقول قد ثبت أنّه واجب الوجود وكلّ واجب فهو مُستغنٍ عن غيره فهو قائم  
بذاته وهو المطلوب.

وثالثا: لو كان قائما بها فامّا ان تكون العَمَد موجودة قبل وجود الواجب او  
بعده او معه وعلى التقادير امّا ان يكون الموجد لها هو او غيره والشّقوق  
باسرها باطلّة.

امّا الأوّل: اعني كونها موجودة قبل وجوده فان كان الموجد لها هو يلزم ان  
يكون خالقا موجدًا قبل وجوده وهو مُحال فانّ المعدوم كيف يوجد شيئا وان  
كان الموجد غيره يلزم ان لا يكون الواجب قديما وموجدا لكلّ شيء وهو  
خلاف الفرض.

وامّا الثّاني: اعني وجودها بعد وجوده فان كان الموجد غيره يلزم ما ذكرناه  
من المَحذور وان كان هو او جدّها فيلزم ان يكون الذات قبل ايجادها قائما بلا  
عَمَد ولو آناما وحيثنّذ فنقول الواجب كان قائما بلا عَمَد قبل ايجادها ثمّ  
اوجدّها فان كان ولا بدّ له من عَمَد بمعنى أنّه لا يُمكن له القيام بذاته فكيف كان  
قائما قبل وجودها وان لم يكن كذلك فليّم اوجدّها هذا أوّلاً وثانيا بناءً على هذا  
الفرض فالعَمَد مخلوقة له وكلّ مخلوق قائم بخالقه وجودا فلو كان الخالق  
ايضا قائما به يلزم الدور المُحال:

وامّا الثّالث: اعني وجودها معه فهما مخلوقان لِغيرهما اذ لا يعقل ان يكون

الشَّيْ خَالِقًا لِمَوْضُوعِهِ وَمَحَلَّهُ وَالْمَفْرُوضُ تَقْدِمُ كُلِّ مَحَلٍّ وَمَوْضُوعٍ عَلَيْهِ ذَيْهِمَا  
وَإِذَا كَانَا مَخْلُوقَيْنِ لِلْغَيْرِ فَخَالِقَهُمَا هُوَ الْوَاجِبُ وَالْكَلَامُ فِيهِ الْكَلَامُ فِيهِ حَتَّى  
يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى خَالِقِي قَائِمٍ لَا يَعْمَدُ دَفْعًا لِلتَّسْلُسِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ:

وقوله عليه السلام: تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعِرَةٍ، أَي تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ الْمُسْتَقِيمَةُ لَا  
بِسَبَبِ الْحَوَاسِ الْبَاطِنَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ كَمَا مَرَّ مِرَارًا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بَعْدَ  
الْإِحَاطَةِ عَلَى الْمُدْرَكِ وَلَا زَمَّ ذَلِكَ أَنْ الْإِدْرَاكَ كَمَا مَرَّ مِرَارًا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بَعْدَ  
مِنْ إِحَاطَةِ الْمَحْدُودِ بِغَيْرِ الْمَحْدُودِ وَالْمُتَّنَاهِي بِغَيْرِ الْمُتَّنَاهِي وَهُوَ مُحَالٌ وَإِلَى  
هَذِهِ الْإِسْتِحَالَةِ أَشِيرَ فِي الْحَدِيثِ حَيْثُ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام كُلُّ مَا مَيَّزْتَمَوْهُ  
بِأَوْهَامِكُمْ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لَكُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ، وَأَجَلَ هَذَا قَالَ عليه السلام تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ  
وَلَمْ يَقُلْ تُدْرِكُهُ الْأَذْهَانُ فَإِنَّ التَّلَقِّيَ لَيْسَ بِإِدْرَاكِ فَإِذَا كَانَ بِسَبَبِ الْحَوَاسِ يُسَمَّى  
إِدْرَاكًا فَقَالَ عليه السلام: لَا بِمُشَاعِرَةٍ فَتَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعِرَةٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ  
وَأَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ.

وقوله عليه السلام: وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضِرَةٍ، الْمَرَائِي جَمْعُ مَرَاةٍ بِالْفَتْحِ أَي  
وَتَشْهَدُ بِوُجُودِهِ الْمَرَائِي أَعْنِي الْمَخْلُوقَاتِ لَا بِمُحَاضِرَةٍ أَي لَا بِحُضُورِهِ تَعَالَى  
فِيهَا شَاخِصًا الْأَبْصَارِ عَبْرَ عليه السلام عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ بِالْمَرَائِي.

عَلَى أَنَّهَا جَمْعُ الْمَرِّي وَهُوَ الْمُدْرِكُ بِالْبَصْرِ وَاحْتَمَلُ الْمُعْتَزَلِيُّ أَنْ يَكُونَ  
جَمْعُ مَرَاةٍ بِفَتْحِ الْمِيمِ كَمَا فَسَّرْنَا كَلَامَهُ عليه السلام بِهِ وَقَالَ الْخُوْنِي فِي شَرْحِهِ أَنَّ كَوْنَ  
الْمَرَائِي جَمْعًا لِلْمَرَاةِ لَمْ يَثْبُتْ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنْتَهَى.

أقول: قَدْ حَمَلَ الشَّيْخُ عَبْدَهُ فِي شَرْحِهِ الْمُخْتَصِرِ عَلَى النَّهْجِ قَوْلَهُ عليه السلام:  
الْمَرَائِي عَلَى أَنَّهَا جَمْعُ مَرَاةٍ بِالْفَتْحِ وَكَيْفَ كَانَ فَالْمَعْنَى وَاضِحٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ  
الْمَرِّيَّ وَالْمَرَاةَ لَا فَرْقَ فِيهِمَا بِحَسَبِ الْمَعْنَى فَقَوْلُهُ عليه السلام: تَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي أَي  
الْمَرِّيَّاتِ أَوِ الْمَنَاطِرِ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ شَهَادَةٌ عَيْنِيَّةٌ لَا حُضُورِيَّةٌ الَّتِي مِنْ شُئُونِ  
الْأَجْسَامِ وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ يَشْهَدُ بِوُجُودِ خَالِقِهِ وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ فَإِنَّ مُعْطِي  
الشَّيْ لَا يَكُونُ فَاقِدًا لَهُ فَكَيْفَ يُوجِدُ الْمَوْجُودَاتِ مَنْ لَا وَجُودَ لَهُ وَهَكَذَا الْكَلَامُ

في باب الصفات من العلم والقدرة والإرادة وغيرها فكما تدل ذوات  
الموجودات من حيث وجودها على وجود موجدها كذلك يدل علم المخلوق  
وقدرته وإرادته وسائر صفاته على علمه وقدرته وإرادته.

□ قوله عليه السلام: لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا  
حَاكَمَهَا...

فسر المعتزلي الأوهام في المقام بالعقول وقال اي لم تتمور العقول كنه  
ذاته.

وانا اقول: اطلاق الأوهام على العقول مما لم نسمعه الى الآن من احد سوى  
الشارح المعتزلي ولا عجب منه لأنه لم يفرق بين الأوهام والعقول فكأنه تخيل  
أنهما من قبيل الإنسان والبشر ولم يعلم ان الفرق بين الوهم والعقل من الثرى  
الى الثريا فالعقل مدرك للكلّي والوهم للجزئي والعقل لا يعقل الشئ الا بعد  
تجريده عن المادة ولو احققها من التوضع والأين مثلاً والوهم لا يدرك الا ما كان  
مقرونا بها، والمدرك بالعقل اذا كان خاليا عن شوائب الأوهام حجة يعتمد عليه  
والمدرك بالوهم ليس بحجة، والعقل يقابل الظن والوهم يخالطه والفرق  
كثيرة فكيف يمكن ارادة معنى العقل عن الوهم المخالف له ولو كان الأمر كما  
ذكره لينبغي ان يقال العقول بدل الأوهام وحيث لم يقل كذلك فلا محالة.

ارادة معنى غير معنى العقل هذا كله مضافا الى أنه ما الدليل على حمل اللفظ  
على غير معناه الأصلي:

وقد تفتن لذلك الشارح البحراني رحمته فلم يحمل اللفظ على ما حمله  
المعتزلي عليه بل حمله على معناه الأصلي الا أنه رحمته لم يؤد حق الكلام وقنع  
بما حاصله ان الأوهام انما يتعلق بالمعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات  
والمواد الجسمانية ثم رتب قياسا واخذ نتيجة وهي لا شئ مما هو واجب  
الوجود بمدرك للأوهام اصلاً واما أنه لم يذكر عليه السلام الأوهام دون العقول ولم يقل  
لم تحط به العقول فسكت وسكتوا عنه جميعا والذي يختلج بالبال امور.

احدهما: ان الإحاطة شان الوهم والإدراك شان العقل فلا يقال احاط العقل  
 بكذا بل يقال احاط الوهم به فقوله عليه السلام: لَمْ تُحِطْ نَاسِبَ الوَهِمِ دُونَ العَقْلِ.  
 وثانيهما: ان الوهم قد يتعلق بالشئ الذي هو موجود واقعا وقد يتعلق بما هو  
 غير موجود بل له وجود وهمي فرضي والعقل لا يدرك الا الواقعيات المتأصلة  
 الموجودة بوجود واقعي حقيقي مُجرّدة عن المادة ولو احقها بشرط ان تكون  
 مُتناهية واما ان كان الموجود غير مُتناه فلا يدركه العقل لأن المُتناه لا يدرك غير  
 المُتناهي وحيث ان هذا الشرط غير مُعتبر في المُدركات الوهمية لكون  
 مُدركات الوهم لا وجود لها واقعا الا بالفرض فتعلقه بغير المُتناهي لا محذور  
 فيه فان فرض المحال ليس بمحال فقال عليه السلام: لَمْ تُحِطْ بِهِ الأوهام دُونَ العُقُولِ  
 فان المقام مقام الوهم لا العقل.

وثالثهما: انه لم تُحِطْ بِهِ الأوهام مع عموم مُتعلقها فالعقول بطريق اولي.  
 فلهذه الوجوه وغيرها قال عليه السلام: لَمْ تُحِطْ بِهِ الأوهام وَاذَا لَمْ تُحِطْ فَكُلُّ مَا  
 ادركه الوهم وَسَمَاهُ الواجب فهو ليس به بل هو مخلوق للوهم مردود اليه هذا  
 ما خطر بالبال والله اعلم بالصواب.  
 وقوله عليه السلام بل تجلّى بها وبها امتنع منها واليها حاكمها، فهو اشارة الى امور  
 ثلاثة:

احدها: ان الله تعالى تجلّى بها اي بالأوهام.

وثانيها: انه تعالى بها امتنع منها اي بالأوهام امتنع من الأوهام .

وثالثها: واليها اي الى الأوهام حاكم الأوهام، وعلى قول المُعتزلي العُقُولِ  
 بدل الأوهام وعليه فالضمائر كلها يرجع الى الأوهام او العُقُولِ على اختلاف  
 التفسيرين وظني ان قوله عليه السلام هذا هو الذي الجا المُعتزلي الى تفسير الأوهام في  
 الجملة السابقة على العُقُولِ وذلك لما تخيل انه لا معنى للتجلّي في الأوهام  
 وايضا لا معنى انه امتنع بالأوهام من الأوهام وثالثا كيف جعل الوهم حكما  
 والحكومة من شئون العقل دون الوهم، واما البحراني رحمته الله وان لم يُفسّر الأوهام

بالعقول الآ انه قال برجوع الضمائر الى الأوهام ولفق الرطب واليابس في الشقوق الثلاثة للتخلص عن الورطة والتجاة عن المهلكة والإنصاف ان العبارة من المضملات ونحن نذكر الإشكال أولاً ونردفه بما فهمناه من العبارة ثانيا فنقول يرد على تفاسيرهم وجوه من الإشكال.

احدها: انه تعالى كيف تجلئ بالأوهام مع ان التجلي بالوهم لا يكون الا موهوما لا فرق فيه بين كون الباء في قوله ﴿الوهم﴾: بها بمعنى في اي فيها او لا يكون كذلك فان التجلي بالوهم اي بسببه وفي الوهم لا معنى له اذ لا عبرة بشأن مدركات الوهم اصلاً اذا لم يؤيدها العقل.

وثانيهما قوله ﴿الوهم﴾: وبها امتنع منها اي بالأوهام امتنع من الأوهام اي شيء اراد ﴿الوهم﴾ به وما معناه وعن اي شيء امتنع فان امتنع عن الإحاطة اي احاطة الوهم به فهو كلام غير معقول اذ معناه ان الوهم قد امكن له ان يحيط به الآ انه تعالى امتنع منها بسبب الوهم وحينئذ نقول لا يخلو الأمر عن احتمالين احدهما امكان الإحاطة به تعالى للوهم وثانيهما عدم امكانها له، فعلى الأول فهو خلاف الفرض بل العقل لوجود الدلائل القاطعة على عدم الإمكان وعلى الثاني كما هو الحق فلا معنى لقوله ﴿الوهم﴾: امتنع اذ المفروض عدم امكان الإحاطة فمن اي شيء امتنع:

وثالثها قوله ﴿الوهم﴾: واليها حاكمها اي والى الأوهام حاكم الإحاطة بمعنى انه تعالى جعلها حكماً بينها وبينه وهذا ايضا غلط فان جعل الوهم حكماً مما هو قطعي البطلان فان الحكومة في تمييز الحق عن الباطل وهي شان العقل فكيف فرض الله تعالى امر الحكومة اليه هذا كله في الأوهام واما على قول المعتزلي اعني تفسير الأوهام بالعقول وان كانت الإشكالات ايسر واسهل الآ انه لا دليل على هذا التفسير بل الدليل على خلافه موجود ولا يمكن لنا ولغيرنا الإلتزام بكون المراد بالأوهام العقول ومع ذلك فالإشكالات باقية بوجه اسهل فتأمل في المقام فانه من مزال الأقدام والذي حصل لنا لإيضاح المقصود بعون الملك



المَعْبُود شَيْءٍ آخَرَ نَذَكَرَهُ لَكَ ثُمَّ أَقْبَضَ مَا نَتَّ قَاضٍ وَهُوَ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ ﷺ  
 بَلْ تَجَلَّى بِهَا إِلَى المَرَائِي أَي تَجَلَّى اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِ المَرَائِي وَإِنْ كَانَ البَاءُ  
 بِمَعْنَى فِي فَالْمَعْنَى تَجَلَّى فِي المَرَائِي وَالمَالُ وَاحِدٌ وَالمَقْصُودُ مِنَ التَّجَلَّى بِهَا  
 ظُهُورُهُ فِيهَا فَإِنَّ العِلَّةَ تُظْهِرُ وَتَتَجَلَّى فِي مَعْلُولِهَا وَلِذَلِكَ قِيلَ أَنَّ المَعْلُولَ بِمَنْزِلَةِ  
 الإِسْمِ وَالعِلَّةَ بِمَنْزِلَةِ المَسْمُومِ وَالإِسْمُ هُوَ المَسْمُومُ بِوَجْهِهِ وَبِالجَمْلَةِ ظُهُورُ الخَالِقِ  
 فِي المَخْلُوقِ وَتَجَلَّى بِهَا مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ وَالأَ فَكَيْفَ تَشْهَدُ لَهُ المَرَائِي:

وقوله ﷺ: وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا أَي بِالمَرَائِي امْتَنَعَ مِنْهَا أَي مِنَ الرُّؤْيَةِ  
 بِالمَحَاضِرَةِ فَإِنَّ المَرَائِي بِنَفْسِهَا مَانِعَةٌ عَنِ الرُّؤْيَةِ حُضُورًا لِكُونَ المَرَائِي اجْسامًا  
 الَّتِي لَهَا مَادَّةٌ وَصُورَةٌ وَهِيَ اعْنِي المَادَّةَ تَكُونُ حَاجِبَةً بَيْنَ العِلَّةِ وَالمَعْلُولِ بِحَيْثُ  
 لَوْلَا هَا لَمْ يَكُنْ حَاجِبٌ بَيْنَهُمَا اصْطِلَاقًا فَإِنَّ المُمْكِنَ زَوْجٌ تَرْكِيبِيٌّ لَهُ مَاهِيَةٌ وَوُجُودٌ  
 فَلَوْلَا المَاهِيَةُ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ الوجودُ وَالوجودُ لَا يَكُونُ حَاجِبًا عَنِ الوجودِ وَهُوَ  
 ظَاهِرٌ قَبْلَ تَحَقُّقِ أَنَّ الحَاجِبَ المَانِعَ هُوَ المَاهِيَةُ المُظْلَمَةُ الكَثِيفَةُ الَّتِي لَوْلَا  
 إِفَاضَةُ الوجودِ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً وَلَا سَيِّمًا بِنَاءً عَلَى إِصَالَةِ الوجودِ  
 وَاعتْبَارِيَةِ المَاهِيَةِ فَالْمَانِعُ مِنَ الرُّؤْيَةِ الحُضُورِيَّةِ فِي المَرَائِي لَيْسَ إِلاَّ المَرَائِي  
 كَمَا قَالَ الحَافِظُ بِالفَارَسِيَّةِ: ثُو خُودِ حِجَابِ خُودِي حَافِظُ أَزْ مِيَانِ بَرخيز:

وقوله ﷺ: وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا، أَي إِلَى المَرْتَبَاتِ حَاكَمَ الرُّؤْيَةَ الحُضُورِيَّةَ أَي  
 جَعَلَهَا حَكْمًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ  
 وَالمَقْصُودُ أَنَّ كُلَّ مَرْتَبَةٍ وَمَخْلُوقٍ يَحْكُمُ بِعَدَمِ امْكَانِ الرُّؤْيَةِ حُضُورًا لِإِلْذَلَّةِ  
 القَاطِعَةِ وَالبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ الوَاضِحَةِ عَلَى نَفْيِ امْكَانِهَا وَقَدْ مَرَّ الكَلَامُ فِيهَا  
 فَصَارَ حَاصِلُ المَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَجَلَّى بِالمَرْتَبَاتِ وَبِهَا أَي بِالمَرْتَبَاتِ امْتَنَعَ مِنَ  
 الرُّؤْيَةِ حُضُورًا وَإِلَيْهَا فَوَّضَ أَمْرَ الحُكُومَةِ فِي هَذَا المَعْنَى العَقْلِيَّ فَهَذَا هُوَ الَّذِي  
 ظَهَرَ لَنَا فِي شَرْحِ العِبَارَةِ مَضافًا إِلَى مَا ذَكَرُوهُ وَمَعَ ذَلِكَ لَا أَقُولُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ  
 بَلْ نَقُولُ هَذِهِ بَضَاعَةٌ مَزْجَاةٌ أَنَّ الهِدَايَا عَلَى مَقْدَارِ مُهْدِيهَا:

□ قوله عليه السلام: لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ اَمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَّاتُ فَكَبَّرْتُهُ تَجْسِيماً وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمْتُهُ تَجْسِيْداً...

الكِبَرُ بكسر الكاف وفتح الباء ما يُورثه كِبَرُ السِّنِّ من ذهابِ العَقْلِ والتَّخْلِيْطِ في الرّاي وغير ذلك ممَّا يَسُوءُ به الحال وعن القاموس كَبُرَ كَكَرَمٍ وَكَبُرَ كَعَتَبٍ وَكَبُرَ بِالضَّمِّ وَكِبَارَةٌ بِالْفَتْحِ نَقِيضُ صَغُرَ فَهُوَ كَبِيرٌ اَنْتَهَى:

وقال الرّاعِبُ في المُفْرَدَاتِ الكَبِيرُ والصَّغِيرُ من الأَسْمَاءِ المُتَضَايِفَةِ الَّتِي تَقَالُ عِنْدَ اِعْتِبَارِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ الِى ان قال وَيُسْتَعْمَلَانِ فِي الكَمِّيَةِ المُتَصِلَةِ كالأَجْسَامِ وَذَلِكَ كالكَثِيرِ والقَلِيلِ وَفِي الكَمِّيَةِ المُتَفَصِّلَةِ كالعَدَدِ اَنْتَهَى.

والعِظَمُ، قال في المَنْجِدِ العِظَمُ والعِظَمُ خِلافُ الصِّغَرِ واما العِظَمُ بِفَتْحِ العَيْنِ وَسُكُونِ الظَّاءِ فَهُوَ مَصْدَرُ قَصَبِ الحَيوانِ الَّذِي عَلَيْهِ اللَّحْمُ وَجَمَعَهُ اعْظَمَ وَعِظَامٌ اَنْتَهَى

اذا عرفت هذا فنقول نفى عليه السلام عن الله تعالى شَيْئَيْنِ احدهما الكِبَرُ والآخر العِظَمُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الأَوَّلَ يَنْتَهِي الى التَّجْسِيمِ والآخر الى التَّجْسِيدِ وكلاهما اعني التَّجْسِيمُ والتَّجْسِيدُ لا يَلِيْقانِ به تعالى لكونه من لوازمِ المَخْلُوقِ المادِّي وهو تعالى مُنْزَعٌ عَنِ الجِسْمِ والمادَّةِ ولو احقها او انهما من لوازمِ الأَعْدَادِ وهو تعالى ليس بعَدَدٍ وتوضيح المرام:

انَّ الكِبَرُ والعِظَمُ لا يَتَحَقَّقانِ الا في الكَمِّيَّاتِ مُتَصِّلَةً كانت كالأَجْسَامِ او مُتَفَصِّلَةً كالأَعْدَادِ والله تعالى مُنْزَعٌ عَنْهُمَا فَهُوَ لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ وَلَا ذِي عِظَمٍ اَمَّا اِنَّه تعالى لَيْسَ مِنَ الكَمِّيَّاتِ المُتَصِّلَةِ فَلأَنَّ الكَمَّ مِنَ العَوَارِضِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَحْدُودٌ مُتَنَاهٍ فِي الحُدُودِ الثَّلَاثَةِ اعني الطُّولَ والعَرْضَ والعُمُقَ والعَرْضُ قائمٌ بِالغَيْرِ فَإِنَّ وجوده في نفسه وجوده لِمَوْضُوعِهِ فَلَا قِوامَ لَهُ خَارِجاً مَعَ قَطْعِ النِّظَرِ عَنِ مَوْضُوعِهِ وَالواجِبُ قائمٌ بِذاتِهِ مُسْتَغْنِي عَنِ المَحَلِّ وَغَيْرِهِ وَالغَيْرُ محتاجٌ اليه وَمَا كانَ كَذَلِكَ لا يَكُونُ عَرَضاً فلا يَكُونُ كُما واذا لم يَكُنْ كُما فَلَيْسَتْ لَهُ اَمْتِداداتٌ فَإِنَّ الأَبْعَادَ الثَّلَاثَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالكَمِّ هَذَا اَوَّلًا:

وثانياً، إن الإمتداد في الأبعاد يوجب التَّجْسِيم وهو ملازم لِلْحُدُوث وهو تعالى قديم لا حادث والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله فكَبَّرته تَجْسِيماً اي كَبَّرته النَّهَائِيَات كذالك كما نرى في الأجسام وهكذا الكلام في العِظْم فإن الغايات به مُتَنَاهِيَةٌ موجبة لتجسيده والحق أن الكِبَر يقابل الصِّغَر والعِظْم يقابل الحِقَر يقال كبير او صغير كما يقال عظيم او حقير والمعنى سلب الكِبَر والعِظْم عنه تعالى بهذا المعنى لا مُطلقاً كيف وهو قد وصف نفسه بهما في موارد كثيرة في كتابه قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ (١)

و: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢)

و: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (٣)

و: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٤)

وفي الثاني: قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤْدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٥)

و: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٦) والذي يُسهل الأمران لكل واحد من الكبر

والعِظْم معنيين احدهما محسوس مُتعارف والآخر معقول.

فالكِبَر المَحْسُوس ما لا يَنفَك عن الكَم مُتَصِلاً او مُنْفَصِلاً كالأجسام والأعداد، والكِبَر المعقول ما ليس كذلك اي لا يُعْتَبَر فيه الكُمِيَّة وهكذا الكلام في العِظْم فإنه تارة يُطلق ويُرَاد به العِظْم الجِسْمِي واخرى غيره والفرق بين الكِبَر والعِظْم في المعنى العقلي لا يكون الا بالاعتبار والا فهما فيه واحد واما المعنى العرفي فالفرق بينهما واضح ثابت وهو الكِبَر لا يصح الا في الكُمِيَّات كما يقال هذا اكبر من هذا او هذا العدد اكبر من هذا العدد والعِظْم اعم منه وقيل لا فرق بينهما الا بحسب موارد الإستعمال وكيف كان فالمراد بهما في المقام هو معناهما العرفي الجِسْمِي لا المَعْنَوِي العقلي فإن الله تعالى يتَّصِف بهما عقلاً ومَعناً كما عرفت من الآيات واما الكِبَر والعِظْم بمعناهما المُتعارف بين الناس فلا:

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

١- رعد- ٩  
 ٢- الحج- ٦٢ ولقمان- ٣٠  
 ٣- غافر- ١٢  
 ٤- فاطر- ٣٢، الشورى- ٢٢  
 ٥- البقرة- ٢٦٢  
 ٦- الحاقة- ٥٢

وامّا الفرق بين الجسم والجسد فقد يقال انّ الجسم اعمّ من الجسد فكلّ جسم جسّد ولا عكس، وايضا الجسم ليس له لون كالماء والهواء والجسد له لون قاله الخليل واستدلّ على ما ذكره بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾<sup>(١)</sup> وقيل انّ الجسد لا يقال لغير الأنسان والجسم يقال له ولغيره وامثال ذلك من الأقوال وانت ترى انّ هذه الإستخراجات ممّا لا يُعتمد عليه قال تعالى: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾<sup>(٢)</sup> وقيل الحقّ في الفرق بينهما انهما قد يتحدان وقد يفترقان فبينهما عموم وخصوص من وجه الا ترى انه يقال روح مُجسّد ولا يقال روح مُجسّم، ويضعف بانّ هذا الإطلاق مجاز لا حقيقة وعليه فلم لا يقال روح مُجسّم، بل الحقّ الحقيقي بالإتباع هو عدم الفرق بينهما الا اعتبارا وبذلك ظهر لك انّ قوله ﷺ في الجملة الأولى تجسيما وفي الثانية تجسيدا للإشارة الى نفي التجسيم والتجسيد معا عنه تعالى فالمعنى انه تعالى ليس بذئ كبر امتدت به النهايات اشارة الى انّ الجسم الذي له ابعاد يكون متناهيا فانّ البعد متناه كما ثبت في محله وحيث انّ الجسم له ابعاد ثلاثة فامتدادها في الجهات يُوجب التجسيم اذ لا نعني بالجسم الا هذا وليس بذئ عظيم تناهت به الغايات اشارة الى انّ العظيم وان بلغ ما بلغ في عظمته اذا كان متناهي الغايات فهو يُوجب التجسيد اي يتشكّل منه جسّد لا محالة اذ الجسد ماله مبدء ومُنتهى فالله تعالى كبير لا بمعنى له ابعاد امتدت به النهايات وعظيم لا بمعنى له غاية بلا نهاية لكبره ولا غاية لعظمته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

□ قوله ﷺ: بَلْ كَبُرَ شَانًا وَعَظْمَ سُلْطَانًا...

والمعنى انّ كبره تعالى شانيّ وعظمه قهريّ.

انما اتى بكلمة (بل) التي تفيد الإستدراك لأنّ نفي الكبر والعظم عنه تعالى يُنافي الدالة على ثبوتهما في حقه ظاهرا فاستدرك ﷺ كلامه وقال بل كبر شانا وعظم سلطانا، اي المسلوب عنه تعالى هو الكبر والعظم بالمعنى الذي ذكرناه

لا مُطلقاً فهو كبيرٌ من حيث الشَّان والرَّفعة وعظيمٌ في القهر والغلبة فنفي ﷺ ما  
ينافي الواجب واثبت ما يوافق وجوده ووجوبه:

□ قوله ﷺ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ﷺ...

بعد ذكر الله سبحانه وتعالى وبيان نبذة من اوصافه ونعوته اردف ﷺ كلامه  
بالشهادة على الرسول كما هو الحق المتعارف فان الإسلام يتحقق بالشهادتين  
فينبغي ذكر الرسول ﷺ بعد ذكر الله تعالى:

وقد ذكر ﷺ من اوصافه ﷺ وصفين احدهما انه ﷺ كان صفيًا والآخر انه  
كان امينا رضيًا:

اعلم: ان الصفي والصافية ما يصطفيه الرئيس لنفسه قال الشاعر:

(لك المربع منها والصفايا)، وذلك لأن اصل الصفا خلوص الشيء من  
الشوب ومنه الصفا للحجارة الصافية ومعنى كونه ﷺ صفيًا له تعالى انه كان  
خالصًا في عبوديته عن شوب الشرك والرياء وكل ما ينافي الخلوص في  
العبودية، او انه كان خالصًا عن الخبائث والأرجاس الظاهرية والباطنية، او ان  
الله تعالى اخلصه من بين عباده للرسالة اي اختاره كذلك فان الإصطفاء  
الإختيار ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي  
وَبِكَلَامِي﴾ (١)

و: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٢)

وقال في آدم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٣)

وقوله ﷺ: وامينه الرضي اي امينه على رسالاته والرضي اسم من الرضى  
وهو المحب الضامر:

فذكر ﷺ مقام العبودية أولاً والرسالة ثانياً والصفاة ثالثاً والأمانة رابعاً وكونه  
رضياً خامساً.

□ قوله ﷺ: أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وَظُهُورِ الْفَلَجِ وَإِضَاحِ الْمُنْهَجِ...  
 والضُّمير في أرسله إلى مُحَمَّدٍ ﷺ أي أرسل الله مُحَمَّدًا ﷺ بوجوب  
 الحُجَجِ أي الحُجَجِ الواجبة من المعجزات والكرامات وخوارق العادات التي  
 يجب قبولها على عامة الناس لظهورها في الدلالة على رسالته وصِدْقِ دعوته،  
 وظهور الفلج والظفر على الشرك وإيضاح المنهج والطريق إلى الله:  
 □ قوله ﷺ: فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا وَأَقَامَ  
 أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ...

الفاء للتفريع فَبَلَّغَ الرِّسُولَ ﷺ رسالته حال كونه صادعاً بها كما قال تعالى:  
 ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup> وأصل الصَّدْعُ الشَّقُّ في  
 الأجسام الصُّلبة وعنه استعير صَدَعُ الأمر أي فَصَلَهُ فَقَوْلُهُ ﷺ صَادِعًا بِهَا المراد  
 به الإجتهد والمَشَقَّةُ في أمر الرِّسَالَةِ والمعنى مُجِدًّا مُجْتَهِدًا بِهَا فَاصِلًا بِهَا بَيْنَ  
 الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَقَوْلُهُ ﷺ وَإِضَاحِ الْمُنْهَجِ.

إشارة إلى أن الطريق كان قبل رسالته ﷺ خَفِيَّةً غَيْرَ وَاضِحَةٍ فَهُوَ أَوْضَحَهُ  
 لِلنَّاسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى  
 الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾<sup>(٤)</sup>

وقوله صادعاً بها إشارة إلى صُعُوبَةِ الرِّسَالَةِ حَيْثُ أَنَّهَا تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي  
 الصَّدْعِ وَالْمَشَقَّةِ وَقَوْلُهُ ﷺ: وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، أَي حَمَلَ النَّاسَ  
 عَلَى الْجَادَّةِ الْوَاضِحَةِ وَهِيَ طَرِيقُ الشَّرِيعَةِ دَالًّا أَي حَالِ كَوْنِ الرِّسُولِ ﷺ دَالًّا  
 وَهَادِيًا إِلَيْهَا بَرَاءَةَ الطَّرِيقِ وَتَمْيِيزَ الْحَقِّ عَنِ الْبَاطِلِ، وَأَقَامَ أَي الرِّسُولُ أَعْلَامَ  
 الْإِهْتِدَاءِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعِزَّتِهِ الطَّاهِرَةَ لِقَوْلِهِ ﷺ أَنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ التَّقْلِينَ  
 كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا أَبَدًا فاعلام الدين جلَّيته

وَطَّرَقَهُ وَاضِحَةٌ لِيَهْلِكَ مِنْ هَلَكٍ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيُحْيِي مَنْ حَيَّيْنَا عَنْهَا، وَقَوْلُهُ ﷺ:  
 وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، فَالْمُرَادُ بِهِ مَا يُسْتَضَاءُ بِهِ وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا وَضِيهُ فَإِنَّ الْكِتَابَ  
 وَالسُّنَّةَ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْإِمَامِ الْعَارِفِ بِهِمَا لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ الْإِسْتِضَاءَةَ بِهِمَا  
 لِكُونِهِمَا صَامَتَيْنِ وَلِسَانَهُمَا الْإِمَامَ وَهُوَ وَاضِحٌ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً وَعَزَا الْإِيمَانَ وَثِيْقَةً...

الْأَمْرَاسُ جَمْعُ مَرَسٍ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ جَمْعُ مَرَسَةٍ أَيْضًا بِالتَّحْرِيكِ وَالْمَرَسَةُ  
 الْحَبْلُ وَالْمَتِينُ الْمُتَّقِنُ الْمُحْكَمُ وَالْمَعْنَى جَعَلَ الرَّسُولُ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ وَحِبَالَ  
 الدِّينِ مَتِينَةً مُتَقَنَةً وَحِبَالَ الْإِيمَانِ وَثِيْقَةً مُحْكَمَةً، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ  
 مَاتَ بَعْدَ اكْتِمَالِ الدِّينِ وَابْتِطَاعِ الطَّرِيقِ الْمُوصِلَةِ إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْيَقِينِ فَلَمْ  
 يَتْرُكِ النَّاسَ سُدْمَى لِيَخْتَرَعُوا فِي الدِّينِ مَا شَاءُوا وَيَجْعَلُوا أَمْرَ الْوَصَايَةِ بَيْنَهُمْ  
 شُورَى بَلْ اكْتَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الدِّينَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ فِيمَا قَالَ فِي  
 حَيَاتِهِ وَأَوْصَى بِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ (مِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقٍ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ).

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ  
 وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ...

أَي لَوْ فَكَّرُوا وَتَدَبَّرُوا فِي مَا أَوْجَدَهُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ وَأَفَاضَهُ مِنْ نِعْمَتِهِ لَرَجَعُوا  
 عَنِ الطَّغْيَانِ وَالْخِلَافِ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَخَافُوا عَذَابَهُ فِي الدَّارِينَ وَالتَّخْصِيصِ  
 بِالْآخِرَةِ لِكُونِهِ فِيهَا أَشَدَّ وَأَجَلَ هَذَا أَمْرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ  
 بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي آيَاتِهِ التَّكْوِينِيَّةِ فَضْلًا عَنِ التَّدْوِينِيَّةِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ إِذَا تَدَبَّرُوا  
 فِيهَا عَلِمُوا لَا مَحَالَةَ أَنَّ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ عَلَى أَقْسَامِهَا وَأَصْنَافِهَا  
 وَصِغَرِهَا وَكِبَرِهَا وَلَوْنِهَا وَشَكْلِهَا وَغَيْرِهَا مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقَةِ الْمَوْدَعَةِ فِيهَا لَهَا  
 خَالِقٌ حَكِيمٌ وَقَادِرٌ عَلِيمٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثًا فَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ  
 يَتَوَجَّهُ الْعَاقِلُ إِلَى الْمَبْدَأِ الْأَعْلَى وَيُحْكَمُ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ  
 وَيُحْكَمُ مَا يُرِيدُ فَتَجِبُ طَاعَتُهُ عَقْلًا وَعَدَمُ مُخَالَفَتِهِ قَطْعًا وَلَا يُمْكِنُ طَيِّ هَاتَيْنِ  
 الْمَرَحَلَتَيْنِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ وَالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا  
 الْمَقَامِ بِسَبَبِ التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فَرَجَعَ فِي الْحَقِيقَةِ عَنِ الْغَفْلَةِ إِلَى الْيَقِظَةِ وَمِنْ

الضلالة والغواية الى الهدى ولازم ذلك هو الخوف من عذابه يوم القيامة كل ذلك ببركة التأمل والتعمق في الآفاق والآنفس والتفكر في آياته.

□ قوله ﷺ وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ وَالْبَصَائِرُ مَدْحُولَةٌ أَلَّا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَاتَّقَنَ تَرْكِيْبَهُ وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ...

كلمة (لكن) للإستدراك فكأنه قيل له ﷺ ان كان كذلك فلم لا يرجعون الى الطريق ولا يخافون عذاب الحريق والحال ان الناس يرون عظيم قدرته وجسيم نعمته والقوة المفكرة ايضا لهم موجودة فقال ﷺ في الجواب نعم ولكن القلوب عليلة مريضة كليلة لا يمكن لها التفكر صحيحا والبصائر مدحولة اي معيبة، كما قال تعالى في القلوب: ﴿ولهم قلوب لا يفقهون بها﴾<sup>(١)</sup> و: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٢)</sup>

وفي البصائر - المراد بها عين البصيرة والمقصود انهم لا بصيرة لهم في الأمور ويمكن ان يراد بها معناها الأعم من البصيرة الظاهرة بسبب العين والبصيرة الباطنة بسبب القلب وكيف كان فالمراد بتزويلهم منزلة من لا يبصر بالعين ولا يدرك بالقلب لوجود العلة فيهما فكونها مدحولة اشارة الى ان كثيرا من الناس كذلك ثم قال ﷺ الا ينظرون الى صغير ما خلق اي المخلوق الصغير بحسب الجثة وتخصيصه بالذكر مع ان المخلوق كذلك للإشارة الى كمال قدرته تعالى حيث جعل في الصغير ما جعل في الكبير بل ازيد واكثر فهو ادل على قدرته وهو واضح فقال كيف احكم الله تعالى خلقه من غير نقص واتقن تركيبه وجسمه من غير عيب وضعف وفلق له السمع والبصر فيسمع ويبصر وسوى له العظم والبشر والجلد كما هو المشاهد المحسوس:

□ قوله ﷺ: أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صَغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصْرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ...



النَّمْلَةُ بفتح النون وسكون الميم واحدة النَّمْل والجمع نَمال وصِغَرُ جُثَّتِهَا  
ولطافة هَيْئَتِهَا مَعْلُومَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ بِحَيْثُ لَا تَنَالُ بِلِحْظِ الْبَصْرِ إِلَّا بِالذِّقَّةِ وَلَا  
بِمُسْتَدْرِكَ الْفِكْرِ إِلَّا بِعُسْرِ وَمَشَقَّةٍ.

□ قوله ﷺ: كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى حُجْرِهَا  
وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا...

دَبَّتْ مِنْ دَبَّ يَدْبُ وَالذَّبِيبُ مَشِيٌّ خَفِيفٌ وَهُوَ فِي الْحَيَوَانَ وَالْحَشَرَاتِ  
أَكْثَرُ وَمِنْهُ الدَّابَّةُ وَهِيَ كُلُّ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي  
الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (١)

وقوله صَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا قَالَ بَعْضُ الشَّرَاحِ وَهُوَ عَلَى الْعَكْسِ أَي صَبَّ  
رِزْقُهَا عَلَيْهَا، أَقُولُ لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذَا التَّكْلُفِ فَإِنَّ الصَّبَابَةَ جَاءَتْ بِمَعْنَى مَالَتْ  
يُقَالُ صَبَا إِلَى كَذَا صَبَابَةً أَي مَالَتْ نَفْسُهُ نَحْوَهُ مُحِبَّةٌ لَهُ وَالْمَعْنَى كَيْفَ دَبَّتْ  
وَمَشَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَمَالَتْ وَاشْتَاقَتْ نَفْسُهَا عَلَى رِزْقِهَا مُحِبَّةٌ مِنْهَا لَهُ تَنْقُلُ  
الْحَبَّةَ إِلَى حُجْرِهَا وَبَيْتِهَا وَتُعِدُّهَا أَي الْحَبَّةَ فِي مُسْتَقَرِّهَا وَمَسْكَنِهَا.

□ قوله ﷺ: تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وِرْوُدِهَا لِصَدْرِهَا مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا  
مَرَزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا...

أَي تَجْمَعُ النَّمْلَةُ الْحَبَّةَ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا أَي فِي صَيْفِهَا لِشِتَائِهَا وَفِي وِرْوُدِهَا  
لِصَدْرِهَا أَي فِي وِرْوُدِهَا لِرْجُوعِهَا وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْعَجْزِ وَالتَّمَكُّنِ وَالْمَعْنَى  
تَجْمَعُ فِي أَيَّامِ التَّمَكُّنِ وَالْقُدْرَةِ لِأَيَّامِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ أَوْ أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنِ حِرْصِهَا  
عَلَى الْجَمْعِ، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا أَي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى كَذَلِكَ مَعَ أَنَّهَا مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا  
فَإِنَّ اللَّهَ مُتَكَفِّلٌ لِرِزْقِهَا.

فَهِيَ مَرَزُوقَةٌ بِرِزْقِهَا الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ لَهَا وَالْحَاصِلُ أَنَّ هَذَا الْحَيَوَانَ مَعَ أَنَّهُ  
مَرَزُوقٌ مِنْ رَبِّهِ يَجْتَهِدُ فِي تَحْصِيلِهِ.

□ قوله ﷺ: لَا يُغْفَلُهَا الْمَنَانُ وَلَا يُحْرِمُهَا الدِّيَانُ وَلَا وَفِي الصِّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ  
الْجَامِسِ...

اي لا يتركها الله المَنَّانُ غَفْلَةً عنها ولا يُحرمها عن رزقها الخالق الديان اي  
المُعطي وقيل القاضي والحاكم ولو في الصفا اي ولو كانت النملة في الصفا  
اليابس الذي لا يَبُت شيئا والحجر الجامس الجامد كالجبال فان الله تعالى  
يرزقها في كل مكان ويوصل اليها قوتها في كل زمان:

□ قوله ﷻ: **وَلَوْ فَكَّرْتْ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا وَفِي عُلُوقِهَا وَسُقْلِيهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ  
مِنْ شَرَّاسِيفِ بَطْنِهَا وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا...**

اي لو فكرت وتاملت في اعضاء بدنها واحشائها وامعائها من الرأس الى  
الرجل وما في جوفها من اطراف اضلاعها وما في راسها من عينيها واذنها  
وغيرها من اسرار الخلقه فيها:

□ قوله ﷻ: **لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا  
عَلَى قَوَائِمِهَا وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا...**

اي لو فكرت فيما او مانا اليه لقضيت وحكمت من خلق النملة عجبا ولقيت  
من وصفها تعباً ومشقة لعدم قدرة الإنسان على وصف هذا الحيوان كما هو  
حقه من كثرة وجود البدائع في وجودها فتعالى الله الذي اقامها اي اقام النملة  
على قوائمها مع ما فيها من اللطافة والديقة وبناهها على دعائمها واركانها، استعار  
ﷻ لفظ الدعامة التي هي عمود البيت لما يقوم به بدنها تشبيها لها بالبيت:

□ قوله ﷻ: **لَمْ يَشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَلَمْ يُعْنَهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ...**

اي لم يشرك الله تعالى في ايجاد النملة خالق آخر ولم يعنه في خلقها قادر  
لعدم احتياجه الى الشريك في الخلق ولا الى الاستعانة من غيره في فعله بل  
الكل يحتاج اليه وهو غني عما سواه:

□ قوله ﷻ: **وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبْلَغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى  
أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّحْلَةِ...**

اي لو اردت الاطلاع على اسرار الخلقه والوصول الى غاية ايجاد النملة او  
مطلق الخلق لدريت ان فاطر النملة وموجدها مع صغر جثتها هو خالق النحلة

مع طولها وعظمتها بالنسبة الى النملة فالخالق فيهما واحد ولا فرق في الإيجاد بينهما وليس خلق الصَّغِيرِ اسهَلُ له من خلق الكبير وفيما ذكره ﷺ اشارة الى ان غاية الخِلقَة ممَّا لا يكاد لأحد الوصول اليها فلا يصل الفكر الآ الى ما او مانا اليه.

□ قوله ﷺ: لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّْ وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ. وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَّاحُ...

واللَّامِ فِي قَوْلِهِ ﷺ لِذَقِيقِ لِلتَّعْلِيلِ فَكَانَتْ قِيلَ لَهُ ﷺ وَلِمَ لَا يُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَى غَايَةِ الْخَلْقَةِ فَقَالَ ﷺ: لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ أَي لِأَنَّ تَفْصِيلَ الْمَخْلُوقِ مِنْ حَيْثُ الْوُجُودِ وَالْأَسْرَارِ الْمَوْدَّعَةِ فِيهَا ذَقِيقٌ جَدًّا وَالْعِلْمُ بِسَبَبِ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَ مَخْلُوقٍ وَمَخْلُوقٍ صَعْبٌ عَسِيرٌ لَعَمْرُؤِهِ وَصَعُوبَتُهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجَلِيلَ.

اللَّطِيفَ كَالْمُجْرَدَاتِ مِنَ الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ وَالْمَوْجُودَاتِ اللَّطِيفَةَ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْهَوَاءِ، وَالثَّقِيلَ كَالْجِبَالِ وَالْأَرْضِ وَالْخَفِيفَ وَهُوَ مَا لَيْسَ بِثَقِيلٍ جَسْمًا وَالْقَوِيَّ وَالضَّعِيفَ فِي خَلْقِهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا فِيْمَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَعَلُّقِ الْإِيجَادِ بِهَا عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ وَلَا فَرْقَ فِيهَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ فَأَيْضًا مَخْلُوقَاتٌ لَهُ تَعَالَى فَهَذَا مَقَامُ الْإِجْمَالِ:

□ قوله ﷺ: فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ...

ثم أشار ﷺ إلى مقام التفصيل فذكر ﷺ عدَّة أشياء من المخلوقات لتكون على بصيرة فيما أفاده ﷺ فقال فانظر إلى الشمس والقمر إلى آخر ما قال وتأمل فيها تجد مغنم كثيرة في معرفة الله وتوحيده فإن هذه الموجودات على اختلافها كمًا وكيفًا وحركاتها بطئا وسرعةً قد نطقت بلسان الحال بأن لها خالقا مُدبِّرا وصانعا عليمًا قديرا أن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ولذا قال ﷺ:

□ قوله ﷺ: قَالَ الْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَلَا لِإِخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ...

المُقَدَّر والمُدَبِّر يمكن كسر الدال فيهما وفتحها.

فعلى الأول: الويل لمن جحد وانكر المُقَدِّر لهذه التقديرات والمُدَبِّر لهذه التَّدبِيرات وهو الله تعالى.

وعلى الثاني: الويل لمن انكر ما تعلق به التُّقدير والتَّدبِير اعني المخلوق ومن المعلوم ان انكار المخلوق ملازم لإنكار الخالق ثم قال ﷺ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا مَا يَنْبُتُ فِي الْبَحَارِ وَالصَّحَارِيِّ وَالْجِبَالِ وَيَطُونُ الْأُودِيَةَ لَا مَا فِي الْمَزَارِعِ فَإِنَّ لَهَا زَارِعًا وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى النَّبَاتَاتُ عَلَى قِسْمَيْنِ قِسْمٌ مِنْهَا لَهُ زَرْعٌ وَزَارِعٌ كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرَهُمَا وَقِسْمٌ مِنْهَا لَا زَرْعٌ وَلَا زَارِعٌ لَهُ ظَاهِرًا كَالنَّبَاتَاتِ الْمُنْبَتَةِ فِي الصَّحَارِيِّ وَغَيْرِهَا وَأَمَّا قُلْنَا ظَاهِرًا لِأَنَّ لَهَا إِيضًا زَرْعًا وَزَارِعًا فِي الْوَاقِعِ إِذَا الْمَخْلُوقُ لَا يُوْجَدُ مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ وَالْمَعْلُولُ لَا يَتَحَقَّقُ بَدُونَ الْعِلَّةِ نَعَمْ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ لَا زَارِعَ لَهَا يَشَارُ إِلَيْهِ فَقَوْلُهُ ﷺ إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ مِنَ النَّبَاتِ وَأَنَّهُمْ زَعَمُوا لَا خَالِقَ لَهُمْ ظَاهِرًا وَوَاقِعًا وَهَذَا زَعْمٌ فَاسِدٌ وَظَنٌّ كَاسِدٌ وَقَوْلُهُ وَلَا لِإِخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ، أَي وَزَعَمُوا إِيضًا أَنَّ إِخْتِلَافَ صُورِهِمْ لَا صَانِعَ لَهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْمُصَوِّرُ كَمَا قَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾<sup>(٥)</sup>

□ قوله ﷺ: وَلَمْ يَلْجُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا وَهَلْ يَكُونُ

بِنَاءٍ مِنْ غَيْرِ بَانَ أَوْ جِنَايَةً...

اي وَلَمْ يَعْتَمِدُوا إِلَى حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ فِيمَا ادَّعَوْهُ مِنْ نَفْيِ وَجُودِ الْخَالِقِ مَعَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَدَّعِي مَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَلَا تَحْقِيقَ فِيمَا أَوْعَاوْا أَيِ وَلَمْ يَعْتَمِدُوا إِلَى تَحْقِيقِ فِيمَا أَوْعَاوْا وَحِفْظِ الْمَقْصُودِ أَنَّ مُدَّعَاهُمْ عَارٍ مِنَ الدَّلِيلِ وَخَالٍ عَنِ التَّحْقِيقِ وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يُسْمَعُ وَلَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ كَيْفَ لَا وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانَ وَجِنَايَةٍ مِنْ غَيْرِ جَانٍ، الْإِسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ أَيِ لَا يَكُونُ فَإِنَّ الْبِنَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْبَانِي وَالْجِنَايَةَ عَلَى الْجَانِي فَإِنَّ الْمَعْلُولَ حَدُّ نَاقِصٍ لِلْعَلَّةِ وَهَذَا الْبُرْهَانُ يُسَمَّى بِالْآنِ عِنْدَهُمْ كَمَا أَنَّ عَكْسَهُ اعْنِي الْعِلْمَ مِنَ الْعَلَّةِ بِالْمَعْلُولِ يُسَمَّى بِاللِّمِّ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ مُفْضَلًا:

□ قوله ﷻ: وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرًا وَابْنِ وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرًا وَابْنِ...

الْجَرَادَةُ وَاحِدَةٌ الْجَرَادُ فَالْتَاءُ لِلْوَحْدَةِ لَا لِلتَّانِيثِ فَإِنَّ الْمَذْكَرَ وَالْمُؤنَّثَ فِيهِ سَوَاءٌ كَالنَّمْلَةِ الَّتِي مَضَتْ ذَكَرُهَا وَقِيلَ أَنَّ الْجَرَادَةَ تَكُونُ إِنثَى يُقَالُ هَذِهِ جَرَادَةٌ إِنثَى كَنَمْلَةٍ وَحَمَامَةٍ، وَالْجَرَادُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَرْدِ يُقَالُ ثُوبٌ جَرْدٌ أَيِ امْلَسَ وَيُقَالُ لَهَا بِالْفَارْسِيَّةِ (مَلَخَ) وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ آفَاتِ الزَّرْعِ:

وَحَيْثُ أَنَّهُ ﷻ فَرَّغَ مِنْ ذِكْرِ النَّمْلَةِ شَرَعَ بِذِكْرِ الْجَرَادَةِ وَهِيَ أَيْضًا حَاوِيَةٌ لِأَسْرَارِ الْخَلْقَةِ مَعَ صِغَرِ جُثَّتِهَا وَقَلَّةِ حَجْمِهَا وَجَسَدِهَا فَقَالَ ﷻ إِذْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا أَيِ لِلْجَرَادَةِ عَيْنَيْنِ حَمْرًا وَابْنِ لَوْنًا وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرًا وَابْنِ ضِيَاءً وَنُورًا وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عَيْنَيْهَا لَهَا حُمْرَةٌ وَالْحَدَقَتَيْنِ فِيهِمَا مُنِيرَتَيْنِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَقَوْلُهُ ﷻ: أَسْرَجَ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْحَدَقَتَيْنِ كَالسَّرَاجَيْنِ وَفِيهِ اسْتِعَارَةٌ كَمَا لَا يَخْفَى وَهَكَذَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ قَمْرًا وَابْنِ حَيْثُ شَبَّهَهَا بِالْقَمَرِ فِي الْإِضَاءَةِ:

□ قوله ﷻ: وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْقَمَّ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ...

اي جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَرَادَةِ سَمْعًا خَفِيًّا فَتَسْمَعُ بِهِ وَفَمَا سَوِيًّا فَتَاكُلُ

وتشرب به وجعل لها الجِسَّ القوي من الشّامة والذائقة واللامسة فتحس به:  
 □ قوله ﷺ: وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرُضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرْعُ فِي زُرْعِهِمْ  
 وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَا أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثُ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِي  
 مِنْهُ شَهَوَاتِهَا وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعًا مُسْتَدَقَّةً...

الواو للعطف اي وجعل لها نابين اي سنين تقرض وتقطع الجراة الزرع  
 والحبّ بهما وايضا جعل لها منجلين اي يدين او رجلين شبيهتين بالمنجل  
 والمنجل كمنبر آلة من حديد يقضب به الزرع وهو بالفارسية (داس)  
 يرهبها الزرع اي يخافون منها في زرعهم لأنها تاكله والحال انهم لا يستطيعون  
 ولا يقدرون ذبها ومنعها عن الأكل ولو اجلبوا اي تالبوا بجمعهم على دفعها  
 فهي كذلك حتى ترد الحرث في نزواتها ووثوبها عليه وتقضي منه اي من  
 الزرع شهواتها والعجب ان هذا الحيوان كله من حيث الجئة لا يكون بقدر  
 اصبع مستدقة ثم زاد التعجب منه ﷺ فقال.

□ قوله ﷺ: فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا  
 وَكَرْهًا وَيَعْفُو لَهُ خُذًا وَوَجْهًا...

اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا  
 وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾<sup>(١)</sup>

وفي قوله له تعنوله، اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ  
 خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾<sup>(٢)</sup>

□ قوله ﷺ: وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا...  
 الظاهر ان قوله ﷺ يلقي ويعطي بضم الياء فيهما من القى يلقي واعطى  
 يعطي والمعنى ان الله تعالى هو الذي يلقي الى العبد او الى الخلق بالطاعة  
 والإنقياد ويعطي له القيادة والإمتثال خوفا ورهبا وعليه فان ارجعنا الضمير في  
 قوله (اليه وله) الى المكلفين منهم فالطاعة والإنقياد تشريعية اختيارية وان

ارجعناه الى مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَالطَّاعَةُ تَكْوِينِيَّةٌ.

□ قوله ﷻ: **فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبْسِ...**

قال الله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾** (١)

و: **﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾** (٢) وقوله ﷻ: وارسى قوائمها اي احكمم واثبت

قوائمها على الرطب واليابس والبحر والبر.

□ قوله ﷻ: **وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ...**

فقوله ﷻ: **وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا**، اشارة الى قوله تعالى: **﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾** (٣)

وقوله ﷻ: **وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا** الى قوله تعالى: **﴿مَا مِنْ ذَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾** (٤)

وسياتي الكلام في الغراب والعقاب وغيرهما.

□ قوله ﷻ: **دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَاهْطَلَ دِيمَمَهَا وَعَدَّدَ قِسَمَهَا قَبْلَ الْأَرْضِ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا...**

اما انه دعا كل طائر باسمه فلائنه خالق الطيور والخالق يعلم اسماء مخلوقاته لا محالة والا لا يكون خالقها واما انه كفل له برزقه فقد علمت من الآية وقوله انشا السحاب الثقال فهو اشارة الى قوله تعالى حيث قال: **﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ﴾** (٥) وقوله فاهطل ديممها، الاديم بكسر الدال وفتح الياء جمع ديمة مطر يدوم وهطله تتابعه والمعنى ان تتابع المطر باذنه، وعدد قسمها معناه احصاه ما قدر منها لكل بقعة من بقاع الارض فان تعديد القسم احصاءه.

وقوله ﷺ: قَبِلَ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْضَ قَبْلَ  
 نَزُولِ الْمَطَرِ تَكُونُ يَابِسَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا وَاللَّهُ تَعَالَى يُخْرِجُ نَبَاتَهَا بِهِ، قَالَ  
 تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ  
 زَوْجٍ بَهيجٍ﴾ وقد تحصل لنا من هذه الخطبة الشريفة أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ  
 الرَّازِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّ عَجَائِبَ مَخْلُوقَاتِهِ مِمَّا لَا يَكَادُ يَحْصِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ  
 بِالْفَارْسِيَّةِ:

اسرار ازل رانه تو دانی ونه من

وین راز معما نه تو خوانی ونه من

كلماتهم حَوْلَ النَّمْلَةِ: وَحَيْثُ انْتَجَرَ الْكَلَامَ الَّتِي الْبَحْثُ فِي النَّمْلَةِ وَالْجَرَادَةِ فَلَا  
 بَأْسَ بِالْإِشَارَةِ إِلَى بَعْضِ مَا قِيلَ فِيهِمَا فَنَقُولُ أَمَّا النَّمْلَةُ قَالَ الدَّمِيرِيُّ فِي حَيَاةِ  
 الْحَيَوَانَ وَأَمَّا سُمِّيَتْ النَّمْلَةُ نَمْلَةً لِتَمَلُّهَا وَهُوَ كَثْرَةُ حَرَكَتِهَا وَقَلَّةُ قَوَائِمِهَا وَالنَّمْلُ  
 لَا يَتَزَاوَجُ وَلَا يَتَنَاحَى وَأَمَّا يَسْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ حَقِيرٌ فِي الْأَرْضِ وَيَنْمُو بِيضًا وَالْبَيْضُ  
 كَلَّمُهُ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ إِلَّا بَيْضُ النَّمْلِ فَإِنَّهُ بِالظَّاءِ وَالنَّمْلُ عَظِيمُ الْحِيلَةِ فِي طَلَبِ  
 الرِّزْقِ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ لِيَأْتُوا إِلَيْهِ وَيَقَالُ أَمَّا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْهَا رُؤْسَاءُهَا  
 وَمَنْ طَبَعَهُ أَنَّهُ يَحْتَكِرُ قُوَّتَهُ مِنْ زَمَنِ الصَّيْفِ لِمَنْ الشِّتَاءِ وَلَهُ فِي الْإِحْتِكَارِ مِنَ  
 الْحَيْلِ أَمَّا أَنَّهُ إِذَا احْتَكَرَ مَا يَخَافُ أَنْبَاتَهُ قَسَّمَهُ نِصْفَيْنِ مَا خَلَا الْكُفْرَةَ فَإِنَّهُ  
 يَقْسِمُهَا رَبَّاعِيًا لِمَا لَهُمْ أَنْ كُلَّ لَفِيفٍ مِنْهَا يَنْبِتُ وَإِذَا خَافَ الْعُضَّ عَلَى الْحَبِّ  
 أَخْرَجَهُ إِلَى ظَاهِرِ الْأَرْضِ وَنَشَرَهُ وَكَثَّرَ مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لَيْلًا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ وَيَقَالُ  
 أَنَّ حَيَاتَةَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ مَا يَأْكُلُهُ وَلَا قَوَامَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ جُوفٌ يُنْفَذُ فِيهِ  
 الطَّعَامُ وَلَكِنَّهُ مَقْطُوعٌ نِصْفَيْنِ وَأَمَّا قُوَّتُهُ إِذَا قَطَعَ الْحَبَّ فِي اسْتِنشَاقِ رِيحِهِ فَقَطُّ  
 وَذَلِكَ بِكَفَيْهِ وَقَدْ قِيلَ أَنَّهُ لَا يَحْتَالُ لِقُوَّتِهِ إِلَّا الْإِنْسَانُ وَالْعَقَّاقُ وَالنَّمْلُ وَالْفَارُ  
 وَقِيلَ أَنَّ الْبَلْبَلُ أَيْضًا يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ، ثُمَّ أَنَّ النَّمْلَ شَدِيدُ الشَّمِّ وَمِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِهِ  
 بَنَاتُ اجْتِنَحَتِهِ فَإِذَا صَارَتْ النَّمْلُ كَذَلِكَ أَخْفَتِ الْعَصَافِيرُ لِأَنَّهَا تَصِيدُهَا فِي حَالِ  
 طَيْرَانِهَا وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى إِشَارَ الشَّاعِرُ حَيْثُ قَالَ:



وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ اجْنِحَةُ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا اجَلَّهُ

وَالنَّمْلُ يَحْفَرُ قَرِيْبَتَهُ بِقَوَائِمِهِ وَهِيَ سِتٌّ فَإِذَا حَفَرَهَا جَعَلَ فِيهَا تَعَارِيْجَ لِكَلِّهَا  
يَجْرِي إِلَيْهَا مَاءُ الْمَطَرِ وَرَبَّمَا اتَّخَذَ قَرِيْبَةً فَوْقَ قَرِيْبَةٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ  
خَوْفًا عَلَيَّ مَا يَدْخُرُهُ مِنَ الْبِلَلِ قَالَ وَكَانَ عَدِي ابْنُ حَاتِمِ الطَّائِي يَفْتُ الْخُبْزَ  
لِلنَّمْلِ وَيَقُولُ أَنَّهُنَّ جَارَاتٌ وَلَهُنَّ عَلَيْنَا حَقُّ الْجَوَارِ وَسِيَاتِي انْشَاءَ اللّٰهُ فِي  
الْوَحْشِ عَنِ الْفَتْحِ ابْنِ سَخْرِبِ الرَّاهِدِ أَنَّهُ كَانَ يَفْتُ الْخُبْزَ لَهُنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَإِذَا  
كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَمْ تَأْكُلْهُ وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَانَاتِ مَا يَحْمَلُ ضِعْفَ بَدَنِهِ مَرَارًا غَيْرَهُ  
عَلَيَّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى بِأَضْعَافِ الْأَضْعَافِ حَتَّى أَنَّهُ يَتَكَلَّفُ لِحَمْلِ تَوِي التَّمْرِ وَهُوَ لَا  
يَنْتَفِعُ بِهِ وَإِنَّمَا يَحْمَلُهُ عَلَيَّ حَمْلَةَ الْجِرْصِ وَالشَّرْهِ وَيَجْمَعُ غِذَاءَ سِنِيْنٍ لَوْ عَاشَ  
وَلَا يَكُونُ عَمْرُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ وَمِنْ عَجَائِبِهِ اتَّخَذَ الْقَرِيْبَةَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَفِيهَا  
مَنَازِلٌ وَدِهَالِيْزٌ وَغُرَفٌ وَطَبَقَاتٌ مُعَلَّقَةٌ يَمَلُؤُوهَا حُبُوبًا وَذَخَائِرَ لِلشَّتَاءِ وَمِنْهُ مَا  
يَسْمَى الذَّرَّ الْفَارْسِيَّ وَهُوَ مِنَ النَّمْلِ بِمَنْزِلَةِ الزَّنَابِيْرِ مِنَ النَّحْلِ وَمِنْهُ أَيْضًا مَا  
يَسْمَى بِنَمْلِ الْأَسَدِ سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ مُقَدِّمَةَ يَشْبَهُ وَجْهَ الْأَسَدِ وَمُؤَخَّرُهُ يَشْبَهُ  
النَّمْلَ انْتَهَى حَيَاةُ الْحَيَوَانَاتِ بِأَبِ النَّوْنِ.

وَقَالَ الْفَرِيدُ وَجَدِي فِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ ج ١٠ حَرْفُ النَّوْنِ فِي نَمْلٍ مَا لَفْظُهُ:  
النَّمْلَةُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعِيْشُ مُجْتَمِعَةً تَتَعَاوَنُ فِي شُؤْنِ حَيَاتِهَا وَتَتَسَاعَدُ  
فِي أُمُورِ بَقَائِهَا فَهِيَ أُمَّةٌ وَشُعُوبٌ كَامِمٌ وَشُعُوبُ النَّوْعِ الْبَشَرِيِّ لَهَا نِظَامٌ  
كُنْظَامَاتِهِ وَحُكُومَاتٌ كَحُكُومَاتِهِ وَشُؤْنٌ عَامَةٌ كَشُؤْنِهِ فَهِيَ مِنْ أَعْجَابِ  
الْحَيَوَانَاتِ وَادْعَايَا لِلتَّامُّلِ وَقَدْ انْقَطَعَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَيَوَانَاتِ لِدِرَاسَاتِهَا  
سِنِيْنٍ فِي الْجِهَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا.

فَرَجَعُوا بِمَعَارِفِ ثَمِيْنَةٍ جَدًّا عَلَيَّ أَحْوَالِهَا الَّتِي تَكَادُ لَا تُصَدِّقُ لَوْ لَا أَنَّهَا مِنْ  
مَصَادِرِ عِلْمِيَّةٍ لَا شَكَّ فِي. صِحَّةِ مَقْرَرَاتِهَا النَّمْلَ لِقِيَامِ أُمُورِهِ عَلَيَّ الْإِجْتِمَاعِ  
وَالتَّعَاوُنِ لَا يَعِيْشُ إِلَّا فِي قَرْيٍ صَغِيْرَةٍ يَتَّخِذُهَا فَيَسْكُنُ فِي كُلِّ قَرِيْبَةٍ مِنْهَا عَدَدٌ

من الذكور ذوي الأجنحة ومن انثى واحدة او عدة اناث ذوات اجنحة كذلك ومن عدد كبير من نملي آخر لا اجنحة له هذا النصف الأخير ينقسم الى قسمين، قسم العملة وتمتاز بصغر رؤوسها وقسم الجنود وهي اصخم رؤوسا واقوى ايدي وقوائم وقد شوهد ان الذكور تموت بعد تلقيح الإناث وتفقد هذه اجنحتها وتختلف قرى النمل اختلافا عظيما من جهة حجومها واشكالها على حسب انواع النمل فبعض هذه القرى يكون تحت الأرض فتبنى من الطين ومواد اخرى وبعضها يكون فوق الصخور والحوائط والأخشاب او مبنية بمواد نباتية، متى تلقحت النملة ومر عليها زمن معين تلد ديدانا صغيرة فتتولى العملة من النمل تربيتها وتغذيتها واحيانا تكون تلك الديدان مسمولة في اكياس يُسميها الناس خطاء بيض النمل ثم قال:

ان اعمال النمل تدل على انها متمتعة بدرجة رفيعة من العقل وبغرائز عظيمة للإجتماع والتضامن في الحياة فاعمالها الإجتماعية لا تقتصر في بناء مساكنها والعمل على قانون التعاون والقيام بتربية الصغار ولكن يرجح ان لها نعت خاصة تفاهم بها وهو ما لم يشاهد مثله لغيره من الحيوانات ثم شوهد ان لدى مجتمعات النمل غرائز استعمارية تدفعها لشن الغارات على قرى النمل المجاورة لها اما بقصد الإستيلاء على القرية للإنتفاع بها او بقصد توسيع نطاق املاكها او الإستيلاء على صغارها ومن الغريب انها تأسر الأسرى من اعدائها فتقودهم الى معسكرها وتقتلهم او تتخذهم ارقاء وتكلفهم باسقى الأعمال في القرية الى ان قال:

ومن اعجب ما في النمل عاطفة الإذخار فتراه دائما طول الصيف على جمع الأغذية لإذخارها في قريته فاذا جاء وقت الشتاء أوى اليها واغذى بما جمعه فيها وقد شوهد ان له عناية خاصة بمخازن اغذيته فيبني حجراتها مرتفعة عن بقية الحجرات التي لا يلحقها الماء اذا سال الى القرية فيتلغها وشوهد انه يفتت القمح لكيلا يئبت.

قال - ومن النمل نمل الأبيض يوجد بآسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية وهو

اعجب انواع النمل واكثرها في اعماله شبيها بالإنسان وهو يعيش على الحالة الاجتماعية في ممالك كل مملكة تتالف من ذكور واناث ليتكثر النسل ومن جنود للحراسة والحرب ومن عملة للبناء والترميم والتموين يخرج هذا النمل بعد بلوغه كمال نموه زاحفا ملايين ملايين طالبا للرزق ثم يشرع في الطيران فيملا الجو ويداهم البيوت فيلتهم كل ما يصادفه ثم تزول عنه اجنحته يصبح عرضة لأعداءه تضع اناثه في كل يوم وليلة (٢٤ ساعة) ثمانين الف بويضة (٨٠٠٠٠) فهي من اكثر الحيوانات نسلا ثم ذكر اوصافا كثيرة له الى ان قال:

اذا قارب احدنا قرية للنمل الأبيض ظننا قرية للبشر لانها تعلوا عن الارض نحو خمسة او ست اقدام اي نحو مترين بيوتها مخروطية الشكل كاقمع السكر ولها قباب مئينة كل بيت من هذه البيوت مقسم تقسيما يحير الالباب. فتجد فيه غرفا للملكات واخرى لتربية الصغار وكلها محشوة بالمون والدخائر وقد اعتاد هذا النوع من النمل ان يجعل غرفة الملكة اكثر اتساعا واكمل زخرفة وهي تكون عادة في مركز البناء متخذة من طفل مئين مغطاة بسقف ولها ابواب ومداخل لا تدخلها الا الجنود والفعلة ولا يستطيع الملك والملكة الخروج منها وحول غرفة الملكة غرف كثيرة ذات اقدار واشكال متنوعة ولكلها اقواس وقناطر وهي تتصل بعضها ببعض بمداخل ودهاليز واقبية واروقة وجدران وسقوف واعمدة وطبقات وكل هذا مصنوع بنظام بديع وشكل جميل ومن المدهش ان هذا النمل قد ادرك فائدة تقسيم العمل قبل الإنسان بالوف من السنين فترى لكل فئة منها عملا خاصا لا تشاركها فيه سواها فمتى داهم عدد قرية للنمل اختفى العملة وخرجت الجنود للقتال والنضال فيخرج اولاً واحد منها للإستطلاع ثم يعود مخبراً بما رأى وبعد هنيهة تخرج ثلاثة او اربعة يتبعها عدد كثيف من الجيوش باذية عليها علائم الحنق فتلدغ كل ما صادفته في سبيلها ولا تفلت من تلدغه ولو قطعت اربا اربا فاذا انتهى القتال رجع الفعلة فاعادوا بناء ما تهدم يتخللها عدد من الجنود للحراسة

لا للإعانة على العمل انتهى ما ذكره ج ١٠ ص - ٣٧٣ .

اقول: الكلام حول هذا الحيوان طويل وكفاك شاهدا عليه ان العلماء الذين تخصصوا في معرفة هذا الحيوان قد ألفوا وصنّفوا فيه كتباً كثيرة مستقلة واكثرهم تحقيقاً في هذه القرون الأخيرة في النمل شخص يقال له موريس مترلينك من اهل بلجيكا، فانه ألف في النمل كتاباً عجيباً وهو الذي ادعى فيه ان انواع النمل التي ظهرت لنا الى الآن تبلغ ثلاثة آلاف نوعاً ولو لا مخافة الإطالة نقلنا فيه ما يعجبك ويدهشك فسبحان الذي خلقه بقدرته ومكّنه هذه الإمكانيات مع صغر جثته ولأجل هذا اشار امير المؤمنين عليه السلام من الحيوان الى النمل وبعده الجراد:

ثم انظر الى علي عليه السلام كيف امر الناس بالنظر الى النملة والتفكر في خلقها وما اودعه الله فيها، واما ابو حنيفة فمن كراماته التي نقلوا عنه وافتخروا بها ما رواه الدميري في حياة الحيوان والزّمخشري في كتبه وغيرهما من العامة في كتبهم والقصة مشهورة وهي ان قتادة دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضراً وهو يومئذ غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكراً ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له كيف عرفت ذلك فقال من قوله تعالى (قالت) ولو كانت ذكراً لقال (قال) اي لقال في الآية قال نملة، قال لأن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى انتهى:

اقول: هذه القصة صارت مشهورة بينهم وبين الناس والعامة تمسكوا بها وبامثالها على امامة ابي حنيفة وانه كان اعلم اهل زمانه فهو حقيق بالإمامة فكانهم جعلوا القصة قريناً لشيء القمر بالنسبة الى الرسول او لقول امير المؤمنين عليه السلام سلوني قبل ان تفقدوني ولم يعلموا ان القصة تدل على جهل قتادة لا على علم ابي حنيفة فان الاستدلال على التانيث بالفعل المستند الى الفاعل مما لا يخفى على اصاغر الطلبة فضلاً عن غيرهم فمن تعلم كتاب جامع المقدمات يعرف هذا وامثاله الا ان قتادة كان من اعراب البادية فلم

يَعَلِّمُهُ هَذَا كُلَّهُ مُضَافًا إِلَى أَنَّ كَلَامَ أَبِي حَنِيفَةَ كَانَ غَلَطًا وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَهْلِهِ  
 أَيْضًا فَإِنَّ تَانِيثَ الْفِعْلِ لَا يَدُلُّ عَلَى تَانِيثِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَاقْعَا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفِعْلَ  
 الْمُسْنَدَ إِلَى الْوَحْدَةِ وَالكَثْرَةِ وَالْقَلَّةِ مَثَلًا مُؤَنَّثٌ مَعَ أَنَّهَا لَا تَانِيثُ فِيهَا أَصْلًا وَالتَّاءُ  
 فِيهَا لِلْمَرَّةِ فَتَانِيثُ الْفِعْلِ بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ لَا بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى قَالَتْ  
 نَمْلَةٌ، لَا يَدُلُّ عَلَى تَانِيثِ النَّمْلَةِ كَمَا أَنَّ قَوْلَنَا قَالَتْ طَائِفَةٌ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَالْحَاصِلُ  
 أَنَّ تَانِيثَ الْفِعْلِ وَعَدَمَهُ بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ لَا بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى فَقَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ يَدُلُّ  
 عَلَى أَنَّ النَّمْلَةَ كَانَتْ مُؤَنَّثَةً غَلَطٌ فَاحْشُ فَنَقَلَهُ بِعَنْوَانِ الْكِرَامَةِ أَفْحَشُ وَعَلَى  
 فَرَضِ صِحَّةِ الْكَلَامِ وَأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى تَانِيثِ النَّمْلِ آيَةٌ فَائِدَةٌ فِيهِ أَلَيْسَ الْبَحْثُ  
 فِي مَعْرِفَةِ النَّمْلِ أَوْلَى مِنَ الْبَحْثِ فِي الْأَلْفَاظِ وَالْعَجَبُ مِنَ الزَّمْخَشَرِيِّ مَعَ أَنَّهُ  
 مِنْ فُحُولِ عُلَمَائِهِمْ كَيْفَ تَصَدَّقُوا لِنَقْلِ هَذِهِ الْأَرَاجِيفِ وَعَدُّهَا مِنْ فُضَائِلِ أَبِي  
 حَنِيفَةَ وَلَعَلَّهُ بَعْدَ الْفَحْصِ التَّامِ لَمْ يَوْجِدْ لَهُ فَضِيلَةً غَيْرَهُ وَلِنَخْتِمِ الْكَلَامَ فِي  
 النَّمْلَةِ وَنَتَكَلَّمُ فِي الْجِرَادَةِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ فَتَقُولُ:

قَالَ الدِّمِيرِيُّ، الْجِرَادُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْضِهِ يُقَالُ لَهُ الدَّبَابُ فَإِذَا طَلَعَتْ أَجْنَحَتَهُ  
 وَكَبُرَتْ فَهُوَ الْغَوَاغَاءُ الْوَاحِدَةُ غَوَاغَاءٌ وَذَلِكَ حِينَ يَمُوجُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ فَإِذَا  
 بَدَتْ فِيهِ الْأَلْوَانُ وَاصْفَرَّتِ الذُّكُورُ وَاسْوَدَّتِ الْأُنَاثُ سُمِّيَ جِرَادًا حِينَئِذٍ وَهُوَ إِذَا  
 أَرَادَ أَنْ يَبِيضَ التَّمَسَّ لِابْيَاضِهِ الْمَوَاضِعِ الصَّلْدَةَ وَالصَّخُورَ الصَّلْبَةَ الَّتِي لَا تَعْمَلُ  
 فِيهَا الْمَعَاوِلُ فَيَضْرِبُهَا بِذَنْبِهِ فَتَفْرَجُ لَهُ فَيَلْقِي بَيْضَهُ فِي ذَلِكَ الصَّدْعِ فَيَكُونُ لَهُ  
 كَالْأَقْحُوصِ وَيَكُونُ حَاضِنًا لَهُ وَمُرِيًّا وَلِلْجِرَادَةِ سِتَّةُ أَرْجُلٍ يَدَانِ فِي صَدْرِهَا  
 وَقَائِمَتَانِ فِي وَسْطِهَا وَرِجْلَانِ فِي مَوْخَرِهَا وَطَرَفَا رِجْلَيْهَا مَشَارَانِ وَهُوَ مِنْ  
 الْحَيَوَانَ الَّذِي يَنْقَادُ لِرَأْسِهِ فَيَجْتَمِعُ كَالْعَسْكَرِ إِذَا ظَعَنَ أَوْ تَتَابَعَ جَمِيعُهُ ظَاعِنًا  
 وَإِذَا نَزَلَ أَوَّلُهُ نَزَلَ جَمِيعُهُ وَلِعَابُهُ سَمٌّ نَافِعٌ لِلنَّبَاتِ لَا يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ إِلَّا أَهْلَكَهُ  
 وَقَدْ كَثُرَ الْكَلَامُ فِي الْجِرَادِ أَيْضًا أَنْ شِئْتَ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ  
 الْحَيَوَانَ فَعَلَيْكَ بِمِرَاجِعَةِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ لِهَذَا الْفَنِّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ:

﴿ومن خطبة له﴾ (١٨٥)

فى التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة

□ قوله ﷺ: مَا وَحَدَّهُ مَنْ كَيْفَهُ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلَهُ وَلَا إِيَّاهُ غَنَى مَنْ شَبَّهَهُ وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ غَنَى لَا بِاسْتِفَادَةٍ لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدْوَاتُ سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ وَالْإِبْتِدَاءَ أَزَلَهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ضَادَّ النَّوْرِ بِالظُّلْمَةِ وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ وَالْجُمُودَ بِالْبَلْبَلِ وَالْحُرُورَ بِالصَّرْدِ مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا.

مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَايِنَاتِهَا لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحَسَبُ بَعْدٌ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدْوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا مَنَعَتْهَا مِنْدُ الْقِدْمَةِ وَحَمَّتْهَا قَدُّ الْأَزَلِيَّةِ وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةُ بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا امْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعُيُونِ وَلَا يَجْرَى عَلَيْهِ الشُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرَى عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَخَذَهُ إِذَا لَتَقَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَلَتَجَزَّأَ كُنْهَهُ وَلَا مَتْنَعٌ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجِدَ لَهُ أَمَامَهُ وَلَا تَمَسَّ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ التَّقْصَانُ وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ وَلَتَحْوَلْ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ

فِي غَيْرِهِ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقْوَالُ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ  
 مَوْلُودًا وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَخْدُودًا جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَطَهَّرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ  
 لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدَّرُهُ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتُصَوِّرُهُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحَسُّهُ  
 وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ وَلَا تُبْلِيهِ  
 اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ وَلَا يُوصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَلَا  
 بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ وَلَا يُقَالُ  
 لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَآيَةٌ وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقَلِّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ أَوْ أَنَّ  
 شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ. لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٍ وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ يُخْبِرُ لَا  
 بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ  
 وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ  
 يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لَا بِصَوْتٍ يَفْرَعُ وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ وَإِنَّمَا كَلَامُهُ  
 سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَاءٌ وَمَثَلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا  
 ثَانِيًا لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ وَلَا يَكُونُ  
 بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ  
 وَالْبَدِيعُ خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ  
 مِنْ خَلْقِهِ وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَاْمَسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِعَالٍ وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ  
 وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْأَعْوِجَاجِ وَمَنْعَهَا  
 مِنَ التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ  
 أَوْدِيَّتَهَا فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ  
 وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ لَا  
 يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيُعْلِبُهُ وَلَا يَقُوْتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ وَلَا  
 يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيِرْزُقُهُ خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَذَلَّتْ مَسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ لَا  
 تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرَّهُ وَلَا كَفْوَالَهُ فَيُكَافِئُهُ  
 وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيَهُ هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ اِبْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ اِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ  
 جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مَرَاكِهَا وَسَائِمِهَا وَاصْنَافِ  
 اَسْنَاخِهَا وَاجْنَاسِهَا وَمُتَبَلِّدَةِ اَمَمِهَا وَاَكْيَاسِهَا عَلَي اِحْدَاثِ بَعُوْضَةٍ مَا قَدَّرَتْ عَلَي  
 اِحْدَاثِهَا وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيْلِ اِلَى اِيْجَادِهَا وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُوْلُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ  
 وَتَاهَتْ وَعَجِزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيْرَةً عَارِفَةً بِاَنَّهَا مَقْهُورَةٌ  
 مُقَرَّرَةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ اِنْشَائِهَا مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنِ اِفْتَائِهَا وَاِنْ سُبْحَانَهُ يَعُوْدُ بَعْدَ فَنَاءِ  
 الدُّنْيَا وَحُدَّةُ لَا شَيْءٍ مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ اِبْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُوْنُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ  
 وَلَا مَكَانٍ وَلَا حِيْنَ وَلَا زَمَانَ عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْاَجَالُ وَالْاَوْقَاتُ وَزَالَتْ  
 السَّنُونَ وَالسَّاعَاتُ فَلَا شَيْءَ اِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي اِلَيْهِ مَصِيْرُ جَمِيعِ الْاُمُوْرِ  
 بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ اِبْتِدَاءُ خَلْقِهَا وَبِعَبْرِ اِمْتِنَاعِ مِنْهَا كَانَ فَنَآؤُهَا وَلَوْ قَدَّرَتْ عَلَي  
 الْاِمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا لَمْ يَتَكَأَدُهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا اِذْ صَنَعَهُ وَلَمْ يُوُوْدْهُ مِنْهَا خَلْقُ  
 مَا خَلَقَهُ وَبَرَاهُ وَلَمْ يَكُوْنْهَا لِتَشْدِيْدِ سُلْطَانٍ وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ وَلَا  
 لِلاِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَي نِدِّ مُكَاتِرٍ وَلَا لِلاِخْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ وَلَا لِلاِزْدِيَادِ بِهَا  
 فِي مُلْكِهِ وَلَا لِمُكَاتَرَةِ شَرِيْكَ فِي شُرْكِهِ وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَاَرَادَ اَنْ يَسْتَأْنِسَ  
 اِلَيْهَا. ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِيْنِهَا لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضْرِيْفِهَا وَتَذْيِيْرِهَا وَلَا  
 لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ اِلَيْهِ وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ لَا يُمِلُّهُ طُوْلُ بَقَائِهَا فَيَذْعُوْهُ اِلَى سُرْعَةٍ  
 اِفْتَائِهَا وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ وَامْسَكَهَا بِاَمْرِهِ وَاتَّقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ يَعِيْدُهَا بَعْدَ  
 الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ اِلَيْهَا وَلَا اِسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ  
 حَالٍ وَخَشَةٍ اِلَى حَالٍ اِسْتِثْنَائِيٍّ وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى اِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالتَّمَاسِي  
 وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ اِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ اِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ :

### ◀ اللّغة

(ترفده) من رَفَدَ يرفِدُ اي يُعِينُهُ (الصَّرْد) محركا البرد (تهويه) اي تَسْقِطُهُ  
 (بِوَالِج) الوُلُوجُ الدَّخُولُ (لَهَوَاتٍ) محرّكة جَمْعُ لِهَاءِ اللَّحْمَةِ فِي سَقْفِ اقْصَى  
 الفَمِ (أَرْسَاهَا) اي احْكَمَهَا وَاتَّقَنَهَا (حَصْنَهَا) اي حَفِظَهَا، (التَّهَافُتِ) التَّسَاقُطِ



قطعةً قطعةً (الإنفراج) الإنشقاق (أَسْدَادَهَا) حبالها (مَرَاجِحَهَا) المراح الموضع الذي تاوى إليه النعم (أَسْنَاخِهَا) الأسناخ الأصول (لَمْ يَتَكَادَهُ) اي لم يشق عليه (نِدِّ) الند بكسر النون المثل (مُكَائِرٍ) المغالبة بالكثرة (مُثَاوِرٍ) الموثاب المهاجم والباقي واضح:

### ◀ المعنى

(مَا وَحَدَّهُ) اي ما قال بتوحيده واقعا (مَنْ كَيْفَهُ) اي من جعل الله مكيفا (وَلَا حَقِيقَتُهُ أَصَابَ) اي ولا عرف حقيقة التوحيد (مَنْ مَثَلُهُ) اي جعل له مثلاً (وَلَا إِيَّاهُ) اي الواجب تعالى (عَنِي) وقصد (مَنْ شَبَّهَهُ) بشي من الأشياء بل قصد شيئاً آخر (وَلَا حَمِيدَهُ) اي لم يقصده (مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ) فان المشار إليه والمُتَوَهَّم غير الله تعالى (كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ) اذ الصانع لا يمكن لأحد معرفة ذاته (وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ) اي في سوي الواجب (مَعْلُولٌ) لأنه قائم بغيره (فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ) ليحتاج إليها في فعله فيكون مُمكنًا (مُقَدِّرٌ) بكسر الدال اي انه تعالى يقدر الأمور (لَا بَجَوْلِ فِكْرَةٍ) اي جولان الفكر وحركتها نحو المبادي (عَنِّي) عن غيره (لَا بِاسْتِفَادَةٍ) اي لا باستفادة الغنى عن غيره بل غناه بنفس ذاته (لَا تَضَحَبُهُ الْأَوْقَاتُ) فيكون زمانيًا حادثًا (وَلَا تَرَفِدُهُ) اي لا تعينه (الْأَدْوَاتُ) ليكون محتاجا إليها (سَبَقَ الْأَوْقَاتُ) والأزمان (كَوْنُهُ) ووجوده فهو كان موجودا قبل وجود الزمان (وَالْعَدَمُ) اي وسبق العدم (وَجُودُهُ) فلا يكون مسبوقا به (وَالْإِبْتِدَاءُ) اي وسبق الإبتداء (أَزَلُّهُ) كما هو معنى الأزل فان الأزل ما لا ابتداء له (بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ) اي بجعله تعالى المشاعر مشاعر (عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ) لأنه لو كان له مشعر فهو ايضا يحتاج الى التشعير وهكذا (وَيَمُضَادَتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ) اي بجعل التضاد بين الأمور (عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ) والآ فالضد ايضا يحتاج الى من يجعله ضدا (وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ) من حيث الوجود والمُشخصات (عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ) والآ فهو اي القرين يحتاج الى جاعل (ضَادَّ التُّورَ بِالظُّلْمَةِ) اي جعل احدهما ضدا للآخر (وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ)

اي جعل الوضوح ضيذا للمبهم (وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ) اي اليبوسة بالرطوبة  
(وَالْحَرُورَ بِالصَّرْدِ) اي الحرارة بالبرودة (مُؤَلَّفٌ) ومجتمع (بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِيهَا)  
كالعناصر المختلفة (مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِيهَا ) كالروح والبدن (مُقَرَّبٌ بَيْنَ  
مُتَبَاعِدَاتِيهَا ) كاجزاء المركب (مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِيهَا ) كاجزاء البدن بعد موته  
(لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ) وَعَدَدٌ لَتَنَزُّهُهُ عَنْهُمَا وَأَنْهُمَا مِنْ شَيْءٍ الْمَخْلُوقِ  
(وَأِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ) لا الواجب تعالى (وَتُشِيرُ) الأدوات (إِلَى  
نَظَائِرِهَا) مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لَا إِلَيْهِ تَعَالَى (مَنْعَتَهَا) اي الآلات كلمة (مُنْذٌ) التي تدل  
على الزمان (الْقِدْمِيَّة) فلا تكون قديمة (وَحَمَّتَهَا) اي حَمَّتِ الْآلَاتُ كَلِمَةَ (قَدْ)  
التي تدل على الزمان ايضا (الْأَزَلِيَّةُ ) فَإِنَّ كَلِمَةَ قَدْ تَنَافَيْهَا (وَجَنَّبَتْهَا) اي جَنَّبَتْ  
الآلات كلمة (لَوْلَا) التي تُفِيدُ النِّقْصَ ( التَّكْمِيلَةَ ) فَإِنَّهَا تَنَافَى الْكَمَالَ (بِهَا) اي  
بالأدوات (تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا ) اي بالأدوات (امْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعُيُونِ )  
لكونها حُجْبًا وَاسْتَارًا (وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ ) على الله (السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ  
يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ) وَاوَجَدَهُ، (وَيَعُودُ) اي كيف يعود اليه (مَا هُوَ أَبْدَاهُ)  
وَإِظْهَرَهُ (وَيَحْدُثُ) اي وكيف يحدث (فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثُهُ ) وَاوَجَدَهُ (إِذَا لَتَفَاوَتَتْ  
ذَاتُهُ ) بِالْقِدْمِ وَالْحَدُوثِ (وَلَتَجَزَّأَ كُنْهَهُ ) بِالْخَالِقِيَّةِ وَالْمَخْلُوقِيَّةِ (وَلَا امْتَنَعَ ) اي  
فِيهِ وَيَحْدُثُ وَإِذَا لَا امْتَنَعَ (مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ ) فلا يكون ازليًا.

(وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجَدَهُ أَمَامَهُ) لكونهما من المتضايقين فوجود احدهما  
يستلزم وجود الآخر وايضا (وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ ) فَإِنَّ مَا يَلْزِمُهُ  
النُّقْصَ كَيْفَ يَكُونُ تَامًا وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ ) وعلامته (فيه) اذ لا  
نعني بالمصنوع الا هذا وايضا (لَتَحَوَّلَ دَلِيلًا ) على غيره (بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا  
عَلَيْهِ ) من غيره عليه وايضا (وَأَخْرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ  
فِي غَيْرِهِ) فهو كغيره من المخلوقات (الَّذِي لَا يَحُولُ ) ولا يمضي (وَلَا يَزُولُ)  
من مكان الى مكان ومن حال الى حال ( وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ ) والغيبية (لَمْ  
يَلِدْ ) عنه غيره (فَيَكُونُ مَوْلُودًا ) اذ لو ولد عنه غيره فهو ايضا مولود لغيره (وَلَمْ

يُولَدُ) عن غيره (فَيَصِيرَ) بذلك (مَحْدُوداً) مُتَنَاهٍ (جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَظَهَرَ  
عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ) فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ شُئُونِ الْجِسْمِ :  
(تَنَالَهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدَّرُهُ) كَمَا وَكَيْفَا (وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ) وَالْعُقُولُ (فَتُصَوِّرُهُ)  
الْعُقُولُ (وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسُّهُ) بِهَا (وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ) بِهَا  
مَحْسُوسًا مَلْمُوسًا (وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ) لِيَكُونَ جِسْمًا أَوْ  
جِسْمَانِيًا (وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ) فَيَكُونَ زَمَانِيًا حَادِثًا (وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ  
وَالظُّلَامُ) فَيَكُونَ مُتَغَيِّرًا (لَا وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ) فَيَكُونَ جِسْمًا (وَلَا  
بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ) فَيَكُونَ مُرَكَّبًا (وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ) فَيَكُونَ مَحَلًّا  
لِهَا (وَلَا بِالغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ) فَيَكُونَ مُتَجَزِّئًا (وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَآيَةٌ  
وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ) فَيَكُونَ غَيْرَ ابْدِيٍّ (وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ) وَتُحِيطُهُ فَيَكُونَ  
مُحَاطًا بِهَا وَأَنَّهَا تُرْفَعُهُ وَتَسْقِطُهُ (أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ) أَيِ وَلَا كَذَلِكَ أَيْضًا (فَيَمِيلُهُ  
أَوْ يُعَدِّلُهُ) كَمَا هُوَ شَأْنُ الْحَامِلِ وَالْمَحْمُولِ (لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِيَوَالِجٍ) وَدَاخِلٍ  
كَدُخُولِ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ (وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ) كَخُرُوجِ شَيْءٍ عَنِ شَيْءٍ (يُخْبِرُ) عَنِ كُلِّ  
شَيْءٍ (لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ) إِذْ لَا لِسَانَ وَلَا لَفْمَ لَهُ (وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ) كَمَا  
فِي الْمَخْلُوقِ (يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ) بِلِسَانٍ وَجَارِحَةٍ (وَيَحْفَظُ) الْأَشْيَاءَ (وَلَا يَتَّحَفِظُ)  
أَيِ لَا يَتَكَلَّفُ الْحِفْظَ (وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ) إِذْ لَا ضَمِيرَ لَهُ (يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ  
رِقَّةٍ) كَانَتْ مَنْشَأً لِلْحُبِّ وَالرِّضَا (وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ) بِأَعْمَالِ  
الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ (يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ) وَخَلَقَهُ (كُنْ فَيَكُونُ لَا بِصَوْتٍ يَنْقَرُ)  
الْأَسْمَاعِ (وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ) مِنْهُ (وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ) مِنَ الْفِعْلِ  
(أَنْشَأَهُ) لَا مِنْ شَيْءٍ آخَرَ (وَمَثَلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَأَنَّ) ثَابِتًا (وَلَوْ كَانَ)  
مَوْجُودًا (لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا) لَا أَنَّ الْمَفْرُوضَ كَوْنَهُ قَدِيمًا لَا نَعْنِي بِالْإِلَهِ غَيْرَهُ (لَا  
يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجَرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ) مِنْ كَوْنِهِ مَسْبُوقًا  
بِالْعَدَمِ:

(وَلَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا) بَيْنَ الْمُحْدَثَاتِ (وَبَيْنَهُ فَضْلٌ وَلَا لَهُ) لِلْوَاجِبِ (عَلَيْهَا) عَلَى

المُحدثات (فعل) ومَزِيَّة (فَيْسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ وَيَتَكَافَأُ الْمُتَبَدِّعُ  
وَالْبَدِيْعُ).

وهذا كلها من صفات المُحدثات (خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ  
غَيْرِهِ) بل خلقها على طريق الإبداع (وَلَمْ يَسْتَعِينْ) عن غيره من الموجودات  
(عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ) لأنه مُستلزم لإحتياجه الى غيره (وَأَنْشَأَ) وَاوْجَدَ  
(الْأَرْضَ فِإْمْسَكِهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ وَأَرْسَاهَا) واثبتها (عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ) وَسَكُونٍ  
(وَأَقَامَهَا) فِي الْجَوْ (بِغَيْرِ قَوَائِمٍ) تَقُومُ عَلَيْهَا (وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ) واعمدة  
تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا (وَحَصَّنَهَا) الْأَرْضَ (مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوِجَاجِ وَمَنْعَهَا مِنَ التَّهَاقُتِ  
وَالْإِنْفِرَاجِ) أَي مَنَعَهَا مِنْ أَنْ تَصِيرَ قِطْعَةً قِطْعَةً وَالْإِنْشِقَاقِ (وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا)  
وَجِبَالَهَا (وَأَسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخُدَّ) وَشَقَّ (أَوْدِيَّتَهَا فَلَمْ يَهْنُ) وَيُضْعَفُ (مَا بَنَاهُ  
وَلَا ضَعْفَ مَا قَوَّاهُ) بل كان قويا حاله (هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا) عَلَى الْمَوْجُودَاتِ  
(بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ) فَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ  
ذَرَّةٍ (وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا) عَلُوا بِالشَّانِ وَالرَّفْعَةِ (بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ لَا يُعْجِزُهُ  
شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ) لِأَنَّهُ الْقَاهِرُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ وَلَا يَتَوْتَهُ  
السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ) فَانْ كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ يَنَافِي الْقُدْرَةَ الْمُطْلَقَةَ (وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى  
ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ) إِذَا الْإِحْتِيَاجُ يَنَافِي الْوَاجِبَ فِي وَجُوبِهِ وَغِنَاهُ (خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ  
لَهُ وَذَلَّتْ مَسْتَكِينَةً) مُفْتَقِرَةً (لِعَظَمَتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبُ) وَالْفِرَارُ (مِنْ سُلْطَانِهِ  
إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ وَلَا كُفُولَهُ) فِي وَجُودِهِ وَوَجُوبِهِ (فَيَكْفِيهِ وَلَا  
نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيَهُ) لِمَا ثَبَتَ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ (هُوَ الْمُفْنِي لَهَا) أَي لِلْمَوْجُودَاتِ  
(بَعْدَ وَجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مُوجُودُهَا كَمُفْقُودِهَا) كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (وَلَيْسَ  
فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا) وَإِجَادُهَا (بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا) الدُّنْيَا (وَإِخْتِرَاعِهَا) بَلِ  
الْإِجَادُ أَصْعَبُ وَأَعْسَرُ (وَكَيْفَ) لَا يَكُونُ كَذَلِكَ (وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا)  
أَعْنِي مَا كَانَ مُتَّصِفًا بِالْحَيَاةِ (مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مَرَاحِيهَا) أَعْنِي  
مَالَهُ مَاوِيٍّ وَمَسْكَنٍ (وَسَائِمِهَا) وَمَا كَانَ فِي مَرْعَاهُ (وَاصْنَافِ أَسْنَاخِهَا) وَأَنْوَاعِهَا

( وَأَجْناسِهَا وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا ) اي غير الفِطْنِ وَالْفِطْنِ مِنْهَا ( عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ ) وايجادها في عالم الخارج ( مَا قَدَرْتُ عَلَى إِحْدَائِهَا ) اي احداث البعوضة قطعاً ( وَلَا عَرَفْتُ كَيْفَ السَّبِيلِ ) والطريق ( إِلَى إِيجَادِهَا ) فضلاً عن اصل الإيجاد ( وَلَتَحَيَّرْتُ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ وَعَجَزَتْ قُورَاهَا وَتَنَاهَتْ وَرَجَعَتْ ) عما اراد ( خَاسِئَةً حَسِيرَةً ) نادمةً ( عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ ) تحت قهر الحق ( مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنِ انْشَائِهَا ) البعوضة ( مُدْعِنَةٌ ) مُعْتَرِفَةٌ ( بِالضَّعْفِ عَنِ إِفْنَائِهَا ) اي وهو لا يقدر على ايجادها وافنائها ( وَإِنَّ سُبْحَانَهُ يَتَعَوَّدُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحُدَّةَ لَأَ شَيْءٍ مَعَهُ ) كما كان قبل ايجادها ( كَمَا كَانَ قَبْلَ ائْتِدَائِهَا ) اي ايجادها بالوجود الإبداعي ( كَذَلِكَ يَكُونُ ) الله تعالى ( بَعْدَ فَنَائِهَا ) الدُّنْيَا ( بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ ) لأنه تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ( عُدِمَتْ ) وَفَنَتْ ( عِنْدَ ذَلِكَ ) .

اي عند فناء الدنيا ( الأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ وَزَالَتْ ) اذ لا زمان هناك ( السُّنُونَ وَالسَّاعَاتُ ) كذلك ( فَلَا شَيْءٌ ) بعد ذلك ( إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ ) فان كل شيء يرجع الى اصله ( بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا ) من الموجودات ( كَانَ ائْتِدَاءُ خَلْقِهَا وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا ) فلم يمكن لها الإمتناع عن الفناء وذلك لأنها ( وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى الإِمْتِنَاعِ ) حين الفناء فلا محالة ( لَدَامَ بَقَاؤُهَا ) مع انه ليس كذلك ( لَمْ يَتَكَأَدَهُ ) اي لم يَمَلَّهُ وَلَمْ يَشَقَّ عَلَيْهِ تَعَالَى ( صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا ) من المخلوقات ( إِذْ صَنَعَهُ ) واوجده ( وَلَمْ يُوَوِّدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ ) اي لم يَنْقُلْ عَلَيْهِ تَعَالَى خَلْقَهُ ( وَبِرَّاهُ ) فانه تعالى يَرَى ما خَلَقَهُ ( وَلَمْ يَكُونُهَا ) الموجودات ( لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ) وَتَحْكِيمِ قُدْرَةٍ ( وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ) اي زوال السُّلْطَانِ وَنُقْصِهِ ( وَلَا لِإِسْتِعَانَةٍ بِهَا ) بالموجودات ( عَلَى نِدِّ مُكَائِرٍ ) اي مثل مُغَالِبٍ ( وَلَا لِإِخْتِرَازٍ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُتَاوِرٍ ) اي مهاجم ( وَلَا لِإِزْدِيَادٍ بِهَا فِي مُلْكِهِ وَلَا لِمُكَاتَرَةٍ شَرِيكِ فِي شُرْكِهِ وَلَا لَوْحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ ) تعالى في صُورَةِ عَدَمِ الْمَوْجُودَاتِ ( فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا ) الى الْمَوْجُودَاتِ فَخَلَقَهَا ( ثُمَّ هُوَ )

تعالى (يُنْفِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا) ووجودها لكن (لَا لِسَامٍ) ومَلَالَةٍ (دَخَلَ عَلَيْهِ) تعالى  
 (فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا) كما هو كذلك في المخلوق بعد فنائها (وَلَا لِثَقَلِ شَيْءٍ  
 مِنْهَا عَلَيْهِ) كل ذلك لا يكون (لَا يُمَلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا) الموجودات (فَيَدْعُوهُ) اي  
 طول البقاء يَدْعُوهُ (إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا وَلِكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبْرَهَا) الموجودات  
 احسن تدبير (بِأُطْفِئِهِ) ورحمته (وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ) ومشيته (وَأَثَقْنَهَا بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ  
 يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ) الى الحياة ثانيا (مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا) الى الموجودات او  
 الى الإعادة (وَلَا اسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا) من الموجودات (عَلَيْهَا) على الإعادة (وَلَا  
 لِإِصْرَافٍ مِنْ حَالٍ وَخَشْيَةٍ إِلَى حَالٍ اسْتِثْنَائِي) فان ذلك من شئون الأجسام  
 (وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ) تعالى (وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ  
 وَالْإِيمَانِ) فانه تعالى عالم بكل الأشياء بصير بها (وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى  
 وَكَثْرَةٍ) لكونه غنيا بذاته (وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ) وحقارة (إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ) فان الله  
 تعالى عزيز قادر بذاته انتهى.

### ◀ الشرح

اعلم: ان هذه الخطبة الشريفة تشتمل على امهات الأصول العقلية وغرر  
 فرائد المعارف الخفية لا تنال ايدي اكثر الناس اليها ولا يمكن السباحة في  
 ابحار معانيها الا بحول الله وقوته كما اشار الى هذا المعنى السيد الرضي رحمه الله  
 اجمالا وقال وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة، وهو  
 كذلك حقا ولم ار في الشروح الموجودة من شرحها شرحا وافيا وكشف عن  
 استار حجابها كسفا واضحا ولا غرر فيه فان البحر عميق والوصول الى قعره  
 عسير ونحن نشرح الخطبة الشريفة ونقول فيه مافي وسعنا ولا ندعي فهم  
 كلامه عليه السلام كما هو حقه بحول الله وقوته.

□ قوله عليه السلام: مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلَهُ وَلَا إِيَّاهُ غَنَى مَنْ  
 شَبَّهَهُ وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَسَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ...

اي ما وحد الله تعالى من ادخله في الكيف ولا حقيقته اي حقيقة التوحيد

أصاب من جعل له مثلاً ولا آياه اي الواجب عنى وقصد من شبهه بشئ من الأشياء ولا صمده وقصده من اشار اليه تعالى بالإشارة وتوهمه في وهمه فمن اراد معرفته بهذه الأمور فقد اخطأ خطأ فاحشاً وتوضيح الكلام يستدعي اصولاً اربعة:

**الأصل الأول** قوله عَلَيْهِ: مَا وَحَدَهُ مَنْ كَيْفَهُ، كلمة (ما) للنفي وقوله عَلَيْهِ: وَحَدَهُ الضمير يرجع الى الله تعالى وكذلك الضمائر في الجمل الآتية ووَحَدَ فعل ماضٍ مصدره التوحيد وكذلك كَيْفَ فعل ماضٍ مصدره التكييف وهما متعديان فانَّ باب التفعيل متعدٍ والمعنى لَمْ يَقُلْ بتوحيده تعالى من جعله مُكَيِّفاً بالكيفيات وذلك لأنَّ القول بتوحيده معناه انه تعالى واحد لا ثاني له اَحَدٌ لا جزء له وهو يُنافي الكَيْفَ باقسامه وذلك لأنَّ الكَيْفَ قالوا في تعريفه انه هيئة قارة لا تقبل النسبة ولا القسمة لذاته، وهو من الأعراض النسبية، فقيد القارة لإخراج الحركة وان يَفْعَلَ وان يَنْفَعَلَ وقيد النسبة الأعراض النسبية وقيل القسمة بالذات لإخراج الكَمِّ فانه يقبل القسمة لذاته ثم انَّ الكَيْفَ ينقسم الى اربعة:

**احدها:** ما اختص منه بالنفس ويقال له الكيفيات النفسانية كالعلم والإرادة والقدرة والجبن والشجاعة وامثالها ممَّا هو مُخْتَصٌّ بالنفس:

**وثانيها:** ما اختص بالكم ويقال له الكيفيات المُخْتَصَّة بالكميات كالاستقامة والإنحناء والشكل ونحوهما ممَّا اختص بالكم المتصل وكالزوجية والفردية ونحوهما ممَّا اختص بالمنفصل:

**وثالثها:** القوَّة واللاقوَّة ويقال له الكيفيات الإستعدادية سواء كان الإستعداد الى جانب الإنفعال كاللين والمِمرَّاضية او الى جانب اللأنفعال كالصلابة ونحوها والأوَّل لا قوَّة والثاني هو المُسَمَّى بالقوَّة:

**ورابعها:** كَيْفٌ مَحْسُوسٌ بِخَمْسِ قُوَّةٍ ظاهريَّة من الكيفيات الملموسة والمدوَّقة والمشمومة والمبصرة والمسموعة فهذه هي اصول الكيفيات واما

تفصيلها فيطلب من مواضعها اذا عرفت معنى الكَيْف فنقول:

قد قلنا ان الكَيْف من مقولة العَرَض وقد قالوا في تعريف العَرَض انه قائم بالمحل فوجوده في نفسه وجوده لموضوعه بمعنى انه ليس لنا في الخارج وجودان وجود المحل ووجود العَرَض بل هما وجودان بوجود واحد مصداقا وخارجا والحاصل ان العَرَض في وجوده الخارجي محتاج الى المحل وبدونه لا قوام له فيه وعليه فَمَنْ كَيْفَ اللهُ تعالى بان وصفه به باقسامها الأربعة يلزم عليه الخَرُوج من التوحيد وذلك اما أولاً فلأن الكَيْف من الأعراض والعَرَض يَحْتَاج في وجوده الى المَحَل فلو كان الواجب مُتَصَفَا به فلا محالة له مَحَلٌ وكَيْفٌ وبعبارة اخرى ذاته تعالى تتركب من العارض والمَعْرُوض ولا نعني بالتجزئي الا هذا.

فاذا كانت الذات مُنْقَسِمة الى الجزئين المَفْرُوضين فليست فيها وَحْدَةٌ وبِساطَةٌ حَقَّةٌ حَقِيقَتُهُ وقد قلنا ان التوحيد الذاتي يَنَافِي الأثْنَيْنِيه فما فرضناه واحداً بالوَحْدَةِ الحَقَّةِ ليس بواحد بل هو اثنين فثَبَّتْ ان مَنْ كَيْفَهُ تعالى ليس مَوْحِداً ايّاه وهو المطلوب:

وثانياً: ان الكَيْف لكونه من الأعراض حادثٌ مُتَغَيِّرٌ في حَدِّ ذاته وكل حادثٍ مُمَكِّنٌ وكل مُمَكِّنٍ زَوْجٌ تَرْكِيْبِيٌّ له ماهيةٌ ووجودٌ فيلزم ان يكون الواجب مُمَكِّناً مُرَكِّباً وهو يَنَافِي التوحيد فهو غير مُكَيَّفٌ وهو المطلوب.

وثالثاً: ان الكَيْف كما قالوا في تعريفه هيئة قازة وكل هيئة قائمة بغيرها ولا وجود لها مع قَطْعِ النَّظَرِ عن ذبيها وهي مع ذلك اعتبارية فلو كان الواجب مَوْصُوفَاً به يلزم ان لا يكون موجوداً بالِاسْتِقْلَالِ وان يكون وجوده اعتبارياً والموجود الاعتباري لا يَصْلُحُ ان يكون مُوجِداً لغيره وعليه فالخالق اما غيره واما هو مع الغير والشقان باطلان اذ الأول يستلزم التَّسْلُسُ والثاني يَنَافِي التوحيد اذ المفروض ان غيره شريك له في الإيجاد .

هذا كله بحسب العقل:



وَأَمَّا النَّقْلُ: فَقَدْ رُوِيَ فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِدَادُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحِيرًا، أَصُولُ الْكَافِي بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ...  
 وَإِيضًا رُوِيَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ فَامْسِكُوا انْتَهَى...  
 وَإِيضًا عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ مَنْ نَظَرَ فِي اللَّهِ كَيْفَ هُوَ هَلَكَ انْتَهَى وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ...

الأصل الثاني قوله عليه السلام: وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَثَلِينَ هُمَا الْمُتَشَارِكَانِ فِي الْمَهْيَةِ وَلِوَازِمِهَا وَالْوَاجِبُ لَا مَهْيَةَ لَهُ نَوْعِيَّةٌ أَوْ غَيْرَهَا بَلْ وَلَا ثَانِي لَهُ فَضْلًا عَنِ الضِّدِّ وَالنِّدِّ وَعَلَيْهِ فَمَنْ مَثَّلَهُ أَي جَعَلَ لَهُ تَعَالَى مِثْلًا فِي الْمَوْجُودَاتِ فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكَ لِأَنَّهُ مَا وَحْدَهُ وَمَا عَرَفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ إِذَا ثَبَّتَ فِي الْوُجُودِ مَبْدُئِينَ هَذَا أَوَّلًا:

وثانيا: أَنَّ الْمِثْلَ إِذَا اشْتَرَكَ مَعَهُ فِي الْمَاهِيَّةِ كَمَا هُوَ مَعْنَى الْمِثْلِ فَلَا مَحَالَةَ اثْبَتَ لَهُ تَعَالَى مَاهِيَّةً وَكُلَّ مَا لَهُ مَاهِيَّةٌ فَهُوَ مُمَكِّنٌ وَالْمُمَكِّنُ قَسِيمٌ الْوَاجِبُ فَمَا فَرَضْنَاهُ وَاجِبًا صَارَ مُمَكِّنًا:

وثالثًا: أَنَّهُ تَعَالَى حَقِيقَةُ الْوُجُودِ اعْنِي صِرْفَهُ الَّذِي لَا يَتَكَثَّرُ وَالتَّمَثِيلُ يَوْجِبُ التَّكْثُرَ فِي ذَاتِهِ كَمَا عَرَفْتَ فِي مَعْنَى الْمِثْلِ فَمَنْ عَرَفَ حَقِيقَتَهُ وَأَنَّهُ صِرْفُ الْوُجُودِ لَا يَقُولُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ:

ورابعًا: أَنَّ الْمِثْلَ الْمَفْرُوضُ أَمَّا أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا لَهُ تَعَالَى فَلَا يَكُونُ مِثْلًا إِذَا الْمَخْلُوقُ لَا يَكُونُ مِثْلَ الْخَالِقِ وَالْمَعْلُولُ مِثْلَ الْعَلَّةِ وَهُوَ وَاضِحٌ، أَوْ مَخْلُوقًا لِغَيْرِهِ تَعَالَى فَيَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْوَاجِبُ إِیضًا مَخْلُوقًا لَهُ لِإِشْتِرَاكِهِمَا بِحَسَبِ الْمَاهِيَّةِ عَلَى الْفَرَضِ وَحُكْمِ الْأَمْثَالِ وَاحِدًا فَإِذَا ثَبَّتَ الْمِثْلَ لَهُ مَحَالٌ.

وَأَمَّا النَّقْلُ: فَلَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

ولمّا رَوَاهُ فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَعِينٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلَقَهُ خَلْقًا مِنْهُ وَكَلَّمَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمٌ شَيْءٌ مَا خَلَا اللَّهَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ تَبَارَكَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ انْتَهَى كِتَابُ «التَّوْحِيدِ مِنْ أُصُولِ الْكَافِي»...

وَإِيضًا فِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلَقَهُ خَلْقًا مِنْهُ وَكَلَّمَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمٌ شَيْءٌ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهَ انْتَهَى أَقُولُ إِذَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ مَخْلُوقًا لَهُ فَمَا قَرَضْتَهُ مِثْلًا لَهُ أَيْضًا مَخْلُوقٌ لَهُ لِأَنَّهُ شَيْءٌ وَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ وَالْمَخْلُوقُ كَيْفَ يَكُونُ مِثْلًا لِلْخَالِقِ فَلَا مِثْلَ لَهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفْوًا أَحَدًا:

الأصل الثالث قوله عليه السلام: «وَلَا إِيَّاهُ غَنَى مَنْ شَبَّهَهُ»، أَي مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ تَعَالَى بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَهُوَ أَي الْمُشَبَّهَ لَمْ يَقْصُدِ الْوَاجِبَ تَعَالَى بَلْ عَنَى غَيْرَهُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَاجِبَ لَا شَبَّهَ لَهُ فَإِنَّ الْمُشَابَهَةَ هِيَ الْمُشَارَكَةَ فِي صِفَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى الذَّاتِ وَحَيْثُ أَنَّهُ قَدْ ثَبِتَ كَوْنُ الصِّفَاتِ فِيهِ عَيْنَ الذَّاتِ فَلَا صِفَةَ لَهُ تَعَالَى زَائِدَةً عَلَيْهَا حَتَّى يَشْتَرِكَ غَيْرَهُ مَعَهُ فِيهَا فَلَا تَتَّحَقَّقُ الْمُشَابَهَةُ وَبِذَلِكَ عَلِمْتُ الْفَرْقَ بَيْنَ الشَّبَّهِ وَالْمِثْلِ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ أَعْنَى قَوْلِهِ مَنْ شَبَّهَهُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلُهَا أَوْ مُوضِحَةٌ لَهَا فَقَدْ أَخْطَأَ خَطَأً فَاحِشًا إِذْ نَفَى الْمِثْلَ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الشَّبَّهِ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى نَفْيَ عليه السلام اشْتِرَاكِ غَيْرِ الْوَاجِبِ مَعَهُ فِي الْمَاهِيَةِ وَفِي الثَّانِيَةِ نَفْيَ الْإِشْتِرَاكِ فِي الصِّفَةِ الزَّائِدَةِ عَلَى الذَّاتِ وَبِعِبَارَةٍ أَخْصَرَ الْأُولَى لِنَفْيِ الْإِشْتِرَاكِ فِي الذَّاتِ وَالثَّانِيَةَ لِنَفْيِهِ فِي الصِّفَاتِ وَبَيْنَهُمَا بَيِّنٌ بَعِيدٌ ضَرُورَةٌ عَدَمُ التَّلَازِمِ بَيْنَ الْإِشْتِرَاكِينِ هَذَا أَوَّلًا:

وِثَانِيًا: أَنَّ غَيْرَ الْوَاجِبِ لَا يَخْلُو أَمَّا أَنْ يَكُونَ وَاجِبًا أَوْ مُمَكِّنًا، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ يَلْزِمُ تَعَدُّدَ الْوَاجِبَيْنِ وَإِنْ كَانَ الثَّانِي يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمَخْلُوقُ شَرِيكًا لِلْخَالِقِ فِي زِيَادَةِ الصِّفَةِ عَلَى الذَّاتِ وَهُوَ مُحَالٌ.

وَثَالِثًا: التَّشْبِيهُ يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الصِّفَةُ زَائِدَةً عَلَى ذَاتِهِ كَمَا عَرَفْتُمْ فِي مَعْنَاهُ، وَزِيَادَةُ الصِّفَةِ عَلَى الذَّاتِ تَسْتَلْزِمُ التَّرْكِيبَ فِي الذَّاتِ أَوَّلًا، وَكَوْنُ الذَّاتِ مُمَكِّنًا ثَانِيًا وَهَكَذَا:

روي في الكافي عن ابي عبد الله  $\text{ع}$  ان قوما بالعراق يصفون الله تعالى بالصورة والتخاطيب فان رايت جعلني الله فداك ان تكتب الي بالمذهب الصحيح من التوحيد فكتب الي سالت رجمك الله عن التوحيد وما ذهب اليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المقترين على الله فاعلم رحمك الله ان المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله فانقب عن الله البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود وتعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان انتهى باب النهي عن الصفة .

اقول: القول بالتشبيه معناه اثبات الصفات زائدة على ذاته تعالى كما في المخلوق وهو واضح:

الأصل الرابع قوله  $\text{ع}$ : **وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَسَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ** ، اي لا يقول بصمديته تعالى من اشار اليه وتوهمه باوهامه وخيالاته الفاسدة ونحن نشرح اولاً معنى الصمد ثم نتكلم في كلامه  $\text{ع}$  قال الراغب في المفردات الصمد السيد الذي يصمد اليه في الأمر وصمد صمده قصداً معتمداً عليه قصده وقيل الصمد الذي ليس باجوف والذي ليس باجوف شيان، احدهما لكونه ادون من الإنسان كالجمادات والثاني اعلى فيه كالبارئ والملائكة انتهى.

ثم انه لا شك في كونه تعالى صمداً لقوله تعالى: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ** وكل مسلم لا بد له من الاعتقاد بكونه كذلك الا ان الكلام ان الصمد فيه تعالى مامعناه فنقول:

الحق في معناه هو الأول اعني السيد المصمود اليه فالمعنى في قوله الله الصمد انه تعالى واحد في صمديته قدوس في وحدانيته ولذلك يعبده كل شيء طلباً لیتتم كماله الوجودي ويصمد اليه كل شيء تخلصاً عن عالم التفرقة والكثرة الى عالم الجمعية والوحدة فهو تعالى المقصد الأعلى لكل سالك

والغاية القُصوى لِكُلِّ عارفٍ وزاهدٍ الى رَبِّكَ الرَّجعى وهو المَبْدءُ والمنتَهى  
 واما الصَّمَدُ بالمعنى الثانى اعني ما لا جوف له وان تَلَقاه بالقبول غير واحدٍ من  
 العامة والخاصة الا انه ممّا لا يُعتمد عليه بل هو في الحقيقة من الأوهام  
 والخرافات والأدلة العقلية لا تساعده اصلاً فان الموجود الذي لا جوف له كثير  
 وقد قال تعالى ليس كمثله شيءٌ وذلك لأن الصَّمَدَ بهذا المعنى من صفة  
 الأجسام المصمّمة التي لا جوف لها مثل الحجر والحديد واللّه تعالى اجل  
 واعظم من ان يكون كذلك فيقال مثلاً ان اللّه لا جوف له كما ان الحديد لا  
 جوف له وحاصل الكلام ان الصَّمَدَ بهذا المعنى لا يختص به تعالى بل يشاركه  
 فيه غيره وهو ينافي قوله اللّه الصَّمَدَ بتقديم المُسند اليه المفيد للحصر وان  
 الصَّمَدَ يختص به فظهر ان الصَّمَدَ بهذا المعنى لا وجه له وحيث قد عرفت  
 معنى الصَّمَدِ وانه خاصٌ به تعالى فاعلم ان من لا يقول به لا يكون مؤجداً:

فقوله **عَلَيْهِ**: ولا صَمَدَه من اشار اليه وتوهمه اشارة الى ان المَوْحد الحَقِيقى  
 الذي يقول بانّ اللّه تعالى هو السيد المصمّود اليه لا يقول بانّ اللّه تَتعلق به  
 الإشارة والوهم وتوضيحه ان الإشارة الى الشيء يستلزم تحديده فان المشار  
 اليه لا بد له من وضع والا لا تصح الإشارة اليه وكل ما له وضع فهو محدودٌ به  
 فالمشار اليه محدودٌ ثم نقول كل محدودٌ متناه وكل متناه ممكن فكل محدودٌ  
 ممكن وصورة القياس في الأول هكذا، هذا مشار اليه وكل مشار اليه محدودٌ  
 فهذا محدودٌ وفي الثانى هذا محدودٌ وكل محدودٌ ممكن فهذا ممكن فاذا كان  
 الواجب ممّا يُشار اليه فهو ممكن.

ثم نقول في جانب الوهم، لو كان الواجب متّوهما يلزم ان يكون مُحاطاً  
 للوهم والوهم مُحيط به وكل مُحاطٍ محدودٌ فهو محدودٌ وكل محدودٌ ممكن  
 فهو ممكن وقد فرضناه واجبا هف:

او نقول كل ما هو في الوهم فهو مخلوق له والمخلوق لا يكون خالفاً فاذا  
 الواجب لا يكون مشاراً اليه ولا متّوهما والوجه في عدم كونه حينئذٍ صمداً هو

انَّ الصَّمَدَ كما قلنا السَّيِّدَ المَصْمُودَ اليه وهذا المقام من خواصِّ الواجب فالواجب هو المصمُّود اليه لا غيره وأذ فرضنا أنَّه ممَّا يشار اليه او يمكن لِلوَهْمِ ان يَتَوَهَّمه فهو مُمَكِّنٌ وكُلُّ ممكِّنٍ من حيث أنَّه مخلوق لا يكون صَمَدًا فَثَبَّتْ انَّ من صَمَدِه لا يقول بهما وهو المطلوب.

رُوي في الكافي باسناده عن جابر ابن يزيد الجعفي قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن شَيْءٍ من التَّوْحِيدِ فقال عليه السلام انَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمَاءً الَّتِي يُدْعَى بِهَا وَتَعَالَى فِي عُلُوِّ كُنْهِهِ وَاحِدٌ تَوَحَّدَ بِالتَّوْحِيدِ فِي تَوْحُّدِهِ ثُمَّ اجْرَاهُ عَلَى خَلْقِهِ فَهُوَ وَاحِدٌ صَمَدٌ قُدُّوسٌ يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَصْمَدُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ وَوَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا انْتَهَى «كتاب التوحيد»...

(وباسناده عن داود بن القاسم الجعفري قال قلت لأبي جعفر الثاني جَعَلْتُ فِدَاكَ مَا الصَّمَدُ قَالَ عليه السلام السَّيِّدُ المَصْمُودُ اليه في القليل والكثير انْتَهَى «باب التوحيد»...

□ قوله عليه السلام: كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُودٌ...

والبحث في مقامين:

احدهما قوله عليه السلام: كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، قال بعض الشَّرايح في المقام تبعاً لغيره في شرح العبارة ما لفظه:

والغرض منه نفي العلم به بحقيقته بيان ذلك أنَّه تعالى لو كان مَعْرُوفًا بِنَفْسِهِ اي معلوماً بحقيقته لكان مَصْنُوعًا اذ كُلُّ مَعْرُوفٍ مَصْنُوعٌ لكنَّ التَّالِيَّ باطل فالْمَقْدَمُ مثله امَّا بطلان التَّالِيَّ فَلأنَّ المَصْنُوعَ مُفْتَقِرًا الى الصَّانِعِ والمُفْتَقِرُ مُمَكِّنٌ لا يكون واجبا واما وجه الملازمة فلأنَّ كُلَّ معلوم بحقيقته فانَّما يُعْلَمُ من جهة اجزائه وكُلُّ ذِي جُزْءٍ فهو مُرَكَّبٌ يَرْكَبُهُ وصانع يصنعه فثبت بذلك انَّ كُلَّ معلوم الحَقِيقَةِ مَصْنُوعٌ فانْقَدَحَ منه أنَّه تعالى شأنه غير معروف بنفسه بل معروف بآثاره وآياته انْتَهَى.

ولقائل ان يقول اي دليل من العقل والنقل دلَّ على انَّ كُلَّ معلوم بحقيقته

فإنما يُعلم من جهة اجزائه فلو كان ما ذكره حقاً يلزم ان لا تكون البسائط لنا معلومة اذ لا جزء لها تُعلم من جهته مع اننا نعلم حقيقة العقل والنفس وغيرهما وهكذا نعلم حقيقة النقطة وهي عندهم من البسائط الخارجية هذا نقضاً واما حلاً فان الواجب لو لم يكن معلوماً لنا فهو مجهول لا محالة لعدم الوساطة والمجهول كيف يُعبد:

ان قلت المقصود من كونه تعالى مجهولاً هو انه مجهول الكنه اي لا نعلم كنه ذاته واما بالصفات والآثار فهو معلوم وبعبارة اخرى سلّبتنا عنه العلم الا كناهي لا مطلق العلم وهو واضح.

قلت ليس في كلامه عليه السلام ما يدل على انه تعالى غير معلوم لنا او معلوم لنا فقوله هذا خارج عن البحث.

وثالثاً: اي دليل دَلَّ على ان كل معلوم الحقيقة مصنوع وعلى المدعي الإثبات أولاً ثم تفريع المدعي عليه.

وحاصل الإشكال ان العبارة، كل معروف بنفسه مصنوع لا كل معلوم وحمل المعروف على المعلوم لا دليل عليه مع وجود الفرق بينهما فان المعرفة مسبقة بالذهول بعد العلم والمعلوم ليس مسبوقاً به بل هو مسبوق بالعدم ولهذا يقال عرفت الله ولا يقال علمت الله فهو تعالى معروف لا معلوم لا من جهة ان كل معلوم بنفسه مصنوع كما ظنه المحقق البحراني وتبعه الخوئي وغيره اذ هو ادعاء محض ولا دليل عليه بل الدليل على عدمه موجود بل من جهة ان العلم هو الإدراك البدوي من غير سبق الذهول عليه وهو تعالى ليس كذلك فان المخلوق يُدرك خالقه بحسب الفطرة الأولية لقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>(١)</sup> وهذه الفطرة هي فطرة التوحيد الا ان هذا الإدراك قد يغفل عنه لأجل الإشتغال بالماديات والتوجه اليها ثم يتوجه العبد الى ما ذهل عنه ثانياً فيقال عرف الله او عرفت الله فكونه غير معلوم لنا

من هذه الجهة اي لعدم صحّة اطلاق العلم وعدمه في باب التوحيد لا من جهة  
 ان كلّ معلوم مَصْنُوع والآفتقول كلّ معروف ايضا كذلك فان معرفة الواجب  
 بكنهه لا يمكن لأحدٍ فليَم حملوا العبارة على غير ظاهرها والذي حُصِل لنا في  
 المقام هو حمل العبارة على ظاهرها وعليه فنقول كلمة المعروف لها اطلاقان:  
 احدهما: معناها العُرْفِي اللُّغَوِي الَّذِي يَفْهَمُه الكُلُّ ويُعْبَرُ عنه بالمشهور ايضا  
 فيقال فلان مَعْرُوفٌ اي مشهور بين الناس .

وثانيهما: معناها الإصطلاحى اعني ما يُعْرَفُ بالحدود والرُّسُوم فيقال فلان  
 مَعْرُوفٌ اي مَحْدُودٌ بِحَدِّ يُعْرَفُ به او رَسَمٌ كذلك فالمعروف بالمعنى الأول هو  
 شرح الإسم في الحقيقة لا شرح الماهية وبيانها الا ترى ان الإنسان والحيوان  
 والشجر وغيرها من الكليات والجزيئات التي يعرفها الكل اذا قيل لهم  
 ما الإنسان الذي تعرفونه مثلاً اي ما حقيقته لا يعلمون الجواب وهذا دليل على  
 ان معرفتهم به بالمعنى الأول اعني شرح الإسم دون المعنى الثاني اذا عرفت  
 هذا فاعلم ان معرفة الموجود اي موجود كان اما على سبيل شرح الإسم او  
 على طريق الماهية وهكذا معرفة الواجب التي هي محلّ الكلام والثاني لا  
 طريق لنا اليه اذ لا ماهية له تعالى حتى نعرفه بها كما مرّ شرحه غير مرّة بل  
 المعرفة بهذا المعنى تختص بمعرفة المُمَكِّن الَّذِي له ماهيته ووجوده ويُعْبَرُ عن  
 هذا التعريف بالتعريف بماهيته وبنفسه وبنذاته وامثال ذلك من التعبير وحينئذ  
 فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَلٌّ مَعْرُوفٌ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ مَعْنَاهُ كَلٌّ مَا يُعْرَفُ بِذَاتِهِ وَبِمَاهِيَّتِهِ فَهُوَ  
 مَصْنُوعٌ اي مُمَكِّنٌ مَخْلُوقٌ وَحَيْثُ اَنْ الْوَاجِبُ لَيْسَ بِمُمَكِّنٍ فَلَا مَاهِيَّةَ لَهُ فَلَا  
 يُعْرَفُ بِهَا فَهُوَ مَعْرُوفٌ بِغَيْرِ مَاهِيَّتِهِ بَلْ يُعْرَفُ بِاَثَارِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَلَيْهِ فَالْبَاءُ فِي  
 قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِنَفْسِهِ لِلْسَّبَبِيَّةِ اي بِسَبَبِ مَاهِيَّتِهِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِنَا مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ.

مَصْنُوعٌ وَقَوْلِنَا كَلٌّ مَعْرُوفٌ بِسَبَبِ نَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَاضِحٌ لَا يَخْفَى عَلَى النَّاقِدِ  
 الْبَصِيرِ وَالشَّرَاحِ حَيْثُ لَمْ يَنْفِطُنُوا بِهَذِهِ النُّكْتَةِ فَقَالُوا مَا قَالُوا وَإِنْ ارَادُوا بِقَوْلِهِمْ  
 كَلٌّ مَعْلُومٌ مَا ارَدْنَاهُ فَلَا كَلَامٌ لَنَا مَعَهُمْ اِلَّا اَنْ ظَاهِرُ كَلَامِهِمْ يَبَاهُ:

وثانيهما قوله **عَلَى**: **وَكَلٌّ قَائِمٌ فِي سِوَاهُ مَعْلُومٌ**، قالوا في شرح العبارة ان كل قائم بغيره فهو معلوم لأن القيام بالغير مُستلزم لإحتياج اليه وكل مُحْتَاج ممكن فالله تعالى ليس قائما بغيره بل هو قائم بذاته وهو المطلوب اقول هذا ممّا لا باس به بل هو حَقٌّ وصدقٌ في الأصل ان ارجعنا الضمير في قوله (سواء) الى كل قائم كما هو الظاهر في بدو الأمر وعليه فالمعنى كل قائم في وجوده بما سواه اي بغيره فهو معلوم ولنا في المقام احتمال آخر وهو ارجاع الضمير الى الله تعالى والمعنى كل قائم في سوى الواجب معلوم والفرق بين المعنيين هو ان العبارة على قولهم تدل على ان كل عرض قائم بغيره فهو معلوم اذ العرض قائم بغيره لا غيره واما الجوهر فهو قائم بنفسه فهو غير معلوم والحال ان الجوهر ايضا معلوم كالعرض واما على قولنا فليس الأمر كذلك اذ المعنى ان كل قائم في سوى الواجب تعالى معلوم سواء كان قائما بغيره كالأعراض ام لم يكن كالجواهر وعبارة اخرى المعلولية على قولهم تتوقف على الموجود القائم بغيره وعلى قولنا القائم اعني الموجود بما هو هو جوهرًا كان او عرضًا فتأمل في المقام.

ثم ان المعنى على المختار ان كل قائم بالقيام الوجودي في غيره تعالى معلوم وذلك لأنه محتاج الى خالقه وكل مُحْتَاج ممكن فهو ممكن ومعلوم ان كل ممكن معلوم والدليل من العقل عليه ان الممكن في حد ذاته لا يقتضي الوجود والعدم فهو بالنسبة الى الوصفين في حد سواء ويحتاج في خروجه عن الإستواء الى مُخرج خارج عن ذاته اذ لو كان المُخرج اياه ايضا مُمكنًا فالكلام فيه كالكلام في قبله وهكذا فيتسلسل فلا محالة يكون خارجا عن ذات المُمكن والخارج اما واجب الوجود او مُمتنع الوجود لا سبيل الى الثاني اذ الإمتناع لا يكون علة للإيجاد ويبقى الباقي وهو الواجب وهو المطلوب وهذا هو المراد بان ما سوى الله معلوم له فالممكن اعني به كل ما سوى الله من الموجودات لا محيص عنه من كونه معلولاً للواجب فهو ليس في وجوده



قائما بنفسه لما عرفت بل هو قائم بغيره مُفتقر اليه وان شئت قلت انه نفس الفقر والإحتياج لا شيء ثبت له الفقر وهذا الفقر لا يتفك عنه ابدا فانه من لوازم ذاته او هو نفس ذاته فما سوى الله تعالى ليس الا الوجود الإمكانى الذي هو حقائق المُمكنات التي هي اشعة واضواء للنور الحقيقى والوجود الواجبى جلّ مجده وليست هي امور مُستقلة، قال بعض الفلاسفة ان جميع الوجودات الإمكانية والآليات الإرتباطية التعليلية اعتبارات وشؤون للوجود الواجبى واشعة وظلال للنور القىومى لا استقلال لها بحسب الهوية ولا يمكن ملاحظتها ذواتا مُنفصلة وآليات مُستقلة لأنّ التابعة والتعلق بالغير والحاجة عين حقائقها لا ان لها حقائق على حياتها عرض لها التعلق بالغير والفقر والحاجة اليه بل هي في ذواتها محض الفاقة والتعلق فلا حقائق لها الا كونها توابع لحقيقة واحدة فالحقيقة واحدة وليس غيرها الا شئونها وقنونها وحيثياتها واطوارها ولمعات نورها وظلال ضوءها وتجليات ذاتها.

كل ما في الكون وهم او خيال او عكوس في المرايا او ظلال

□ قوله **بِسْمِ اللَّهِ**: فاعِلٌ لَا يَاضْطَرِّبُ آلَةَ مُقَدَّرٌ لَا يَجُولُ فِكْرَةً غَنِيٌّ لَا يَاسْتِفَادَةَ...

اما كونه تعالى فاعلا فلا كلام فيه بل الفاعل الحقيقى ليس الا هو وغيره فاعل به وذلك لأنه في فاعليته لا يحتاج الى غيره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وما سواه محتاج اليه لا حول ولا قوة الا به واما ان الله تعالى فاعل لا باضطراب آله فالوجه فيه ان الفاعلية بسبب الآلة ناقصة والفاعل محتاج اليها في فعله وكل محتاج مُمكن والمفروض انه واجب.

وثانيا: لو كان فاعلا بالآلة ففي صورة عدم وجودها اما قادر على الإيجاد او ليس بقادر عليه فان كان قادرا فهي لغو محض وان لم يكن قادرا فهو عاجز ضعيف والمفروض انه على كل شيء قدير:

وثالثا: هذه الآلة مخلوقة له او مخلوقة لغيره فان كانت مخلوقة له تعالى فوجودها لغو محض اذ القادر على ايجاد الآلة قادر على ايجاد الفعل بدونها

فلا نفع في وجودها وان كانت لغيره يلزم تعدد الواجب واثبات الشريك له  
واحتمياج الواجب الى شريكه في الآلة وهو كما ترى.

ورابعا: ان احتياج الفاعل الى الآلة انما هو في المسبوق بالمادة والمدة او  
بالمادة فقط واما في الفعل الذي غير مسبوق بها فلا احتياج اليها وحيث انا قد  
اثبتنا ان فعله تعالى ابداعي غير مسبوق بهما بمعنى انه تعالى او جَد الشيء من  
العدم المحض وعليه فهو غير محتاج اليها وقد مرَّ الكلام في الباب عند شرحنا  
للخطبة الأولى:

وقوله ﷻ: مُقَدَّرٌ لا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ اِي ان الله مُقَدَّرٌ للأُمور لا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ  
والجَوْل بفتح الجيم وسكون الواو واللام مصدر قولك جال يَجُول جَوْلًا  
وجَوْلانا والجَوْل الحَرَكَةُ المَخْصُوصَةُ قال في المُنْجِد جَالٌ في المَكَانِ، طاف  
ودار، جال الشيء اختاره، جال القوم انكشفوا ثم كَرَّوا انتهى.

والفِكْرَةُ اَعْمَالُ الخاطِرِ في الأَمْرِ تُجْمَعُ على فِكْرٍ، والتاء فيها للوحدة وقال  
الزَّاعِبُ الفِكْرَةُ قُوَّةٌ مطرقة للعلم الى المَعْلُومِ والتَّفَكُّرُ جَوْلانٌ تلك القُوَّةُ بحسب  
نَظَرِ العَقْلِ وذلك لِلإِنْسَانِ دون الحيوان اذا عرفت هذا فقوله ﷻ لا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ  
معناه ان الله تعالى مُنْزَعٌ عن الفِكْرِ بالمعنى الَّذِي ذَكَرناه فَانَّهُ من شُؤنِ الجِسمِ  
للإِنْسَانِ فقط دون غيره والله تعالى ليس بجِسمٍ ولا جِسماني فلا فِكْرَ فيه.

وتوضيحه ان المَفْكَرَةَ انما وُضِعَتْ لِلوِصْلِ والفَصْلِ اِي لِتَرْكِيبِ الصُّورِ  
والمَعانِي بعضها مَعَ بَعْضٍ ولكونهما مُتَفَرِّقَةً في الصُّورِ والمَعانِي جَمِيعًا جَعَلَ  
الصَّانِعُ الحَكِيمُ مَوْضِعَهَا بين اللُّوحين مُقَدِّمُ البَطْنِ الأوسَطِ مِنَ الدِّماغِ وهي  
تُسَمَّى بِالمَفْكَرَةِ من حيث استعمال العقل اياها واما من حيث استعمال الوهم  
اياها فَتُسَمَّى مُتَخَيِّلَةً ومن المَعْلُومِ ان الله تعالى مُنْزَعٌ عن هذه الأُمور كما قلنا  
مرارا فلا فِكْرَ فيه وهو المطلوب هذا أوَّلاً:

وثانياً: لو كان له فِكْرٌ فهو حادِثٌ وكُلُّ حادِثٍ مُمَكِنٌ، فهو مُمَكِنٌ  
والمفروض وجوبه، بيان ذلك ان الفِكْرَ حَرَكَةٌ مِنَ المَطالِبِ التَّصَوُّرِيَّةِ

والتَّصَدِيقَةُ إِلَى الْمَبَادِي وَمِنْهَا إِلَى الْمَقْصُودِ وَكَمَا قَالَ السَّبْزَوَارِيُّ:  
 الْفِكْرُ حَرَكَةٌ إِلَى الْمَبَادِي وَمِنْ مَبَادِي إِلَى الْمَرَادِ  
 وَالْحَرَكَةُ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْحُدُوثِ بَلْ هِيَ عَيْنُهُ فَلَوْ كَانَتْ الْمُقَدَّرَاتُ فِيهِ تَعَالَى  
 بِجَوْلِ فِكْرَةٍ يَلْزَمُ أُمُورٌ كُلُّهَا مِنَ الْمُحَالَاتِ.

أحدها: أن يكون الواجب جسماً إذ الفِكر كما قلنا في تعريفه لا يكون إلا  
 فيما هو جسم وهو محال:

وثالثاً: يلزم حدوثه تعالى كما اشرنا إليه.

ورابعاً: الإحتياج وذلك لأن الموجود الذي له مُفَكَّرَةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِلْوَصُولِ  
 إِلَى الْمَقْاصِدِ وَالْإِحْتِيَاجِ مَسَاوِقٌ لِلْإِمْكَانِ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْوَاجِبُ مُمَكَّنًا.  
 وخامساً: أن المُفَكَّرَةَ قَدْ تُصِيبُ وَقَدْ تَخْطَأُ وَهُوَ وَاضِحٌ فَلَوْ كَانَ الْوَاجِبُ ذَا  
 قُوَّةٍ كَذَلِكَ لَا يُؤْمَنُ صِدْقُهُ وَأَصَابَتُهُ إِلَى الْوَاقِعِ وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِعَلِيمٍ حَكِيمٍ  
 وَهُوَ أَيْضًا ظَاهِرٌ.

وأما قوله **عَنِ**: غِنَى لَا بِاسْتِفَادَةٍ، مَعْنَاهُ أَنْ غِنَاهُ لَيْسَ كَغِنَى غَيْرِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ  
 الْغِنَى فِي غَيْرِهِ تَعَالَى بِالْإِسْتِفَادَةِ عَنِ الْغَيْرِ وَمَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا لَا يَكُونُ أَحَدٌ  
 مُتَّصِفًا بِهِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مِثْلًا إِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ غَنِيٌّ فِي الْمَالِ أَوْ الْعِلْمِ أَوْ غَيْرِهِمَا حَتَّى  
 فِي وَجُودِهِ وَذَاتِهِ فَهُوَ مُكْتَسَبٌ عَنِ غَيْرِهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَأَمَّا الْوَاجِبُ فَهُوَ غَنِيٌّ  
 بِالذَّاتِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ بَلِ الْغِنَى لَيْسَ إِلَّا هُوَ وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ كَأَنَّا مِنْ كَانَ لِقَوْلِهِ  
 تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ (١)

وقد ثبت أن تقديم المُسند إليه على المُسند يفيد الحصر أي هو الغنى فقط  
 لا غيره وهذا المعنى قد ثبت بالأدلة العقلية أيضا ولا كلام لنا فيه فعلاً بل  
 المقصود أن غناه بذاته لا بشيءٍ آخر ولا بالاستفادة عن غيره لوجوده.

أحدها: أن الإستفادة عن الغير منشاء الإحتياج والإحتياج يُسَاقِقُ الإِمْكَانَ  
 وَالْمَفْرُوضُ أَنَّهُ وَاجِبٌ.

وثانيها: انّ الغير الذي استفاد الواجب منه لا يخلو اما ان يكون واجبا او ممكنا ولا ثالث والأول يلزم منه الشّرك وتعدّد القدماء ووجود مبدئين وامثال ذلك ، والثاني يلزم منه احتياج الخالق الى المخلوق وهو باطل لوجوه، احدها: انه مستلزم للدور فانّ المخلوق قد ثبت احتياجه الى الخالق فلو كان الخالق ايضا محتاجا اليه يلزم الدور وهو محال:

وثانيها: انّ العبد وما في يده كان لمولاه وبعبارة اخرى كلّ ما في الوجود فهو منه تعالى فلو كان الواجب محتاجا اليه مستفيدا يلزم منه نقصه والنقص ليس بواجب بل هو ممكن:

وثالثها: انه يلزم ان لا يكون الواجب قبل ايجاده الخلق غنيا بل كان فقيرا ثم صار بالخلق غنيا وكلّ فقير ممكن فهو كان قبل الخلق ممكنا وبعده غنيا واجبا وهو كما ترى:

□ قوله ﷻ: لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدْوَاتُ سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ وَالْإِبْتِدَاءَ أَزَلُّهُ...

اما انه لا تصحبه الاوقات فلا انّ الواجب لو كان مصاحبا لها ويجري فيه الماضي والحال والاستقبال والابتداء والانتها والحين والساعة وامثالها من التعبير يلزم ان يكون زمانيا اذ لا نعني بالزمانى الا ما كان مصاحبا للزمان واذا كان زمانيا فهو حادث لتغيره بتغير الزمان وكلّ حادث ممكن ليس بقديم فالواجب ليس بقديم والمفروض خلافه:

وثانيا: يلزم تقدم الشّي على نفسه وهو محال وتقريره انّ الزمان يحدث من حركة الأفلاك والأفلاك مخلوقة له تعالى فلو فرضنا كونه تعالى مصاحبا للزمان يلزم ان يكون الزمان في الوجود مقارنا لوجود الواجب حتى تصدق المصاحبة لا مؤخرا عنه والحال انّ المعلول يتأخر عن العلة وجودا وهذا معنى تقدم الشّي على نفسه:

وثالثا: ان لا يكون الزمان مخلوقا له اذ المقارن في الوجود لا يكون مخلوقا

معلولاً:

فثبت أن مصاحبة الأوقات في حقه تعالى محال وهو المطلوب:  
وقوله ﷻ: وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ، معناه أنه تعالى لا يستعين بها في فعله  
وذلك أيضاً لوجوه:

أحدها: أن الله تعالى قادر على كل شيء فلو ترفده وتعينه الأدوات في فعله  
يلزم احتياجه إليها والإحتياج ناشئ عن الضعف وهو ينافي القدرة المطلقة:  
وثانيها: أن الأدوات المفروضة أيضاً مخلوقة له والمخلوق لا يعين الخالق  
في الفعل للزومه تقدم الشيء على نفسه ولا سيما في الصادر الأول وهو باطل:  
وثالثها: أن الفعل بسبب الأدوات غير ابتداعي وقد مرّ الكلام غير مرة أن فعله  
تعالى ابتداعي وهو لا يحتاج إلى آلة أو آلات وهو واضح:

وقوله ﷻ: سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، فالأوقات مفعول مقدم على الفاعل اعني  
الكون والتقدير سبق كونه ووجوده الأوقات أي كان الله تعالى ولم يكن هناك  
وقت أصلاً:

والدليل عليه أن الوقت هو الزمان وهو مخلوق له تعالى بواسطة الأفلاك  
وبعبارة أخرى الوقت معلول لحركة الأفلاك وهي لوجودها ووجودها معلول  
للعقل وهو له تعالى فلو فرضنا، وجود الوقت مقارناً لوجوده تعالى أو مقدماً  
عليه يلزم تقدم الشيء على نفسه بمراتب وهو محال:

وثانياً: يلزم كونه تعالى زمانياً وكل زمانٍ حادث وكل حادث مُمكن  
والمفروض وجوبه:

والفرق بين قوله ﷻ: لَا تَضْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وقوله سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ هو أنه  
في الأول نفى المصاحبة وفي الثاني اثبت ﷻ وجوده تعالى عليها والفرق بين  
المقامين واضح وتقريره أن عدم مصاحبة الأوقات آياه يدل على أن الله تعالى  
ليس في الوقت والزمان بمعنى يكون له ابتداء وانتهاء وإن يكون فعله في  
الوقت فهو ليس بزمانى ليكون الزمان طرفاً لوجوده تعالى وافعاله:

وأما في المقام فقد نفى عنه مسبوقيته بالوقت بمعنى ان يكون الوقت قبله موجودا واثبت وجوده قبل الأوقات ولازم ذلك كونه تعالى خالقا للزمان: وقوله **عَلَى**: وَالْعَدَمَ وَجُودَهُ الوَاو للعطف اي سَبَقَ وجوده العَدَمَ فالأوقات والعَدَمَ في الجُمْلَتَيْنِ وَقَعَا مفعولين والكَوْنُ والوجود وقعا فاعلين والمعنى كما ان كونه ووجوده سَبَقَ الأدوات اي تَقَدَّمَ عليها كذلك تَقَدَّمَ الوجود اي وجوده على العَدَمَ لا العَدَمَ على الوجود ليكون مسبوقا به فكان حادثا اذ الحدوث الزماني ما كان مسبوقا بالعَدَمَ:

ان قلت - هذه العبارة اعني قوله والعَدَمَ وجوده لا تستقيم وذلك لأنه لا عدم له تعالى يقال سَبَقَ وجوده عليه وبعبارة اخرى لازم ذلك هو اثبات العَدَمَ له تعالى الا ان وجوده مُقَدَّم عليه فهو سَيَنَعْدَمُ بالأخرة والمفروض خلافه:

**اقول:** الحق ان العبارة من المشكلات ونحن بعد الرجوع الى الشروح الموجودة عندنا لم نجد شيئا يُعَبِّأُ به ولننقل ما قالوا في شرح كلامه ثم نقول فيه ما في وسعنا:

قال المُحَقِّقُ البحراني ما هذا لفظه، الثالث عشر والعَدَمَ وجوده اي وسبق وجوده العَدَمَ وبيانه أنه تعالى مخالف لسائر الموجودات الممكنة فانها مُحدثة فيكون عَدَمُها سابقا على وجودها ثم ان لم يكن كذلك وجودها وعدمها بالنسبة الى ذواتها على سواء كما بين فطانه ولها من ذواتها انها لا تَتَحَقَّقُ وجودا وعَدَمًا لذواتها وذلك عدم سابق على وجودها فعلى كل تقدير فوجودها يكون مسبوقا بعدم بخلاف الموجود الأول جلّت عظمته فانه لما كان واجب الوجود لذاته كما هو موجود فكان لحوق العَدَمَ له محالاً فكان وجوده سابقا على العَدَمَ المُعْتَبَرِ لغيره من المُمكنات ولأن عدم العالم قبل وجوده كان مُستندا الى عدم الداعي الى ايجاده المُستند الى وجوده فكان وجوده تعالى سابقا على عدم العالم ثم تبيّن انتهى.

**اقول:** هذه عبارته فافهم منها شرح كلامه **عَلَى** ان تقدر عليه اليس هذه

المُتَّفَقَات خَارِجَةٌ عَنِ طَوْرِ الْبَحْثِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْبَحْثَ فِي سَبْقِ الْوُجُودِ عَلَى الْعَدَمِ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى لَا فِي سَبْقِ وَجُودِهِ عَلَى عَدَمِ الْمُمْكِنَاتِ إِذْ هُوَ ظَاهِرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ.

مُضَافًا إِلَى عَدَمِ صِرَاحَةِ الْعِبَارَةِ فِيهِ وَعَدَمِ وَجُودِ الْقَرِينَةِ عَلَى حَمْلِ الْعَدَمِ فِي قَوْلِهِ عَلَى عَدَمِ الْمُمْكِنَاتِ وَثَلَاثًا أَنَّ هَذَا التَّقَدُّمَ لَيْسَ مِنْ خَوَاصِّهِ تَعَالَى فَإِنَّ الْوُجُودَ فِي الْمُمْكِنِ أَيْضًا سَابِقٌ عَلَى عَدَمِهِ وَإِنْ كَانَ مَلْحُوقًا بِهِ أَيْضًا:

وَفَسَّرَ الْمُعْتَزَلِيُّ الْعَدَمَ فِي الْمَقَامِ بَعْدَ ذَاتِهِ تَعَالَى لَا عَدَمَ الْعَالَمِ كَمَا قَالَ بِهِ الْبَحْرَانِيُّ ثُمَّ قَالَ الْمُعْتَزَلِيُّ أَيَّ غَلْبٍ وَجُودِ ذَاتِهِ عَدَمُهَا وَسَبْقِهَا فَوَجِبَ لَهُ وَجُودُ يَسْتَحِيلُ تَطَرُّقَ الْعَدَمِ إِلَيْهِ أَزْلًا وَأَبَدًا بِخِلَافِ الْمُمْكِنَاتِ فَإِنَّ عَدَمَهَا سَابِقٌ بِالذَّاتِ عَلَى وَجُودِهَا وَهَذَا دَقِيقٌ أَنْتَهَى كَلَامُهُ وَلَعَلَّهُ مِنْهُ أَخَذَ الْخَوْثِيُّ فِي شَرْحِهِ حَيْثُ قَالَ أَيَّ وَجُودِهِ لَوْ جُوبَهُ سَبِقَ وَغَلَبَ الْعَدَمَ فَلَا يَعْتَرِيهِ عَدَمٌ أَصْلًا أَنْتَهَى هَذَا مَقَالُوهُ فِي الْمَقَامِ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ تَفْسِيرَ الْعَدَمِ بَعْدَ ذَاتِهِ كَمَا فَعَلَهُ الْمُعْتَزَلِيُّ وَالْخَوْثِيُّ أَيْضًا خَارِجٌ عَنِ الْعِبَارَةِ وَالَّذِي نَقُولُ فِي جَوَابِهِمْ هُوَ أَنَّهُ مِنْ كِمَالَاتِ الْمَرَّةِ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءُ أَنَّ يَقُولُ لَا أَعْلَمُ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ وَنَحْنُ نَقُولُ بِهِ فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ مَا ارَادَ عَلَى بِالْعَدَمِ فِي الْمَقَامِ عَدَمَ الْعَالَمِ أَوْ عَدَمَ الذَّاتِ أَوْ عَدَمَ الْمُمْكِنَاتِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَكِنْ نَحْتَمِلُ فِي حَلِّ الْإِشْكَالِ أُمُورًا:

أَحَدُهَا: أَنَّ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْعَدَمِ عَدَمَ ذَاتِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْوُجُودَ فِيهِ تَعَالَى سَبِقَ الْعَدَمِ فَلَا يَتَّصِفُ بِهِ أَصْلًا لِأَنَّ ذِكْرَهُ مِنْ أَنَّ الْوُجُودَ صَارَ وَجُوبًا فَإِنَّ لِلْوُجُوبِ دَلِيلَ آخَرَ بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ الشَّيْءَ لَا يَتَّصِفُ بِتَقْيِضِهِ كَمَا ثَبَّتَ فِي الْفَلَسَفَةِ وَحِينَئِذٍ نَقُولُ إِذَا كَانَ وَجُودُهُ سَابِقًا عَلَى عَدَمِهِ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ يَكُونُ حَادِثًا فَمَاذَا انْ يَتَّصِفُ الْوُجُودَ بِالْعَدَمِ حَالٌ وَجُودُهُ أَوْ حَالٌ عَدَمُهُ أَوْ حَالٌ عَدَمِ وَجُودِهِ وَعَدَمِ عَدَمِهِ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمَا إِذِ الْإِتِّصَافُ بِالْعَدَمِ حَالٌ الْعَدَمِ تَحْصِيلٌ لِلْحَاصِلِ وَالْإِتِّصَافُ حَالُ الْإِسْتِوَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى مُؤَثِّرٍ خَارِجٍ عَنِ ذَاتِهِ فَيَكُونُ مُمَكِّنًا وَالْأَوَّلُ أَعْنِي اتِّصَافَهُ بِهِ حَالٌ وَجُودُهُ فَهُوَ مِنْ اتِّصَافِ

الشيء بنقيضه وهو مُحال واذا كانت الشقوق باسرها باطلة فالوجود مادام كونه موجودا لا يتَّصف بالعدم اصلاً فالواجب لا يُوصف بالعدم:

وثانيها: ان يكون المراد ان الوجود بما هو هو مُقدَّم على العدم والإثبات مُقدَّم على النفي فاذا لم يكن وجوداً لم يكن عدماً ايضاً لتفرعه عليه فمن قال او يقول بعدمه تعالى بعد وجوده يحتاج الى دليل فالواجب تعالى كما يكون علةً موجودة كذلك يكون علةً مُبقية:

وثالثها: ان يكون المراد بالعدم عدم المُتَعَقَّب لوجود العالم اعني به فناءه والمقصود ان العالم وما فيه فانية دائرة لا محالة واما وجوده تعالى فليس بعده عدم اصلاً فهو ازلي ابدى وذلك لأن الشيء كما انه في اتصافه بالوجود يحتاج الى الفاعل كذلك في اتصافه بالعدم وتقريره ان الموجود لا يخلو اما ان الوجود عين ذاته او انه زائد عليها فعلى الأول لا يحتاج الى علة زائدة على ذاته اذ لم يعرض الوجود على الذات ليكون محتاجا اليها فيه وعلى الثاني يحتاج اليها والأول تُعبر عنه بالواجب والثاني بالممكن وحيث ان الممكن في وجوده مُحْتَاج الى العلة لتُخرجه عن حدّ الإستواء فلا محالة هو في حدّ ذاته لا يابى عن العدم بل يقتضيه ولهذا قيل في تعريفه المُمكن من ذاته ان يكون ليسا ومن شأنه وعلة ان يكون آيسا وعليه فهو في حدّ ذاته يقتضي العدم وانما وجد بالعلة ولعله لهذه الجهة قالوا انه مُحْتَاج الى العلة المُبقية كما انه مُحْتَاج الى العلة الموجودة فاذا فرضنا عدم العلة او انقطاع فيضها عنه فهو لا محالة معدومة بمقتضى ذاته وهذا في المُمكن ظاهر واما الواجب فليس كذلك لأن وجوده من ذاته لا من علة خارجية عنها واذا كان كذلك فالعدم والفناء بالنسبة اليه محال لأن العدم مُستند الى عدم العلة اعني العلة الموجودة آياه وحيث انا اثبتنا عدم وجود العلة في وجود الواجب وان الوجود مُستند الى ذاته الواجبية فلا يعقل فيه عدم اصلاً اذ لا مؤثر في وجوده حتى نقول في صورة عدم المؤثر صار معدوما وذات الوجود بما هو هو لا تقتضي العدم والآ يلزم اتصاف الشيء



بِنَقِيضِهِ فَهُوَ مَوْجُودٌ دَائِمًا وَهُوَ الْمَطْلُوبُ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَبَقَ وَجُودُهُ الْعَدَمَ مَعْنَاهُ سَبَقَ وَجُودُهُ الَّذِي لَا عِلَّةَ لَهُ عَلَى الْعَدَمِ وَالسَّبَقُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ دَائِمِي ابْتَدَى لَا يَتَّعِقِبُهُ الْعَدَمُ اصْطِلَاحًا وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ السَّبَقُ سَبَقَانِ ذَاتِيٍّ وَغَيْرِيٍّ وَالْأَوَّلُ لَا تَغْيِيرَ وَلَا تَبْدِيلَ فِيهِ وَالثَّانِي يَكُونُ مُتَغْيِرًا لَا مُحَالَةً وَحَيْثُ أَنَّ سَبَقَ الْوَجُودِ فِي الْوَاجِبِ عَلَى الْعَدَمِ كَانَ ذَاتِيًّا فَلَا يَتَّبَدَلُ وَلَا يَتَّغْيَرُ وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ فَحَيْثُ أَنَّ سَبَقَ وَجُودِهَا عَلَى عَدَمِهَا غَيْرِيٌّ فَهُوَ فِي مَعْرَضِ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَالْفَنَاءِ وَالدُّثُورِ هَذَا مَا فَهَمْنَا مِنْ الْعِبَارَةِ فَافْهَمْ.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالْإِبْتِدَاءُ أَرْزُلُهُ، بِنَصْبِ الْإِبْتِدَاءِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَبَقَ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا سَبَقَ كَوْنُهُ عَلَى الْأَوْقَاتِ وَوَجُودُهُ عَلَى الْعَدَمِ كَذَلِكَ سَبَقَ أَرْزَلَهُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ:

وهذه العبارة أيضا دقيقة تحتاج إلى التأمل والشُّراح حَمَلُوهَا عَلَى نَفْيِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ عَنْهُ تَعَالَى بِمَعْنَى أَنَّ وَجُودَهُ الْأَرْزَلِيَّ سَبَقَ كُلَّ ابْتِدَاءٍ فَلَيْسَ لَوْجُودِهِ وَصِفَاتِ ذَاتِهِ ابْتِدَاءً فَكُلُّ ابْتِدَاءٍ وَمُبْتَدَأٍ مَسْبُوقٌ بِأَرْزَلِيَّةِ فَقَالَ الْبِحْرَانِيُّ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْزَلَ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ الْأَوَّلِيَّةِ وَالْإِبْتِدَاءِ وَذَلِكَ أَمْرٌ يَلْحَقُ وَاجِبَ الْوَجُودِ لِمَا هُوَ هُوَ بِحَسَبِ الْإِعْتِبَارِ الْعَقْلِيِّ وَهُوَ يُنَافِي لِحُقُوقِ الْإِبْتِدَاءِ وَالْأَوَّلِيَّةِ لَوْجُودِهِ تَعَالَى فَاسْتِحَالُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ابْتِدَاءٌ إِلَى آخِرِ مَاقَالَ وَتَابَعَهُ الْحَوْثِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّرَاحِ فِيهِ.

اقول: الإبتداء في كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ له احتمالان أحدهما بالنسبة إلى ذاته وثنانيهما بالنسبة إلى غيره من الموجودات.

أما الأول: فمعناه أنه لا ابتداء لذاته بل هو أرزلي إذ كل ابتداء فهو مسبوق بعدمه والآ لا يكون مبتدئ وهو واضح فلو كان لوجود الواجب ابتداء بهذا المعنى يلزم أن يكون مسبوقا بعدمه ولا نعني بالحدوث الآ هذا فلا ابتداء له وهذا هو الذي فهموه من العبارة الآ أنهم لم يقدرُوا على إقامة البرهان عليه: **وأما المعنى الثاني:** أعني به الإبتداء النسبي إلى غير المبتدئ فمعناه عدم تقدم

غيره عليه اذا عرفت هذا فنقول اما الإبتداء بالمعنى الأول فهو مُتَّفٍ عن الواجب راسا لما ذكرناه لا لما ذكروه وفهموه من العبارة من ان ازليته تقدمت عليه فلا ابتداء له وذلك لأن الإبتداء الذاتي لا يُعقل في المقام وبعبارة اخرى تقدم ازليته على ابتداء وجوده لا معنى له اذ سلب الإبتداء هو الأزلية فلا فرق بين قولنا ان الواجب ازلي وقولنا ان الواجب لا ابتداء له فليَمَ قُلْتُمْ ان الأزلية تُدل على انه لا ابتداء له وما قُلْتُمْ ان سلب الإبتداء عنه دليل على ازليته فحمل كلامه عليه عليه السلام هذا المعنى في الحقيقة من تحصيل الحاصل وتوضيح الواضح وعليه فالمراد بالإبتداء في كلامه هو المعنى الثاني:

وتوضيحه ان الواجب لا ابتداء لوجوده كما قلنا واما ابتداء الإيجاد فهو في حقه معقول بل مؤيد منصور وذلك لأن العالم موجود بايجاده وقد ثبت عقلاً ونقلًا حدوث العالم سواء قلنا بالحدوث الذاتي او قلنا بالحدوث الزماني والأول مسبوق بالعلّة فقط والثاني مسبوق بالعدم وعلى كلا التقديرين للعالم ابتداءً من حيث الوجود وليس بتقديم ازلي حتى لا يكون له أولاً واذا كان كذلك فمعنى العبارة ان ازلية الواجب سبقت وتقدمت على ابتداء العالم من حيث وجوده فهو اي العالم ليس بتقديم ولا ازلي فهذا الكلام منه عليه السلام ردّ على بعض الفلاسفة القائلين بقدّم العالم وازليته ذاتا وان لا خالق له اصلاً فقال عليه السلام في جوابهم كل ما فرضتموه أولاً وابتداءً للعالم فهو مسبوق بازلية الواجب وان قُلْتُمْ بعدم الإبتداء له فيلزم تعدّد القدماء وقد ثبت في محله استحالته مضافا الى ان كل ماله انتفاء وانتهاء فله ابتداء ايضا والعالم باجزائه وذراته كذلك حسا فله ابتداء وحيث ان ازليته الحقّ تقدمت على كل ابتداء فهو اي العالم مسبوق بها فهو خالقه وهو المطلوب.

□ قوله عليه السلام: بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ....

مَشَاعِرَ جَمَعَ مَشْعَرٌ وَهُوَ الْحَاسَّةُ فَالمراد بالمشاعر الحواس الظاهرة

والباطنة والضد كما عرّفناه غير مرّة المخالف يقال ضادّه مضادّه خالفه وجاء  
بمعنى النظر ايضاً

والبّحث في مقامين:

احدهما قوله عليه السلام: **بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ**، قال البحراني رحمته أنّه  
تعالى لما خلّق المشاعر واوجدها وهو المراد بتشعيره لها امتنع ان يكون له  
مشعر وحاسة والألكان وجودها له اما من غيره وهو محال اما أولاً فلأنّه مشعر  
المشاعر واما ثانياً فلأنّه يكون محتاجاً في كماله الى غيره فهو ناقص بذاته هذا  
محال، واما منه وهو ايضاً محال الى آخر ما قال وبه قال الخوئي رحمته وغيره من  
الشراح هذا:

ولقائل ان يقول نختار الشق الثاني وهو انه منه تعالى لا من غيره قوله ان كان  
كمالاً كان ناقصاً بذاته هذا محال وان لم يكن كمالاً كان اثباتها له نقصاً لأن  
الزيادة على الكمال نقصان، قلنا في الجواب لا نسلم هذا فنختار الشق الأول  
وهو انها كمالات له تعالى ولا يلزم منها نقص في ذاته فان اثبات الكمال  
للموجود لا يدل على نقصه في ذاته والحاصل ان المشاعر كغيرها من  
الكمالات امثال العلم والقدرة والإرادة وكما ان اثباتها له لا يوجب النقص في  
ذاته كذلك هنا فلا بد لنا من دليل آخر على عدم اتصافه تعالى بالمشاعر غير ما  
ذكره ثم العجب من هذا المحقق كيف غفل عن اصل الموضوع ودخل في  
موضوع آخر فان البحث في ان الله تعالى ليست له مشاعر لكونه مشعيراً لها  
فالدليل على عدم وجودها فيه مذكور في كلامه عليه السلام وهو الذي يجب لنا ان  
نفهمه وهو قوله عليه السلام: **(بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ) وَاي رِبْطٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا قَالَ عليه السلام فِي شَرْحِ**  
كلامه من اثبات المدعى بشي آخر فنقول:

تشعيره المشاعر عبارة عن جعلها كذلك فان الحواس غير تشعيرها وذلك  
لأن الحواس جمع حاسة والحاسة عبارة عما يحس فالإحساس صفة لذات  
القوة والموصوف بما هو هو غير الصفة بما هي هي كما ان العالم عبارة عن

ذات ثبت له العلم فالذات شيء آخر فوجود الذات لا يستلزم وجود الصفة لا مكان ان يكون الذات موجودا بغير علم وهو واضح وهكذا في المقام فان كلاً من الحواس في حدّ انفسها لها وجود ولو وصفها اعني الإدراك والإحساس بها وجود آخر واقعا وان كانا في الخارج واحدا كما هو كذلك في مطلق الصفة والموصوف فائهما، موجودان بوجودين مُستقلين في الواقع وبوجود واحد في الخارج وحيث انّ المُوصوف اعني به ذات الحاسة اتصافه بالإدراك بالإمكان لا بالوجوب فلا محالة يحتاج في اتصافه به الى علة خارجية عن مقام ذاته كما قلنا في كل مُمكنٍ وهذه العلة لا تكون مُمكنة لِلزومه التّسلسل فهي واجبة فثبت انّ تشعير المشاعر اعني جعلها كذلك وبعبارة اخرى اتصافها به بسبب العلة وهي الله تعالى فهو الذي جعل المشاعر مُشعرا وهو المطلوب وبذلك عرفت انّ الجعل في المقام مُركّب لا بسيط اي جعل الشيء شيئا لا جعل الشيء فقط فقول البحراني لما خلق المشاعر وارجدها وهو المراد بتشعيره لها، في حيز المنع اذ ليس معنى تشعيره ايها ايجادها فقط كما توهمه ﴿﴾ فانّ هذا من جعل البسيط بل معنى تشعيره ايها ايجاد المشاعر مُتّصفاً بالتشعير فالتقيد داخل وان كان القيد خارجا وبعبارة اخرى تعلّق الإيجاد بتشعير المشاعر لا بنفس المشاعر وعليه فالجعل مُركّب لا بسيط الا ترى انّ الإمام لم يقل بايجاده المشاعر وقال بتشعيره المشاعر وهو يُنادي باعلى صوته بكون الجعل مُركّبا اذا عرفت هذا المعنى:

فاعلم انّ المشاعر مع قطع النظر عن كونها مُشعرة لا اثر لها فانّ الإدراك موقوف على شعورها لا على وجودها فقط من غير اتصافها به ويتّج انّ المشاعر في حدّ انفسها لا اثر لها فهي تحتاج الى الشعور ولما كان الشعور من الأوصاف الطارئة عليها تحتاج الى مُشعيرٍ فكلّ مُشعيرٍ لا بدّ له من مُشعيرٍ فاذا فرضنا وجود المُشعير فيه تعالى فهو ايضا يحتاج الى المُشعير فانّ حكم الأمثال واحد وهذا المُشعير ان كان هو تعالى يلزم اتصاف الذات بما هو زائد على ذاته

عارض عليها بعد ان لم تكن الذات بما هي هي متصفة به فهو مسبوق بالعدم ويلزم منه حدوثه تعالى فان محل الحادث حادث هذا اولاً وثانياً ان الصفات هناك عين الذات ويلزم مما ذكرناه زيادة الصفة على الذات اذ لو كانت متحدة معها لما احتاجت الى الجعل والحاصل ان ثبوت المشاعر له تعالى يستلزم خروجه عن الوجوب وان لا تكون الصفة عين الذات فلا مشاعر له وهو المطلوب:

وفي المقام تحقيق لصدر المتألهين نقله الخوئي رحمته في شرحه فراجعه ان شئت.

وثانيهما قوله عليه السلام: **وَبِمُضَادَّتِهِ بَيِّنَ الْأُمُورِ عُرْفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ.**

والكلام فيه كالكلام في الجملة السابقة من جهة الاستدلال واما الشارح البحراني رحمته فقال في شرح العبارة ما حاصله ان الله تعالى خالق الأضداد فلو كان له ضد لكان خالقاً لنفسه ولضده وهو محال وثانياً لو كان له ضد لكان متعلق الوجود بالغير فلم يكن واجب الوجود لذاته هـ.

وثالثاً، الضدان هما الأمران الثبوتيان اللذان يتعاقبان على محل واحد ويمتنع اجتماعهما فيه فلو كان بينه وبين غيره مضادة لكان محتاجاً الى محل يعاقب ضده عليه وهو تعالى غني عن كل شيء.

اقول: ما ذكره رحمته صحيح في محله ولا ربط له كثيراً بما نحن فيه مضافاً الى ان كل ما ذكره في حيز المنع ولا بحث لنا فيه فعلاً وإنما البحث في انه كيف بمضادته بين الأمور عُرْفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ وليس البحث في نفي الضد مطلقاً حتى نستدل عليه بما شئنا والبحراني رحمته اثبت ان لا ضد له وهو واضح قد فرغنا عنه في باب التوحيد فنقول:

كيفية الاستدلال على المدعى هي كيفية الاستدلال على اثبات الجملة السابقة نعلماً بالنعل وحاصله ان الضدية امر عارض على الموجود كالمثلية والمساواة وغيرهما من الصفات العارضة على اللفظ فالأمران الوجوديان ان لم

يمكن اجتماعهما في محل واحد يتصان بالتضاد فالتضاد فيهما غير وجودهما في حد ذاتهما اذ ليس كل موجود ضدًا لموجود آخر وعليه ايجاد الموجود بما هو موجود شيء وصفة الضد شيء آخر فالأمران الوجوديان من حيث وجودهما مَجْعُولَان بِالْجَعْلِ البسيط ومن حيث التضاد بينهما بِالْجَعْلِ المُرَكَّب.

ضرورة ان ايجاد الأمرين غير كونهما متضادين اذا عرفت هذا فقد علمت اجمالاً لما نحن بصدده وهو ان الله تعالى جعل التضاد بين الأمور فوجد السواد مثلاً ضدًا للبياض فالتضاد بينهما بِالْجَعْلِ لا من عند ذاتيهما وعليه فالذات موصوف بهذا الوصف والوصف زائد على الذات كما هو المفروض فلو كان للواجب ضدٌ مثلاً فهو والواجب ضدان وصفة التضاد زائدة على الذات فيهما عارضة عليهما وقد ثبت ان كل عرضي مُعَلَّل وكل مُعَلَّل لا بد له من علة وكل ما له علة فهو مخلوق فالواجب وضده مخلوقان لخالقي آخر وهكذا ويتسلسل فلا ضد له وهو المطلوب وبعبارة اخصر اذا قلنا ان التضاد بين الأمرين يجعل الجاعل فلو قلنا له ضدٌ مثلاً يجري الحكم فيهما ايضاً فان حكم الأمثال واحد فلا بد لهما اي للواجب وضده من جاعل يجعل التضاد بينهما ولازم ذلك كون الواجب وضده مخلوقين لغيرهما فما فرضناه واجبا صار ممكنا مخلوقا هف:

□ قوله ﷻ: **وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ...**

وهذه الجملة ايضاً كالجملتين السابقتين من حيث الاستدلال وحاصله ان المقارنة بين الأشياء امرٌ عارض عليها والله تعالى هو الذي جعلها بينها اي جعل الأشياء موصوفة بها فلو كان له تعالى قرين فهما موصوفان بوصف المقارنة وهي عارضة على ذاتها وكل عرضي مُعَلَّل وكل مُعَلَّل محتاج والمفروض انه واجب ولا خفاء فيه:

□ قوله ﷻ: **ضَادُّ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ وَالْوَضُوحِ بِالْبُهْمَةِ وَالْجَمُودَ بِالْبَلَلِ وَالْحَرُورَ بِالصَّرْدِ...**

قال البحراني وفي كونهما ضديين خلاف بين العلماء وهو مبني على كون الظلمة امرا وجوديا او عَدَمِيا، والأقرب أنها امرٌ وجوديٌّ مُضادٌ لِلنُّورِ وقال بعضهم أنها عبارة عن عَدَمِ الضُّوءِ عَمَّا من شأنه ان يُضِيَّ وليست على هذا القول عَدَمًا صِرْفًا فَجَاز ان يطلق عليها أنها ضدٌّ مجازا ونقل الخوئي رحمته عن الصدر الشيرازي ايضا القول بانها ليست عَدَمًا صِرْفًا واختاره تبعاً له او للبحراني:

**اقول:** لا نحتاج الى هذه التكاليف والأقاريل التي لا طائل تحتها فان التقابل فيهما ليس بالتضاد كما ظنوه بل التقابل بالسلب والإيجاد فهما نقيضان لا ضدان واطلاق الضد عليهما في كلامه عليه السلام هو الذي اضطرهم الى هذه الإستخراجات ولم يعلموا ان اطلاق الضد على النقيض شائع في كلمات الفلاسفة اذ الضد كما قلنا في الأصل هو الخلاف فالضدان مخالفان وكل مخالفٍ لغيره فهو ضده سواء كان المخالف امرا وجوديا ام عَدَمِيا واما ان الضدين امران وجوديان كذا وكذا فهو مجرد اصطلاح عند المنطقيين ولا ربط له بمعناه الأصلي ولذلك ترى كثيرا من الفلاسفة يطلقون الضدين على المتناقضين وبالعكس فيقولون الوجود ضد العدم او نقيض العدم مع ان الوجود بحسب الإصطلاح ليس ضدًا للعدم لأن العدم ليس امرا وجوديا ولا نقيضه لأن نقيض كل شيء رفعه فنقيض الوجود لا وجود لا العدم فالإطلاق في كلماتهم ليس الا للتخالف بين الوجود والعدم وهو معنى عام يشمل الضدين والنقيضين اذا عرفت هذا فنقول:

قوله عليه السلام: ضَادُّ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ معناه جعل بينهما المُخَالَفةَ والمُغَايِرَةَ بحيث لا يجتمعان معا لا انه عليه السلام جعل الظلمة امرا وجوديا ثم قال ما قال لندحتاج في حل الإشكال الى هذه الأقوال هذا كله مع ان قول البحراني والصدر الشيرازي كلاهما في حيز المنع اذ لا يمكن ادخال الظلمة والنور تحت التضاد بالمعنى المُصطلح فيه بِمُجَرَّدِ دَعْوَى ان الظلمة عَدَمِ النُّورِ عَمَّا من شأنه ان يضيئ فلها

حَظُّ من الوجود لكونهما من تقابل العدم والمَلَكَة وحيث أنّ لها حَظُّ من الوجود فهي ضِدُّ النُّور، وذلك لأنّ المُدْعَى يحتاج الى الدليل فنطالب منهما الدليل على أنّ الظلمة عدم النُّور عمّا من شأنه كذا وكذا ولو كان مُجَرَّد الإِدْعَاء كافياً في اثبات الشّيءِ فالنَّقَائِضُ كلّها تَرَجِعُ الى التُّضَادِّ وليس لنا تناقض اصلاً وذلك لأنّهم قالوا نَقِيضُ كُلِّ شَيْءٍ رَفَعَهُ فَتَقِيضُ الوجود مثلاً لا وجود ونقيض البياض لا بياض وهكذا فنقول نقيض الوجود لا وجود الذي من شأنه الوجود فله حَظُّ من الوجود فالوجود واللاوجود ضِدَّانِ وهكذا نقيض البياض لا بياض الذي من شأنه البياض، فليس لنا ارجاع كلّ عَدَمٍ الى عَدَمِ المَلَكَة بل لا بدّ لنا من اثبات المَلَكَة أوْلاً ثمّ تَقْيِيدُ العَدَمِ بها وعليه فما المَلَكَة في النُّور والظلمة مُضَافاً الى أنّ الظلمة بهذا المعنى اعني عَدَمِ النُّورِ عمّا من شأنه كذا ليست ضِدّاً للنُّور ولا تَقِيضاً له بل التَّقَابِلُ بينهما هو تقابل العدم والمَلَكَة وهو خارج عن مورد البَحْثِ فَانّه عليه السلام قال ضَادُّ النُّورِ بِالظلمة، وَحَمَلَ الكَلَامَ عَلَى المَجَازِ اِي اِطْلَاقِ الضِّدِّ عَلَى تَقَابِلِ العَدَمِ وَالمَلَكَة عَلَى سَبِيلِ المَجَازِ يَحْتَاجُ الى قَرِينَةٍ مُصَحِّحَةٍ لَهُ وَلَا وَجُودَ لَهَا اصِلاً فَحَمَلَ الكَلَامَ عَلَى مَعْنَاهِ المُتَعَارِفِ اصَّحُّ وَأَوْلَى وَعَلَيْهِ فَالمَعْنَى أَنَّ اللّهَ تَعَالَى جَعَلَ النُّورَ وَالمَلَكَة كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخَالِفُ الأُخَرَ كَمَا أَنَّ الوَضُوحَ وَالمُظْهِورَ يُخَالِفُ الإِبْهَامَ وَالجَمُودَ اعني اليَبُوسَةَ يُخَالِفُ الرُّطُوبَةَ وَالمُحَرَّرَ اِي الحَرَارَةَ يَخَالِفُ الصُّرْدَ وَالمُبْرُودَةَ فَهَذِهِ الأَشْيَاءُ المُتَخَالِفَةُ بِصُنْعِهِ وَاِيجَادِهِ عَلَى وَفْقِ المَصْلِحَةِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى التَّخَالُفُ فِيهَا لَيْسَ مِنْ لَوَازِمِ مَاهِيَّتِهَا بَلْ مِنْ لَوَازِمِ وَجُودِهَا وَاِيجَادِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ المَاهِيَّاتِ غَيْرِ مَجْعُولَةٍ وَالمَجْعُولُ هُوَ الوجود لِأَنَّهَا لَيْسَتْ اَلْهُوِيَّاتِةَ الَّتِي مِنْ لَوَازِمِ الوجودِ المَجْعُولِ فَعَدَمُ تَعَلُّقِ الجَعْلِ بِالمَاهِيَّاتِ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ قَالَ بِهِ اِنَّهَا هِيَ لَأَنَّهَا أُمُورٌ اِعْتِبَارِيَّةٌ اِنْتِزَاعِيَّةٌ لَا تَصْلُحُ لِلْمَجْعُولِيَّةِ، وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ بِتَعَلُّقِ الجَعْلِ بِالمَاهِيَّاتِ وَلَوْ تَبَعاً لِلوجودِ فَالأمرُ اَوْضَحٌ لِأَنَّ مَعْنَى العِبَارَةِ اللّهُ تَعَالَى اَوْجَدَ المَاهِيَّاتِ المُتَخَالِفَةَ كَذَا وَكَذَا فَافْهَمْ فَانّه دَقِيقٌ وَبِالدِّقَّةِ جَدِيرٌ.



□ قوله ﷺ: مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهِمَا مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا...

بعد فراغه ﷺ عن وصف الله سبحانه شرع في بيان حكمته ومصالحته في الخلق على حسب ما أودعه الله في الموجودات وهو يدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته وَعَدَّ ﷺ منها امورا:

احدها: انه تعالى أَلَفَ بين مُتَعَادِيَاتِ الخلق اعني بها المَوجُودَاتِ التي بينها العداوة ذاتا بحيث لولا ان أَلَفَ بينها لما كان فيها تَرْكِيبٌ وتَالِيفٌ بحسب ذواتها فان المُوَلَّفَ ما جُمع من اجزاءٍ مُخْتَلِفَةٍ وَرُتَّبَ ترتيباً قَدَمَ فيه ما حَقَّه ان يُقَدَّمَ واخر فيه ما حَقَّه ان يُؤَخَّرَ قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأذْكُرُوا اللّٰهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى في المُتَعَادِيَاتِ من غير ذَوِي العُقُولِ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يُزْجِي سَخَابًا ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾<sup>(٣)</sup> والدليل على كون القلوب مُتَعَادِيَاتِ هو انها بحسب الأهواء والأموال مُخْتَلِفَةٌ فكل واحد منها يُخَالِفُ الآخر فيها كما هو الظاهر المَحْسُوس فالألفة بينها وعلاقة كل قلب إلى الآخر ليست بحسب ذواتها بل هي عارضةٌ عليها وحيث ان خالقها هو الله تعالى فهو الذي يُؤَلَّفُ بينها لا غيره فانه مُقَلِّبُ القلوب والأحوال ولذلك ترى الآيات تُنادي به وانه لا يقدر على ايجاد الألفة غيره احد:

وثانيها: انه تعالى مُقَارِنٌ بين مُتَبَايِنَاتِهَا والمُتَبَايِنَاتِ ما لا يُحْمَلُ احدهما على الآخر كالإنسان والحجر وتَقَارِنُ المُتَبَايِنَاتِ جَمْعُهَا يقال قَارَنَهُ قَرَانًا ومقارنةً

صاحبه واقتَرَن به ويقال اقتَرَن الشئ به اي اتَّصَلَ به والتَّصَق، وذلك كالعناصر الأربعة المُختلفة فإنَّ الماء يُباين النَّار والرَّطُوبَة تباين التُّبُوسَة والبُرُودَة تباين الحرارة وهو ظاهر محسوس واللَّه تعالى بقُدْرته الكاملة جَمَعَهَا في بدن الإنسان فكلُّ منها يُصاحب الآخر مُدَّة العَمر الا ترى أنَّ البدن فيه حرارة وبُرُودَة ورطُوبَة ويُبُوسَة واعجب من ذلك انه لا يمكن للبدن البقاء بدونها بل ومع ضَعف احدايها عن الأخرى فلو غَلَبت الرُّطُوبَة التُّبُوسَة والحرارة البُرُودَة او بالعكس يصير البدن عَليلاً مريضاً فَصِحَّتة موقوفة على وجودها بطريق الإعتدال وهو عَجيب.

وثالثها: قوله ﷺ: مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، والمتباعدات من الموجودات فلا تكون بينها غاية البُعد بحيث وَصَلَ الي حدِّ المُباينة وذلك لأنَّ الموجودين ان كان بينهما تباعدٌ وتنافُرٌ فإمَّا ان يكون البُعد بحيث لا يمكن حَمَل احدهما على الآخر على سبيل الكَلِيَّة من الطَّرفين فهما المُتَبَائِنان كما مرَّ وأما ليس كذلك بل البُعد فيهما ليس بهذه المَنزلة فهما المُتَبَاعِدان وعليه فالتَّبَائِن اخَصُّ من التَّبَاعِد وان اصطَلحنا في المقام على أنَّ المُتَبَائِنين في البُعد الماهوي والمُتَبَاعِدين في البُعد الوجودي لا باس به وكيف كان.

فاللَّه تعالى هو المُقَرَّب بين المُتَبَاعِدات وذلك كالرُّوح والبدن حيث أنَّ بينهما بُعد من حيث الوجود والحَقِيقَة فإنَّ الرُّوح مَوْجُودٌ بوجودٍ تَجَرُّدي والبدن موجود بوجودٍ مَادِّي وحَقِيقَة الرُّوح من عالم المَلَكُوت وحَقِيقَة البدن من عالم المُلْك وقد قَرَّب اللّهُ تعالى احدهما بالآخر وجَعَلَ البدن مَرَكَباً للرُّوح وَسَبَباً ووسيلةً الي كماله وبلوغه الي الغاية القصوى والأمثلة كثيرة:

ورابعها: قوله ﷺ: مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا، والمقصود أنَّ اللّهُ تعالى كما قَرَّب بين المُتَبَاعِدات فَرَّق بين المُتَدَانِيَات والمُتَقَارِبَات كما ترى في المَوْت فإنَّ اللّهُ قَرَّب الرُّوح بالبدن مع بُعدهما كما عرفت فصارا مُتَدَانِيَيْن مُتَقَارِبَيْن ثُمَّ فَرَّق بينهما بالمَوْت فصارا مُتَبَاعِدَيْن فَرَجَعَ الرُّوح الي عالم المَلَكُوت والبدن الي

التَّرابِ وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ بَوْنٌ بَعِيدٌ وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّقْرِيبَ وَالتَّفْرِيقَ بِيَدِهِ:  
 □ قَوْلُهُ ﷺ: لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ  
 الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا...

اي لا تشمله الحدود ولا تحسبه الأعداد، اما عدم شمول الحد آياه فلما مر  
 مرارا من ان الحد ان اريد به معناه اللغوي وهو نهاية الشيء التي يقف عندها  
 فالواجب لا نهاية له لا في ذاته ولا في صفاته وذلك لأن كل ما له نهاية فلا  
 محالة له بداية اذ البداية والنهية من المتضايقين وكل ما كان كذلك فهو زمني  
 حادث والمفروض انه واجب :

وان اريد به معناه الاصطلاحي اعني بيان ماهية الشيء فالواجب لا ماهية له  
 وكل ما لا ماهية له لا حد له بهذا المعنى فثبت انه تعالى لا يشمل الحد وهو  
 المطلوب:

واما انه لا يحسب بعد فالعد مصدر بمعنى المفعول اي لا يحسبه المعدود  
 فلا يدخل في سلك المعدودات لأن العدد كم منفصل والكم عرض فلو كان  
 الواجب معدودا يلزم ان يكون من الأعراض وكل عرض لا قوام له في وجوده  
 الخارجي بل قيام العرض بموضوعه فهو محتاج الى الموضوع والمحتاج  
 ممكن فينتج ان الله ممكن وقد فرضناه واجبا هف:

وايضا كل عد فله اول لا محالة وكل ما له اول فهو مسبوق بالعدم وكل  
 مسبوق بالعدم حادث مخلوق فالواجب حادث مخلوق والمفروض انه  
 واجب :

ولأجل هذا قال ﷺ: وَإِنَّمَا تَعُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ إِلَى نَظَائِرِهَا، وَذَلِكَ  
 لِأَنَّ الْأَدَوَاتَ الَّتِي تَعُدُّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَعُدُّ أَنْفُسَهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَصْدُقُ  
 عَلَيْهَا أَدَوَاتٌ أَيْضًا وَتُشِيرُ إِلَى نَظَائِرِهَا وَاشْبَاهِهَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي لَهَا وَضَعٌ  
 وَابْنٌ وَجَهَةٌ وَالْمَحَاذَاتُ وَغَيْرَهَا مِمَّا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْجِسْمِ وَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ مِنْ  
 الْأَدَوَاتِ حَتَّى امْكُنَّ لَهَا عَدَّةٌ وَلَا مِنْ أَشْبَاهِهَا وَنَظَائِرِهَا حَتَّى امْكُنَّ لَهَا الْإِشَارَةُ

اليه بل هو خالق الأدوات ونظائرها مُجَرَّدٌ عن المادَّة ولواحقها مُتَزَّةٌ عمَّا لا يليق  
بجنابه كما مرَّ مرارا.

□ قوله **﴿٢٨٧﴾**: **مَنْعَتَهَا مِنْذُ الْقِدْمَةِ وَحَمَّتَهَا قَدْ الْأَزَلِّيَّةَ وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةَ...**

كلمة (مُنذ) ترد حَرَفًا وتُسْتَعْمَلُ لِإِبْتِدَاءِ الْغَايَةِ فِي الْمَاضِي نَحْوَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ  
يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلِلظَّرْفِيَّةِ فِي الْحَاضِرِ نَحْوَ مِنْذُ يَوْمِنَا وَتُسْتَعْمَلُ اسْمًا أَيْضًا بِمَعْنَى  
أَوَّلِ الْمُدَّةِ فَيَلِيهَا الْمُفْرَدُ نَحْوَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَوْ جَمِيعِ الْمُدَّةِ فَيَلِيهَا مَا  
قُصِدَ نَحْوَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ أَيَّامٍ أَوْ يَوْمَانٍ فَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهَا الْخَبْرُ وَهَكَذَا كَلِمَةُ  
(مُنذ).

وكلمة (قَدْ) أَيْضًا تَرُدُّ اسْمًا بِمَعْنَى يَكْفِي أَوْ حَسَبَ نَحْوَ قَدِي وَقَدْنِي أَيْ  
حَسْبِي أَوْ يَكْفِينِي، وَحَرَفًا فَإِنْ دَخَلَتْ عَلَى الْمُضَارِعِ تَفِيدُ التَّقْلِيلَ نَحْوَ قَدْ  
يَضْرِبُ وَإِنْ دَخَلَتْ عَلَى الْمَاضِي تَفِيدُ التَّحْقِيقَ نَحْوَ قَدْ عَلِمَ وَقَدْ ضَرَبَ:

وكلمة لَوْلَا، تَرُدُّ حَرَفًا لِرَبْطِ امْتِنَاعِ جَوَابِهِ بِوَجُودِ شَرْطِهِ وَتَخْتَصُّ بِالْجُمْلَةِ  
الْإِسْمِيَّةِ وَيَغْلِبُ مَعَهَا حَذْفُ الْخَبَرِ إِنْ كَانَ كَوْنًا مُطْلَقًا، وَتَجِيءُ لِلتَّوْبِيخِ وَيَخْتَصُّ  
بِالْمَاضِي، وَلِلتَّخْصِيسِ وَالْعَرْضِ فَاخْتَصَّ بِالْمُضَارِعِ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ  
الضَّمَائِرَ كُلَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْأَدْوَاتِ وَالْمَعْنَى مَنَعَتْ مِنْذُ الْأَدْوَاتِ الْقِدْمِيَّةِ وَهَكَذَا  
بِعِبَارَةٍ أُخْرَى كَلِمَةُ (مُنذ) فِي الْأَوَّلِيِّ وَ(قَدْ) فِي الثَّانِيَّةِ (وَلَوْلَا) فِي الثَّلَاثَةِ وَقَعَتْ  
فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ وَالْأَدْوَاتِ وَقَعَتْ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ  
وَالضَّمِيرِ سَدًّا مَسْدُهَا فَالْهَاءُ، فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ يَرْجِعُ إِلَى  
الْأَدْوَاتِ وَالْمَعْنَى مَنَعَتْ كَلِمَةَ (مُنذ) الْأَدْوَاتِ مِنَ الْقِدْمِيَّةِ فَلَا تَكُونُ الْأَدْوَاتُ  
قَدِيمَةً وَذَلِكَ لِأَنَّ كَلِمَةَ (مُنذ) تَدْخُلُ عَلَيْهَا فَيَقَالُ زَيْدٌ مِثْلًا وَجُدُ مِنْذُ كَذَا وَمَاتَ  
مِنْذُ كَذَا وَقَامَ مِنْذُ كَذَا وَهَكَذَا وَقَلْنَا أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِإِبْتِدَاءِ الْغَايَةِ فِي الْمَاضِي  
وَلِلظَّرْفِيَّةِ فِي الْحَاضِرِ وَأَوَّلِ الْمُدَّةِ لَوْ كَانَتْ اسْمًا وَعَلَى كُلِّ التَّقَادِيرِ لَا تَسْتَعْمَلُ  
هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْوَاجِبِ الْقَدِيمِ فَلَا يَقَالُ وَجُدَ اللَّهُ مِنْذُ كَذَا أَوْ فَعَلَ مِنْذُ كَذَا أَوْ  
عَلِمَ مِنْذُ كَذَا وَحَيْثُ أَتَتْهَا لَا تَسْتَعْمَلُ فِيهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْوَاجِبَ مُتَزَّةً عَنِ الزَّمَانِ

ولو احقها وتُستعمل في الأدوات علمنا ان الأدوات ليست بقديم اذ لو كانت قديمة لم يكن فيها زمان فلم تُستعمل الكلمة فيها وحاصل الكلام ان استعمال كلمة (مُنذ) التي اخذ الزمان في مفهومه ومعناه في المخلوقات وصفاتها يدل على انها حادثات هالكات في حدود انفسها فالمانع عن اطلاق القديم عليها بحسب اللفظ والمعنى هو هذا.

وهكذا تمنع الأدوات استعمال كلمة (قد) فيها عن الأزلية فلا تكون ازلياً اذ لو كانت الأدوات ازلية لما صح استعمال كلمة قد، فيها وحيث صح استعمالها علمنا انها اعني الأدوات ليست بازلية، بيانه ان كلمة (قد) تفيد التحقيق او التقليل في الفعل الواقع في الزمان وبعبارة اخرى تحقيق الحادثة او تقليلها فلو استعملت في الواجب وقيل قد كان كذا او قد يكون كذا يلزم دخوله في الزمان المُستلزم للحدوث المُستلزم للإمكان وحيث نرى استعمالها في الأدوات علمنا انها ليست بازلية واما كلمة (لولا) فهي تفيد الكمال وتدل على وجود النقص في مدخولها بدلالة الإلتزام فاذا قلنا.

ما احسن الدنيا لولا فنائها معناه ان الدنيا ناقصة في حد ذاتها فهي ليست بكاملة ولأجل هذا لا تدخل على ما هو كامل في حد ذاته فلا يقال مثلاً لولا كذا لكان الواجب قادراً او عالماً كما يقال لولا هذا المانع لكان زيد قادراً على الفعل وعليه فكلمة (لولا) جنبت وبعدت الأدوات عن الكمال الذاتي اذ لو كانت كاملة لما دخلت عليها واستعملت فيها ومُلخص الكلام في الكل ان هذه الحروف الدالة على الزمان والنقص لدخولها على الأدوات وعدم دخولها على ذات الواجب وصفاته توجب منعها عن القدمية والأزلية والكمال الذاتي فثبت انها ليست قديمة ولا ازلية ولا كاملة بذواتها وهو المطلوب:

□ قوله ﷺ: بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ...

والضمير في قوله ﷺ: (صانعها) و (بها) يرجع الى الأدوات اعني المخلوق والمعنى ان الله تعالى بالأدوات تجلَّى للعقول وايضا بها امتنع اي احتجب عن نظر العيون والأبصار اليه:

أما الأول: فلأن الأدوات عبارة عن الموجودات المحسوسة ولا شك أنها تدل على وجود خالقها وصانعها وهو الله تعالى وقد ظهر كل علة في معلوله والصانع في مصنوعه والتعبير بالتجلي اقتباس من القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾<sup>(١)</sup> وعليه فالتجلي أولاً وبالذات في المحسوسات وثانياً وبالعرض للمعقولات وإن شئت قلت التجلي بالمحسوس للعقل فإنّ الحس آلة وسبب لدرك العقل ولذا قالوا في تعريف العلم الحسولي هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل:

وأما الثاني: اعني امتناعه واحتجابه عن نظر العيون فهو ايضا بالأدوات والمواد الجسمانية اذ لا شك انّ المانع عن الرؤية هو المادة ولو احقها وعجز العيون والأبصار عن النظر اليه ايضا لكون العيون فينا مادية فلا ترى إلا ما هو كذلك وحيث انّ الله تعالى منزّه عن المادة ولو احقها فلا يرى بالعين وقد فصلنا الكلام سابقا في المقامين عند

قوله ﷺ - بل تجلّى بها وامتنع منها، في الخطبة السابقة فراجع هناك ان شئت:

□ قوله ﷺ: وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ...

وقد عرفوا الحركة بامور يعلم منها تعريف السكون ايضا.

احدها: للقدماء من الفلاسفة من انها خروج تدريجي من القوة الى الفعل، واورد عليه بانّ التدرج وقوع الشيء في آن بعد آن والان طرف الزمان والزمان مقدار للحركة فيدور، وثانيها ما عن الفارابي وهو انها كمال اول لما بالقوة من حيث ملابسته القوة اياه..

وثالثها: ما في اصطلاح المتكلمين وهو انّ الحركة اول الأكوان عند حصول الكون في المكان الثاني، والسكون في كل واحد منها ما يقابله فهو عدم

الخروج تدريجاً في الأول وعدم كمال الأول في الثاني والكون الثاني في الثالث وتفصيل الكلام فيهما نقضاً وإبراماً في محله:

إذا عرفت معنى الحركة والسكون فاعلم أن الله تعالى لا يتصف بها لأمر: أحدها ما ذكره عليه السلام وهو قوله عليه السلام: وكيف يجري عليه إلى آخر كلامه وحاصله أن الله تعالى هو المجري للحركة فكيف يجري فيه تعالى ما هو اجراه وبيان استحالته يتوقف على أصليين،

أحدهما: أنه تعالى هو الذي أجرى الحركة.

وثانيهما: أنه كيف يجري عليه ما هو اجراه، أما الأول فلا شك أن الحركة مخلوقة له، وثانيهما أنه كيف يجري عليه ما هو اجراه، أما الأول فلا شك أن الحركة مخلوقة له تعالى على جميع التعاريف إذ الحركة تحتاج إلى متحرك أعني ما تقع فيه الحركة وكل متحرك مخلوق فالحركة مخلوقة فإذا هو الذي أجرى الحركة في المتحرك فلو فرضنا وقوع الحركة فيه تعالى يلزم أن تكون الحركة موجودة قبل وجودها وهو تقدم الشيء على نفسه هذا أولاً، وثانياً يلزم كون الواجب حادثاً لأن الحركة حادثة ومحل الحادث حادث والمفروض كونه قديماً هف.

وثالثاً: كل متحرك في حركته يسير إلى كماله المطلوب فلو كان الواجب متحركاً يلزم أن يكون ناقصاً في حد ذاته فهو ليس بواجب بل ممكن:

وكما أنه لا يتصف بالحركة لا يتصف بالسكون أيضاً إذ السكون عبارة عن عدم الحركة فما لا يفرض فيه الحركة لا يفرض فيه السكون بمعنى عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك وبعبارة أخرى السكون عبارة عن الكون الثاني وهو مسبوق بالعدم فكل متحرك حادث وكل ساكن أيضاً حادث.

وثانيها قوله عليه السلام: ويعود فيه ما هو أبداً، أي وكيف يعود في الله تعالى ما هو أبداً وتقريره أن المفروض أن الواجب هو مبدء الحركة وموجدتها وكل مبدء مخلوق فلو فرضنا وجود الحركة فيه تعالى يلزم عودها إلى قبل وجودها

وكيف يعقل ان يرجع المعلول المتأخر عن العلة وجودا الى علة وصار قرينا لها فهل هذا الا تقدم الوجود على نفسه، وثانيا، معنى كونه تعالى مبدء الحركة ان لها اول فلو كانت موجودة فيه تعالى يلزم ان لا يكون لها اول لأن الواجب قديم فيلزم ان تكون الحركة قديما وحادثا وهو محال، وثالثا، المفروض ان لها علة وموجد وعلى فرض وجودها فيه يلزم ان لا تكون لها علة فيلزم ان تكون معلولا وعلة معا وهو محال:

وثالثها قوله عليه السلام: وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدُهُ، اي يلزم ان يحدث في ذاته تعالى ما احده واورجده بيانه ان الحركة احدها الله تعالى في المتحرك فهو حادثه فاذا فرضنا اتصافه بها يلزم ان تكون الذات حادثة او محلا للحادث وكلاهما محال، وثانيا معنى احداثها كونها مسبوقه بالعدم والعلة فلو وجدت فيها يلزم ان تكون الذات معلولة فان كل متحرك معلول وهو محال.

□ قوله عليه السلام: إِذَا لْتَفَاوَتْ ذَاتُهُ وَلْتَجَزَا كُنْهَهُ وَلَا مَتْنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَ إِذْ وَجِدَ لَهُ أَمَامٌ وَلَا لْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ...

اي تلزم من جري الحركة والسكون عليه تعالى محذورات استحال وجودها فيه وحيث انها متفرعات على وجود الحركة والسكون وجريهما عليه تعالى فهما لا تجريان فيه لأن ما يلزم من وجوده محال فهو محال.

احدها قوله عليه السلام: إِذَا لْتَفَاوَتْ ذَاتُهُ ذَلِكَ لِأَنَّ الذَّاتَ إِذَا كَانَتْ مُتَّحِرَةً فَهِيَ غَيْرَهَا إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْمُتَّحِرُكَ غَيْرَ السَّاكِنِ فَلَوْ فَرضْنَا جَرِيَهُمَا عَلَيْهِ تَعَلَّى يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْوَاجِبُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُتَّحِرٌ مُغَايِرٌ لَهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ سَاكِنٌ وَهُوَ مُحَالٌ فَهُمَا فِيهِ مُحَالَانِ:

اما ثبوت التفاوت فهو معلوم واما وجه المنع فلأن تفاوت الحال دليل على الحدوث ضرورة ان كل منهما وجد بعد ان لم يكن موجودا فما دام كونه متحركا ليس بساكن وفي حال سكونه ليس بمتحرك وهذا معنى الحدوث هذا أولا، وثانيا يلزم ان تكون الذات قديمة وحادثة اما قديمها فلائه واجب الوجود



وقد ثبت أنه لا يكون إلا قديما وأما حدوثها فوجود الحركة والسكون فيه.  
 وثالثا - نقول ان الذات في حال حركتها تكون معروضة لها وفي سكونها  
 معروضة له وهما ضدان لا يجتمعان في محل واحد وعليه فان لم تتفاوت  
 الذات يلزم اجتماع الضدين وان تفاوتت يلزم التباين المستلزم للحدوث  
 والكل محال:

وثانيها قوله عليه السلام: **وَلْتَجَزَّأ كُنْهُهُ** بيان ذلك ان الذات المعروضة للحركة  
 والسكون تتجزء وتنقسم لا محالة قال بعض الشراح انهما من الأعراض  
 الخاصة بالأجسام فلو انصف بهما لكان جسما وكل جسم مركب قابل للتجزئة  
 وكل مركب مفترق الى اجزائه وكل محتاج ممكن فهو تعالى ممكن هذا:

وفيه انه خروج عن طور العبارة وبعبارة اخرى ما ذكره صحيح الا انه خارج  
 عن كلامه عليه السلام هذا وذلك لأنه عليه السلام استدل على مدعاه بالتجزئة في كنه ذات  
 الباري وهي غير التجزئة في الجسم المفروض ولا يعبر عن الجسم بالكنه  
 فالمعنى ان الواجب الذي كنهه في غاية الخفاء والبساطة، لو فرضنا انصافه  
 بالحركة والسكون فلا محالة تفاوتت ذاته كما مر واذا تفاوتت فكنه الذات  
 وحقيقتها التي لا يعلمها الا هو تصير منقلبة تارة بالحركة واخرى بالسكون  
 وهذا الانقلاب والتفاوت يوجب التجزئة فيها وذلك لأن الذات تكون  
 معروضة لهما وحيث ان الحركة والسكون ضدان لا يجتمعان فلا محالة كون  
 الذات معروضا للحركة غير كونها معروضا للسكون ولا نعني بالتجزئة الا هذا  
 فيقال ذات الباري اما متحرك او ساكن وهو ظاهر لا خفاء فيه والفرق بين  
 الذات والكنه كالفرق بين القشر واللُب فالتفاوت في الذات يسري الى التجزئة  
 في الكنه او هو كاشف عنها:

وثالثها قوله عليه السلام: **وَلَا مَتْنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ** وهذا هو المحذور الثالث  
 المتفرع على انصاف الواجب بهما قالوا في شرح الكلام لأن انصافه بهما  
 يستلزم التركيب والتجزئة التي هي من خواص الأجسام فيمتنع استحقاؤه

لِلأَزَلِيَّةِ لِأَنَّهُ حَيْثُ كَانَ يَكُونُ جِسْمًا وَكُلَّ جِسْمٍ حَادِثٌ أَنْتَهَى.  
وَالْأَصَحُّ أَنْ يُقَالَ لَوْ كَانَ الْوَاجِبُ مُتَحَرِّكًا أَوْ سَاكِنًا فَلَهُ مَبْدَأٌ وَمُنْتَهَى لَا مَحَالَةَ  
إِذَا حَرَكْتَهُ لَا تَنْفَكُ عَنْهُمَا وَكُلُّ مَا لَهُ مَبْدَأٌ وَمُنْتَهَى فَلَيْسَ بِأَزَلِيٍّ فَإِنَّ الْأَزَلِيَّ مَا لَا  
أَوَّلَ لَهُ فَيَلْزَمُ أَنْ لَا يَكُونَ الْوَاجِبُ أَزَلِيًّا.

وَرَابِعُهُمَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجِدَ لَهُ أَمَامَهُ** أَي لَوْ انْتَصَفَ بِالْحَرَكَةِ لَكَانَ  
كَذَلِكَ وَتَوْضِيحُهُ أَنَّ الْحَرَكَةَ مِنْ مَبْدَأٍ إِلَى مُنْتَهَى فَكُلُّ مُتَحَرِّكٍ لَهُ أَمَامٌ يَتَحَرَّكُ  
إِلَيْهِ وَلَا يَزَمُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَرَاءَهُ أَيْضًا إِذَا هُمَا أَعْنَى الْأَمَامِ وَالْوَرَاءِ مِنَ الْإِضَافَةِ لَا  
يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ وَإِذَا كَانَ لَهُ أَمَامٌ وَوَرَاءَهُ فَهُوَ فِي جِهَةٍ وَوَضْعٍ وَكُلُّ مَا  
كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ جِسْمٌ فَالْوَاجِبُ جِسْمٌ، أَوْ أَنَّ كُلَّ ذِي وَجْهَيْنِ فَهُوَ مُنْقَسِمٌ إِلَيْهِمَا  
وَكُلُّ مُنْقَسِمٍ فَهُوَ مُمَكِّنٌ فَالْوَاجِبُ مُمَكِّنٌ هَكَذَا قَرَّرَهُ الْمُتَحَقِّقُ الْبَحْرَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَبِعَهُ  
الْخَوَثِيُّ وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ مَا ذَكَرْتُمْ لَا غَبَارَ عَلَيْهِ لَوْ فَضُنَّا أَنَّ الْحَرَكَةَ مُسْتَقِيمَةٌ أَمَّا  
لَوْ كَانَتْ مُسْتَدِيرَةً كَحَرَكَةِ الْفَلَكَ عَلَيَّ مَا قَالُوا فَلَا مَقْصِدَ لِلْمُتَحَرِّكِ يَتَحَرَّكُ إِلَيْهِ  
فَلَا يَثْبِتُ لَهُ أَمَامٌ فَلَا وَرَاءَهُ لَهُ.

وَالْجَوَابُ أَنَّ الْإِمَامَ لَيْسَ بِمَعْنَى الْمُنْتَهَى وَالْمَقْصِدُ بَلِ الْمُرَادُ مَعْنَى اللَّغْوِيِّ  
أَعْنَى كُلِّ مَا يَقَابِلُ الْوَرَاءَ وَالْأَفْلَاقَ أَيْضًا لَهَا وَرَاءَهُ وَأَمَامُ بِهَذَا الْمَعْنَى وَبِالْجُمْلَةِ كُلُّ  
مُتَحَرِّكٍ يَتَحَرَّكُ إِلَى شَيْءٍ مَا وَتُعْبَرُ عَنْهُ، بِالْإِمَامِ وَكَيْفَ كَانَ فَالْأَمْرُ وَاضِحٌ لِتَنْزِهِ  
تَعَالَى عَنِ الْوَضْعِ وَالْجِهَةِ:

وَخَامِسُهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا  
التَّمَسَ أَيْضًا لِلتَّعْلِيلِ وَالْمَعْنَى لَوْ كَانَ الْوَاجِبُ مَوْصُوفًا بِالْحَرَكَةِ لَكَانَ مُلْتَمَسًا  
بِحَرَكَتِهِ كَمَا لَا وَتَمَامًا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَالٌ سَكُونُهُ وَعَلَيْهِ فَالْمُرَادُ بِالنُّقْصَانِ السَّكُونُ  
أَمَّا لِأَنَّهُ نَقْصٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ كَمَا قِيلَ أَوْ أَنَّهُ مَلَاذِمٌ لَهُ كَمَا أَنَّ الْحَرَكَةَ أَيْضًا كَذَلِكَ وَلَا  
شَكَّ أَنَّ النُّقْصَانَ وَالْكَمَالَ مِنْ شَيْءٍ مُمَكِّنٍ أَمَّا النُّقْصَانُ فَظَاهِرٌ وَأَمَّا الْكَمَالُ  
فَالْمُرَادُ بِهِ الْكَمَالُ الَّذِي يَحْضُلُ بَعْدَ النُّقْصَانِ لَا الْكَمَالُ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ فَإِنَّهُ مِنْ  
خَوَاصِّ الْوَاجِبِ:**

□ قوله ﷺ: وَإِذَا لَقَّامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ وَلِتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ  
وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ...

وسادسها قوله ﷺ: وَإِذَا لَقَّامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ  
المحاذير كلها من علائم المصنوع فإن الحركة والسكون وتفاوت الذات  
والتجزئة وغيرها من شئون المخلوق الممكن فلو فرضنا وجودها في الواجب  
يلزم أن يكون متصيفا بما اتصف به الممكن فكما أن المصنوع يُعرف بهذه  
الأمر فهو أيضا يُعرف بها وهو كما ترى:

وسابعها قوله ﷺ: وَلِتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ أَي لَازِمَ وَجُودِ  
هذه المذكورات فيه تعالى تَحَوَّلَهُ وَتَغْيِيرَهُ دَلِيلًا عَلَى الْمَصْنُوعِ بَعْدَ مَا كَانَ  
المصنوع دليلاً عليه وتوضيحه أن الحركة والسكون وغيرها من الأوصاف  
الإمكانية كلها مخلوقة له تعالى على الفرض وكل مخلوق يدل على وجود  
خالقه فالخالق يكون مدلولاً عليه بخلقه وصنعه ويُعرف بها فإذا فرضنا وجود  
أوصاف الخلق فيه يلزم أن يكون هو دليلاً عليها وسبباً لمعرفتها وهو خلاف  
الفرض:

وثانياً: أن التحول والإنقلاب من أوصاف الحوادث إذ التحول في الحقيقة  
هو التغير وهو نفس الحدوث فلو كان الواجب متحولاً متغيراً يلزم  
حدوثه.

وثالثاً قد ثبت استحالة انقلاب الذات ومن المفروض يلزم انقلاب ذات  
الواجب بذات الممكن فإن الدليل مغاير ذات المدلول عليه:

وثامنها قوله ﷺ: وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ  
اختلفوا في شرح هذا الكلام اختلافاً كثيراً فمنهم من عطف الجملة على  
قوله ﷺ: كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى هَكَذَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْبَارِي دَلِيلًا بَعْدَ  
كونه مدلولاً عليه وبعد أن خرج بسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ الخ.

قاله المعتزلي وقال البحراني الجملة معطوفة على قوله ﷺ: اِمْتِنَاعٍ وَالْمَعْنَى

امتنع عن نظر العيون وخرج بِسُلطان ذلك الإمتناع اي امتناع كونه مرثياً من ان  
يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المرثيات وهي الأجسام والجسمانيات:  
ومنهم من قال أنّها عطف على تجلّي اي بها تجلّي صانعها للعقول وخرج  
بسُلطان الإمتناع عن كونه مثلاً لها الي آخر ما قال، نقل هذا القول الشارح  
الخوئي رحمته في شرحه ولم يُسم باسمه ثم قال الخوئي بعد نقله الأقوال  
المذكورة ما هذا لفظه، نعم ما قاله الشارح المعتزلي لا باس به الا ان الأظهر  
الأولى ان تجعل الواو في هذه الجملة حالية لا عاطفة وتكون الجملة في محل  
النصب على الحال بتقدير قد على حدّ قوله تعالى (حصرت صدورهم) وذو  
الحال هو الضمير المُستتر في التحوّل الزاجع الى الله فيكون، التحوّل عاملاً  
فيها ولا غبار عليه عند المشهور من علماء الأدبية ثم قال بعد كلام، فمُحصل  
نظم الكلام أنّه تعالى لو جرى عليه الحركة واتّصف بها لقام فيه اثر صانعه  
المُحرك وظهر عليه فعل علة الفاعل له والحال أنّه قد خرج بسُلطنته الكلية  
على جميع من سواه وامتناع التأثير واستحالة الإنفعال بما له من وجوب الوجود  
عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المُمكنات وان يتأثر من غيره كسائر  
الموجودات الي آخر ما قال:

وانا اقول لا نحتاج الي هذه التكلّفات التي لا يقبلها العقل السليم عن  
شوائب الأوهام وذلك لأنّ الكلام بظاهره لا اشكال فيه فانّ المراد بسُلطان  
الإمتناع هو سُلطان العزة الأزلية والمعنى لو كان الواجب مُتصفاً بما ذكرناه فكما  
انه يتحوّل دليلاً بعد كونه مدلولاً عليه كذلك يخرج عن سُلطانه الأزلية من ان  
يؤثر فيه ما يؤثر في غيره، اي فيكون متأثراً بما يتأثر به غيره من المُمكنات وكلّ  
متأثر مُمكن فهو مُمكن والمفروض وجوبه والحاصل انّ الإتصاف  
بالمذكورات يُخرجه عن سُلطانه الأزلي.

وان ابيت الآ عن ظاهر اللفظ من غير تصرّف في كلمة الإمتناع فالمعنى  
ايضاً واضح وهو أنّه لو كان الواجب موصوفاً بالمذكورات يلزم خروجه عن

سُلطان الإمتناع ودخوله في سُلطان القَبُول والتأثر وذلك لأن الواجب يمتنع عليه ذاتا قبول الحوادث فلو قبلها يلزم تبَدُّل الإمتناع بالقَبُول وهو مُساوِقٌ لتبَدُّل الواجب بالمُمكِن بل هو عينه وهو محال عقلاً:

□ قوله ﷺ: الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ...

نفى ﷺ عن الله تعالى الحَوَل والزَوَال والأَقُول، أما نفى الأول ففيه وجوه من الإحتمالات:

أحدها: ان يكون الحَوَل بمعنى التَّحَوَل والإنتقال والمعنى ان الله تعالى لا ينتقل من مكانٍ الى مكانٍ ولا يَتَغَيَّرُ من حالٍ الى حالٍ وذلك لأن الإنتقال المكاني من لوازم الجِسم وتَغَيَّرُ الحال من لوازم الحدوث وهو مُنَزَّهٌ عن الجِسمية والحدوث لكونهما من شئون المُمكِن والله تعالى واجب الوجود: وثانيها: ان يكون الحَوَل بمعنى الحيلة وهي التي يَتَوَصَّلُ بها الى حالة بما فيه خفيَّة وقيل الحيلة هي الحَوَل قَلَّبَتْ واوه ياء لانكسار ما قبلها والمعنى ان الله تعالى لا يوصف بتدبير امرٍ وتَغَيَّرُ حالٍ بما فيه خفيَّة كما هو كذلك فينا بل هو اجلُّ شانا من هذه الأسباب:

وثالثها: ان يكون بمعنى الحَرَكَة فمعنى لا يحول انه لا يَتَّحَرِكُ وعلى هذا المعنى حُمِلَ ما ورد في الدُّعاء اللهم بك اصُول وبك احُول اي بك اتَّحَرِكُ وحيث ان المعاني كلها تُنافي الوجوب فهو تعالى مُنَزَّهٌ عن الحَوَل باي معنى كان وهو واضح:

وأما انه تعالى لا يزول فلا أن الزَوَال هو الفناء بعد الوجود الا ترى انه يقال زالت النعمة اي ارتفعت بعد ما كانت وهذا بعينه الحدوث فان الحادث الوجود بعد العدم والعدم بعد الوجود فلو كان الزَوَال فيه تعالى يلزم حدوثه والمفروض وجوبه:

وثانيا: نقول الزَوَال فيه تعالى اما في وجوده او في صفاته او افعاله والكل باطل لأن العلة للزوال ان كانت ذاته يلزم ان تكون الذات علة لعدم الذات وهو

محال وهكذا في صفاته فأنها عين الذات وأما الأفعال اعني بها النعم التي  
 اوجدها الله تعالى فزوالها بيده كما ان ايجادها بيده وهو خارج عن الفرض  
 فانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بل المعنى ان الواجب لا يزول وجوبه  
 ووجوده وصفاته، وان كانت العلة في زوال الوجود منه تعالى غيره يلزم ان  
 يكون وجوده ايضا من غيره فان الذي زواله بالغير فوجوده ايضا به ولا نعني  
 بالممكن الا هذا وقد فرضنا انه واجب الوجود .

واما انه لا يجوز عليه الأقول، فلأن الأقول الغيبة عن الحواس يقال أقل  
 الشيء اذا غاب والدليل عليه من وجوه، احدها ان الأقول من لوازم المادة وهي  
 من لوازم الجسم وحيث ان الله تعالى ليس بجسم فليس فيه أقول، وثانيها ان  
 الأقول اعني الغيبة المراد بها غيبة وجود الشيء فاذا قلنا انه تعالى غاب عنا بهذا  
 المعنى معناه ان وجوده غاب عنا بعد ان لم يكن كذلك وعليه فوجوده تعالى  
 ليس بواجب له ولا عين ذاته فهو ممكن الوجود وقد فرضناه واجبا هف،  
 وثالثها: ان الأقول في وجوده ان كانت العلة فيه هي ذاته فكيف يكون الشيء  
 علة لفقده وعدمه وان كانت العلة غيره، فهو ليس بواجب بل هو مخلوق للغير  
 محتاج اليه فان الذي أقوله بغيره فوجوده ايضا به وهو ظاهر ولأجل هذه الأمور  
 قال الخليل لا احب الأفلين، ضرورة ان الأقول لا يتفك عن الحدوث والحادث  
 ينافي الوجوب:

ان قلت - فعلى ما ذكرت يلزم عدم غيبوبة الحق عن حواسنا لأن الأقول عنه  
 مسلوب وقد نرى انه غاب عنا وقد قلت ان الأقول الغيبة فكيف الجمع بينهما:  
 قلت - الأقول ليس بمعنى مطلق الغيبة بل هو الغيبة بعد الوجود يقال أقل  
 الشيء اذا غاب بعد وجوده ولا يقال أقل اذا كان غائبا عن اصله ولم يكن  
 موجودا اصلاً وعليه فكل أقل غائب وليس كل غائب أقل فالنسبة بينهما عموم  
 وخصوص مطلق ولأجل هذه الدقيقة قال ﷺ لا يجوز عليه الأقول ولم يقل لا  
 يجوز عليه الغيبة عن الحواس مثلاً كما ان الخليل ﷺ ايضا قال لا احب الأفلين

ولم يقل لا أحب الغائبين فإن الغيبة عن الحوأس لا تستلزم الحدوث بخلاف الأقول فإنه عيته:

وثانيا: لا نسلم أن الله تعالى غاب عنا بل نحن غائبون عنه فهو تعالى أظهر الأشياء واجلاها كيف وظهور كل شيء به ومُعطي الشيء لا يكون فاقد له فلا يصح التعبير عنه تعالى بالغيبة بل يصح التعبير بالإختفاء والإختفاء لفرط النور والظهور لا لأجل المادة والقصور فهو الظاهر في عين كونه باطنا وهو الباطن في عين كونه ظاهرا وقد مرّ الكلام فيه وسيجي في محله.

□ قوله ﷺ: لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَنَّ مَوْلُودًا وَلَمْ يُوَلَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا...

قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (١)

اعلم: أنه قد مرّ نظير هذا الكلام عنه ﷺ في ما مضى وهو قوله ﷺ لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركا ولم يلد فيكون موزوثا هالكا، خطبة (١٨١) التي رويت عن نوف البكالي، وقد تكلمنا هناك بما اقتضاه المقام وحيث أنه ﷺ غير سياق العبارة وان كان المقصود وهو نفي كونه ولدا لغيره ومولدا كذلك فيهما واحد، فلا محالة نتكلم في المقام أيضا على سبيل الإجمال فإن الذي فرّعه ﷺ على المدعى في المقام غير ما فرّعه عليه هناك فلا تكرار في العبارة إذ الشيء يختلف باختلاف آثاره فنقول أما قوله ﷺ: لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَنَّ مَوْلُودًا، ففيه اثبت الملازمة بين الولادة والمولودية وفرّع وجود احدهما على الآخر واللازم باطل فالملزوم مثله.

أما بيان الملازمة أن كل والد لغيره لا يخلو أما ان يكون مَوْلُودًا او لا يكون فان كان الأول فقد ثبت المدعى وان كان الثاني فمعناه أنه ليس له والد ومن ليس له والد فليس له ولد والمفروض أن له ولد فله والد فهو مَوْلُودٌ وقد فرضنا عدمه ههنا:

وقال الشارح الخوئي رحمه الله في وجه الملازمة ما لفظه فإمّا بناءً على ما هو

المُتعارف بحسب الإستقراء من أنّ كلّ ما له وُلْد فأنّه يكون مَوْلُودا وإن لم  
يجب ذلك عقلاً كآدم ابي البشر ﷺ والد وليس بمَوْلُود وكأصول انواع  
الحيوان الحادثة ثمّ قال:

او بناءً على ما قاله المُعتزلي من أنّه ليس معنى الكلام أنّه يلزم من فرض  
وقوع احدهما فرض وقوع الآخر وأنما المراد أنّه يلزم من فرض صحّة كونه  
والدا صحّة كونه مولودا والتالي محال وجهة التلازم أنّه لو صحّ أنّ يكون والدا  
على التفسير المفهوم من الوالدية وهو ان يتصور من بعض اجزائه حتّى آخر  
من نوعه على سبيل الإستحالة لذلك الجزء كما نعقل في النطفة المنفصلة من  
الإنسان المُستحيلة الى صورة اخرى حتّى يكون منها بشر آخر من نوع الأول  
لصحّ عليه ان يكون مَوْلُودا من والد آخر قبله وذلك لأنّ الأجسام متماثلة في  
الجسمية وقد ثبت ذلك بدليل عقلي واضح وكلّ مثلين فإنّ احدهما يصحّ عليه  
ما يصحّ على الآخر فلو صحّ كونه والدا صحّ كونه وُلداً وأما بطلان التالي فلأنّ  
كلّ مولودٍ مُتأخّر بالزمان عن والده ومُحدث والحقّ الأول عز وجلّ قديم فلا  
يجوز عليه ان يكون مولودا وايضا لو كان مولودا لكان مَحْدُودا كما صرح في  
القضية الثانية والتالي باطل فالمقدّم مثله ثمّ اطال الكلام بما لا نحتاج الى نقله:  
اقول: ما ذكره الخوئي رحمه الله أولاً في بيان الملازمة من التمسك بالإستقرار فهو  
قول البحراني رحمه الله وما ذكره ثانيا هو قول المُعتزلي فكانه رحمه الله لم يُفسّر كلامه وقنع  
بما نقله عنهما:

والذي اقول في المقام في حلّ الإشكال لئلا يرد التّمض بابينا آدم ﷺ حيث  
أنّه كان والدا لا مولودا هو أنّ المَوْلُود في المقام عبارة عن المّتولد عن غيره  
سواء كان بطريق التّناسل المَعْرُوف بين العوام او بطريق النّشو كتولد النباتات  
عن العنصر ومن ولد له كان مّتولدا باحدى الطريقتين بل الأمر في الحقيقة  
اوسع من ذلك فكلّ ما نشأ عن غيره فهو مَوْلُود واذا كان كذلك، فأدم ﷺ وان  
لم يُنشأ عن الأب والأمّ الا أنّه ﷺ نشأ من تُراب فهو مَوْلُود بهذا المعنى فإنّ



المراد من كَوْن الشَّيْءِ مَوْلُودًا كونه مَوْلُودًا ومُتَوْلِدًا عَمَّا له مادَّةٌ سواء كان بصورة الأب والأم أم بصورة التُّراب الَّذِي هو الأَصْلُ فيهِمَا أيضًا وبعبارةٍ أُخْرَى خصوصيات الأب والأم من الطُّول والعَرْض واللُّون واستقامة القامة وامثال ذلك لا دخل لها في الولادة بل الأَصْلُ لها هو المادَّةُ التُّرابية والصُّورة النوعية والجِسْمُ أيضًا يَحْصُلُ مِنْهُمَا والبواقي عوارض ومُشَخَّصات له خارجة عن حقيقته الا ترى انَّ الجِسْمَ المَصْنُوعِي الَّذِي ليست له مادَّةٌ تُرابيَّةٌ لا تَصْلُحُ ان يكون والدا، اذا عرفت هذا فالوالد في الواقع هو مادَّةُ الإنسان اعني التُّراب لا صُورته الشَّخصية الخارجية نعم لا بَدَّ للمادَّة من ان تكون مُسْتَعِدَّةً لقبول الفعْلية وهذا لا كلام فيه، وابونا آدم وان لم يكن له والِدٌ مع هذه الخُصوصيات الشَّخصية الخارجية الا انَّ اصلها وهو التُّراب الَّذِي هُوَ مَنشأ اولاده في عالم الطَّبِيعَةِ فهو كان مَوْجُودًا هناك فهو <sup>بِالْإِذْنِ</sup> وُلِدَ مِنْهُ فَكَانَ مَوْلُودًا ووالدا وهو المطلوب فقول المعتزلي وغيره من الشَّراح يحتاج الى تاملٍ ودِقَّةٍ وقد تَحْصَلُ ممَّا ذكرناه ما يُغْنِيكَ عن هذه الأقوال هذا كَلِمَةٌ في دفع النُقْضِ بابينا آدم وانه لا ينقض الكلام بانه كان والدا ولم يكن مولودا:

وامَّا الكلام في معنى العبارة وانه لِمَ لَمْ يَلِدْ وكيف تكون الولادة مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْمَوْلُودِيَّةِ عَقْلًا فنقول الولادة تَسْتَلْزِمُ التُّركيبَ بِمعنى انَّ كُلَّ ما يَلِدُ فهو مُرَكَّبٌ لا محالة من مادَّةٍ وصُورةٍ وكلُّ ما كان كذلك فهو جِسْمٌ فَكُلُّ مَنْ يَلِدُ فهو جِسْمٌ بلا كلام ثم نقول كُلُّ جِسْمٍ لا يَلِدُ الا جِسْمًا فَكُلُّ جِسْمٍ لا يُولدُ الا من جِسْمٍ مثله:

امَّا الأَوَّلُ: اعني كُلُّ مَنْ يَلِدُ فهو جِسْمٌ فلانَّ المولود في الحقيقة جزء منه اذ لو لم يكن جزءا منه فهو خارج عنه وبعبارةٍ أُخْرَى كُلُّ مَوْلُودٍ فهو قد خرج عَمَّنْ وُلِدَهُ والا لا يكون مَوْلُودًا منه فلو فرضنا كون مَنْ يَلِدُ بَسِيْطًا لا جُزء له فكيف خرج عنه شَيْءٌ آخَرَ مع انه باق على حاله واذا ثَبِتَ له الجُزء فهو مُرَكَّبٌ سواء كان التُّركيبَ عَقْلِيًّا امَّ خَارِجِيًّا وان فرضنا عدم كون المولود جزءا منه يلزم

ان لا يكون مَوْلُوداً عنه والمفروض كونه مَوْلُوداً عنه:

وامَّا الثَّانِي: اعني كَلَّ مَنْ يَلِدُ فيكون مَوْلُوداً فلأَنَّ مَنْ يَلِدُ لا يخلو حاله اَمَّا اَنَّهُ مَوْلُودٌ عن جسمٍ آخِرٍ او مَوْلُودٌ عن غير جسمٍ او ليس بمَوْلُودٍ اصلاً فالشُّقُوقُ في المقام ثلاثة:

فان كان الأوَّل- فهو المطلوب لأنَّه اذا ولد عن جسمٍ آخِرٍ فهو مَوْلُودٌ. وان كان الثَّانِي- اعني وُلِدَ عن غير جسمٍ فهو مضافاً الى ثبوت المَوْلُودِيَّةِ الَّتِي تكفيها في المقام يلزم منه المحال اعني خروج المُركَّبِ عن البسيط فيلزم ان يكون كَلَّ واحِدٍ منهما بسيطاً ومركباً معاً وهو من اجتماع النقيضين اذ البسيط الَّذي لا جُزءَ له كيف خرج عنه المُركَّبِ الَّذي هو جزءه في الحقيقة:

وامَّا الثَّالِثُ: اعني عَدَمُ صدق المَوْلُودِ عليه فهو ايضاً محال لأنَّ المفروض كونه مُركَّباً والمُركَّبِ كيف يُوجَدُ بنفسه وحُكْمُ الأمثالِ واحدٌ فثَبِتَ انَّ كَلَّ مَنْ يَلِدُ فهو مَوْلُودٌ لا فرضاً كما زعمه المعتزلي بل حَقِيقَةً وخارجاً اذ القَضِيَّةُ ليست فرضيةً وعليه فمعنى قوله ﷺ: لَمْ يَلِدْ فَيَكُونِ مَوْلُوداً، معناه انَّ الله تعالى لَمْ يَلِدْ شيئاً اذ لو كان كذلك يَلِزمُ التَّركِيبُ فيه وقد ثبت انَّ كَلَّ مُركَّبِ مَوْلُودِ عن مُركَّبٍ مثله ولازم ذلك المَخْلُوقِيَّةُ وهي فيه تعالى محال.

وامَّا قوله ﷺ: وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، فكأنَّه جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ وهو اَنَّهُ اِي اشكالٍ في كونه مَوْلُوداً فقال ﷺ: لو كان مَوْلُوداً فهو مَحْدُودٌ وكَلَّ مَحْدُودٍ ممكنٌ فهو ممكنٌ والمفروض وجوبه ههنا:

اما انَّ كَلَّ مَوْلُودٍ مَحْدُودٍ فهو مُسَلِّمٌ سِوَا قَلْبِنَا بانَّ المراد بالحَدِّ هو اللُّغوي امَّ الاصطلاحِي وهو واضحٌ واما انَّ كَلَّ مَحْدُودٍ ممكنٌ فلأنَّ الحَدَّ في اللُّغَةِ ما ينتهي اليه الشَّيْءُ وما كان كذلك فهو مُمكنٌ واما في الاصطلاح فلأنَّ الحَدَّ لبيان الماهية وكَلَّ ذي مهية فهو مُمكنٌ فكَلَّ مَحْدُودٍ مطلقاً مُمكنٌ وهو المطلوب.

او يقال بانَّ المَوْلُودِ ما له بدايةٌ ونهايةٌ وكَلَّ ما كان كذلك فليس بواجبٍ فالمولود ليس بواجبٍ:

□ قوله ﷺ: جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَطَهَّرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ...

وفي كلامه ﷺ هذا رَدٌّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَيْثُ قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَنْهُمْ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١)

وكيف يكون له ابن وقد قال في كتابه: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (٢)

و: ﴿إِنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٣)

و: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ (٤) والآيات كثيرة.

فقوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، اشارة الى ان الولد لا يتحقق الا لوجود الصاحبة الوالدة المعبر عنها بالأم فلو كان له ولد فلا محالة له صاحبة يلمسها والملامسة من شرائط الجسم وهو منزه عنه فقول امير المؤمنين في الحقيقة ماخوذ من الآية الشريفة وكيف كان افاد ﷺ انه تعالى اجل شانا من اتخاذ الأبناء وطهر عن ملامسة النساء والدليل عليه من العقل فقد عرفته من الآيات واما من العقل فمن وجوه:

احدها: ان الولد لا يولد الا من الجسم وهو تعالى منزه عنه فلا ولد له وقد مرّ الكلام فيه:

وثانيها: ان الولد يحتاج الى اب وام ونعني بالأم معناه اللغوي اعني به الأصل فلو كان له ولد يحتاج الى صاحبة تُصاحبه ويلامسها والمصاحبة والملامسة من خواص الأجسام والله تعالى ليس بجسم.

وثالثها: ان وجود الصاحبة يدل على احتياج الصاحب اليها والاحتياج مساوق للإمكان وهو تعالى واجب فليست له صاحبة.

ورابعها: ان ملامسة النساء لأجل الشهوة وهي من خواص الجسم وحيث انه تعالى ليس بجسم فلا شهوة له فلا تتحقق الملامسة.

وخامسها: ان الصاحبة تنافي الواحدية والأحدية اذ كل صاحب وصاحبة فهما متشاركان في الفعل الصادر عنهما فلو كانت له صاحبة فهي ايضا مؤثرة في ايجاد الولد ولا نعني، بالشريك الا هذا فوجود الصاحبة يستلزم الشرك وقد اثبتنا انه واحد احد لا شريك له فلا صاحبة له واذا انتفت الصاحبة انتفى الولد لأنها هي الأصل في الولادة، لا الصاحب الذي هو الأب الا ترى ان الولد من غير اب جسماني قد يتحقق كعيسى ابن مريم واما الأم فلا بد منه سواء كان اما بالمعنى المتعارف ام كان بمعناه اللغوي اعني به الأصل كما في آدم عليه السلام وقوله ﷺ: وَطَهَّرَ عَنِ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ، باعتبار الأعم الأغلب في الإنسان لا ان وجود الولد موقوف على ملامسة النساء في جميع الموارد فلا ينتقض كلامه ﷺ بعيسى ابن مريم وادم ابو البشر ﷺ حيث انهما وجدوا من غير ملامسة اصلاً:

□ قوله ﷺ: لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدَّرُهُ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتُصَوِّرُهُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسُّهُ وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ...

نفى ﷺ عن الواجب تعالى امورا اربعة تتوقف على اربعة:

احدها: ان الله تعالى لا يقدر بمقدار مخصوص من الكم والكيف والأين والوضع والبداية والنهاية وامثالها وذلك لأن المقدر في هذه الأمور هو الوهم الذي يدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمادة وهو تعالى ليس من الجزئيات المادية فلا يناله الوهم فلا يمكن تقديره وصورة القياس هكذا، الواجب لا يناله الوهم، وكل ما لا يناله الوهم لا يمكن تقديره فالواجب لا يمكن تقديره فالمُدعى ثابت او يقال، الواجب لا يُقَدَّرُ، وكل ما لا يقدر لا يناله الوهم فالواجب لا يناله الوهم، والقياس الأول من طريق اللّم والثاني من طريق الإن ويمكن عكسه ايضا بان يجعل اللّم انا والإن لِمًا، وذلك لأنه، تارة نجعل عدم

بَيِّنُ الْأَوْهَامِ إِلَيْهِ عِلَّةٌ لِعَدَمِ تَقْدِيرِهِ وَآخِرَى نَجْعَلُ عَدَمَ التَّقْدِيرِ عِلَّةً لِعَدَمِ نَيْلِ  
الْوَهْمِ إِلَيْهِ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّيْمَ اشْرَفَ وَأَوْثَقَ مِنَ الْإِنِّ وَقَلَّمَا يُوجَدُ شَيْءٌ يُمْكِنُ اثْبَاتُهُ  
بِهَذِهِ الْوَثَاقَةِ وَالْإِتْقَانِ.

وَتَانِيهَا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُتَّصَرُّوهُ أَيْضًا وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ مُتَّصَرٍّ فَقَدْ تَصَوَّرَهُ الذِّهْنُ  
وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَحْدُودٌ بِالْحُدُودِ الذِّهْنِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ لِلذِّهْنِ فَلَوْ  
كَانَ الْوَاجِبُ مُتَّصَرًّا يَلْزَمُ مَخْلُوقِيَّتَهُ لَهُ وَمَحْدُودِيَّتَهُ بِهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ الذِّهْنِ  
وَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ شَيْءٌ وَهَذَا أَيْضًا يَجْرِي فِيهِ مَا اجْرَيْنَاهُ فِي سَابِقِهِ لِمَا وَأَنَا  
فَنَقُولُ الْوَاجِبَ لَا يُتَّصَرُّوهُ، وَكُلُّ مَا لَا يُتَّصَرُّوهُ لَا تَتَّوَّهُمُهُ الْفِطْنُ فَالْوَاجِبَ لَا  
تَتَّوَّهُمُهُ الْفِطْنُ، أَوْ نَقُولُ الْوَاجِبَ مِمَّا لَا تَتَّوَّهُمُهُ الْفِطْنُ وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ لَيْسَ  
بِمُتَّصَرٍّ فَالْوَاجِبَ لَيْسَ بِمُتَّصَرٍّ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ:

وَتَالِثُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُحَسُّ وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الْحَوَاسَّ لَا تُدْرِكُهُ فَصُورَةُ  
الْقِيَاسِ هَكَذَا، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيْرُ مَحْسُوسٍ بِالْحَوَاسِّ وَكُلُّ غَيْرٍ مَحْسُوسٍ  
بِالْحَوَاسِّ لَا يُحَسُّ فَهُوَ لَا يُحَسُّ أَوْ نَقُولُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحَسُّ وَكُلُّ مَا لَا  
يُحَسُّ فَهُوَ مِمَّا لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسَّ فَاللَّهُ تَعَالَى لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسَّ فَالْأَوَّلُ بَرَهَانٌ  
لِمْيِّ وَالتَّانِي أَنِّي.

وَرَابِعُهَا: قَوْلُهُ وَلَا تَلْمَسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَّسَهُ، أَيَّ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مَمْسُوسٍ وَالذَّلِيلُ  
عَلَيْهِ الْأَيْدِي لَا تَلْمَسُهُ، وَكُلُّ مَا لَا تَلْمَسُهُ الْأَيْدِي لَا يُمَسُّ فَهُوَ تَعَالَى لَا يُمَسُّ، أَوْ  
نَقُولُ أَنَّهُ لَا يُمَسُّ وَكُلُّ مَا لَا يُمَسُّ لَا تَلْمَسُهُ الْأَيْدِي فَاللَّهُ تَعَالَى لَا تَلْمَسُهُ  
الْأَيْدِي وَالْكَلَامُ فِيهِ هُوَ الْكَلَامُ فِي سَوَابِقِهِ وَتَخْصِيصُهُ لِلْمَسِّ بِالْأَيْدِي مَعَ  
أَنَّ الْمَسَّ لَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْأَيْدِي تَكُونُ مِنْ أَجْلِ الْمَصَادِيقِ فِيهِ لَا  
أَنَّ الْمَسَّ يَنْحَصِرُ بِهَا وَهُوَ ظَاهِرٌ وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِي هَذِهِ الْأَوْصَافِ سَابِقًا مَفْصَلًا  
وَاقْمَنَا الْبَرَاهِينَ الْعَقْلِيَّةَ وَالنَّقْلِيَّةَ عَلَى عَدَمِ ادْرَاكِ الْحَوَاسِّ أَيَّاهُ فَلَا نَطُولُ الْكَلَامَ  
بذِكْرِهِ ثَانِيًا بَلْ ثَالِثًا وَرَابِعًا:

□ قوله ﷺ: وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ...

أما أنه لا يتغير بحالٍ فلا أن التغير من شئون الحوادث وبه يستدل على الحدوث كما قيل العالم متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث فلو كان الواجب متغيرا يكون حادثا والمفروض وجوبه:

وهكذا التبديل لا يجوز عليه لكونه أيضا يستلزم الحدوث والفرق بينه وبين التغير هو أن التغير يكون في الصفة والتبديل في الذات فالإنسان مثلاً إذا صار مريضاً يقال تغير حاله ولا يقال تبدل حاله إلا على سبيل المجاز هكذا قيل والحق أنهما أعني التغير والتبدل واحد والفرق بينهما اعتباري بحسب موارد الإستعمالات فإن كان التغير في جوهر الشيء يُعبر عنه بالتبديل فيقال بدلنا هذا بهذا وإن كان في العوارض يُعبر بالتغيير فيقال غيرنا شكله وصورته مثلاً وكيف كان لا تغير فيه ولا تبدل لكونهما من شئون الحوادث، وإيضاً لا تبليه الأيام والليالي، لكونه غير زماني فلا يدخل تحت الزمان فلا تبليه الليالي والأيام، إذ لو كان كذلك يلزم مضافاً إلى حدوثه تقدم الشيء على نفسه فإن الزمان إن قلنا بوجوده كما عليه القدماء من الفلاسفة فهو من حركة الأفلاك وكل حركة متأخرة عن محركها لا محالة لكونها معلولة له والفلك متأخر وجوداً عن العقول وهي عن الواجب تعالى فكون الواجب زمانياً يلزم فيه تقدم الزمان على نفسه بمراتب وهو محال:

وهكذا قوله ﷺ: وَلَا يَغْيِرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ أَي النُّور وَالظُّلْمَةُ لِأَنَّهُمَا مخلوقتان له فلو كان متغيراً بهما يلزم تقدم النور والظلمة على نفسها بمراتب فلا تأثير لهما فيه تعالى ليكون متأثراً منفعلاً وهو واضح:

□ قوله ﷺ: وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ...

فلا يقال إن الله تعالى له جزءٌ كذا وعضوٌ كذا وجارحةٌ كذا لأنها من لوازم

الجِسم وهو مُنزَّة عنه.

وثانيا: نقول كلَّ مَوْصُوفٍ بالأجزاء والأعضاء فهو مُرَكَّبٌ منها وكلُّ مُرَكَّبٍ محتاج مُمكن فهو مُمكن هَف.

وقوله عليه السلام: وَلَا يَعْرِضُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَي وَلَا يُوصَفُ بِالْعَرَضِ أَيضاً إِذْ لَيْسَ لَهُ عَرَضٌ لِيُوصَفَ بِهِ وَذَلِكَ لَوْجُوه:

احدهما: أَنَّ الْمَوْصُوفَ بِالْعَرَضِ لَا يَكُونُ إِلَّا جَوْهراً وَهُوَ تَعَالَى لَيْسَ بِجَوْهَرٍ فَلَا يُوصَفُ بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ الْعَرَضَ وَجُودَهُ فِي نَفْسِهِ وَجُودَهُ فِي غَيْرِهِ كَمَا قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ أَنَّ الْعَرَضَ مَا هِيَ إِذَا وَجِدَتْ وَوُجِدَتْ فِي الْمَوْضُوعِ وَالْمَوْضُوعُ لَا يَكُونُ إِلَّا جَوْهراً وَإِلَّا يَلْزَمُ قِيَامُ الْعَرَضِ بِالْعَرَضِ وَقَدْ أَحَالَهُ قَوْمٌ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ، وَأَمَّا الثَّانِي أَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِجَوْهَرٍ فَلِأَنَّ الْجَوْهَرَ مَا هِيَ إِذَا وَجِدَتْ وَوُجِدَتْ لَا فِي الْمَوْضُوعِ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا مَهْيَةَ لَهُ فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْجَوَاهِرِ مِضَافاً إِلَى أَنَّ الْجَوْهَرَ مِنْ قِسْمِي الْمُمْكِنِ إِذِ الْمُمْكِنُ يَنْقَسِمُ إِلَى الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ فَلَوْ كَانَ جَوْهراً يَلْزَمُ كَوْنَهُ مُمَكِّناً وَقَدْ فَرَضْنَاهُ وَاجِباً هَف هَذَا:

والأحسن ان يُقال انه تعالى غير موصوفٍ بالأعراض لأنها تحتاج الى محلٍ تحلُّ فيه لما ذكرنا من أنها مع قطع النظر عن المحل لا وجود لها خارجاً ثم ان الأعراض حادثة متغيرة وهذا التغير يسري الى محلها ايضاً فان محل المتغير متغير ايضاً بتغير حاله وكل متغير حادث فالحادث فالحادث وقد فرضناه واجبا هف. وانما قلنا ذلك اي غيرنا الجوهر بالمحل لما ذكرناه من ان كثيراً من الفلاسفة يجوزون قيام العرض بالعرض وعليه فلا يلزم ان يكون المحل جوهراً، واما المحل فيشمل الجوهر والعرض وان شئت قلت بالموضوع بدل الجوهر والمحل فانه يشمل الكل والأمر سهل ولا بحث لنا في الألفاظ:

وثانيها: ان الله لو كان موصوفاً به فلا محالة يكون الذات موصوفة به بعد ان لم تكن وبعبارة اخرى عروض العرض عليها مسبوق بعدمه والا لا يكون

عارضاً وكل ما كان كذلك فهو حادث فالعَرَض حادث وكل حادثٍ يحتاج إلى مُحدثٍ ومُوجد فإن كان المُوجد في المفروض هو الذات يلزم أن يكون موضوع العَرَض عِلَّة لوجود العَرَض العارض عليه وحينئذٍ تلزم أمور كلها محال:

أحدها: أن العارض حادث ومحل الحادث حادث.

وثانياً: أن الذات إما أن يكون محتاجة إلى العَرَض أو لا فعلى الأول يلزم إمكانها وعلى الثاني كونه عبثاً ولغوياً وثالثها أن الذات لو فرضناها قديمة يلزم أن يكون القديم عِلَّة لإتصافه بالحادث وهو محال وأما حادثة فيلزم أن لا يكون واجباً وقد فرضناه واجباً هف وان كان المُوجد غير الذات فيلزم أن يكون الواجب مخلوقاً مصنوعاً لغيره والكل محال فالمقدم مثله:

وأيضاً قد ثبت أن كل عَرَض فهو مُعلَّل أي معلول لغيره وعليه فالعَرَض العارض على الذات كان معلولاً للذات يلزم أن يكون الذات قابلاً وفاعلاً، قابلاً للعَرَض وفاعلاً مُوجداً له من حيث الإقتضاء وهو محال وان كان معلولاً لغير الذات فيلزم كون العَرَض العارض على الذات مخلوقاً لخالقٍ آخر وهو كما ترى والأدلة كثيرة:

وقوله ﷺ: وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ، قيل في شرح الكلام أي ليس له أبعاض يغير بعضها بعضاً لأنه بسيط الذات والآ فيلزم عليه التركيب والتجزئة الممتنعان عليه انتهى ولقائل أن يقول لازم ما ذكره أنه إذا فرضنا أن له أبعاض لا يغير بعضها بعضاً لا امتناع فيه ولا يلزم التركيب والتجزئة مع أن الواقع خلافه فإن التركيب يلزم في فرض وجود الأبعاض مُتغايرة كانت أو غير مُتغايرة هذا أولاً:

وثانياً: لو كان المراد بالغيرية في كلامه ﷺ الغيرية في الأبعاض كما تخيلوه لكان حق العبارة وصف الأبعاض بها لا عطفها عليها بان يقال ولا بالأبعاض المُتغايرة وحيث لم يقل ذلك بل عطف الأبعاض على الغيرية عَلِمنا أن المراد



باحدهما غير الآخر كما هو شان العطف وانّ المسلوب شيان متغايران والآ يلزم عطف الموصوف على الصفة وهو مما لم يقل به احد وتقديم الصفة على الموصوف وهو يوجب خروج الوصف عن كونه وصفاً وذلك لأنّ الوصف عرض وحقّ العرض ان لا يتقدم على المعروض للزومه تقدّم الشيء على نفسه وامثال ذلك من المحاذير:

والحقّ في المقام انه عليه السلام نفى عن الواجب شيئين احدهما الغيرية وثانيهما وجود الأبعاض:

أما الأول: فلأنّ الواجب لو كان غير المخلوق في وجوده يلزم ان يكون له وجود غير وجود المخلوق وغير الوجود لا يكون إلا العدم فهو تعالى معدوم والمفروض وجوده ههنا:

وانما قلنا ذلك لأنّ الوجود واحد في جميع الموجودات واجبا كان الموجود او ممكنا ونعني به مفهومه العام البديهي المُعبّر عنه بالفارسية (بهستي) والاختلاف بالشدة والضعف والكمال والنقص وامثال ذلك من مراحل التشكيك مضافا الى انّ العلة لا تغاير المعلول من جميع الجهات والآ لأنّفت السنجية بينهما ويلزم صدور كلّ شيء عن كلّ شيء وهو مُحال:

نعم الغيرية من بعض الجهات ثابتة فانّ الواجب وجوده عين ذاته وفي الممكن عارض على ماهيته والواجب ازلي ابدى والمخلوق لا يوصف بهما والواجب لا علة له فلا يكون معلولاً والممكن معلول والواجب عالم بكلّ شيء قادر على كلّ شيء وهكذا والممكن ليس كذلك فهو تعالى من هذه الجهات غير المخلوق واما من حيث مفهوم الوجود الذي يصدق على الواجب والممكن ومن حيث انه علة والعلة لا تغاير المعلول مطلقا فلا وعليه فالغيرية المسلوبة عنه هو الغيرية بمعنى عدم السنجية بين العلة والمعلول وكيف يكون الواجب غير المعلول مفارق عنه والحال انه علة مُبقية له بحيث لولا افاضته في كلّ ان من الآنات على معلولاته لتهدمت اركان وجودها ولم يبق منها عين ولا

اثر ويفصح عن هذا المعنى قوله ﷺ في الخطبة الأولى وغيرها، مع كل شيء لا بمُقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة، فهو موصوف بالغيرية اذا كانت لا عن مُزايلة وغير موصوف بها اذا كانت بمزايلة.

فَتَحَصَلَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْغَيْرِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَخْلُوقِهِ بِمَعْنَى مُفَارَقَتِهِ عَنْهُمْ كَمَا أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالْمُقَارَنَةِ مَعَهُمْ بِمَعْنَى كَوْنِهِ قَرِينًا لَهُمْ.

**وثانيهما:** وجود الأبعاض فهو أيضا مَسْلُوبٌ عَنْهُ إِذَا لَوْ كَانَ لَهُ بَعْضٌ لَوْ أَبْعَاضٌ يَلْزَمُ فِي ذَاتِهِ التَّرْكِيبُ سِوَاءَ كَانَتِ الأَبْعَاضُ مُتَغَايِرَةً أَمْ لَمْ تَكُنْ والأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ يَلْزَمُ التَّجْسِيمُ إِذَا لَمْ يَقْلُ ﷺ والأجزاء، والمُرَكَّبُ لَهُ أَجْزَاءٌ وَالجِسْمُ لَهُ أَبْعَاضٌ وَأَنْ كَانَ بَسِيطًا فِي الْخَارِجِ فَإِنَّ الْجِزْءَ الَّذِي لَا يَتَّجِزِي قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ مُحَالٌ وَعَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ وَالأَبْعَاضُ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ كَوْنِهِ جِسْمًا مُرَكَّبًا أَوْ بَسِيطًا هَذَا بِحَسَبِ ظَاهِرِ الْعِبَارَةِ وَأَنْ عَجَزُوا عَنْ شَرْحِ ظَاهِرِهَا أَيْضًا كَمَا عَلِمْتَ:

وفي المقام احتمال آخر لا باس بالإشارة إليه وهو ان يكون المراد بالأبعاض في قوله ﷺ غير ما فهمه القوم من ان يكون له تعالى ابعاض فيلزم التركيب او الجسمية كما كان المراد بالغيرية ما فهموه وقد عرفته مفضلاً وحاصله ان الله تعالى كما لا يوصف بالغيرية بمعنى كونه غير الأشياء بالمزايلة كذلك لا يكون بعض الأشياء وجزئها بمعنى ان يكون الشيء مركبا من الوجوب والإمكان او جسما تألف من الواجب والممكن كما يقول به القائل بالتركيب والتجسيم وذلك لأنه لم يعلم ان الواجب لو كان مركبا او جسما فهو في الحقيقة واجب وممكن واجب لكونه موجود الأشياء ولا علة له كما هو المفروض وممكن من حيث كونه مركبا وجسما فان المركب يحتاج الى اجزائه والجسم الى ابعاضه وكل محتاج ممكن فهو ممكن فالقائل بالأبعاض قائل باجتماع الوجوب والإمكان في شيء واحد وهو لا يعلم ما يقول وعلى هذا التحقيق فقوله والأبعاض عبارة اخرى من قوله ﷺ فيما سلف (مع كل شيء

لا بمُقارنة) اذ المَعْيَة اذا كانت على سبيل التّقارن فهي البَعْضية بل لا نعني  
بالبَعْضية الا هذا فثبت انّ الله تعالى ليس غير الأشياء ولا بعضها وهو المطلوب  
فتأمل في المقام:

□ قوله ﷻ: وَلَا يُقَالُ حَدٌّ وَلَا نِهَائَةٌ وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ...

اما انه تعالى لا حَدَّ له فقد مضى الكلام فيه غير مرّة واما انه لا نهاية له فلا  
كل ما له نهاية فهو مُتناهٍ وكل مُتناهٍ فهو مُمكن الوجود يلزم انه مُمكن الوجود  
والمفروض وجوبه هف:

وايضا كل ما له نهاية فله بداية اذ لا توجد النّهاية لما ليست له بداية والذي  
وقع بينهما فهو محدّد بالابتداء والانتهاى والواجب ازلي ابدي فكيف  
يجتمعان وقد ثبت استحالة اجتماع التّقْيُضين وقوله ولا انقطاع ولا غاية معناه  
ان وجوده لا ينقطع بمعنى ان يدركه الموت مثلاً ولا ان لوجوده غاية والا لا  
يكون ابديا هذا ظاهر العبارة وعليه الشّراح في المقام:

ويمكن ان يكون المراد بالانقطاع انقطاع فيضه وبالغاية غاية فعله والمعنى  
ان الله تعالى لا يُوصَف بانقطاع الفيض فيقال انه مُنقطع الفيض لانه دائم  
الفضل على البرية ولا يوصف بالغاية في فعله وايجاده كما في افعالنا وذلك  
لان ايجاد الفعل لأجل الغاية المطلوبة يُستلزم الإحتياج اليها وكل مُحتاج  
مُمكن بل افعاله تعالى تُوصف بالمصلحة الموجودة فيها ولتحقيقه مقام آخر:  
□ قوله ﷻ: وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتَقِلُّهُ أَوْ تُهْوِيهِ أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ  
يُعَدِّلُهُ...

اي ان الله تعالى ليس مُحاطاً للأشياء وهي مُحيطه به فتقله الأشياء وتحمّله  
من مكان الى مكان او تهويه اي تُسقطه الى جهة السّفَل او ان شيئا يحمله  
فيميله او يعدّله اي يميله من جانب الى جانب ويسوقه من صقع الى صقع فهو  
تعالى ليس في شيء ولا على شيء بل هو بكل شيء مُحيط وعلى كل شيء قدير.

□ قوله **لَا يَخْرُجُ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِحٍ وَلَا عَنَّهَا بِخَارِجٍ يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ...**

الولوج الدخول والمعنى ان الله تعالى ليس داخلاً في الأشياء معناه ان الأشياء ليست ظرفاً له تعالى كما يقال زيد في الدار والنفس في البدن وذلك لأن الدخول بهذا المعنى يفيد كون المحل ظرفاً وكل مظلوف يحتاج الى ظرفه وكل محتاج ممكن فهو ممكن، وايضا كل مظلوف فهو مُحاطٌ لظرفه والظرف مُحيطٌ به وكل مُحاطٌ مُتناهٍ محدودٍ وكل مُتناهٍ محدود ليس الواجب لأنه غير مُتناهٍ.

**وثالثاً:** ان الظرف مكان للمظلوف ومحل له فيلزم ان يكون الواجب مُتَحَيِّزاً فيه والواجب لا يكون مُتَحَيِّزاً في شيء ولا حالاً فيه.

ورابعاً ان كل مظلوفٍ فهو متأخر وجوداً عن ظرفه ووجود الظرف مقدم عليه او مقارن له وعلى التقديرين فالشيء الذي هو داخل فيه ان كان مخلوقاً له تعالى فيلزم تقدم المخلوق على الخالق او تقارنه له وجوداً وهو محال وان كان مخلوقاً لغيره فيلزم ان يكون الواجب في ظرفه الى خالق آخر وهو ايضا محال فثبت ان الواجب ليس بداخلٍ في الشيء او الأشياء ومع ذلك فهو ليس بخارجٍ عنها ايضا وذلك ايضا لوجوه:

**احدها:** انه لو كان خارجاً عنها يلزم ان لا يكون علة لها والوجه ان العلة ليست بخارج عن معلوله والا يلزم صدور كل شيء عن كل شيء ولهذا اشترطوا السنخية بين العلة والمعلول:

**وثانيها:** لو كان خارجاً عنها يلزم ان لا تكون له علة مُبْقِيَةٌ ايضا وقد ثبت ان الممكن الباقي يحتاج الى المؤثر في بقاءه كما يحتاج اليه في وجوده وحينئذ تكون العلة المُبْقِيَةٌ غيره فهو ليس بخالقٍ ولا واجب.

**وثالثها:** ان الخروج عن الشيء او الأشياء اما بالوجود او بالماهية ولا ثالث في المقام فان الموجود لا يخلو منهما وعليه فان كان خارجاً عنها بوجوده يلزم

ان يكون له وجود غير وجود الأشياء والمفروض أنه واحد وغير الوجود هو العدم وان كان بالماهية يلزم ان تكون له ماهية فيلزم تركيب الواجب من ماهية ووجود فهو ممكن الوجود وقد فرضناه واجبا هف فثبت أنه لا داخل فيها ولا خارج عنها وهو المطلوب.

ان قلت - لو كان كذلك يلزم في الحقيقة ارتفاع التقيضين ضرورة ان الأمر لا يخلو منهما ولا واسطة في المقام فان عدم الدخول في شيء فهو خروج عنه كما ان عدم الخروج هو الدخول واما عدمهما فلا نفهم معناه.

قلت - ليس المراد بعدم دخوله في الأشياء عدم الدخول مطلقا ولا من عدم الخروج عدمه مطلقا، بل المراد عدم الدخول على وجه خاص وعدم الخروج كذلك وسلب المقيد لا يستلزم سلب المطلق ومن المعلوم ان التناقض بين الوجود والسلب المطلقين وهو ليس بمراده قطعا وذلك لأن الله داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عنها لا كخروج شيء عن شيء والدليل على ما ذكرناه قوله عليه السلام: (بوالج) وذلك لأن الولوج ليس معناه الدخول مطلقا بل المعنى الدخول في مضيقي ولأجل ذلك لم يقل عليه السلام بداخل وقال بوالج ومعنى ان الدخول في شيء مضيقي من شئون الجسم وما شابهه والدخول في الشيء بهذا الطريق يلزم ان يكون الداخل محاطا محدّودا والواجب لا يكون محاطا، وثانيا يلزم ان يكون الداخل اصغر من المدخول فيه وهو كما ترى والحاصل ان الدخول على سبيل الولوج ينافي الواجب واما الدخول لا كذلك بل بمعنى الإحاطة فلا والخروج ايضا كذلك لأنه في كلامه مقابل للولوج اعني الخروج بهذا النمط واما الخروج لا كذلك بل بان يكون الواجب خارجا عن الأشياء بخواصه من كونه ازليا ابديا خالقا واجبا وهكذا فهو بهذا المعنى خارج عنها قطعا:

وقوله عليه السلام: يُخْبِرُ لَا يَلْسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، معناه ان الله تعالى يُخْبِرُ وَيَتَكَلَّمُ لَا بسبب اللسان واللاهوات فانهما من لوازم الجسم اما اللسان فظاهر واما اللاهوات

فلأنتها جمع لهاة، وهي اللحمة في سَقْفِ اقصى القَمِ وحيث لا قَمَ له تعالى فلا لهاة له وهو واضح:

وقوله يَسْمَعُ لا بِخُرُوقِ وادوات، اَمَّا اَنَّهُ يَسْمَعُ فلا كلام فيه عقلاً ونقلاً واما اَنَّهُ اَي السَّمْعِ ليس فيه بخُرُوقِ وادوات فلأنتهما من لوازم الجِسم وهو مُنْزَه عنه:

□ قوله ﷺ: يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ...

اَمَّا اَنَّهُ تعالى يقول فللقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ (١)

و: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ﴾ (٢)

و: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُ سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (٣)

و: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ (٤)

و: ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ (٥) وغيرها من الآيات واما

الدليل العقلي عليه فلأن الله تعالى مُتَكَلِّمٌ اذ لو لم يكن متكلماً يكون ناقصاً وكل ناقص لا يكون واجب الوجود مُستجعماً لجميع الصفات الكمالية وحيث اَنَّهُ قد ثبت ان الواجب تعالى يكون كاملاً من جميع الجهات واجداً لجميع الصفات الكمالية فهو متكلّم لا محالة:

واذا ثبت ان الله تعالى مُتَكَلِّمٌ عقلاً ونقلاً فنقول التَّكَلُّمُ لا يَتَّحَقُّ اِلَّا بِاللَّفْظِ او الْقَوْلِ ولا ثالث اَمَّا التَّكَلُّمُ بِاللَّفْظِ فهو غير مُمكن ولا معقول في حقه تعالى فلا محالة هو متكلّم بالقول وهو المطلوب اَمَّا وجه استحالة التَّكَلُّمِ بِاللَّفْظِ فيه تعالى فلأن اللفظ كما قيل في تعريفه صوتٌ مُعتمدٌ على مقطع القَمِ والله تعالى لا صوت له ولا قَمَ له فلا يتحقق اللفظ اَمَّا اَنَّهُ لا صوت له فلأن الصوت من شئون الأجسام وهو مُنْزَه عنها وحيث لا صوت له فلا لفظ له اذ اللفظ هو الصوت المُعتمد على مقطع القَمِ والمفروض اَنَّهُ لا صوت له فلا شيء يعتمد

على مَقْطَعِ الْقَمِّ مضافاً إلى أن القَمَّ أيضاً من لوازم الجِسْمِ وعليه فاثبات اللَّفْظِ فيه غير ممكنٍ وإذا كان غير مُمكنٍ فهو غير معقولٍ فالمطلوب ثابت فيبقى في المقام القول فهو يقول إذ لو انتفى القول فهو غير متكلمٍ وقد فرضناه متكلماً ههنا هذا مضافاً إلى ثبوت القول له تعالى نقلاً أيضاً كما عرفت فهو يقول ولا يلفظ وهو المطلوب ثم إن القول يطلق على معانٍ كثيرة ذكرها الراغب في المُفْرَدَاتِ إن شئت فراجعها وأما قوله ﷺ: **يَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَظُ**، قال البحراني رحمه الله حفظه يعود إلى علمه بالأشياء، ثم نقل عن بعض الشارحين أنه قال إنما يريد بالحفظ أنه يحفظ عباده ويحرسهم ولا يتحفظ منهم أي لا يحتاج إلى حراسة نفسه منهم وهو بعيد الإرادة انتهى ثم إن الخوئي رحمه الله بعد نقله ما نقلناه عن البحراني قال ما حاصله أن الحفظ قد يطلق على الحفظ عن ظهر القلب كما يقال حفظ القرآن إذا وعاه وقد يُطلق على الحراسة والوقاية من المكروه إلى أن قال إذا عرفت هذا فاقول أن الحفظ قد استند إلى الله تعالى من غير واحدة من الآيات ثم ذكر رحمه الله عدة منها وقال والحفيظ والحافظ من جملة أسماءه الحُسنى فلا غبار في وصفه سبحانه بالحفظ على المعنى الثاني أعني الوقاية والحراسة وهو المراد به في الآيات وفي غيرها احتمالاً وأما على المعنى الأول أعني الحفظ عن ظهر قلب فلا لأنه سبحانه مُنَزَّهٌ عن القلب والجوارح اللهم إلا أن يُراد به العلم مجازاً إلى آخر ما ذكره وأنا أقول كلامنا يقع في مقامين، أحدهما المراد بالحفظ في كلامه ﷺ والثاني في إطلاقه عليه تعالى:

أما المقام الأول فالظاهر أن الحفظ في كلامه ﷺ ليس بمعنى الوقاية والحراسة وذلك لأنه ﷺ قال قبل هذا الكلام يَقُولُ وَلَا يَلْفَظُ ثُمَّ قَالَ وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَظُ وسياق الكلام يدل على أن المراد حِفْظُ الْقَوْلِ وَاللَّفْظُ لَا الْحِرَاسَةَ وَالْوَقَايَةَ مِنَ الْمَكَارِهِ إِذْ لَيْسَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْبَابِ فِعْلاً وَإِنْ آيَتِ الْآءِ عَنْ عَدُولِ السِّيَاقِ فَقُلِ الْمُرَادُ بِهِ مَعْنَاهُ الْعَامُّ الشَّامِلُ لِكُلِّ الْمَعْنِيَيْنِ فَإِنَّ الْجَمْعَ مَهْمَا امْكُنْ أَوْلَى مِنَ الطَّرْحِ:

وامّا المقام الثاني اعني صحّة اطلاقه عليه تعالى فنقول لا شك في اصل جوازه بل وقوعه عليه تعالى في كثير من الآيات والأخبار والأدعية الماثورة كقوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (١)

و: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ﴾ (٢)

و: ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ خَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾ (٤) والآيات كثيرة ولا شك انّ

المراد به في هذه الآيات هو الوقاية والحراسة واما انّ الحفظ كلّمًا يطلق عليه تعالى معناه الحراسة والوقاية فلم يدل عليه دليل من العقل والنقل فاذا قيل انّ الله يحفظ يحتمل المعنيين اللذين ذكرهما الخوئي رحمته وغيره اعني الحفظ عن ظهر القلب، والوقاية عن المكاره بحسب اصل معناه اللغوي وحيث انّ الله تعالى مُنَزَّه عن القلب حملوه على المعنى الثاني ولم يعلموا انّ هذا لا يُوجب التخصيص وحمل اللفظ على المعنى الآخر وذلك لأنّ الحفظ في كلّ شيء بحسبه كما انّ التكلّم مثلاً في كلّ شيء بحسبه فاذا قلنا انّ الله مُتَكَلِّم ليس معناه انّ التكلّم فيه تعالى غيره فينا من جهة أنّه لا لسان له تعالى بل المعنى انّ التكلّم واحد في جميع الموارد الا انّ موارد الإستعمالات فيه تفترق ففي الواجب ايجاد الكلام مثلاً وفي المُمكن، في الإنسان غيره في الحيوان والجماد والنبات فانّ النطق ثابت لكلّ الموجودات الا أنّه ليس فيها على حدّ سواء لا انّ النطق يفترق من حيث المعنى بل بمعنى انّ موارد الإستعمالات فيه مُتفاوتة بحسب تفاوت الموجودات اذا عرفت هذا فنقول:

الحفظ تارة يطلق ويراد به هيئة النفس التي بها يتّبت ما يُؤدّي اليه الفهم، وتارة يراد به ضبط النفس واخرى في كلّ تقفدٍ وتعهّدٍ ورعايةٍ، فاذا قلنا انّ الله حفيظ او يحفظ معناه أنّه حافظ الموجودات وحافظ الأسرار والأقوال



والأعمال فإنه لا يضيع عمَل عاملٍ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ومعلوم أن اجراء العدل في العباد يوم المعاد لا يمكن إلا بعد حفظ اعمالهم واقوالهم وحاصل الكلام أنه لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه شيء كما أنه لا يعجز عن حفظ كل موجود من المكاره والآفات فهو حافظ كل شيء بمعناه العام وأما عدم جريان التحفظ فيه تعالى فلأن التحفظ أما معناه قلة العقل كما قيل أو أن حقيقته تكلف الحفظ لضعف القوة والله تعالى منزّه عن المعنيين وأما قوله ﷻ: يُريد ولا يُضمر، اثبت ﷻ له الإرادة ونفي عنه الإضمار، أما أنه يريد فقد مرّ الكلام فيه في شرح الخطبة الأولى عند بحثنا في الصفات وقلنا أن الإرادة كغيرها من الصفات ثابتة له عقلاً ونقلأ وكفاك في اثباتها أنها كمال للموجود فعدها نقص فيه والنقص من لوازم الإمكان بل عينه وقد ثبت في العلوم العقلية أن كل ما هو ثابت للموجود بالإمكان العام ولا يلزم منه التجسّم وغيره ممّا ينافي ذات الراجبية فهو ثابت للواجب بالفعل .

وأما التقل فلقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنْتِمَّ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٥)</sup> والآيات كثيرة:

وحيث انجر الكلام الى الإرادة فيه تعالى وأنه مُريد فلا باس بصرف عنان الكلام الى البحث في كيفية الإرادة في حقه فإن ثبوت الإرادة فيه شيء وكيفيتها فيه شيء آخر ولهذا اتفقوا في الأوّل واختلفوا في الثاني فإن الإرادة على زعم كثير من الفلاسفة من صفات الذات فهي قديمة والمستفاد من الأخبار خلافه

٢- المائدة-٦

٤- النحل-٤٠

١- الاحزاب-٣٣

٢- البقرة-١٨٥

٥- يس-٨٢

وأنهما من صفات الفعل فهي حادثة وكم زل من اقدام الفحول في هذا الموضع فنقول.

قوله عليه السلام: يريد ولا يُضمَر ذهب قوم إلى أن إرادته تعالى حادثة ومع ذلك عدوها من صفات الذات وأن ذاته تعالى محل للإرادات الحادثة، وذهب قوم آخر إلى أن لله تعالى إرادتين أحدهما قديمة هي عين ذاته وأخرى حادثة وهي متجددة متكررة واردة على ذاته وأن ذاته محل هذه الحوادث والكل باطل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والتحقيق على ما قاله بعض المحققين من الفلاسفة أن الإرادة تطلق بالإشتراك الصناعي على معنيين:

أحدهما: ما يفهمه الجمهور وهو الذي ضده الكراهة والإرادة بهذا المعنى هي التي قد تحصل فينا عقيب تصور الشيء الملائم وعقيب التردد حتى يترجح عندنا الأمر الداعي إلى الفعل أو الترك فيصدر أحديهما منا وهذا المعنى فينا من الصفات النفسانية وهي والكراهة فينا كالشهوة والغضب فينا وفي الحيوان ولا يجوز على الله بل إرادته نفس صدور الأفعال الحسنة منه من جهة علمه بوجه الخير وكراهته عدم صدور الفعل القبيح عنه لعلمه بقبحه.

وثانيها: كون ذاته بحيث يصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها التابع لعلمه بذاته لا كاتباع الضوء للمضي والسخونة للمسخن كفعل الطبايع لا عن علم وشعور ولا كفعل المجبورين والمسخرين ولا كفعل المختارين بقصد زائد أو إرادة ظنية يحتمل الطرف المقابل وقد تحققت أن قیوم الكل إنما يفعل الكل عن علم هو نفس ذاته القديم الذي هو أتم العلوم فاذا هو سبحانه فاعل الأشياء كلها بأرادة ترجع إلى علمه بذاته المتتابع لعلمه بغيره المقتضى لوجود غيره في الخارج لا لغرض زائد وجلب منفعة أو طلب محمّدة أو ثناء أو التخلص من مذمة بل غاية فعله محبته ذاته فهذه الأشياء والصادرة عنه كلها مرادة لأجل ذاته لأنها من توابع ذاته وعلمه بذاته فلو كنت تعشق شيئا لكان جميع ما يصدر عنه معشوقا لك لأجل ذلك الشيء وقد ذكرنا سابقا أنا نحن

نريد الشئ لأجل الشهوة واللذة لا لأجل ذات الشئ المراد ولو كانت الشهوة واللذة أو غيرهما شاعرة بذاتها وكانت مصدر الأفعال عن ذاتها لكانت مُريدة لتلك الأشياء لذاتها لأنها صادرة عن ذاتها واليه الإشارة بما في الحديث الإلهي عن نفسه كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف.

والحاصل ان كل ما يصدر عن فاعلٍ فانه اما ان يكون بالذات او بالعرض وما يكون بالذات اما يكون طبيعيا او اراديا وكل فعلٍ يصدر عن علم ذاته لا يكون بالعرض ولا بالطبع فاذا يكون بالإرادة وكل فعلٍ يصدر عن فاعلٍ والفاعل يعرف صدوره عنه ويعرف انه فاعله فان ذلك الفعل صدر عن علمه وكل فعلٍ صدر عن ارادة فمبدء تلك اما ان يكون علما جازما او ظنا او تخيلاً ولا يجوز ان يكون فعلٍ واجب الوجود بحسب الظن او التخيل فان ذلك يكون لغرضٍ زائد ويكون معه انفعال فان الغرض يؤثر في ذي الغرض وهو يفعل عنه وقد مر ان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فاذا يجب ان يكون ارادته للأشياء علمه بها لا غير فهذه هي ارادته الخالية عن الشين والإنفعال ولا مقابل لها الا النفي المحض ولما كان فهم الجمهور لم يصل الى الإرادة.

بهذا المعنى بل فهموا منها النحو الذي في الحيوان وضده الكراهة ويكون حادثا عند حدوث المراد جعلوها في الأخبار من صفات الأفعال ومن الصفات الإضافية المتجددة كخالقية زيد ورازقية حذرا عن كونه تعالى محلاً للحادث لو كانت الإرادة الحادثة من صفات الذات وهي كالعلم الحادث الذي هو اضافة عالميته تعالى بالحوادث الكونية وهي اخيرة مراتب علمه انتهى ما ذكره وانما نقلنا كلامه بطوله لكونه متضمنا للفوائد الحاصلة من البحث التي هي لب آراء المحققين من الفلاسفة بعده وقد ظهر لك من تحقيقه ان الإرادة على مسلك الفلاسفة من صفات الذات فهي قديمة لا محالة واذا كانت كذلك فلا يمكن تخلفها عن المراد والتعبير عنها في الأخبار بانها من صفات الفعل وانها حادثة

أما هو من باب كَلَّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ فَحَيْثُ إِنَّ فِهُمُ الْجُمْهُورَ لَا يَصِلُ  
إِلَى الْإِرَادَةِ بِالْمَعْنَى الَّذِي حَقَّقَهُ فَقَالَ الْمَعْصُومُ كَذَلِكَ هَذَا:

ولكن الإنصاف أن الأمر ليس كما ذكره أو ذكروه فإن الإرادة على ما حَقَّقَهُ  
وارجعه إلى العلم أيضا لا دليل عليه والقول بأن علمه تعالى بالشئ هو ارادته به  
أو بالعكس لا يمكن لنا اثباته بعد الفحص في كتبهم واستدلالاتهم وتحقيقاتهم  
إذ أساس ما ظنوه وسمَّوه بالتحقيق العلمي على الظن والحدس وليس كتابنا  
هذا موضوعا لهذه الأبحاث ولا يجوز لنا عقلاً ونقلاً تاويل الأخبار الواردة في  
المقام على ما ذكروه مع أن الأخبار صدرت عن مقام العصمة وما ذكروه صدر  
عن التخيل والظن وهذا دأبنا في جميع الموارد في العلوم العقلية وتوضيح  
المقال نُشير إلى بعض الأخبار فنقول:

روي الكليني عليه السلام في الكافي بإسناده عن عاصم ابن حميد عن ابي عبد الله  
عليه السلام قال قلت لم يزل الله مُريدا قال عليه السلام ان المرید لا يكون الا والمراد معه لم  
يزل الله عالما قادرا ثم اراد انتهى...

وايضا فيه بإسناده عن صفوان ابن يحيى قال قلت لأبي الحسن اخبرني  
عن الإرادة من الله ومن الخلق قال فقال عليه السلام الإرادة من الخلق الضمير وما  
يبدأوا لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله فارادته احداثه لا غير لأنه لا تروى  
ولا يهتم ولا يتفكر وهذه الصفات مُنتفية عنه تعالى وهي صفات الخلق  
فارادته الفعل لا غير ذلك يقول له كُن فيكون بلا لفظ ولا نُطقٍ بلسانٍ ولا همةٍ  
ولا تفكيرٍ ولا كيفٍ لذلك كما انه لا كيف له انتهى...

اقول وانت ترى ان الحديثين لا يمكن تاويلهما اصلاً فإن الحديث الأول  
قال عليه السلام في آخره لم يزل الله عالماً قادراً ثم اراد وعليه فالإرادة مُتأخرة عن  
العلم ولذلك عطفها بضم التي تفيد التأخير زمانا ورتبة فكيف يُحمل على كونها  
عين علمه بالأشياء وفي الحديث الثاني صرح عليه السلام بأن الإرادة صفة الفعل وقال  
فارادته الفعل لا غير ذلك والأخبار بهذه المضامين كثيرة اعرضنا عن ذكرها

حذرا عن الإطالة فالغَضُّ عمَّا فيها والرُّجُوعُ إلى ما قالوه جُراةً على الله وعلى رسوله فحاصل الكلام أنه تعالى يُريد وهو ممَّا لا خلاف فيه وأما كيف يُريد فهو خارج عن البحث فعلاً.

وأما أنه لا يُضمَرُ فلأنَّ الإضمار هو عزم القلب وحيث أنه لا قلب له لعدم كونه جسماً فلا اضمار له وهو واضح:

□ قوله ﷻ: يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ وَيَبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ...

اثبت ﷻ له تعالى الحُبَّ والبُغْضُ ونفي عنه الرِّقَّةُ والمَشَقَّةُ وأما الرِّضَا فهو يتبع الحُبَّ والغَضَبُ يتبع البُغْضُ فمن أَحَبَّ شيئاً فهو راضٍ عنه ومن ابغضه يغضبه وعليه فعطف الرِّضَا على الحُبِّ وعطف الغَضَبُ على البُغْضُ تفسيريٌّ أو أنَّ كلَّ واحدٍ منهما صفةٌ براسها ولا يهَمُّنا البحثُ فيهما وكيف كان فهذه الصِّفَاتُ مُصْرَحَةٌ بها في الكتاب العزيز ففي الحُبِّ قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

وفي الرِّضَا قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾<sup>(٧)</sup>

و: ﴿وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٨)</sup>

وفي الغَضَبِ قال تعالى: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>(٩)</sup>

٢- البقرة- ٢٢٢

٤- المائدة- ٤٢

٦- التوبة- ١٠٠

٨- المائدة- ٣

١- البقرة- ١٩٥

٣- آل عمران- ١٤٨

٥- المائدة- ١١٩

٧- الفتح- ١٨

٩- سورة النساء آية ٩٣

و: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ (١)

و: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ (٢)

و: ﴿لَا تَقُولُوا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٣) وأما الرِّقَّة المُنْفِية عنه تعالى فلأن

الرِّقَّة ضِدُّ القسوة والجَفْوَة يقال فلان رقيق القلب وقاسي القلب وهي من لوازم الجِسم والله تعالى مُنزَّة عن الجِسم والقلب فلا رِقَّة له.

وأما المَشَقَّة فهي ايضاً من لوازم الجِسم لأنها عبارة عن الإنكسار الذي

يلحق النَّفس والبدن وظاهر أن الله تعالى مُنزَّة عنهما فهي عنه مُنتفية:

□ قوله ﷻ: يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لَا بِصَوْتٍ يُقَرَعُ وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهَا ثَانِيًا...

اي يقول الله تعالى لمن اراد كونه ووجوده كُن فيكون اي فيكون موجودا  
الا ان هذا القول منه ليس بصوتٍ يُقَرَعُ الصِّمَاخ ولا بِنْدَاءٍ يُسْمَعُ بالأذان لما مرَّ  
سابقا وانما كلامه تعالى فعلٌ منه انشا الموجود ومثله لم يكن هذا الكلام من  
قبل كائنا ثابتا اذ لو كان كذلك لكان قديما لا محالة ويلزم منه تعدد القدماء فهو  
يكون الها ثانيا افاد ﷻ في المقام امورا:

احدها: ان الأمر الإيجادي التكويني لا يمكن للمأمور التخلف عنه بل كلما  
صدر الأمر من الأمر يوجد الشئ من غير فصلٍ بخلاف الأوامر التشريعية حيث  
ان التخلف فيها ممكن.

ولتوضيح المقال نقول، قال بعض العرفاء اول الكلام شقُّ اسماع  
الممكنات كلمة (كُن) وهي كلمة وجودية فما ظهر العالم الأ بالكلام بل العالم  
كله اقسام الكلام بحسب مقاماته ومنازله الثمانية والعشرين في نفس الرّحمن  
وهو الفيض الوجودي المنبعث عن منبع الإضافة والرّحمة والممكنات مراتب

تَعَيَّنَاتِ ذَلِكَ الْفَيْضِ الْوَجُودِيِّ وَالْجَوَاهِرِ الْعَقْلِيَّةِ حُرُوفِ عَالِيَاتِ وَهِيَ كَلِمَاتُ  
 اللَّهُ التَّامَاتِ الَّتِي لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقُصُ وَالْجَوَاهِرِ الْجِسْمَانِيَّةِ مَرْكَبَاتِ اسْمِيَّةٍ وَفِعْلِيَّةٍ  
 قَابِلَةٌ لِلتَّحْلِيلِ وَالْفَسَادِ وَصِفَاتِهَا وَأَعْرَاضِهَا اللَّازِمَةُ وَالْمَفَارِقَةُ كَالْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ  
 وَالْجَمِيعِ قَائِمَةٌ بِالنَّفْسِ الرَّحْمَانِيِّ الْوَجُودِيِّ الَّذِي يُسَمَّى فِي اصْطِلَاحِهِمْ  
 بِالْحَقِّ الْمَخْلُوقِ بِهِ كَمَا أَنَّ الْحُرُوفَ وَالْكَلِمَاتِ قَائِمَةٌ بِنَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ  
 الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ بِحَسَبِ مَنَازِلِهِ وَمَخَارِجِهِ انْتَهَى:

قال في الأسفار ما حاصله أن غرض المتكلم من كلامه انشاء اعيان  
 الحروف والكلمات وايجادها في الخارج وهو عين الإعلام وأما ترتب الأثر  
 عليه فهو امر ثانٍ وغاية ثانية غير الإعلام ثم قسم الكلام على ثلاثة، اعلى،  
 واوسط، وادنى، فالأعلى ما يكون عين الكلام مقصودا أوليا بالذات ولا يكون  
 بعده مقصودا أشرف وأهم منه وهذا مثل ابداعه تعالى عالم أمره بكلمة (كن) لا  
 غير وهي كلمات الله التامات والآيات العقلية التي لا تبعد ولا تنقص وليس  
 الغرض من انشائها منه تعالى سوى أمره وهذا معنى قولهم أن ما هو ولم هو في  
 المفارقات كشيء واحد واوسطها - ان يكون لعين الكلام مقصودا آخر غيره إلا  
 أنه يترتب عليه على وجه اللزوم من غير جواز الانفكاك بحسب الواقع وذلك  
 كما مره تعالى للملائكة السماوية والمذبررات العلوية بما اوجب عليهم ان يفعلوا  
 من التدبيرات والعبادات والتسك فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما  
 يؤمرون:

وادناها - ان يكون لعين الكلام مقصودا آخر ولكن قد يتخلف عنه وقد لا  
 يتخلف وفيما لا يتخلف ايضا امكان التخلف والتعصي ان لم يكن هناك  
 عاصم من الخطا والعصيان وهذا كما امر الله وخطاباته للمتكلمين من الجن  
 والإنس بواسطة انزال الملك وارسال الرسول وفي هذا القسم من الكلام وهو  
 الأمر بالواسطة يحتمل الطاعة والعصيان فمنهم من اطاع ومنهم من عصى وأما  
 الأمر مع عدم الواسطة او بواسطة امرٍ آخر فلا سبيل إلا الطاعة فاعلى ضرور

الكلام هو الأمر الإبداعي ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالنَّبْصِ﴾<sup>(١)</sup> وهو عالم القضاء الحتمي: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>(٢)</sup> والأوسط هو الأمر التكويني وهو عالم القدر (أنا كل شيء خلقناه بقدر)، والأنزل هو الأمر التشريعي التدويني ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ نُوحًا﴾<sup>(٣)</sup> انتهى ما ذكره مُلَخَّصًا إذا عرفت اقسام الكلام ومعناه فنقول:

لا شك أن الله تعالى مُتَكَلِّمٌ والدليل عليه من العقل والنقل وقد مضى غير مرّة فلا نحتاج إلى ذكره في المقام ومعنى كونه مُتَكَلِّمًا إيجاده الحروف في الخارج لا أنه يتكلم باللسان مُعْتَمِدًا على مَقْطَعِ الفم كما فينا لما مرّ من أنه تعالى مُنَزَّهٌ عن الجسم والجسمانية فلا لسان له ولا صوت له إذ لو كان التكلّم فيه بهما يلزم مُضَافًا إلى جِسْمِيَّتِهِ احتياجه اليهما في تكلّمه وكلّ مُحتاج ممكن فثبت أنه مُتَكَلِّمٌ بوجهٍ خاصّ فقوله ﷻ تبعًا لِلآيَةِ الشَّرِيفَةِ، يقول لِمَنْ اراد كونه كُن فيكون يستفاد منه امور:

احدها: أن ارادته تعالى مُتَقَدِّمَةٌ على الإيجاد فهو يُريدُ ثمّ يقول وقد قلنا أن الإرادة منه تعالى بناء على ما يستفاد من الأخبار حادثة لا قديمة بمعنى أنه تعالى إذا شاء اراد لا أنه اراد ثمّ شاء وعليه فالمشيئة قبل الإرادة كما قال ﷻ خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشية بنفسها، فنقول أنه شاء ثمّ اراد ثمّ وجد وقد رايت في بعض كتب القدماء كلمة (ما) بدل كلمة (من) أي يقول لِمَا اراد كونه كُن فيكون، وهو الأصح لشمول كلمة (ما) ذوي العقول وغيرها، وأما كلمة (من) فإنها تختص بذوي العقول كما قيل ومعلوم أن الموحد أعمّ، اللهم إلا أن يقال أن الصادر الأول الذي أوجده بكلمة (كُن) كان من ذوي العقول وهو يكفي في صحّة استعمال كلمة (من) وكيف كان فالغرض أن الله تعالى أبدع ما أبدع بكلمة (كُن) الوجودية:



وثانيهما: ان المراد بكلامه تعالى في المقام هو القسم الأول من الأقسام الثلاثة اعني به ما يكون عين الكلام مقصودا اوليا بالذات ولا يكون بعده غاية غيره وهذا الأمر يسمي بالأمر الإبداعي والكلام بالكلام التكويني الإيجادي وهو مختص به تعالى وليس المراد ان الله يقول، انه يتقول او يتلفظ بهذه اللفظة اعني بها الكاف والنون، فان هذا من شان الجسم الذي له لسان وفم واما الواجب فهو منزّه عن هذه الأمور بل المراد انه يفعل ما يشاء ويوجد ما اراد الا ان هذا الأمر يعبر عنه في مقام اللفظ بكلمة كُن، كما ان القرآن كله كذلك فان القرآن ليس هذه الحروف المدونة بين الدفتين بل هذه الحروف والكلمات المركبة منها كاشفات دالات على الحقائق التي هي القرآن حقا ولكن في مقام التفهيم والتفهيم لا بد لنا من التعبير عنها بالحروف والألفاظ اذ عليها مدار الإفادة والإستفادة ولعله لأجل هذه الدقيقة قال ﷺ ولا بصوت يقرع ولا بندا يسمع، ضرورة انه لو كانت كلمة كُن الوجودية من سنخ الحروف المصطلحة فلا محالة يتحقق الصوت والنداء وهو ظاهر للمتأمل:

وثالثها: ان هذا الكلام عين فعله لا ان به يوجد الفعل بمعنى انه تكلم بكلمة (كُن) ثم بعد قوله تعالى (كُن) صار الشيء موجودا كما هو كذلك بالنسبة الى غيره من المخلوق وذلك لأنه لو كان كذلك يلزم احتياجه الى القول في ايجاد الفعل والاحتياج مساوق للإمكان وعليه فكلامه هو بعينه فعله اي مفعوله والى هذا المعنى اشار ﷺ بقوله وانما كلامه سبحانه فعل:

ورابعها: ان هذا الكلام الوجودي الذي شق منه اسماع الممكنات لكونه فعل صار مبدء للإنشاء والإيجاد بمعنى ان به صارت الموجودات موجودة وهو الوجود المنبسط الذي ظهرت الأشياء به ورخمته التي وسعت كل شيء فهو مبدء ايجاد الدوات والصّور بحيث لولاه لما كان من الخلق عين ولا اثر والى هذا المعنى اشار ﷺ بقوله مِنْهُ أَنْشَاءُ وَمَثَلُهُ وَالْعَجَبُ مِنَ الشَّارِحِ الْبِحْرَانِيِّ كَيْفَ غَفَلَ عَنْ هَذِهِ الدَّقِيقَةِ وَحَمَلَ كَلَامَهُ ﷺ عَلَى الْكَلَامِ التَّدْوِينِيِّ فَقَالَ أَي

اوجده في لسان النبي وصوره في لسانه وسوى مثاله في ذهنه، وقال المعتزلي  
مثل القرآن لجرائيل اي صور مثاله بالكتابة في اللوح المحفوظ فانزل على  
محمد انتهى.

وجه التعجب ان البحث في كلامه التكويني الذي به اوجد الأشياء لا  
التدويني الذي به اوجد الحروف في الكتب السماوية الا ترى ان امير المؤمنين  
قال، قال يقول لمن اراد (كونه) وكلمة (من) لذوي العقول فلا تشمل ايجاد  
الحروف، وثانيا قد اتفقوا على ان كلمة (كن) الوجودية ناظرة الى وجود  
الأشياء عنه وانها كيف صدرت عنه ولم يكن في المقام بحث في القرآن وكيفية  
وجوده من اول الخطبة الى هنا حتى يحمل كلامه عليه واما المعتزلي  
فعدره موجه واعجب منه حملة، لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع، على ان الله  
تعالى ليس بذي حاسة فيقرعها الصوت، مع ان المقصود ان كلامه ليس  
بصوت يقرع الخ.

ثم ان قوله عليه السلام: **وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَاءُ وَمَثَلُهُ**، يمكن ان يكون  
الضمير في قوله (منه) الى الكلام وفي قوله انشاء ومثله الى الفعل وعليه  
فالمعنى ان كلامه تعالى فعل من هذا الكلام انشا الله الفعل ومثله اي صورته اي  
ان الفعل ذاتا وصورة وجد من كلامه وعليه فقوله ومثله بالتشديد ويمكن ان  
يكون الضمير في قوله (منه) الى الفعل وفي قوله انشاء ومثله الى الموجود به  
والمعنى كلامه تعالى فعل من هذا الفعل انشا الخ وصورة:

والاحتمال الثالث ان يقرأ قوله عليه السلام: **مَثَلُهُ** بالتخفيف والواو في اوله  
للاستئناف وعليه فالجملة السابقة قد تمت في قوله عليه السلام: **وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَاءُ وَمَثَلُهُ**  
اول الجملة الآتية اي ومثل هذا الفعل او الكلام لم يكن كائنا الخ والكلمة محتمل  
لا باس به والأقوى عندي هو الأخير كما ستعرف وجهه.

وخامسها: ان هذا الأمر والكلام او الفعل كان حادثا ولم يكن بكائين اذ لو  
كان كائنا، ثابتا قديما لكان لها ثانيا وقد اضطربت اقدام الشراح في المقام ولم

يَعْلَمُوا مَاذَا ارَادَ ﷺ بِقَوْلِهِ هَذَا وَكَيْفَ يَكُونُ الْكَلَامُ أَلِهَا ثَانِيَا عَلَيَّ فَرَضَ كُونَهُ قَدِيمًا فَخَرَجُوا عَنْ طُورِ الْبَحْثِ بِالْكَلِمَةِ فَقَالَ الْمُعْتَزَلِيُّ شَيْءٌ وَقَالَ الْبَحْرَانِيُّ شَيْءٌ آخَرَ وَهَكَذَا بَعْدَهُمَا مِنَ الشَّرَاحِ تَبَعُوهُمَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ لَهُمْ بِمَا قَالَا وَالَّذِي يَلِيْقُ بِالتَّوَجُّهِ فِي الْمَقَامِ وَغَيْرِهِ مِنْ مُعْضَلَاتِ كَلَامِهِ ﷺ هُوَ الْمُحَقِّقُ الْبَحْرَانِيُّ وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلَا لِعَدَمِ وَقُوفِ أَكْثَرِهِمْ عَلَيَّ هَذِهِ الدَّقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ وَالِإِصْطِلَاحَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الْفَلَسْفِيَّةِ وَحَيْثُ أَنَّ الشَّرَاحَ الْبَحْرَانِيَّ حَمَلَ كَلَامَهُ ﷺ عَلَيَّ الْكَلَامِ التَّدْوِينِيَّ فَذَهَبَ إِلَى أَنَّ كَلَامَهُ حَادِثٌ خِلَافًا لِلْحَنَابِلَةِ فَاتَّهَمُوا قَالُوا بِقَدَمِ كَلَامِهِ ثُمَّ فَرَّغَ عَلَيْهِ مَا فَرَّغَ وَحَاصِلُهُ أَنَّ كَلَامَهُ تَعَالَى لَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ وَاجِبًا فَيَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ فِي الْوُجُودِ أَلِهَا ثَانِيَا وَكَذَا وَكَذَا وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى ارْجِعُوا الْبَحْثَ إِلَى قِدَمِ الْقُرْآنِ وَحُدُوثِهِ وَاتَّبَتُّوا حُدُوثَهُ وَلَيْتَ شِعْرِي مِنْ أَيْنَ أَخَذُوا هَذَا الْبَحْثَ وَكَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَصْلًا وَأَمَّا عَلَيَّ الْمُخْتَارُ مِنَ الْبَحْثِ فِي كَلِمَةِ (كُنَّ) الْوُجُودِيَّةِ أَعْنِي كَلَامَهُ التَّكْوِينِيَّ لَا التَّدْوِينِيَّ فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى مَا ذَكَرُوهُ أَصْلًا وَفَرَعًا وَإِنْ شِئْتَ الْإِطْلَاعَ عَلَيَّ تَحْقِيقَاتِهِمْ فَعَلَيْكَ بِشُرُوحِهِمْ فَتَقُولُ:

غَرَضُهُ ﷺ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ الْوُجُودِيَّ الَّذِي هُوَ بَعِينُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (كُنَّ) لَمْ يَكُنْ كَائِنًا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ إِذْ لَوْ كَانَ لَكَانَ أَلِهَا ثَانِيَا.

تَوْضِيحُهُ أَنَّ الصَّادِرَ الْأَوَّلَ أَعْنِي بِهِ الْعَقْلَ أَوْ اللَّوْحَ أَوْ الْقَلَمَ أَوْ نُورَ نَبِيِّنَا ﷺ أَوْ مَا شِئْتَ فَسَمَّهِ لَوْ كَانَ قَدِيمًا بِمَعْنَى عَدَمِ مَسْبُوقِيَّتِهِ بِالْعَدَمِ لَكَانَ أَلِهَا ثَانِيَا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَفْرُوضَ أَنَّهُ لَيْسَ فِعْلُ الْحَقِّ بَلْ كَانَ مَوْجُودًا بِوُجُودِهِ وَكُلُّ مَوْجُودٍ غَيْرِ الْمَخْلُوقِ فَهُوَ وَاجِبُ الْوُجُودِ إِذَا الْوُجُودُ لَا يَخْلُو مِنْ الْوُجُوبِ وَالِإِمْكَانِ وَإِذَا كَانَ وَاجِبُ الْوُجُودِ فَهُوَ الْإِلَهُ وَحَيْثُ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عَدَمُ وَجُودِ الْآخَرِ بِدَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْمَحَالَّ فَكُونُهُ قَدِيمًا مَحَالٌّ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا فَهُوَ حَادِثٌ لِعَدَمِ خُلُوقِ الْمَوْجُودِ عَنْهُمَا فَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ كَلِمَةَ (كُنَّ) الْوُجُودِيَّةَ حَادِثَةٌ لَا قَدِيمَةٌ فَالْعَالَمُ حَادِثٌ وَلَا قَدِيمٌ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى هَذَا إِذَا قُلْنَا بِأَنَّ مَثَلَهُ بِالتَّشْدِيدِ وَأَنَّهُ مِنَ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ وَأَمَّا عَلَيَّ الْإِحْتِمَالِ الثَّانِي وَهُوَ أَنَّهُ بِالتَّخْفِيفِ وَالْوَاوِ لِلِإِسْتِنَافِ فَالْمَعْنَى أَنَّ مِثْلَ

هذا الفعل الذي هو مسبوق بالإرادة وهي بالمشيئة لا يكون كائنا قديما بل هو حادث لكونه مسبوقا بالعلّة وان لم يكن مسبوقا بالعدم فهو حادث ذاتا وان لم يكن زمانا وهذا الحدوث يكفي في المقام فإن الحادث ليس بقديم ذاتا كان او زمانا هذا واما استحالة الهين فقد مرّ الكلام فيها مفصّلاً في الخطبة الأولى عند شرحنا لقوله وكمال معرفة توحيدهِ وكمال توحيدهِ الإخلاص له ان شئت فراجعهُ هذا ما فهمناه من كلامه ﷺ والعلم عند الله.

□ قوله ﷺ: لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ...

اي لا يقال كان الله بعد ان لم يكن فيكون حادثا وذلك لأن الله تعالى لو كان بعد ان لم يكن فهو مسبوق بالعدم ومع ذلك يكون له ابتداء وكل ما له ابتداء له انتهاء وكل ما كان كذلك فهو محدود بالزمان وهذه كلها من صفات المحدثات ومن اتصف بها فهو حادث والحادث ليس بقديم وايضا كل حادث فله علّة في حدوثه وذلك لأن الحادث ممكن والممكن نسبته الى الوجود والعدم على حدٍ سواء لا يقتضي لذاته احدهما فيحتاج في خروجه عنه الى مخرج آخر غير ذاته والمخرج لا يكون ممكنا والا لتسلسل فلا محالة يكون واجبا وهو المطلوب فالواجب المفروض صار مخلوقا هف.

وايضا لا يكون بينها اي بين المحدثات وبينه اي بين الواجب فصل ولا له اي للواجب على المحدثات فصل وشرف وتوضيحه ان الواجب اذا كان له اول ودخل في المحدثات فلا يكون بين المحدثات والواجب فصل وفرق فصّح اطلاق الحدوث عليه والوجوب عليها وايضا لا فصل للواجب على المحدثات وذلك لأنهما من حيث الصفات واحد فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافئ المبتدئ اعني المخلوق والبديع اي المبدع الصانع والتكافؤ التماثل والتساوي في الصفات، ووجه التماثل ظاهر لا يحتاج الى مزيد توضيح وحيث ان التوالى باسرها باطلة فالمقدم اعني (كان بعد ان لم يكن) مثله:

□ قوله ﷻ: خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ...

اي خلق الله الخلائق على غير مثالٍ خلا وسبق من غيره بل خلقها على وجه الإبداع اعني فعله غير مسبوق بالمادة والمدة فلو كان فعله على مثالٍ لكان للخلق مثال فلم يكن الفعل ابداعيا، وثانيا يلزم احتياجه الى المثال في خلقه وكلُّ محتاج ممكن، وثالثا ان المثال المفروض ان اوجده هو فهو يدل على نقص الخالق وانه لم يكن قادرا على الإيجاد بغير مثالٍ وان اوجده غيره فهو اعني الغير شريك معه في الفعل، واما انه لم يستعن على خلق الخلائق من خلقه فلأن الاستعانة من الغير لا تكون الا عن احتياج اليه وكلُّ محتاج ممكن واما قال ﷻ من خلقه للإشارة الى ان غير الواجب كائنا ما كان فهو مخلوق له تعالى وذلك لأن الثابت بالأدلة نفي الشريك عنه فلا يكون في الوجود واجبا غيره فما سواه مخلوق له وثانيا يلزم ان يكون مخلوقه اكمل واقدّر منه اذ لو لم يكن كذلك لما استعان الواجب به والعقل يحكم بان الخالق اكمل من المخلوق وهو من الواضحات:

□ قوله ﷻ: وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَاْمَسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِغَالٍ وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوِجَاجِ وَمَنْعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ...

قال الراغب الإنشاء ايجاد الشيء وتربيته واكثر ما يقال ذلك في الحيوان قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾<sup>(١)</sup>  
و: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>

اقول: الحق في المقام ان يقال ان الإيجاد على قسمين، ابداعيا، وانشائي، فالأول عبارة عن ايجاد الشيء الذي لم يسبقه مادة ولا مدة كالعقول المجردة والثاني عبارة عن ايجاد الشيء لا كذلك سواء كان مسبوقا بهما معا وهو

المُخْتَرِع فِي اصْطِلَاحِهِمْ أَمْ كَانَ مَسْبُوقًا بِالمَادَّةِ دُونَ المُدَّةِ فِي الأوَّلِ كالعناصر  
والعنصریات والثَّانِي كالفلك والفلكیات فالإيجاد الإنشائي يشمل القسمين  
الأخیرین إذ المَادَّةُ فیهِمَا ماخوذة إذا عرفت هذا ففي المقام ابِحاث:

أحدها قوله **عَلَيْهَا: وَأَنْشَأَ الأَرْضَ**، حیث لم یقل أَبَدَعَ الأَرْضَ وفیه ایماء الی  
أنَّ الأَرْضَ لها مَادَّةٌ ومُدَّةٌ وإنَّ ایجادها لم یکن علی طریق الإبداع كالعقول  
حیث أوجدها ای أخرجها من العدم المَحْضُ الی الوجود وهي كذلك لأنَّها من  
العناصر ونَحْنُ نتكلم أولاً فی الأَرْضَ ثُمَّ فی انشائها فنقول، الأَرْضُ بفتح  
الهمزة وسكون الرّاء والضاد مصدر قولك أَرْضَ أرضاً وأَرْضَ أرضةً، المكان  
الَّذِي كَثُرَ عَشْبُهُ وأزدهی وحَسَّنَ فی العین، ولأجل هذا سُمِّيت الأَرْضُ أرضاً  
هذا فی اللّغة وأما فی الإصطلاح المتعارف بین العوام والخوَّاصِ فهي عبارة  
عن هذه الكُرَّةِ الكُبْرَى السَّیَّارة السَّابِحة فی الفِضَاءِ حَوْلَ الشَّمْسِ مثل سائر  
الكواكب وسُرْعَةُ سَیرِها حَوْلَ الشَّمْسِ فی الثَّانِيَةِ تَبْلُغُ ثلاثین ونصف کیلو متر  
( $\frac{1}{4}$  ۳۰ کیلو متر) مُحِيطُها (۴۰۰۰۰ کیلو متر) وَقَطْرُها (۱۸۰۰۰ کیلو متر) وهي  
اصغر من الشَّمْسِ بنحو مِلیون وأربعمائة الف مرَّةً ( $\frac{1}{1400000}$ ) وهي كُرْوِيَّةٌ  
علی المشهور بین القدماء والمُتأخِرین وأما فی عَصْرِنَا هذا فاجمعوا علی  
أنَّها لیست تامَّة التَّكْوُرِ بل هي شَبِیْهَةٌ بالكُرَّةِ وذلك لأنَّ علماء الهیئة فی هذا  
العصر قد قاسوا مُحِيطَ الأَرْضِ من خطِّ الإِسْتِواءِ ومُحِيطُها من جهة القطبین  
فَوَجَدُوا أنَّ تلك الدَّائِرَةَ من جهة خطِّ الإِسْتِواءِ تزيد علی جهة القطبین بنحو  
سبعین کیلو متر وهو دلیل علی عدم كونها كُرَّةً حقیقیةً إذ لو كانت كُرَّةً لَمَا كان  
فی الجَهِتَینِ فَرَقٌّ من حیث المسافة وفي قوله **عَلَيْهَا: أَنْشَأَ الأَرْضَ** كما اشْرنا الیه  
دلیل علی أنَّ الله تعالی أوجد الأَرْضَ عن مَادَّةٍ وقد اختلفوا فیها قديماً وحديثاً  
ولا نحتاج الی ذكر أقولهم لعدم الفائدة فیهِ أولاً وخروج الكتاب عن موضوعه  
ثانياً والَّذِي اسْتَقَرَّتْ علیه آرائهم الیوم هو أنَّها كانت جُزءاً من الشَّمْسِ وكانت  
الشَّمْسُ كما هي الآن كتلة مُلتَهبة دائِرَةٌ حَوْلَ نفسها وحَوْلَ مركز آخر بعيد جداً

فتطيرت منها شظايا بسبب بعض الحوادث التي طرات عليها فدارت على نفسها في الفراغ ودارت حول الشمس ايضا في فلك ثابت ولما كانت اصغر من الشمس اعترها البرود في قشرتها فلما بردت قشرتها هطلت عليها .

امطار غزيرة من سحب تكونت من الأبخرة المتصاعدة منها فتكونت عليها البحيرات العظيمة والأنهار الطويلة والمحيطات يقال لها بالفارسية (اقيانوسها) البعيدة الأكناف ودليلهم على صحة هذا الرأي ان باطن الأرض لا يزال حارًا بل مصهورا وفي حالة غليان تدل عليه البراكين التي تنثور احيانا فتخرج من باطن الأرض مواد في غاية الحرارة بل معادن ذائبة لا تصهر الا على درجة حرارة مرتفعة جدا وربما راي بعض قراء الكتاب في اوزويا عيوننا نابعة من الأرض على درجة حرارة مرتفعة تقرب من الغليان وهي لم تصل الى هذه الدرجة من الحرارة الا لكونها آتية من ابعاد عميقة انتهى ما ذكره في دائرة المعارف فريد وجدي ج - ١ .

اقول: وعلى ما ذكره فمادة الأرض التي انشا الله الأرض منها هي في الحقيقة مادة الشمس وهذا لا ينافي كلام امير المؤمنين عليه السلام اذ الإنشاء اعني الإيجاد عن مادة يساعد هذا القول ايضا وان لم يقم على صحة هذا الإدعاء دليل قاطع وللبحث فيه محل آخر: وثانيها - قوله فامسكها من غير اشتغال، اي بعد ايجاده تعالى الأرض امسكها في الجوّ عن السقوط وهو دليل بل صريح في كون الأرض معلقة في الفضاء سابحة فيه كما عليه الإتفاق في هذا العصر خلافا للقدماء من علماء الهيئة حيث قالوا بسكون الأرض وحركة الشمس حولها وذلك لأن الشئ الثابت الساكن في محله اي احتياج له الى ممسك يمسكه ولهذا تراهم اعتقدوا بكون الأرض على الماء كالسفينة وعليه فامساكها حفظها عن الإضطراب والغرق مثلاً ولأجل هذا قال الخوئي رحمته الله في شرح هذا الكلام تبعا لغيره من الشراح ما لفظه، اي امسكها على بين الماء بقدرته الكاملة من غير ان يشتغل بامساكها عن سائر افعاله وصنائه فانه لا يشغله شان عن

شان وهو تنزيه له عن الصفات البشرية الى آخر ما قال:

واما على المختار المؤيد بالعلم والجس والتجربة والعيان فالمعنى ان الله تعالى امسكها وحفظها عن السقوط في حرّكتها حول الشمس من غير اشتغال منه تعالى بهذا الإمساك فان ارادته له تكفي في امساكها هذا:

وفي المقام احتمال آخر لو ثبت يؤيد انفصال الأرض من الشمس وهو ان كلمة (اشتعال) في اكثر النسخ بالعين المعجمة ورايت في بعض النسخ القديمة بالعين المهملة فلو صحّ هذا كما هو الأقوى في النظر يكون المعنى ان الله تعالى انشا ووجد الأرض من الشمس وامسكها عن السقوط في الجو من غير اشتعال اي من غير ان تكون الأرض مُشتعلة بل صارت بقدرته الكاملة باردة مُستعدة للسكون عليها فسبحان من وجد الأرض عن الشمس وبرد حرارتها وجعلها مهذا لخلقه عليها ويؤيد هذا الاحتمال .

ما رواه في تفسير البرهان عن ابن بابويه باسناده عن علي ابن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاءً»<sup>(١)</sup> قال جعلها مُلائمة لطباعكم مُوافقة لأجسامكم ولم يجعلها شديدة الحرارة والبرودة فتحرقكم ولا شديدة البرد فتجمدكم الحديث «ج ١ ص ٤٢» والله اعلم بحقائق الأمور...

وثانيها قوله عليه السلام: «وَأَرْسَاهَا عَلَيَّ غَيْرِ قَرَارٍ» اي اثبت الله الأرض على غير قرار وفي قوله عليه السلام على غير قرار احتمالان:

احدهما، ان يكون كناية عن حركتها فان القرار في الأصل الثبات وهو ضد الحركة وعليه فالمعنى ان الله تعالى لم يجعلها قارة اي ثابتة ساكنة بل اثبتها الله متحركة حول الشمس فقوله غير قرار كناية عن حركتها.

وثانيها، ان يكون المعنى ان الله اثبت الأرض على غير الجمودة وذلك لأن القرار في الأصل الثابت الجامد واصله من القر وهو البرد قاله الراغب في



المفردات واطنّ ظناً قويا قريبا من القَطْع انّ الإشتعال في الجُملة السّابقة بالعين  
 المُهملة لتكون الجملة مقابلة للجملة المَبْحُوثة عنها والمعنى انّ الله امسكها  
 اي امسك الأرض في الجوّ من غير اشتعال فيها فتحرقتكم وارساها واحكمها  
 على غير بُرودةٍ وجمودةٍ فتجمدكم بل عدّلها وجعلها مُلائمة لطباعكم موافقة  
 لأجسامكم:

وثالثها قوله ﷻ: **وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ**، اي اقام الله الأرض بغير قوائم تقوم  
 عليها وهذا دليل ثانٍ على كونها في الفضاء، وأما الشّراح فقد قالوا اقامها على  
 مور امواج مُستحّلة بناء على ما ذهبوا اليه من كون الأرض على الماء:

ورابعها قوله ﷻ: **وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ**، اي رَفَع الأرض بغير دعائم واعمدة  
 تعتمد عليها وقوله ﷻ: **وَرَفَعَهَا**، اوضح دليل على المدعى وذلك لأنها لو كانت  
 على الماء لما قال ﷻ بغير دعائم واية دعامة احسن من الماء مُضافا الي ان رَفَع  
 الأرض كناية عن عدم قرارها على شيء وانها في الجوّ مُعلّقة:

وخامسها قوله ﷻ: **وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوَاجِ**، اي جعلها الله حصينة  
 عن الإعوجاج في حركتها حول الشمس او انه تعالى جعلها مُسطّحة مُستعدة  
 للسكّون عليها والانتفاع بها على حدّ قوله تعالى: **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
 فَرَاشًا﴾** (١)

وسادسها قوله ﷻ: **وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ**، التّهافت التّساقط قطعة  
 قطعة والإنفراج الإنشقاق والمعنى انّ الله تعالى منع الأرض من التّلاشي  
 والتّساقط وانفراج بعضها عن بعض:

□ قوله ﷻ: **أَرَسَى أَوْ تَادَهَا وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَّتَهَا...**  
 اي بعد انشاء الأرض وايجادها على ما مرّ ذكره ارسى اي اثبت الله تعالى  
 اوتادها من الجبال الشّامخات عليها وفيه اشارة الى قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ  
 الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾** (٢)

و : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾ (١)

و : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ (٢) وغيرها من الآيات وقد

تكلّمنا في معنى الأوتاد عند شرحنا للخطبة الأولى وقوله وضرب اسدادها جمع السّد والسّد وهو الحاجز بين الشّيتين، الجبّل، يقال ضربت عليه الأرض بالأسداد اي سدّت عليه الطّرق وعميت عليه المذاهب وعليه فالمعنى انّ الله تعالى قد سدّ طرّقها بسبب الجبال وغيرها وبعبارة اخرى نصّب بين بقاعها وبلادها اسدادا حاجزة وحدودا مايزة :

وقوله واستفاض عيونها، اي افاض العيون واجرى منها الماء للزراعة والشرب وغير ذلك فانّ الماء في الحقيقة مادة حياة كلّ شيء واليه الإشارة بقوله تعالى في الآيات وجعل فيها انهارا قال الله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (٣) وقوله ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾ (١) جمع وادي والمعنى انّ الله تعالى بقدرته الكاملة شقّ اودية الأرض وجعلها مراتع ومزارع :

□ قوله ﴿فَلَمْ يَهِنِ مَا بَنَاهُ وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ...﴾

وهو دليل على عظمة الخالق وقدرته حيث انّ كلّ بناءٍ بناه المخلوق فهو بمرور الزّمان يهين لا محالة وكذلك كلّ قويّ يضعف واما ما بناه الله تعالى اعني الأرض وما فيها من الجبال والأنهار فلم تهين اصلاً مع طول الزّمان ومرور الدّهور وهو عجيب، هو الظاهر القاهر على الأرض بسلطانه وعظمته وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته اذ لا يعلم باطن الأرض بل مطلق المخلوق الآهو :

□ قوله ﴿وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ...﴾

اي هو العالِي على كل شيء من الأرض او مطلق الموجودات لا بالعلو  
الجسدي بل بالعلو الشانِي اعني بجلاله وعزته ولا يعجزه شيء منها طلبه، لتمام  
سلطانه وكمال قدرته على ما سواه وافتقار الجميع اليه وغناه عن الكل قال الله  
تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا  
قَدِيرًا ﴾ (١)

وإذا كان الواجب كذلك فلا يمتنع عليه شيء فيغلبه فلا راد لقضائه ولا دافع  
لحكمه وحيث لا امتناع فلا غلبة بل الكل مقهور تحت قدرته مغلوب تحت  
ارادته فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد :

□ قوله ﷻ: وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ وَلَا يَقْوَتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ وَلَا يَحْتَاجُ  
إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ...

وذلك لأن السريع من الموجودات في حركته والبطي منها فيها بالنسبة الى  
قدرته سيان فلا يقوته السريع فيسبقه بقدرته وقوته للزومه النقص في ذاته  
تعالى وايضا لا يحتاج الى ذي مال وثروة فيرزقه فان ذلك يوجب احتياجه  
وفقره وهو من لوازم الإمكانية والله هو الغني فهو غني عما سواه وما سواه  
محتاج اليه وهو الرازق وغيره مرزوق وهو الخالق وغيره مخلوق وهكذا :

□ قوله ﷻ: خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَذَلَّتْ مَسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ  
سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضُرِّهِ...

وذلك لأن المخلوق خضوعه لخالقه قهري لا محيص له عنه فان الخالق هو  
العلة الموجدة والمبقية له والمراد بعلة البقاء افاضة الفيض من المفيض الى  
المستفيض أنا فانا وما كان كذلك فكيف لا يكون خاضعا، خاشعا والمفروض  
انه تعلق محض وصرف الربط لا شيء له الربط اذ المخلوق في جنب الخالق لا  
يكون شيئا واذا كان كذلك فهو ذليل والخالق عزيز وهو محتاج والخالق غني  
فلا يقدر على الهرب من سلطانه الى غيره لأن الهرب من سلطانه معناه سلب

المَخْلُوقِية وهو محال وغير الخالق لا يكون إلا مخلوقا مثله والحاصل ان المَخْلُوق لا يمكن له الفرار من حكومة الخالق فتمتنع من نفعه وضرره اي تمتنع بسبب الهرب منه الى غيره من نفع الخالق وضرره فلا يُصِيبُه النفع والضرر فان ما قَدَّر له يُصير شاء او لم يشاء فان الأمور بيده والمَخْلُوق تحت قُدرته :  
 □ قوله ﷺ: وَلَا كُفُوَ لَهُ فَيُكَافِئُهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيَهُ...

اما انه لا كفوء له فيكافئه، فالدليل عليه من العقل والنقل، اما العقل فلأن الكفوء في المنزلة والقدر كما يقال فلان كفؤ لفلان في المناكحة او في المحاربة او في العلم وغير ذلك من الصفات فلو كان له كفؤ يلزم ان يكون مثله في القدر والمنزلة اعني وجوب الوجود والأزلية والأبدية وكون الصفات فيه عين ذاته وكونه خالقا رازقا وغير ذلك من الصفات ولازم ذلك هو تعدد الآلهة واثبات الشريك له وحينئذ نقول اما ان يكون الكفؤ ايضا واجب الوجود بالذات او لا يكون كذلك لا سبيل الى الثاني لأن غير الواجب ممكن والممكن لا يكون كفوءا للواجب بل هو مَخْلُوق له لأن المفروض ان الممكن في خروجه عن حد الإستواء اعني لا ضرورة الوجود والعدم يحتاج الى مؤثر خارج عن ذاته دفعا للدور والتسلسل وكل ما هو خارج عن ذاته اما واجب او مُمتنع لا سبيل الى الثاني لأن الممتنع لا يكون علة للوجود اذ مُعطي الشيء لا يكون فاقد له فلا محالة هو الواجب فما فرضته كفوءا للواجب صار مخلوقا مصنوعا له هف ولا سبيل الى الأول ايضا وذلك لأن الموجودين المفروضين لا يخلو حالهما، اما ان يكونا مُتخالفين ذاتا او مُتحدّين والأول محال لأن المُتخالفين بحسب الذات والحقيقة كيف يتصّفان بوجوب الوجود وبعبارة اخرى وجوب الوجود يُنتزع عن مقام ذاتهما فهو من خارج المحمول لا المحمول بالضميمة اذ لو كان محمولا بالضميمة فيكون عَرَضيا وكل عَرَضِي مُعَلَّل مُعَلُول فيلزم معلوليتهما والمفروض انهما واجب الوجود واذا كان الوجوب العارض عليهما من خارج المحمول اعني المُنتزع عن مقام ذات

الواجبين لئلا يكون عَرَضياً فنقول المُتخالفان بما هما مُتخالفان كيف ينتزع  
منهما مفهوم واحد وهو الوجوب فثبت ان الكفؤ، المفروض لا يكون واجب  
الوجود واذا لم يكن واجبا فهو مُمكن اذ الوجود منحصر فيهما والممكن  
مخلوق للواجب فلا كفؤ له.

واما النقل: فلقوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ والروايات الواردة في الباب

كثيرة:

وقوله ﷺ: وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيَهُ، اي ولا شبه له في الذات والصفات ايضا  
والفرق بين الكفؤ والنظير لا يخفى على العارف فان كل كفؤ فهو نظير ولا  
عكس اذ النظير هو المشابه والكفؤ هو المثل، والدليل على انه لا نظير له هو ان  
كل ما فرضته نظيرا له فلا محالة هو موجود وكل موجود سواء مخلوق له اذ لو  
لم يكن مخلوقا يكون واجبا وقد اقمنا البرهان على نفي الشريك له تعالى  
وحينئذ فان كان النظير واجبا غيره يلزم الشركة وان كان هو فليس نظيرا بل هو  
هو وان كان ممكنا فهو مخلوق والمخلوق لا يكون نظيرا للخالق لأن وجوده  
وصفاته منه تعالى.

□ قوله ﷺ: هُوَ الْمُفْنَى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا...

وقوله ﷺ: هُوَ الْمُفْنَى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا الخ، معناه ان الله تعالى يفني  
الموجودات بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها اي كان لم يكن  
موجودا اصلاً وفيه ايماء الى ان افنائها كايجادها بيده قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ  
عَلَيْهَا فَإِنَّ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١)

والسرفيه انه قد ثبت في العلوم العقلية ان الممكن من ذاته ان يكون ليسا  
ومن علته ان يكون آيسا وعليه فلولا ايجاد العلة لكان في العدم باقيا فثبت ان  
وجوده بيد غيره لا بيده وكل شيء وجوده بيد غيره فعدمه ايضا بيده اذ  
المفروض انه لا يملك شيئا:

فان قلت - بناءً على استحالة إعادة المعدوم وعدم جوازها فبعد فناء الموجودات كيف يثبت المعاد قلت فناء الموجودات مُسَلَّم عقلاً ونقلاً واستحالة الإعادة ايضاً كذلك عقلاً وقد اتَّفَقُوا عليها وأما نقلاً فلم يقم عليها دليل وكيف كان لا ربط بين المسالتين وقد اخطأ من ظنَّ أنَّ الإِستحالة في إعادة المعدوم تُنافي فناء الموجودات فإنَّ فناء الشَّيْء غير عَدَمه كما قرَّر في محلّه ونحن ايضاً نقول بفنائها لا بعَدَمها وقد تكَلَّمنا في جواز الإعادة وعَدَمها في ابحاثنا العقلية بما لا مزيد عليه وقد اطال الكلام في المقام الشَّارح الخوئي رحمته ونقل عن الرّازي وغيره ما نَقَل مع أنَّ البحث في المقام ليس في المعاد ولا في جواز الإعادة وعَدَمه بل البحث في أنَّ الله تعالى يُفني الموجودات كما اوجدها وهذا ممَّا لا كلام فيه عند الكلِّ وأما أنَّ الفناء هو العَدَم او لا فالكلام ساكت عنه ولم يقل احد من الحُكَماء أنَّ إعادة المَفْنَى محال ليكون مخالفاً لثبوت المعاد بل قالوا إعادة المعدوم مُحال وبينهما بَونٌ بعيد.

□ قوله عليه السلام: وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ اَبْتِدَاعِهَا بِاعْجَبَ مِنْ اِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا...

اقول: بل الإنشاء والإختراع اعجب، وحاصل الكلام انه لا ينبغي الشك في أنَّ الله تعالى ابتدع الدنيا اي اوجدها وخلقها بالخلق الإبداعي الذي لم يكن مسبوقاً بمادّةٍ ومُدّةٍ ومن كان قادراً على هذا النوع من الإيجاد الذي لا يقدر عليه احد الآ هو فهو على افئائه اقدر لما ثبت أنَّ الإيجاد اصعب من الإعدام وقد جمع عليه السلام في كلامه هذا بين مراتب الإيجاد من الإبداع والإنشاء والإختراع وذلك لأنَّ اصول الفعل (بمعنى المفعول) ثلاثة، لأنَّ الفعل ان كان مسبوقاً بالمادّة والمُدّة فهو الكائن وقد يُعبّر عنه بالإنشاء، او لا يكون مسبوقاً بهما وهو المُبتدع او يكون مسبوقاً بالمادّة دون المُدّة وهو المخترع وأما عكسه اعني المَسْبُوق بالمُدّة دون المادّة فهو غير مُتَحَقِّق في الخارج اذا عرفت هذا فعالم الإيجاد لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة لأنَّ الموجود فيه اما غير مسبوقٍ بالمادّة او المُدّة، كالعُقُول والنُّفُوس المجردة، او مَسْبُوقٌ بهما كالعناصر والعنصريّات،

او بالمادة فقط كالفلك والفلكيات وهذا التقسيم مما اتفقوا عليه من فلاسفة المتقدمين والمتأخرين فانظر الى كلام امير المؤمنين عليه السلام كيف جمع المراتب واطن ان الفلاسفة اخذوه منه، ثم ان التصريح بهذه الأقسام في كلامه عليه السلام اشارة الى ان الفناء يشمل الكل وهو كذلك لأن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد والملاك للفناء هو الإمكانية وهو موجود في الكل فالدنيا فانية باسرها وهو المطلوب.

□ قوله عليه السلام: وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مَرَاكِهَا وَسَائِمِهَا وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَّمِهَا وَأَكْيَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا...

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾<sup>(١)</sup> اي وكيف يكون الفناء باعجاب من الإيجاد والحال انه لو اجتمع جميع حيوان الدنيا من الطير والبهائم والمراح بضم الميم من اراح الإبل رذها الى المراح اي الماوى، والسائم الراعي اي ولو اجتمع جميع حيوانها طيورها وبهائمها وما كان منها في الماوى وما كان في المرعى واصناف اصنافها وانواعها واجناسها ومتبلدة اممها واكياسها اي غبيها وحذاقها على احداث بعوضة ما قدرت على احداثها وايجادها قطعا مع ان كل احد يقدر على قتلها وهو دليل على ان الإيجاد اصعب واشكل فالقادر على الإيجاد قادر على الإفناء بطريق اولي فهو الذي يُفني الموجودات بعد ايجادها وارجاعها الى الدنيا بعد افنائها:

□ قوله عليه السلام: وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا وَلَتَحَيَّرَتْ عَقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ وَعَجِزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقَرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا مُذْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا...

الواو في قوله ﷺ: وَلَا عَرَفَتْ للعطف اي لو اجتمع ما ذكرناه على احداث  
 بعوضةٍ ما قدر عليه ولا عَرَفَتْ طريق ايجادها ايضا فضلاً عن اصله ولتَحَيَّرَتْ  
 عقولها في علم ذلك الإيجاد وتاهت وَعَجَزَتْ قواها عن ذلك ورجعت عما  
 ارادت الي ما كانت حال كونها خاسئة ذليلة حَسِيرَةٌ عاجزةٌ غير مُمكنة عارفة  
 عالمة بانها مقهورة مغلوبة تحت قهر الخالق مُقرّةٌ مُدعنة بالعجز عن انشائها  
 والضعف عن افنائها، وهذا معلوم لا شك فيه فان الإيجاد مع ما فيه من الأسرار  
 المُودعة فيه مُختص بالخالق الواجب كيف والمخلوق لا يمكن له العلم  
 بحقيقته وحقيقة غيره من المخلوقات وبعبارةٍ اوضح اشرف المخلوقات هو  
 ابن آدم والإنسان مع وفور عقله وكثرة توّغله في الحقائق والأسرار لا يعرف  
 نفسه فضلاً عن الإيجاد والابداع وَمَنْ الَّذِي يَدْعِي أَنَّهُ يَعْرِفُ كُنْهَ البعوضة وما  
 اودعه الله فيها من العجائب وهو حيوان ضعيف واذا كان الأمر بالنسبة اليها  
 والى امثالها كذلك فما ظنك بالإنسان الذي هو من عجائب الخِلقة بحيث قال  
 الله تعالى في خلقه فتبارك الله احسن الخالقين وانما خَصَّ ﷺ البعوضة  
 بالذكر لأنها مع صِغَرِ جُثَّتِهَا وحقارتها وعَدَمِ اعتناء الناس بها فهي خُلقت على  
 خِلقة الفيل الذي هو من الحيوانات العظيمة الجُثَّة وزادت عليها بامور.  
 احدها: ان للفيل اربع ارجل وخرطومها وذئبا ولها مع هذه الأعضاء رجلان  
 زائدتان واربعه اجنحة.

وثانيها: ان خرطوم الفيل مُصمّت وخرطومها مُجوّف نافذ للجوف.

فاذا طعن به جسّد الإنسان استسقى الدّم وقذف به الى جوفه فهو له البلعوم  
 والحلقوم ولذلك اشّد عَضَّها وقويت على خرق الجلود والغلاط كما قال  
 الشاعر:

مثل السّفاة دائما طيبيها ركبّ في خرطومها سكينها

ومن عجيب امرها انه ربّما قتلت البعير وغيره من ذوات الأربع فيبقى  
 طريحاً في الصّحراء فتجمع السّباع حوله والطير التي تاكل الجيف فمن اكل



منها شيئاً مات لوقته كما قيل:

لا تستخفنَ الفتنَ بَعْدَاوَةٍ      ابدا وان كان العدو ضئيلاً  
انّ القذى يؤذي العيون قليلة      ولربّما جرح البعوض الفيلا  
□ قوله ﷺ: وَإِنَّ سُبْحَانَهُ يُعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَا شَيْءٌ مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ  
ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا...

بعد ما اشار ﷺ انّ الله تعالى هو المُفني للدنيا وما فيها اشار الى بعد الفناء  
وقال انّ الله تعالى يعود بعد فناء الدنيا الى ما كان قبل ايجادها وحده لا شيء  
معه كما كان كذلك قبل ابتدائها ففي المقام اشار ﷺ الى اصلين:  
احدهما: انه تعالى كان قبل ايجاد العالم وحده لا شيء معه.

وثانيهما: انه بعد افناء العالم يرجع الى ما كان أولاً فيكون وحده لا شيء معه.  
اما الأصل الأول: اعني كونه وحده قبل الإيجاد فالدليل عليه من وجوه:  
احدها: انه علة الإيجاد ووجود العلة قبل وجود المعلول والآ فالعلة ليست  
بعلة وهو يستلزم الخلف.

وثانيها: انّ الواجب لو لم يكون موجوداً قبل الخلق لكان معدوماً لعدم  
الواسطة بين الموجود والمعدوم ولو كان معدوماً فان كان الإيجاد حال عدمه  
يلزم ان يكون العدم علة للوجود وهو محال وان كان الإيجاد بعد وجوده  
المسبوق بالعدم فهو حادث اذ لا نعني بالحدوث الا هذا وكلّ حادث يحتاج  
الى مُحدثٍ وهكذا فلا محالة كان موجوداً غير مسبوق بالعدم دفعا للدور  
والتسلسل وهو المطلوب.

وثالثها: لو لم يكن موجوداً وحده فلا محالة كان معه موجوداً آخر وذلك  
الموجود لا يخلو حاله اما ان يكون مخلوقاً له او لغيره لا سبيل الى الثاني لانه  
يلزم ان لا يكون المفروض واجبا فهو مخلوق له وكلّ مخلوق متأخر وجوداً  
عن خالقه وهو المطلوب.

واما الأصل الثاني: فهو ايضا ثابت من وجوه:

احدها: أنه بعد افئائه الموجودات أمّا ان يكون موجودا وحده او لا يكون، فان كان الأوّل فهو المطلوب، وعلى الثاني فالموجود الباقي معه أمّا ان يكون مخلوقا له او لا يكون لا سبيل الى الثاني للزومه ان لا يكون المفروض خالق الكل بل له شريك في الخلق وهو خلاف الفرض، وان قلنا بالأوّل فهو لا يخلو من وجهين احدهما كونه قادرا على افئائه وثانيهما عدمه.

فان لم يقدر على افئائه فهو ليس بخالقه اذ الخالق كما يقدر على الإيجاد يقدر على الإفناء وان كان قادرا ومع ذلك يكون الموجود موجودا فهو خلاف الغرض لأن المفروض افئائه الدنيا.

وثانيها: ان الواجب بعد افئائه الموجودات ان كان باقيا فهو المطلوب وان كان فانيا فهو ليس بواجب الوجود هف.

وثالثها: أنه لو لم يبق بعد فناء الدنيا فأمّا ان يكون الفناء فيه لذاته او لغيره وعلى الأوّل يلزم ان يكون الوجود علة للعدم والفناء وهو محال فان وجوب الوجود حَيْثِيَّة ذاته تاتى العدم وعلى الثاني يكون معلولا لغيره فهو مخلوق وليس بخالق فثبت أنه تعالى يكون بعد فناء الدنيا باقيا كما كان ولم يكن معه شيء وهو المطلوب:

□ قوله ﷻ: **بِلاَ وَقْتٍ وَلاَ مَكَانٍ وَلاَ حِينٍ وَلاَ زَمَانٍ عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ وَزَالَتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ...**

قوله ﷻ: بلا وقت متعلق بقوله يكون بعد فنائها، والمعنى ان الكون بعد فناء الدنيا بلا وقت فلا يكون زمانيا وبلا مكان فلا يكون مكانيا وبلا حين ولا زمان فيكون حينيا فيقال أنه موجود الى حين كذا او زمان كذا مثلاً والوجه في الكل ان الزمان والمكان من لوازم المخلوق وأمّا الخالق فهو مُنَزَّه عنهما أمّا أوّلاً فلكونه قديما وأمّا ثانيا فلأنه يلزم تقدّم الشيء على نفسه وأمّا ثالثا، فلأنه مُستلزم للإحتياج وغير ذلك من المحاذير وقد سبق الكلام فيه مفصلاً، وأمّا رابعا، فلمّا ذكره ﷻ بقوله عُدِمَتْ عند ذلك الأوقات الى آخر الكلام، وذلك أمّا

على مسلك الفلاسفة من ان الزمان من حركة الأفلاك فظاهر لأن المفروض فناء الدنيا ومنها الأفلاك فاذا انعدم الأصل انعدم الفرع، واما على مسلك غيرهم من ان الزمان امرٌ موهوم اعتباري فالأمر اوضح لعدم وجود المُعْتَبَر وهكذا الكلام في المكان:

□ قوله ﷺ: **فَلَا شَيْءٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ...**

الفناء للتفريع اي اذا كان الأمر على هذا المنوال من فناء الدنيا اعني كل مخلوق ممكن فلا محالة لا يبقى الا الواجب الوجود بذاته الذي لا يتطرق اليه العدم واليه مصير جميع الأمور فان كل شيء يرجع الى اصله انا لله وانا اليه راجعون: كما قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾** (١)

و: **﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾** (٢)

و: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾** (٣)

و: **﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾** (٤)

□ قوله ﷺ: **بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ أَيْدَاءُ خَلْقِهَا وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا...**

اي ان الموجودات كما انها كانت ضعيفة غير قادرة على شيء في مرحلة الإيجاد كذلك لا تقدر على الإمتناع حين الإفناء وفيه اشارة الى ان المخلوق ضعيف في حد نفسه لا يقدر على شيء فكما انه لا يقدر على ايجاد نفسه كذلك لا يقدر على منع الفناء عن نفسه:

□ قوله ﷺ: **وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا...**

اي لو كان قادرا على الإمتناع لدام بقائها لا محالة واذا ليس فليس ووجهه واضح فان الشيء لا يكون علة لعدمه وفنائه وحيث انا نرى فنائه فنكشف ان علة الفناء شيء آخر غير ذات الموجود من حيث وجوده وهو ادل دليل على ضعفه وعجزه:

□ قوله ﷺ: لَمْ يَتَكَاءَ دُهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ وَلَمْ يُؤْوِدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَاهُ...

قوله لَمْ يَتَكَاءَ دُهُ، من تَكَادَ يَتَكَادُ نحو تَصْرَفَ يَتَصْرَفُ مصدره التَّكَادُ بفتح التاء وضمّ الهمزة كالتَّصْرَفِ، وهو المَلَالَةُ والمعنى لَمْ يَجْمَلْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ حِينَ صُنِعَ فَإِنَّهُ قَالَ كُنْ فَيَكُونُ كَمَا لَمْ يُؤْوِدْهُ وَيَشْغَلْهُ مِنَ الْمَوْحُودَاتِ مَا خَلَقَهُ وَبَرَاهُ، يُقَالُ بَرَا بَرًا وَبَرَاءُ خَلَقَهُ مِنَ الْعَدَمِ وَفِي قَوْلِهِ ﷺ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ الْمُصَوِّرُ﴾<sup>(١)</sup> وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ بَأَنَّ الْخَلْقَ يُطْلَقُ عَلَى الْحَيَوَانَ وَغَيْرِهِ وَالْبَرَاءَ كَثِيرٌ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْحَيَوَانَ فَقَطْ فَكَمَا يُقَالُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، يُقَالُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ وَلَا يُقَالُ بَرَأَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِثْلًا بَلْ يُقَالُ بَرَأَ النَّسَمَةَ أَيِ الْإِنْسَانَ وَعَلَيْهِ فَالْبَرَاءُ أَحْصَى مِنَ الْخَلْقِ وَهُوَ أَعَمُّ مِنْهُ وَمَا ذَكَرَهُ ﷺ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْخَلْقَ بِكُلِّ قِسْمِيهِ لَا يُؤْوِدُهُ وَلَا يَشْغَلْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ كُرْسِيِّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُؤْوِدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>

□ قوله ﷺ: وَلَمْ يَكُونْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ...

أَيِ لَمْ يَكُونِ الْمَوْجُودَاتِ وَلَمْ يُوجَدْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِهِ وَلَا لِأَجْلِ الْخَوْفِ مِنَ زَوَالِ السُّلْطَانَةِ وَنُقْصَانِهَا كَمَا هُوَ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سُلْطَانِ الْعَالَمِ وَذَلِكَ لَوْجِهَيْنِ:

أحدها: أَنَّ سُلْطَانَهُ كَامِلٌ بَلْ فَوْقَ الْكَمَالِ غَيْرِ مُتَنَاهٍ فِي قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ لَا ضَعْفَ فِيهِ وَلَا فُتُورَ فَتَشْدِيدُهُ لَا مَعْنَى لَهُ إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ فَوْقَهُ قُدْرَةٌ: وَثَانِيَهُمَا: أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ يَلْزَمُ احْتِيَاجَهُ إِلَى الْخَلْقِ لِتَشْدِيدِهَا بِأَرْكَانِ سُلْطَانَتِهِ وَعَصْمِهَا مِنَ الزَّوَالِ وَالنَّقْصَانِ وَكُلِّ مَحْتَاجٍ مُمْكِنٍ وَالْمَفْرُوضِ أَنَّهُ وَاجِبٌ كَمَا قِيلَ بِالْفَارَسِيَّةِ:

من نه کردم خلق را سودی کنم بلکه تا بر بنده گان جودی کنم

فهو الذي أوجد الخلائق بلطفه وكرمه وجوده ومنه لا لغرض ونفع يرجع إليه.

□ قوله ﷻ: وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَيَّ نِدٌّ مُكَاثِرٌ وَلَا لِلِاخْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ...

المكاثر المغالب والمثاور بالثناء من ثاور يثاور، الموثب والمُحارب والمعنى أنه لم يخلق الخلق للإستعانة والإستمداد بها على نِدٍّ ومثَلٍ مغالب، وذلك لأنه لا مثل له فإنَّ المثلين امران وجوديان مُتشاركان في الصفة والذات كما قالوا المثلان هما المُتشاركان في المهية ولوازمها والواجب تعالى لا مهية له فلا يُوجد المثل هناك وإذا انتفى المثل انتفت المغالب والحاصل أن ايجاد الخلق لم يكن لأجل الغلبة على شريكه ومثله وايضا لم يكن للإحتراز بها اي بالموجودات من ضِدِّ مُهاجم اذ لا ضِدَّ له ليَتَحَقَّقَ التَّهَاجُمُ والتَّوَابُ:

□ قوله ﷻ: وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ وَلَا لِمُكَاتَرَةِ شَرِيكِ فِي شَرِكِهِ وَلَا لَوْحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا...

وايضا لم يكن الخلق منه تعالى لأجل الأزدِيَادِ بها في مُلْكِهِ ولا لمُكَاتَرَةِ ومُغَالِبَةِ شَرِيكِ فِي شَرِكِهِ لعدم احتياجه الى الإزدِيَادِ في الأوّل وعدم وجود شريك له في الثاني والأوّل ينافي الوجوب اذ الواجب لا يكون مُحتَاجَا والثاني يُنَافِي تَوْحِيدَهُ وَاِنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْأَبْحَاثِ:

ولا لَوْحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ الى آخِرِهِ اذ الْوَحْشَةُ مِنْ لَوَازِمِ الْجِسْمِ كَمَا أَنَّ الْإِسْتِنَاسَ اَيْضَا كَذَلِكَ وَحَيْثُ قَدْ ثَبِتَ أَنَّ الْوَاجِبَ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جِسْمَانِي فَلَا وَحْشَةَ لَهُ وَادَّلَا وَحْشَةَ لَهُ فَلَا اسْتِنَاسَ لَهُ هَذَا أَوَّلًا وَثَانِيًا أَنَّ الْوَحْشَةَ وَالْإِنْسَ مَنشَاهُمَا الْإِحْتِيَاجُ وَهُوَ تَعَالَى لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ كَمَا مَرَّ وَحَيْثُ انْتَفَتِ الْأُمُورُ فَثَبِتَ الْمَطْلُوبُ.

□ قوله ﷻ: ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيْفِهَا وَتَدْبِيرِهَا وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ وَلَا لِثَقَلٍ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ...

افاد ﷻ في المقام امرين:

احدهما: انْ افنائه الموجودات انما هو بعد تكوينها وايجادها لا قبله اذ افناء المعدوم لا معنى له واذا كان كذلك فللقائل ان يقول لِمَ افناها بعد ايجادها وبعبارة اخرى ان لم يكن في ايجادها نفع فليَمَّ او جدها وان كان فيه خير ونفع فليَمَّ افناها بعد وجودها وعليه فالافناء لا يكون الا لأحد هذه الأمور، احدها ان يكون في تصريفها وتديرها سأم وملاة، وثانيها ان في افنائها راحة واصلة اليه، وثالثها ان يثقل وجودها عليه، فقال عليه السلام في الجواب كل ذلك لم يكن اذ لو كان الإفناء من هذه الجهات يلزم ان يكون الواجب ضعيفا عاجزا ناقصا في حد ذاته والواجب مُتَزَه عن هذه الصفات الإمكانية بل الوجه في افنائه شيء آخر وهو المصلحة التي اراها فيه فقال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: لَا يَمَلُّهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا...

وهذا الكلام جواب عن السؤال المذكور وحاصله ان طول بقاء الموجودات لم يَمَلِّه فيدعوه الى سرعة افنائها وبعبارة اخرى افنائها ليس من جهة الملاة التي تحصل من طول البقاء.

□ قوله عليه السلام: وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِطُفَيْهِ وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَأَتَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ...

ولكن الله تعالى دَبَّرَ الموجودات بلطفه تدبيرا وافيا كاملاً وامسكها بامرهم امساكا عاريا عن التزلزل والاضطراب واتقنها واحكمها بقدرته الكاملة الشاملة اتقاناً غير ذي عوج لا حاجة منه اليها بل للإجادة عليها:

□ قوله عليه السلام: ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا اسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَخَشْيَةٍ إِلَى حَالٍ اسْتِثْنَاءٍ وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالتَّمَنَاءِ وَلَا مِنْ فَتْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ وَلَا مِنْ دُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ...

اي ثم يعيد الله تعالى الموجودات بعد فنائها من غير حاجة منه تعالى اليها لكونه غنيا بالذات، ولا ان الإعادة للإستعانة بشيء من الموجودات عليها يستمد منها بعد وجودها، ولا لانصراف يحصل له من حالٍ وحشية في حال عدمها الى

حال استثناسٍ بعد اعادتها، ولا من حال جهلٍ وعمى الى حال علمٍ والتماسٍ، فكان مثلاً جاهلاً ثم بعد اعادتها صار عالماً، ولا من فقرٍ وحاجةٍ عرض عليه حال عدمها فاعادها ليصير غنياً ولا من ذلٍ وضعةٍ وحقارةٍ ومسكنةٍ الى عزٍ وقدرةٍ بعد اعادتها فإن هذه الأمور كلها لا تساعد ذاته الواجبية واتصافه بها يُصيره مُمكنًا مُحتاجًا خارجاً عن مقام وجوبه:

تنبيه: اعلم ان قوله ﷺ ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجةٍ منه اليها يفيد امورا ثلاثة:

احدها: ان المعاد مُسلم لا ينبغي الشك فيه.

وثانيها: ان المعاد بالنسبة الى جميع الموجودات دون بعضها.

وثالثها: انه تعالى لا يحتاج الى اعادتهم من جهة الأمور المذكورة ولا بد لنا من البحث في الموارد لأن الموضوع من اهم المسائل التي يجب على كل مسلم الاعتقاد به وانكاره كفرٌ والحاد فتقول:

اما البحث في المقام الأول: اعني اصل المعاد، فاعلم ان المعاد بفتح الميم مشتق من العود وهو الرجوع الى الشيء بعد الإنصراف عنه، وهو اسمٌ لزمان العود ومكانه وقد يطلق على نفس العود والاعتقاد به واجب لازم بل هو من ضروريات الدين ومُنكره كافر مُرتد خارج عن رتبة المسلمين كتابا وسنة واجماعا وعقلاً - اما الكتاب قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِينٍ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّا يَظْمِنُ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)

و: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٣)

و : ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (١)

و : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٢)

و : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعَدَّ اللَّهُ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٣)

و : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (٤)

و : ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٥)

و : ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٦)

و : ﴿وَلَيْنَ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧)

و : ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تَرَاباً إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨)

و : ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (٩)

و : ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بِإِنْتِهَاءِ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ الْإِكْفُوراً﴾ (١٠)

و : ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِيتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ

٢- الاعراف- ٢٩

٤- يونس- ٣٤

٦- يونس- ٥٦

٨- الرعد- ٥

١٠- الاسراء- ٩٨ الى ٩٩

١- الانعام- ٣٦

٣- يونس ٤

٥- يونس- ٤٥

٧- هود- ٧

٩- الاسراء- ٥١= ٤٩



مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا» (١)

و: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» (٢)

و: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ» (٣)

و: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَيْدًا لَمُخْرَجُونَ، لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (٤)

و: «أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (٥)

و: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» (٦)

و: «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٧) والآيات كثيرة.

وأما السنة: فمنها ما رواه في البحار بإسناده عن علي ابن الحسين عليه السلام قال عليه السلام: عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الْفَخُورِ كَانَ أَمْسَ نُطْفَةٍ وَهُوَ غَدَا جِيْفَةٍ وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ انْكَرَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى مَنْ شَكَ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى الْخَلْقَ وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ انْكَرَ النِّشَاةَ الْأُخْرَى وَهُوَ يَرَى الْأَوْلَى وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِعَامِرِ دَارِ الْفَنَاءِ وَيَتْرُكُ دَارَ الْبَقَاءِ انْتَهَى «ج ٣ ص ٢٠٠ ط قديم»...

وايضا بإسناده عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن عبد حتى يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت وحتى يؤمن بالقدر انتهى «ج ٣ ص ٢٠٠»...

والأخبار كثيرة الا انه بعد ذكر الآيات وتصريحها به بحيث لا تقبل التأويل

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

٢- طه- ٥٥  
٤- النمل- ٦٧/٦٨  
٦- يس- ٧٨/٧٩

١- مريم- ٦٦/٦٧  
٣- الحج- ٦٧  
٥- عنكبوت- ١٩  
٧- الأحقاف- ٢٣

٣٤٨  
ج ١٢

اصلاً لا نحتاج الى ذكر الأخبار كثيراً فان من لا يعتمد على القرآن فكيف يعتمد على الأخبار ولأجل هذا عرضنا عن ذكرها أكثر مما ذكرناه لئلا يطول الكلام: وأما الإجماع فقد إدعاه غير واحد من علماء الإسلام في كتبهم الكلامية وغيرها:

قال العلامة الحلبي رحمته في كتاب كشف الفوائد في شرح العقائد التصيرية وأما المسلمون فقد إتفقوا على إثبات المعاد البدني واختلفوا في كيفية إعدامه الى آخر ما قال:

وقال المجلسي رحمته في المجلد الثالث من البحار أعلم ان القول بالمعاد الجسماني مما إتفق عليه جميع المسلمين وهو من ضروريات الدين ومنكره خارج عن عداد المسلمين انتهى وقال العلامة رحمته في شرح الياقوت على ما نقل عنه، إتفق المسلمون على إعادة الأجساد انتهى وقال شارح المقاصد إتفق المحققون من الفلاسفة والمليين على حقيقة المعاد واختلفوا في كيفية الخ: وقال العلامة الدواني في شرحه على العقائد العنصرية، والمعاد الجسماني انه المتبادر من إطلاق اهل الشرع اذ هو الذي يجب الاعتقاد به ويكفر من انكره وهو حق بإجماع اهل الملل الثلاث وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة بحيث لا يقبل التاويل وهكذا وانى لم ار من انكر المعاد من المسلمين نعم وقع البحث في كيفية وانه هل هو جسماني او روحاني او كلاهما معاً وأما اصل المعاد فهو غير قابل للإنكار.

وأما العقل - فلأن المنكر لم يقيم دليلاً على استحالته في حد نفسه وقد ثبت ان كل غير محال فهو ممكن وكل ممكن معقول فالمعاد معقول هذا كله بالنسبة الى اصل إمكانه وأما كيفية وانه جسماني او روحاني فسياتي الكلام فيها فالأدلة الأربعة قد دلت على اصل المدعى.

وأما البحث في كيفية فنقول الأقوال فيها ثلاثة:

احدهما: قول من قال ان المعاد ليس إلا للنفس وهذا مذهب الجمهور من

الفلاسفة.

وثانيها: قول من قال - ان المعاد ليس إلا للبدن المحسوس وهذا قول نفاة النفس الناطقة وهم اكثر اهل الإسلام، وثالثها - قول من اثبت المعاد للأميرين وهم طائفة كثيرة من المسلمين مع اكثر النصارى واما القول بنفى المعاد راساً فلم أرَ من قال به من ذوي العقول

أما الأول: اعنى ثبوت المعاد للنفس فاستدلوا عليه بان النفس جوهر مجرد وقالوا بامتناع فناءه اذ إمكان فناءه يستدعى محلاً يبقى مع الفناء ولا نعنى بالنفس غير ذلك الباقي فإذا الفانى على ذلك التقدير انما كان عرضاً زال عن محله والنفس ليس بعرض واذا ثبت كون النفس باقياً لا سبيل للفناء اليه فيعود واما البدن فانه ينعدم بصوره واعراضه فلا يعاد لامتناع إعادة المعدوم انتهى، وانت ترى ان اساس هذا القول يتوقف على امور اربعة: تجرد النفس، وكونها باقية غير فانية.

وكون البدن ينعدم بصوره واعراضه، وان المعدوم لا يعاد، فلا يمكن القول بثبوت المعاد النفسانى إلا بعد إثبات هذه المقدمات وعلى المدعى إثباتها أولاً ثم القول بالمعاد النفسانى ولقائل ان يقول انا لا نسلم تجرد النفس أولاً ثم على فرض التسليم اى دليل دال على ان كل مجرد عن المادة لا يطرء عليه الفناء بل الذي لا يجوز عليه الفناء هو الذي يجب وجوده لذاته واما غيره فلا وبعبارة أخرى المانع من طريان العدم هو الوجوب الذاتى اعنى ما لا علة له فى وجوده من خارج ذاته واما التجرد فلم يقد دليل على انه مانع من الفناء نعم التجرد المطلق كالواجب تعالى فقد يقال فيه هذا، والنفس ليست بمجردة بهذا المعنى وحاصل الكلام انا لا نسلم ان كل مجرد لا يجوز عليه الفناء وعلى فرض القول به نقول فى كل مجرد بحث والنفس ليست من هذا القبيل وثانياً، ان النفس ممكنة فى حد ذاتها وكل ممكن من ذاته ان يكون ليساً، فالنفس ذاتاً تقبل الفناء فالقول بعدم جواز الفناء عليه تحكّم، إذ اى فرقٍ بينها وبين غيرها من الممكنات ولم تجوزون الفناء عليها دونها، فكل ما وجوده من غيره قابل

للفناء والنفس من هذا القبيل والإستدلال بأنه لو جاز الفناء عليها لكانت مركبة من المادة والصورة فيكون جسماً والتالى باطل فالمقدم مثله لا يتم وذلك لأننا نقول ما الدليل على أن الفناء يختص بالمركب عن المادة والصورة اعنى الجسم ليكون لازمه بقاء غير الأجسام ابدأ بل هذا مردودٌ بوجهين:

احدهما: أنه لو كان الأمر كذلك فلا يفنى إلا الجسم وأما غير الجسم فلا فناء فيه ولازمه بقاء غير الأجسام ابدأ فيكون غير الجسم ابدياً وقد ثبت أنه لا ابدى إلا الله تعالى اذ هو الأول والآخر.

وثانيهما: أن عدم الفناء غير الجسم اماً من ذاته او من علته فان كان الأول يلزم ان يكون كل غير جسم واجب الوجود اذ لا نعنى بالواجب إلا ما حيثية ذاته تمنع الفناء والعدم عليه، وان كان عدم طريان العدم عليه من علته فهو وان كان بالنسبة الى قدرة الخالق ممكناً إلا أنه ينافى إمكانه اذ لو كان كذلك يلزم ان لا يكون ملحوقاً بالعدم والممكن لا يكون كذلك إلا على القول بانقلاب الماهية وانتم لا تقولون به هذا من جهة العقل.

وأما النقل: فقولته تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(١)</sup> والنفس شيء فهو هالك لا محالة وبعبارة أخرى دلت الآية على هلاك الشيء مطلقاً وإستثنى منه وجه الواجب اعنى به ذاته المقدسة وبقي غيرها داخلاً تحت الحكم والنفس شيء داخل فيه فهي هالكة والهلاك الفناء، فثبت وتحقق أن المقدمتين الاوليتين اعنى تجرد النفس وكونها باقية غير فانية فى حيز المنع وعلى المدعى إثباتهما واذ ليس فليس فالقول بانحصار المعاد فى النفس ممنوع وهو المطلوب.

وأما الكلام فى المقدمتين الأخيرتين وهما، إنعدام البدن، وإستحالة إعادة المعدوم، فقد عرفته فيما مضى وقلنا أن البدن لا ينعدم بل يفنى اي يتفرق اعضاءه واجزائه ويتلاشى لا محالة وأما مادته الأصلية التى خلق البدن منها فهي باقية كما ستعرف الكلام فيه مفصلاً، واذا كان كذلك فلا تشمل القاعدة

اعنى إستحالة إعادة المعدوم اذ لا معدوم على الفرض حتى يقال فيه بالإستحالة وعدمها نعم لو كانت القاعدة إستحالة إعادة الفناء او المبنى لكان للبحث مَوْضِعاً والقول بانَّ العَدَمَ والفناء سَيَّانَ مُضَافاً الي انّه أوّل الكلام لا يُفِيدُ بناءً على بقاء المَادَّةِ الأَصْلِيَّةِ، فظهر انَّ المُقَدِّمات كُلَّهَا مُنْتَفِيَةٌ فَمَا فَرَعُوهُ عَلَيْهَا مثلها فالقول بإنحصار المعاد لِلنَّفْسَانِي مَمْنُوعٌ بل غير معقول:

**وامّا القول الثّاني:** اعنى إنحصار المعاد لهذا البَدَنِ المَحْسُوسِ فهو ايضاً لا يَتِمُّ لأنَّ اساس هذا القول على نفى النَّفْسِ النَّاطِقَةِ وانَّ الإنسان ليس إلا هذا البَدَنِ المَحْسُوسِ وحيث انَّ المعاد لِلإنسان فلا مُحَالَةٌ يَعودُ البَدَنُ لا غيره كما انَّ القول الأوّل كان راجعاً الي انَّ الإنسان هو النَّفْسُ فقط والبَدَنُ لا دَخَلَ له في الإنسانيَّة، وان لم يَتَّفَوه به فانَّ عود النَّفْسِ دون البَدَنِ دليل عليه والحقُّ انَّ الإنسان ليس هذا البَدَنُ فَحَسَبَ فلا يمكن لأحدٍ إنكار النَّفْسِ بالكلية فنقول: ان كان المراد القائل بنفى النَّفْسِ النَّاطِقَةِ انَّ الإنسان انما هو هذا البَدَنُ بمعنى انّه ليس فيه شيء غير هذه المحسوسات من اللّحم والشّحم والغضروف وامثالها فهو امر غير معقول لأننا نرى الأمر بخلافه وذلك لأننا نحس في ذاتنا شيء آخر غير هذه المواد المحسوسة بل هي مُستندة اليه الا ترى انَّ الإنسان يقول عَيْنِي وَسَمْعِي وَرِجْلِي وَيَدِي وَعَقْلِي وهكذا ومعلوم انَّ المُضَافَ غير المُضَافِ اليه فلو لم يكن هناك شيء آخر يلزم ان يكون المُضَافُ عين المُضَافِ اليه وهو كما ترى.

وثانياً: انَّ الإنسان بعد موته لا يَرى ولا يَعقل ولا يَتَّحَرِكُ مع انَّ البَدَنَ محفوظ موجود فلو لم يكن فيه شيئاً آخر هو يفهم ويعقل ويَتَّحَرِكُ لِمَ صار البَدَنُ عاجزاً عنها كالجماد:

وثالثاً: انَّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> وهو دليل على وجود شيء آخر في البَدَنِ غير نفس البَدَنِ

يكون شرف البدن وعزّه به.

وان كان مراده نفى النفس الناطقة من حيث اللفظ مثلاً فلا مشاحة فيه اذ ليس لنا بحث فى الألفاظ والعُمدة إثبات شئٍ آخر مع البدن نفساً كان او روحاً او غيرهما وعليه فكما ان البدن مع قطع النظر عن النفس او الروح قبل المعاد لا اثر له فكذلك بعده فعود البدن بدون الروح ائى نفع فيه والمفروض ان العود للسؤال والجواب.

**واما القول الثالث:** فهو الحقّ الحقيق بالإتباع عقلاً ونقلاً فلا محيص للقائل بالمعاد على وفق الشريعة المطهرة إلا الإلتزام به فانه فى الحقيقة جمع بين القولين السابقين وهو مهما امكن اولئى من الطرح مضافاً الى ان نفيه يوجب المعاد براسه اذ الشقوق المحتملة بحسب العقل للقائل بالمعاد لا تخلو عن هذه الوجوه اما العقل، فبيانه يتوقف على ذكر مقدمتين، يتبين فيهما المعاد بضم الميم اعنى من يعود، والغرض من العود اما المقدمة الاولى فلا شك ان الذي يعود هو الإنسان فهو المعاد لا غيره فلا بد لنا من معرفته اولاً فنقول الإنسان معجون مركب من الروح والبدن فى لسان الآيات والاحبار ومن القلب والبدن على اصطلاح العرفاء ومن النفس الناطقة والبدن على اصطلاح الحكماء والمتكلمين فالروح والقلب والنفس متحد معنى مختلف لفظاً وإصطلاحاً والعرفاء يقولون ان الروح باطن القلب وعرفوا القلب بانه جوهر نورانى مجرد يتوسط بين الروح والنفس وهو الذي يتحقق به الإنسانية ويسميه الحكيم النفس الناطقة والروح باطنه والنفس الحيوانية مركبة وظاهره المتوسط بينه وبين الجسد، وعرفوا النفس بانها البخار اللطيف المتولد فى القلب القابل لقوة الحياة والحس والحركة وهذا يسمى عند الأطباء بالروح، وعرفوا الروح بانها اللطيفة الإنسانية المجردة المتوسط بينهما المدرك للكليات والجزئيات ولم يفرق الحكماء بين القلب والروح ويسمونها النفس الناطقة وكيف كان فلا شك عندهم ان الإنسان مركب من هذين الموجودين

ولمزيد التوضيح نقول يمكن لنا ان نستدل على اصل وجود النفس عقلاً ونقلًا  
أما العقل فلما ذكره في الأسفار:

وهو أنا شاهد اجساماً يصدر عنها الآثار لا على وتيرة واحدة من غير إرادة  
مثل الحس والحركة والنمو والتغذية وتوليد المثل وليس مبدء هذه الآثار المادة  
الأولى لكونها قابلة مَحْضَة ليست فيها جهة الفعل والتأثير، ولا الصورة  
الجسمية المشتركة بين جميع الأجسام إذ قد يُوجد اجسام تخالف تلك  
الأجسام في تلك الآثار وهي أيضاً قد لا تكون موصوفة بمصدرية هذه  
الأفعال فإذا في تلك الأجسام قبادٍ غير جسيميتها وليست هي باجسام فيها وإلا  
فيعود المحذور فإذا هي قوة متعلقة بتلك الأجسام وهي النفس إذ كل قوة  
فاعلية يصدر عنها الآثار كذلك تُسمى عندهم نفساً فقد علمنا بذلك ان في  
البدن شيء آخر غير الجسمية هو مبدء لمثل هذه الأفاعيل المختلفة وهو  
المطلوب، انتهى ما ذكره بتلخيص منا.

وأما النقل: فلقوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ  
سَاجِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> وجه الاستدلال بها انه تعالى نفخ الروح في البدن بعد تسويته  
اي بعد تسوية البدن ومعلوم ان المراد بتسوية البدن تكميله من حيث الأجزاء  
والأعضاء العنصرية فلو لم يكن هناك شيء آخر غير البدن هو المحرك له  
والمبدء لآثاره وافعاله لما قال هكذا فعلم بذلك ان في الإنسان شيء آخر غير  
بدنه ويُعبّر عنه بالروح او النفس او ما شئت فسمه، ويمكن الاستدلال ايضاً  
بقوله تعالى حيث قال ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً  
مَرْضِيَّةً﴾<sup>(٢)</sup>

تقريب الاستدلال بها على وجودها هو انها لو لم تكن موجودة لما كانت  
مخاطبة بالخطاب اذ لا معنى للخطاب اذا لم يكن المخاطب موجوداً وهو

واضح وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾<sup>(١)</sup> وتقريب  
الإستدلال بها ايضاً واضح اذ الإلهام يستدعى الوجود فى المَلهم، وقوله  
تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>(٢)</sup>

فلو لم تكن الرُّوح موجودة لما يُسئل عنها ثم حَقَّ الجواب أنها ليست  
بموجودة مثلاً، وأما الجواب بما ذكر فى الآية فهو دليل على وجودها اذ  
المعدوم لا يكون بامر الرّب والآيات كثيرة والحاصل ان اصل وجود الرُّوح او  
النفس ممّا لا ينبغى الإرتياب فيه ولا اعلم فيه مخالفاً وانما الخلاف فى ان  
النفس عين البدن مفهوماً او غيره فمن انكر النفس انكرها من هذه الجهة لا من  
اصل وجودها وحيث قد ثبت وجودها فلا بد لنا من التكلم فى عينيتها للبدن  
وعدمها فانّ هذا هو الاصل فى الباب والحقّ المُغيرة لوجوده:

احدها: انّ النفس واحدة ومتى كانت واحدة وجب ان تكون مُغيرة لهذا  
البدن ولكل واحدٍ من اجزائه اما انها واحدة فادعوا فيه البداهة ومع ذلك نقول  
فى الإستدلال على المدعى انا اذا فرضنا جوهرين مُستقلين يكون كل واحدٍ  
منهما مُستقلاً بفعله الخاص إمتنع ان يصير إشتغال احدهما بفعله الخاص مانعاً  
عن إشتغال الآخر بفعله الخاص به وهو ظاهر وعليه فلو كان محل الإدراك فى  
الإنسان جوهرأ ومحل الغضب جوهرأ آخر ومحل الشهوة جوهرأ ثالثاً وجب  
ان لا يكون إشتغال القوة الغضبية بفعالها مانعاً للقوة الشهوانية من الإشتغال  
بفعالها اولى من العكس لكن التالى باطل فانّ إشتغال الإنسان بالشهوة  
وإنصبابه اليها يمنعه عن الإشتغال بالغضب والإنصباب اليه وبالعكس فعلمنا  
ان هذه الأمور الثلاثة ليست مبادئ مُستقلة بل هى صفات مُختلفة لجوهرٍ  
واحد فلا جرم كان إشتغال ذلك الجوهر باحد هذه الألفاظ عائقاً له عن  
الإشتغال بفعلٍ آخر وهو المطلوب  
وثانيها: انّ المواظبة على الأفكار الدقيقة لها اثر فى النفس واثراً فى البدن،



أما أثرها في النفس فهو إخراجها عن القوة التي الفعل في التعلقات والإدراكات وكلما كانت الأفكار أكثر كان حصول هذه الأقوال اكتمل وفي ذلك غاية كمالها ونهاية شرفها، وأما أثرها في البدن فهو إستيلاء النفس على البدن وإستيلاء الذبول عليه وهذه الحالة لو إستمرت تنتهي إلى المالمخوليا وموت البدن فثبت أن الأفكار تُوجب حياة النفس ونقصان البدن وهو دليل على أنها غير البدن.

وثالثها: أنه ربما كان بدن الإنسان ضعيفاً نحيفاً ومع ذلك له جراءة عظيمة في الإقدام على الأمور وربما بالعكس فضعف البدن وقوته لا تأثير لهما في الإقدام على الصعوبات والمؤثر فيه هو قوة الروح فقط فنكشف مغايرة الروح مع البدن وإلا لما كان الأمر كذلك.

ورابعها: أن أصحاب الرياضيات والمجاهدات كلما امضوا في قهر القوى البدنية وتجويع الجسد قويت قواهم الروحانية واشرقت اسرارهم بالمعارف الإلهية وكلما امعن الإنسان في الأكل والشرب وقضاء الشهوات صار كالبهيمة وبقى محروماً عن آثار النظر والعقل والفهم والمعرفة ولو لا أن النفس غير البدن لما كان الأمر كذلك بل كانت قوة احدهما قوة الآخر.

وخامسها: أن النفس تفعل أفاعيلها بالآلات البدنية فتبصر بالعين وتسمع بالأذن وتأخذ باليد وتمشي بالرجل، وأما إذا آل الأمر إلى التعلق والإدراك فأنها مُستقلة بذاتها في هذا الفعل من غير إستعانة بالآلات ولذلك فإن الإنسان يمكنه أن لا يبصر شيئاً إذا غمض عينيه وأن لا يسمع إذا سد أذنيه ولا يمكنه أن لا يفهم أو يزيل عن قلبه العلم بما كان عالماً به فعلمنا أن النفس غنية بذاتها في العلوم والمعارف عن شيء من الآلات البدنية فهذه الوجوه إمارات قطعياً على أن النفس غير البدن واجزائها وآلاتها هذا كله بالنسبة إلى الأدلة العقلية ويمكن أن يُستدل على المدعى اعنى المغايرة بينهما بالتقلبات ايضاً. فمنها - قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (١)

تقريب الإستدلال بها ان الله تعالى قال فانسيهم انفسهم، فلو كانت النفس عين البدن كان معنى الآية ان الله انساهاهم ابدانهم ومعلوم ان الانسان لا ينسى هذا الهيكل المحسوس المشاهد اصلاً فدل ذلك على ان النفس التي ينساها الانسان عند فرط الجهل غير هذا البدن وهو المطلوب ومنها قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٢)

وهذا صريح في ان النفس غير هذا الجسد ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ (٣) ولا شك ان جميع هذه المراتب في الأحوال الجسمانية ثم انه لما اراد ان يذكر نفخ الروح قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (٤) وهذا صريح بان ما يتعلق به الروح شيء مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة في الاحوال الجسمانية وذلك يدل على ان الروح شيء مغاير للبدن وهو المطلوب: ومنها قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٥) وقد مر الكلام فيها ومنها قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٦) وقد مر الكلام فيها ايضاً. ومنها قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٧) وجه الإستدلال بها ان مجموع البدن وكذلك كل عضو من اعضائه مع قطع النظر عن الروح ليست مصداقاً للإبتلاء بالتكاليف الشرعية والامور المقدرة وهو واضح لاختفاء فيه فثبت بما ذكرناه.

ان الروح غير البدن وبعد إثبات هذين الأصلين اعنى إثبات الروح أولاً وكونها مغايراً للبدن ثانياً لا بد لنا من التكلم في ان الانسان هل هو الروح فقط

او البدن كذلك او لا هذا و لا ذاك بقيد الوحدة بل الإنسان عبارة عن كليهما  
اعنى الروح والبدن فالشقوق ثلاثة :

احدها: ان يكون الإنسان عبارة عن الروح فقط بمعنى عدم دخول البدن فيه  
واقعاً واستدل عليه بوجوه:

احدها: ان النفس الناطقة التي يُعبر عنها بالروح احياناً بمنزلة الصورة لهذا  
الجسم اعنى البدن اعنى بها الصورة النوعية لا الصورة الجسمية وتوضيحه ان  
الإنسان كما قيل في تعريفه الماهوي هو الحيوان الناطق فالحيوان جنس  
والناطق فصل وقد ثبت ان الجنس ماهيته مبهمة تتحصل، بالفصل فلو لا وجود  
الفصل لما كان الجنس خارجاً عن مقام إبهامه وعليه فالإنسان له مادة هي  
الجنس وصورة هي الفصل وقد ثبت ان شيئية الشيء بصورته لا بمادته ونعني  
بالشيئية هويته التي هو بها هو فالإنسان إنسان بفصله وهو النطق وهو  
المطلوب.

وثانيها: ان كل واحد يحكم بصحة إضافة كل واحد من اعضاء بدنه الى نفسه  
فيقول راسي وعيني ويدي ورجلي ولساني وقلبي وبدني وغير ذلك  
والمضاف غير المضاف اليه فوجب ان يكون الشيء الذي هو الإنسان مغاير  
لجملة هذا البدن ولكل واحد من الاعضاء وحيث ان الامر يدور بين النفس  
والبدن فاذا لم يكن الإنسان هو البدن فهو النفس الناطقة لا محالة وهو  
المطلوب .

وثالثها: ان الإنسان اذا قطع عضو من اعضائه يجد من قلبه وعقله انه هو  
عين ذلك الإنسان الذي كان قبل القطع وهو يدل على ان الإنسان غير هذا البدن  
وهو لا يكون إلا النفس .

ورابعها: انه اذا تكلمت مع زيد وقلت إفعل كذا وكذا مثلاً فالمخاطب بهذا  
الخطاب ليس هو مجموع بدنه ولا عضو من اعضائه فوجب ان يكون المأمور  
به شيئاً مغايراً لهذه الأعضاء وهو النفس لا محالة فثبت ان الإنسان هو النفس  
وهو المطلوب.

وخاصتها: ان العلم البديهي حاصل بان اجزاء هذه الجثة متبدلة بالزيادة والتقصان والتمو والذبول والسمن والهزال ومن المعلوم ان المتبدل المتغير مغاير للثابت الباقي فالإنسان ليس هذا الجسد بل الإنسان عبارة عن الثابت في جميع الأحوال وهو النفس :

وسادسها: ان الإنسان اذا كان مشتغلاً بشئ او متوجهاً الى امرٍ مخصوص فانه يقول في تلك الحالة غضبت وإشتهيت وسمعتُ كلامك وابصرتُ وجهك وتاء الضمير كناية عن نفسه المخصوصة فهو في تلك الحالة عالم بنفسه وغافل عن جملة بدنه واعضائه وابعاضه وهو يدل على ان الإنسان غير هذا البدن والأدلة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأولى الدراية.

واما الأدلة النقلية: التي تمسكوا بها في إثبات مرامهم فلنشر الى بعض منها: منها- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾<sup>(١)</sup> قالوا ان الخطاب بقوله تعالى إرجعي انما يتوجه اليها حال الموت فدل هذا على ان الشئ الذي يرجع الى الله بعد موت الجسد يكون راضياً مرضياً عند الله وليس هو إلا الإنسان الذي بقى حياً بعد موت الجسد والحي غير الميت فالإنسان مغاير لهذا الجسد وهو المطلوب : ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ / ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلِيهِمْ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup> اثبت كونهم مردودين الى الله الذي هو مولاهم الحق عند كون الجسد ميتاً فوجب ان يكون ذلك المردود الى الله مغايراً لذلك الجسد الميت وهو الإنسان وليس هو إلا النفس.

ومنها - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قالوا ان هذا نص صريح في ان أولئك المقتولين أحياء والحس يدل على

أَنَّ هَذَا الْجَسَدَ مَيِّتَةٌ:

ومنها- قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾<sup>(١)</sup> يدل على أن الإنسان حيٌّ بعد المَوْتِ وكذلك قوله ﷺ: الأنبياء لا يَمُوتُونَ ولكن يُنْقَلُونَ من دارٍ إلى دارٍ وقوله القَبْرُ إمَّا رَوْضَةٌ من رِيَاضِ الْجَنَّةِ أو حُفْرَةٌ من حُفْرِ النَّيْرَانِ وقوله من مات فقد قامت قيامته...

وغير ذلك من النصوص الدالة على أن الإنسان حتى بعد مَوْتِ الْجَسَدِ وبديهة العقل والفطرة تشهد بأنَّ الْجَسَدَ مَيِّتٌ ولو جَوُزْنَا كونه حيًّا كان يجوز مثله في جميع الجمادات وذلك عين السَّفْسَطة، هذا إجمال ما ذكره واستدلوا به على أن الإنسان الحقيقي هو النفس الناطقة.

والجواب عن الكل أن الأدلة العقلية والنقلية التي تَمَسَّكُوا بِهَا مِمَّا نَقَلْنَاهُ عَنْهُمْ وما لم نقل لا تدل على ما ادَّعَوْهُ بل تدل على مُغَايِرَةِ النَّفْسِ لِلْبَدَنِ وَأَنَّهَا لَا تَمُوتُ بِمَوْتِهِ بل هي باقية بعد مَوْتِ الْبَدَنِ وهو مِمَّا لَا نُنْكِرُهُ وَلَا كَلَامٌ لَنَا فِيهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْمُدَّعَى إِبْتِثَاتٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ النَّفْسُ فَقَطْ، وما ذكره يدل على مُغَايِرَتِهَا لِلْبَدَنِ وَعَدَمِ فَنَائِهَا بِمَوْتِهِ وَفَنَائِهِ وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ وَأَمَّا الْخَطَابَاتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِهَا دُونَهُ فَلَأَجْلِ شَرَفِ النَّفْسِ وَأَنَّهَا الْحَاكِمَةُ عَلَيْهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَا شَكَّ أَنَّ النَّفْسَ مَنَشَأَ الْآثَارِ فِي الْإِنْسَانِ وَالْبَدَنِ بِمَنْزِلَةِ الْمَرْكَبِ لَهَا فِيهِ الْأَمْرَةُ وَذَلِكَ الْمَامُورُ وَهِيَ الْحَاكِمَةُ وَذَلِكَ الْمَحْكُومُ وَهِيَ الَّتِي مَنْسُوبَةٌ إِلَى الرَّبِّ دُونَ الْجَسَدِ وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ فِي الشَّرْفِ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مُضَافًا إِلَى تَجَرُّدِهَا وَبِقَائِهَا بَعْدَ فَنَاءِ الْجَسَدِ فَالْخَطَابَاتُ تَعَلَّقَتْ بِهَا فِي بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ النَّفْسُ فَقَطْ كَمَا هُوَ الْمُدَّعَى فَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَجْمُوعَ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ إِلَّا أَنَّ النَّفْسَ أَعَزُّ وَأَشْرَفُ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ فَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ النَّفْسُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ:

**القول الثاني:** أن الإنسان هو هذا الجسد والبدن العنصري وأما النفس فعلى

فرض وجودها لا مدخل لها فيه واستدلوا بوجوده:

أحدها: أن العقل والعرف لا يفهمان من لفظ الإنسان إلا هذا الهيكل  
المختص والمجسد المحسوس فاذا قيل مثلاً جاء زيد أو مات زيد يفهم  
العرف أن الذي يمشى ويأكل ويسمع ويقول، جاء أو مات ولا يفهم شيئاً آخر  
فلو كان هناك شيء غير البدن هو الإنسان لكان ينبغي أن يفهمه العرف فالإنسان  
هو الجسد لا غيره:

وثانيها: أن الآثار الموجودة في الخارج إنما هي للبدن قولكم منشا الآثار  
فيه هو النفس لا دليل عليه إذ لو كان كذلك لكانت النفس قادرة على إيجادها  
بدون البدن وليس كذلك.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾<sup>(١)</sup> وظاهر  
أن الذي يُخرج حياً هو البدن لا النفس إذ النفس على قولهم باقية لا فانية بعد  
المفارقة ولا يصدق الخروج حياً إلا بعد الفناء فالإنسان هو البدن.

ورابعها: قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْأِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>  
ومن المعلوم أن النفس لم تُخلق من نطفة بل هي كما قالوا من عالم  
المجردات فالإنسان غيرها وهو المطلوب:

وخامسها: قوله: ﴿وَوَضَعْنَا الْإِنْسَانَ بُوَالِدِيهِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمَ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾<sup>١</sup>

لا شك أن المحسن بوالديه هو البدن إذ النفس لا والد لها وفي الثانية قال ما  
توسوس به نفسه فلو كان الإنسان هو النفس فالمعنى توسوس النفس نفسها  
وفي الثالثة صرح بكون الإنسان خلق من صلصال كالفخار والنفس ليست  
كذلك والآيات كثيرة:

القول الثالث: أن الإنسان عبارة عن النفس والبدن معاً والدليل عليه أيضاً من

وجوه كثيرة عَقَلِيَّةٌ وَنَقَلِيَّةٌ:

أحدها: ان عُرِفَ العُقلاء يحكم بانّ الإنسان عبارة عن النَّفسِ والبَدَنِ الا ترى انّ النَّاسَ يَطْلُقُونَ على الجَوْهرِ المُجَرَّدِ النَّفسِ فيقولون نفس الإنسان وعلى الجَسَدِ البَدَنِ فيقولون بَدَنِ الإنسان وبذلك نَعْلَمُ انّ كِلَ واحدٍ منهما ليس هو الإنسان بل الإنسان عبارة عنهما.

وثانيهما: انّ النَّفسَ قبل تَعَلُّقِها بالبَدَنِ لا تُسَمَّى إنساناً وايضاً البَدَنُ قبل تَعَلُّقِ الرُّوحِ به لا تُسَمَّى به واما بعد تَعَلُّقِها به يُسَمَّى المجموع المُركَّبِ منهما إنساناً وهو المطلوب.

وثالثهما: انّ النَّفسَ بعد مفارقتها عن البَدَنِ وان كانت باقية غير فانية إلا انها لا تُسَمَّى به وكذلك البَدَنُ وهو دليل على المُدْعَى، ورابعها - انّ الله تعالى قال ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> قد دَلَّتْ على انّ البَدَنَ لم يكن إنساناً والنَّفْسَ ايضاً كذلك وبعد تَعَلُّقِها به صار الانسان موجوداً وامرَّ الله الملائكة بالسَّجُودِ له.

وخامسها: انّ الإنسان لا يخلو من ان يكون إما النَّفسَ وحدها وإما البَدَنَ كذلك او هما معاً وحيث إنتفى الأوّل والثاني يبقى الثالث بلا معارضٍ وإلا يلزم عدم وجوده اصلاً، وسادسها - انّ في القول الثالث جمع بين القولين الأوّلين وفيهما طرح الثالث والجمع مهما امكن اولى من الطرح والوجوه كثيرة وفيما ذكرناه كفاية:

وانا اقول: الحقّ في المقام هو القول الثالث اذ لا دليل على الأوّل ولا على الثاني واما الثالث فلا يحتاج الى دليل اصلاً لكونه جامعاً بين القولين مضافاً الى انّ العقل والنقل والعرف ايضاً يساعده وان شئت قلت لا شك انّ الإنسان يُطلق على المجموع كما يطلق على النَّفسِ على القول الأوّل وعلى البَدَنِ في الثاني ونحن نأخذ بالأطلاق في جميع الموارد إلا فيما ثبت التقييد وفي صورة

الشك فالأصل عدمه وحيث ان التخصيص والتقييد يحتاجان الى دليل فعلى المدعى إقامته واذ ليس فليس وهذا معنى قولنا ان الثالث لا يحتاج الى دليل، أليس كل لفظٍ يُحمل على إطلاقه وعمومه حتى يثبت خلافه، وعليه فالإنسان عبارة عن مجموع النفس والبدن وإطلاقه على كل واحد منهما لا يدل على تخصيصه به اذ الإستعمال اعم من الحقيقة والمجاز فالإطلاق مجاز بعلاقة الجزء والكل فاذا أطلق الإنسان مثلاً على زيد أو على عمرو لا يقال أنه مختص به وهكذا في المركبات فاذا قلنا الناطق إنسان او بالعكس ليس معناه ان الإنسان ليس بحيوانٍ مثلاً ومن هذا القبيل الخطابات الواردة في القرآن فتارة ترى إطلاق الإنسان على النفس كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾<sup>(١)</sup> و: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾<sup>(٢)</sup> وامثال ذلك وأخرى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ وَكُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾<sup>(٣)</sup> ومعلوم أن السمع غير النفس والبصر هكذا، فهذه الإستعمالات لا تُخرج اللفظ عن معناه الحقيقي العام اذا لم تكن هناك قرينة ومعها يصير مجازاً فثبت ان المعاد بضم الميم اعنى به من يعود هو الإنسان المركب من الروح والبدن وهو المطلوب واما المقدمة الثانية، اعنى بها الغرض عمّن يعود فنقول:

الغرض من العود هو إجراء العدالة في الخلق وإيصال كل ذي حق الى حقه واخذ الظالم بظلمه وذلك لاننا نعلم بالضرورة ان الدنيا ليست بدار ثواب والعقاب والمكافات والمجازات ونعلم بل نشاهد بالحس والعيان وقوع الظلم فيها من الظالمين فلو لم يكن لهم عود للسؤال والجواب والعقاب والثواب يلزم الظلم على الخلق والله تعالى منزّه عنه فالعقل يحكم بوقوعه قطعاً كما سيُتضح لك إنشاء الله:

اذا عرفت هاتين المقدمتين فلنرجع الى مانحن بصدده وهو إثبات المعاد



الجسماني والروحاني معاً وبعبارةٍ أُخرى معاد الإنسان الذي قد عرفت أنه مُركَّب من الرُّوح والبدن وهذا هو الذي نطقت به الشريعة ودلت بل صرّحت به الآيات الكريمة بحيث لا تقبل التأويل اصلاً ومن انكره خرج عن ربيعة المسلمين ودخل في حزب الكافرين ورُد على الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم المعصومين والكلام يقع في مقامين، المقام الأول في إثبات المعاد، والمقام الثاني في دفع الشبهات عنه:

أما المقام الأول: ففيه فصول:

الفصل الأول: إثباته من طريق الآيات والأخبار.

الفصل الثاني: إثباته من طريق الفلاسفة.

الفصل الثالث: إثباته من طريق المتكلمين:

الفصل الأول: في إثبات المعاد من طريق الآيات والأخبار أما الآيات فقد مضى شطر منها في صدر المبحث وأما الأخبار فالحق أننا لا نحتاج إلى ذكرها في إثبات المدعى بعد ذكر الآيات المصريحة به فإن من لا يقبل الآيات لا يقبل الأخبار بطريقٍ أولى مضافاً إلى أن الأصل في الأخبار الآيات ومع ذلك نُشير إلى شطرٍ منها فنقول:

منها - ما رواه في البحار عن حفص ابن غياث قال شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل ابا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ <sup>(١)</sup> ما ذنب الغير قال: وَيَحْكُ هِيَ هِيَ وَهِيَ غَيْرَهَا فَقَالَ فَمَثَل لِي ذَلِكَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا قَالَ عليه السلام نَعَمْ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَخَذَ لَبَنَةً فَكَسَّرَهَا ثُمَّ رَدَّهَا فِي مَلْبَنَتِهَا فَهِيَ هِيَ وَهِيَ غَيْرُهَا أَنْتَهَى).  
ومنها - ما رواه بإسناده عن جميل ابن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يبعث امطر السماء على الأرض اربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم قال عليه السلام أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله فاخرجه إلى

البقيع فانتهى به الى قبرِ فصوت بصاحبه فقال قُم باذن الله فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول الحمد لله والله أكبر فقال جبرئيل عد باذن الله ثم انتهى الى قبر آخر فقال قُم باذن الله فخرج منه رجل مُسود الوجه وهو يقول يا حسرتاه يا ثبوراه ثم قال له جبرئيل عد الى ما كنت باذن الله فقال يا محمد هكذا يحشرون والمؤمنون يقولون هذا القول وهؤلاء يقولون ما ترى انتهى...

ومنها - ما رواه عنه عليه السلام أيضاً قال قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: يا جبرئيل كيف يبعث الله تعالى يوم القيامة العباد قال نعم فخرج الى مقبرة بنى اسد فاتى قبراً وقال له أخرج باذن الله فخرج رجل ينفذ رأسه من التراب وهو يقول والهفاه واللهف هو الثبور ثم قال ادخل فدخل ثم قصد به الى قبر آخر فقال أخرج باذن الله فخرج شاب ينفذ رأسه من التراب وهو يقول اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله واشهد ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور ثم قال هكذا يبعثون يوم القيامة يا محمد انتهى...

ومنها - ما رواه باسناده عن على قال قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة حتى يشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله بعثنى بالحق وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت وحتى يؤمن بالقدر انتهى...

ومنها - ما رواه باسناده عن ابى عبد الله عليه السلام حيث سُئل عنه عن الميت يبلى جسده قال: نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التى خلق منها فانها لا تبلى تبقى فى القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خلق أول مرة انتهى....

ومنها - ما رواه باسناده عن ابى جعفر عليه السلام قال ﷺ كان فيما وعظ به لقمان عليه السلام ابنه ان قال: يا بنى إن بك فى شك من الموت فارفع عن نفسك النوم

ولن تستطيع ذلك وان كنت في شك من البعث فارفع عن نفسك الإلتباه ولن  
تستطيع ذلك فانك اذا فكّرت في هذا علمت انّ نفسك بيد غيرك وانما النوم  
بمنزلة الموت وانما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت انتهى...

والأحاديث كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأولى الدّراية، بحار الانوار ج ٣ ص  
١٩٩ الى ٢٠١ ط كمباني .

**الفصل الثّاني:** في إثبات المعاد من طريق الفلاسفة وبيان مرامهم فيه يتبنى  
على أصول لا بدّ لنا من ذكرها:

احدها: انّ الوجود في كلّ موجودٍ هو الأصل في الموجدية والماهية تبع  
له وانّ حقيقة كلّ شيء نحو وجوده الخاص به دون ماهيته وشيئته فالوجود  
ليس من المعقولات الثّانية والأمر الانتزاعية التي لا يحاذي بها امر في  
الخارج بل الحقّ انه من الهويات العينية التي لا يحاذيها امرٌ ذهني ولا يمكن  
الإشارة اليه إلا بصريح العرفان الشّهودي.

وثانيها: انّ تشخص كلّ شيء وما يتميز به هو عين وجوده الخاص وانّ  
الوجود والتشخص متحدان ذاتاً متغايران إسماءً ومفهوماً واما المسمّى عند  
القوم بالعوارض الشخصية فليست إلا إمارات ولوازم للهوية الشخصية  
الوجودية لا باعيانها واشخاصها بل على سبيل البدلية في عرض يكون لها من  
حدّ الى حدّ فيتبدل كثير منها بل كلّها والشخص هو هو بعينه.

وثالثها: انّ طبيعة الوجود قابلة للشدة والضعف بنفس ذاتها البسيطة التي لا  
تركيب فيها خارجاً ولا ذهنياً وانما تختلف افرادها واحادها بالشدة والضعف  
الذّاتيين إلا انّ الموضوعات الكلية الصادقة عليها بالذّات المنتزعة عنها لذاتها  
وهي المسمّاة بالماهيات متخالفة ذاتاً إختلافاً جنسياً او نوعياً او عرضياً  
فالوجود مختلف الأنواع من هذه الجهة.

ورابعها: انّ الوجود يقبل الشدة والضعف يعنى انه يقبل الحركة الإشتدادية  
وانّ الجوهر في جوهريته اي وجوده الجوهرى يقبل الإستحالة الذّاتية وقد

ثبت أنّ اجزاء الحركة، الإتصالية وحدودها ليست موجودة بالفعل بل الكل موجود بوجود واحد فليس شيء من تلك الماهيات موجودة بالفعل على وجه التفصيل بل لها وجود إجمالي كما في اجزاء الحدّ.

وخامسها: أنّ كلّ مركّب بصورته هو هو لا بمادته فالسّرير سرير بصورته لا بمادته والسيف سيف بحدّته لا بحديده والحيوان حيوان بنفسه لا بجسده وإنما المادة حاملة قوّة الشيء وإمكانه حتّى لو فرضت صورة المركّب قائمة بلا مادة لكان الشيء بتمام حقيقته موجوداً وبالجملة نسبة المادة إلى الصورة نسبة النقص إلى التمام فالنقص يحتاج إلى التمام والتمام لا يحتاج إلى النقص وكذلك الفصل الأخير في الماهيات المركّبة في الأجناس والفصول كالناطق في الإنسان هو أصل الماهية النوعية وحاصل ما ذكروه في المقام هو أنّ لتلك الماهيات إعتبارين إعتبار الإجمال، وإعتبار التفصيل، فالإنسان مثلاً له إعتباران، إجمال، وتفصيل، فهو بإعتبار الأوّل ليس إلّا فصله الأخير اعني النفس الناطقة.

وبالإعتبار الثاني فيتحقّق بمادّة جوهرية وصورة إتصالية مقدارية وصورة هي مبدء النمو والتغذية وأخرى مبدء الحسّ والحركة وأخرى ناطقة فيقال في حدّه أنّه جوهر قابل للأبعاد نام حساس مدرك للكليات وهذه الأجزاء مترتبة في الوجود متفاضلة في الشرف والكمال.

وسادسها: أنّ الوحدة الشخصية في كلّ شيء هي عين وجوده، وليست على نمط واحد فالوحدة الشخصية في المقادير المتصلة عين إتصالها وإمتدادها وفي الزمان عين تجدّدتها وتفصيلها، وفي العدّد عين كثرتها بالفعل وفي الأجسام الطّبيعية عين كثرتها بالقوّة وايضاً حكمها في الجواهر المادية غيره في الجواهر المتجرّدة فالجسم الواحد يستحيل ان يكون موضوعاً لاوصاف متضادة كالسّواد والبياض والحلاوة والمرارة والالام واللذة وأمّا الجوهر النفساني فانه مع وحدته يوجد فيه صورة السّواد والبياض وغيرهما من

المتقابلات وكلما زاد الإنسان تجرداً وتجوهرأ واشتد قوةً وكمالاً صار إحاطته بالأشياء أكثر فهو يتدرج فى الكمال حتى تسمو فى نفسه اى ذاته هيئة الوجود كله فينقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم المحسوس كله مشاهداً لما هو حسن المطلق والخير المطلق والجمال المطلق وذلك لأن المدرك لجميع المدركات فى الإنسان هو نفسه فلها الصعود الى مرتبة العقل الفعال والنزول الى مرتبة الحواس والآلات الطبيعية وذلك لسعة وجودها ووقور نورها فمن هذا الأصل يتبين ان شيئاً واحداً يجوز كونه متعلقاً بالمادة ومجرداً عنها أخرى:

وسابعتها: ان هوية البدن وتخصه انما يكونان بنفسه لا بجرمه فزيد مثلاً زيد بنفسه لا بجسده ولأجل ذلك يستمر شخصه ووجوده ما دامت النفس باقية فيه وان تبدلت اجزائه وتحولت لوازمه من اينه وكمه وكيفه ووضعته ومثاه كما فى طول عمره وكذا القياس لو تبدلت صورته الطبيعية بصورة مثالية كما فى المقام وفى عالم القبر والبرزخ التى يوم البعث او بصورة أخروية كما فى الآخرة فان الهوية الإنسانية فى جميع هذه التحولات والتقلبات واحدة هى بعينها لأنها واقعة على سبيل الإتصال الوحدانى التدرجى ولا عبرة بخصوصيات جوهرية وحدود وجودية واقعة فى طريق هذه الحركة الجوهرية وانما العبرة بما يستمر ويبقى وهى النفس لأنها الصورة التمامية فى الإنسان التى هى اصل هويته وذاته ومجمع ما هيته وحقيقته ومنبع قواه وآلاته ومبدء ابعاضه واعضائه وحافظها ما دام الكون الطبيعى ثم مبدلها على التدرج باعضاء روحانية.

وثامنها: ان القوة الخيالية جوهر قائم لا فى محل من البدن واعضائه ولا هى موجودة فى جهة من جهات هذا العالم الطبيعى وانما هى مجردة عن هذا العالم واقعة فى عالم جوهرى متوسط بين العالمين عالم المفارقات العقلية وعالم الطبيعيات المادية وهو ثابت بالأدلة والبراهين فى محله.

وتاسعها: ان الصور الخيالية بل الإدراكية ليست حالة فى موضوع النفس

ولا في محلٍ آخر وإنما هي قائمة بالنفس قيام الفعل بالفاعل لا قيام المقبول بالقابل وكذا الأبصار ليس بانطباع شبح المرئي في عضو الجليدية ولا بخروج الشعاع ولا بإضافة علمية تقع للنفس إلى الصورة الخارجية بل النفس ما دامت متعلقة بالبدن كان إبصاره بل إحساسه مطلقاً غير تخيله وأما عند خروجها عن هذا العالم فلا يبقى الفرق بين التخيل والإحساس إذ القوة الخيالية قد قويت وخرجت عن غبار البدن وزال عنها الضعف والنقص وإتحدت القوى ورجعت إلى مبدئها المشترك فتفعل النفس بقوتها الخيالية ما تفعله بغيرها وترى بعين الخيال ما تراه بعين الحس وصارت قوتها وقدرتها وشهوتها وعلمها شيئاً واحداً فإدراكها للمشتهيات نفس قدرتها وإحضرارها بل ليس في الجنة إلا شهوات النفس ومراداتها كما قال تعالى فيها ما تشتهي أنفسكم، وقوله فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

وعاشرها: أن الصور المقدارية والأشكال والهيات الجرمية كما تحصل من الفاعل بمشاركة المادة القابلة كذلك قد تحصل من الجهات الفاعلية من غير مشاركة المادة ومن هذا القبيل وجود الأفلاك والكواكب من المبادئ العقلية على سبيل الإختراع بمجرد التصورات ومن هذا القبيل الصور الخيالية الصادرة من النفس بالقوة المصورة من الأجرام والأعظام المشكلة التي ربما تكون أعظم من الأفلاك الكلية الخارجية وكذلك الصحارى والمفاوز الواسعة والجبال العظيمة والبلاد والخباب والأشجار التي لم يخلق مثلها في البلاد وإذا كان حال النفس في تصويرها الأشياء على هذا الوجه وهي بعد في الدنيا ذات تعلقٍ ببدنها فما ظنك بها إذا إنقطعت علائقها عن الدنيا بالكلية وقويت قوتها وتأكدت فعليتها فكل نفس إنسانية فارقت الدنيا وكانت من أهل السلامة عن الأمراض النفسانية تكون لها عالم خاص بها فيه من كل ما تريده وتشتهيه وهذا أدنى مرتبة من مراتب السعداء فإن كل أحدٍ منهم له جنة عرضها كعرض السموات ومنزل الأبرار والمقربين فوق هذا إلى ما لا يحصى.

وحادي عشرها: ان اجناس العوالم والنشأة مع كثرتها التي لا تُحصى منحصرة في ثلاثة ادناها عالم الصور الطبيعية الكائنة الفاسدة، واوسطها عالم الصور الإدراكية الحسية المجردة عن المادة الحاملة للإمكانات والإستعدادات ، واعلاها عالم الصور العقلية والمثل الإلهية وقد ثبت ان النفس الإنسانية مُختصة من بين الموجودات بان لها هذه الأكوان الثلاثة مع بقائها بشخصها.

فالإنسان الواحد من مبدء طفولته كَوْنٌ طبيعي وهو بحسبه إنسان بشري ثم يتدرج في الوجود الى ان يحصل له كَوْنٌ آخر نفساني وهو بحسبه إنسان نفساني أخروي يصلح للبعث والقيام، ثم ينتقل من هذا الكون أيضاً فيحصل له كَوْنٌ عقلي وهو بحسبه إنسان عقلي وهذه الإنتقالات والتحويلات مُختصة بنوع الإنسان فالإنسان بحسب فطرته الأصلية يتوجه الى الآخرة على التدرج ويرجع لأي غاية مقصودة فيبتدئ بوجوده المادي الدنيوي الى الأخروي الصوري اذ نسبة الدنيا الى الآخرة نسبة النقص الى الكمال ونسبة الطفل الى البالغ فإذا بلغ أشده يخرج من هذا الوجود الدنيوي الى الوجود الأخروي ويستعد للخروج من هذه الدار الى دار القرار والى هذا الحد من الوجود النفساني والإستقلال الجوهرى الصوري المعبر عنه بنفح الصور الموجب للموت الطبيعي والخروج من هذه النشأة مما يقع فيه الإشتراك بين المؤمن والكافر والمؤجد والمُشرك اذ لا منافاة بين هذا الكمال الوجودي والإستغناء عن المادة البدنية وبين الشقاوة والتعذيب بنار الجحيم وإدراك العذاب الأليم بل يؤكدُها فان شدة الوجود يوجب الخروج عن الغواشى والملابس المادية وهو يوجب شدة الإدراك للمؤلمات والمؤذيات ونتائج الأعمال القبيحة والسيئات والأمراض والعلل النفسانية التي كان الدهول عنها في الدنيا ليجذر الطبيعة وغشاوة على البصيرة فاذا زال الحجاب حل العذاب فالنفس ما لم تقطع جميع الحدود الطبيعية ثم النفسانية لم يصل الى جوار الله ولم يستحق مقام العندية فالموت اول منازل الآخرة وآخر منازل الدنيا والأنسان بعد

خروجه عن الدنيا قد يكون محبوساً في بعض البرازخ المتوسطة بين الدارين  
الدنيا والعقبى مدة طويلة او قصيرة وربما يرتقى سريعاً بنور المعرفة او بقوة  
الطاعات او بجذبة ربانية او بشفاعة الشافعين وآخر من يشفع هو ارحم  
الراحمين انتهى وهذه هي الوجوه التي اسسوها واصلوهها في المقام ثم بنوا  
عليها المعاد نقلناها عن الأسفار ولخصناها حذراً من تطويل الكلام فان اردت  
تفصيلها فعليك بالأسفار ان كنت من اهله ثم امعن النظر فيما ذكره.

وانا اقول: في هذه الوجوه إشكالات كثيرة فلا يمكن لنا التعويل عليها  
والإعتماد بها فانها لا توجب ظناً فضلاً عن العلم والقطع وقد تكلمنا فيها عند  
بحثنا لها بما لا مزيد عليه واثبتنا وهنأها وضعفها مفصلاً وقلنا انها على فرض  
صحتها لا ربط لها بالمعاد الذي نطقت به الشريعة المقدسة بحسب الآيات  
والاخبار ونحن نشير الى وجه الضعف فيها بحسب الإجمال أولاً ثم نقول انها  
لا تثبت المعاد الجسماني فالبحت في مقامين:

أما البحث في المقام الأول: اعني بيان وجه الخلل فيها فنقول:

أما الأصل الأول والثاني والثالث والرابع، فهي مثبتة على القول باصالة  
الوجود وإعتبارية الماهية وهو أول الكلام فمن قال باصالتها لا تفيده الأصول  
الأربعة وهو واضح:

وأما الخامس، اعني كل مركب بصورته هو هو لا بمادته فالسرير سرير  
بصورته لا بمادته الى آخر ما ذكره فلقائل ان يقول السرير سرير بصورته  
ومادته معاً لا بصورته فقط والقول بان شئيه الشئ بصورته لا بمادته ناظر الى  
وجوده الخارجي لا الى الواقع ونفس الأمر وإلا فكل واحد من المادة والصورة  
يحتاج الى الآخر، وذلك لأنهم قالوا ان الصورة جزء العلة بالنسبة الى الهيولى  
فالهيولى تحتاج اليها في وجودها إحتياج الشئ الى جزء العلة التامة كما ان  
الصورة تحتاج الى الهيولى في تشخصها وقد ذهبوا الى ان التشخص عين  
الوجود إلا في هذا المورد فيقولون ان المراد بالتشخص هنا إمارة التشخص،



الَيْسَ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ عَنْهُمْ لِمَ كَانَ التَّشْخِصُ فِي جَمِيعِ الْمَوَارِدِ مُسَاوِقاً لِلْوُجُودِ  
غَيْرِ هَذَا الْمَقَامِ وَحَيْثُ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ الْمَوَارِدِ فَتَقُولُ لَوْ كَانَ التَّشْخِصُ هُوَ  
الْوُجُودُ فَقَوْلُكُمْ أَنَّ الصُّورَةَ تَحْتَاجُ إِلَى الْهَيْوَلِيِّ فِي تَشْخِصِهَا فِي وَجُودِهَا  
وَقَدْ قَالُوا أَنَّ الْهَيْوَلِيَّ أَيْضاً تَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي وَجُودِهَا فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ  
حَتَّى يُقَالَ أَنَّ شَيْئِيَّةَ الشَّيْءِ بِصُورَتِهِ لَا بِمَادَتِهِ الْيَسَّ هَذَا تَحْكَمُ وَقَدْ حَقَّقْنَا ذَلِكَ  
فِي الْفَلَسَفَةِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهَمَا أَعْنَى الْمَادَّةِ وَالصُّورَةَ سَيِّانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى  
الشَّيْئِيَّةِ وَهِيَ قَائِمَةٌ بِهَا.

وَأَمَّا الْأَصْلُ السَّادِسُ، أَعْنَى الْقَوْلُ بِأَنَّ الْوَحْدَةَ الشَّخْصِيَّةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ هِيَ  
عَيْنُ وَجُودِهِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ فَهُوَ أَيْضاً يَتِمُّ بِنَاءً عَلَى أَصَالَةِ الْوُجُودِ وَأَمَّا عَلَى  
أَصَالَةِ الْمَاهِيَةِ فَلَا وَعَلَيْهَا يَكُونُ الْوُجُودُ إِعْتِبَارِيًّا وَالْأَمْرُ الْإِعْتِبَارِيُّ حَالَهُ مَعْلُومٌ:  
وَأَمَّا الْأَصْلُ السَّابِعُ، وَهُوَ أَنَّ هَوِيَّةَ الْبَدَنِ وَتَشْخِصَهُ أَيْضاً يَكُونَانِ بِنَفْسِهِ لَا  
بِجَرْمِهِ فَزَيْدٌ مِثْلًا زَيْدٌ بِنَفْسِهِ لَا بِجَرْمِهِ وَجَسَدُهُ فَهُوَ أَوَّلُ الْكَلَامِ إِذْ لَا نَسْلَمُ أَنَّ  
زَيْدًا زَيْدٌ بِنَفْسِهِ لَا بِجَسَدِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِكُمْ بِنَفْسِهِ نَفْسَهُ  
الطَّائِقَةَ وَأَنَّ الْجَسَدَ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِيهِ فَعَلَيْكُمْ بِإِبْطَائِهِ فَإِنَّا نَرَى عَدَمَ صِحَّةِ إِطْلَاقِ  
زَيْدٍ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ مِنْ جَسَدِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّ النَّفْسَ لِكُونِهَا  
أَشْرَفَ نَحْكَمُ هَكَذَا فَهُوَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجَسَدَ لَا دَخَلَ لَهُ أَصْلًا وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى  
نَقُولُ زَيْدٌ زَيْدٌ بِنَفْسِهِ وَجَرْمِهِ مَعًا وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ مُفْصَلًا:

وَأَمَّا الْأَصْلُ الثَّامِنُ، وَهُوَ تَجَرُّدُ قُوَّةِ الْخِيَالِ فَهُوَ أَيْضاً لَمْ يَثْبُتْ وَالْقَائِلُ بِهِ هُوَ  
ابْنُ سِينَا وَمَنْ قَلَّدَهُ فِيهِ وَالْحَقُّ عَدَمُ تَجَرُّدِ الْخِيَالِ وَفَاقًا لِأَكْثَرِ الْفَلَسَفَةِ بَلْ جُلَّهْمُ  
لَوْلَا كَلَّهْمُ غَيْرِ الشَّيْخِ وَمُقَلِّدِيهِ وَلِلْبَحْثِ فِيهِ مَقَامٌ آخَرَ وَالْأَصْلُ التَّاسِعُ فَرَعَ عَلَيْهِ  
فَهُوَ مِثْلُهُ:

وَأَمَّا الْأَصْلُ الْعَاشِرُ وَالْحَادِي عَشَرَ، فَهَمَا أَيْضاً لَا دَلِيلَ عَلَى صِحَّتِهِمَا  
وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْأَصُولَ الْمَذْكُورَةَ الَّتِي ذَكَرْهَا فِي الْأَسْفَارِ لَيْسَتْ مُؤَيَّدَةٌ بِالذَّلِيلِ  
الْقَطْعِيِّ وَالْبَرْهَانَ الْيَقِينِيَّ بَلْ هِيَ بِالْفَرَضِ أَشْبَهَ مِنْهَا بِالذَّلِيلِ وَالْأَصْلُ وَالْعَجَبُ

من متأخري الفلاسفة حيث تلقوها بالقبول وعليها بنوا ما بنوا ولم يطالبوا عن صاحب الأسفار وغيره ممن قال بها بالدليل ولم يعلموا ان الحق لا يعرف بالرجال بل يعرف الحق تعرف اهله وكيف كان فالبحث طويل وليس كتابنا هذا موضوعاً لهذه التحقيقات الدقيقة العلمية وإنما ذكرنا أصولهم وأمانا التي وجه الخلل فيها اجمالاً لأن المعاد الذي يقولون به يتوقف عليها فالغرض من التعرض لها هو أنك تعلم ان المعاد الذي فرغوه عليها ليس من المعاد اصلاً كما ستعرفه مفصلاً هذا كله في المقام الأول:

**واما البحث في المقام الثاني:** وهو ان هذه الأصول لا تثبت المعاد الجسماني فنقول المراد بالمعاد الجسماني هو عود الجسم بعينه اي باعضائه وجوارحه ورباطاته وشرايينه وغير ذلك مما هو موجود في البدن العنصري الدنيوي والذي يثبت من الأصول المذكورة على فرض تسليمها هو المعاد النفساني الروحاني فقط وليس فيما ذكروه وإحتملوه ما يدل على المعاد الجسماني ونحن وان وافقناهم في اكثر المباحث العقلية وقلنا بصحة ما ذكروه منها إلا ان الموضوع المبحوث عنه اعنى المعاد الجسماني مما لا يمكن لنا الجمع بين ما نطقت به الشريعة وما ذكروه ولفقوه وسَمَّوه بالمعاد الجسماني ولتوضيح المقال نتكلم اجمالاً في ما قاله في الأسفار وسَمَّاه بالأصل او الأصول فان المؤسس لهذه الأصول هو الصدر الشيرازي وهو الذي تصدى للجمع بين الشريعة والفلسفة في جميع الموارد في كتبه ولم يعلم ان القواعد العقلية في مباحث الفلسفة كثيراً ما لا يمكن إنطباقها على الشريعة واما تطبيق الشرع عليها فهو اثم كبير وخطأ فاحش وقد ذر الشيخ ابن سينا، حيث سلك في كتبه مسلك الفلاسفة وحيث وصل الى هذا المورد وامثاله وعلم انه لا يمكن الجمع بين الرايين اذعن بذلك بل صرح به فقال ان المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث وخيراته وشروره.

معلوم لا يحتاج الى ان يُعلم وقد بَسَطَت الشَّرِيعَةُ الحَقَّةَ الَّتِي اتانا به سَيِّدُنَا  
 وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ الِى آخِرَ مَا قَالَ أَنْظِرْ الِى هَذَا الرَّجُلِ العَظِيمِ مَعَ أَنَّهُ رَئِيسُ  
 الفلاسفة وأستاذهم على الأطلاق كيف أنصف في المَقَامِ وَقَالَ لا سبيل الِى  
 إثباته إِلا من طريق الشَّرِيعَةِ، فهذا هو حَقُّ الكلام لمن لا يَقْدِرُ على إثبات الشَّيْ  
 وكان في نفسه من المُنصفين، وأما صاحب الأسفار مع إدعائه كذا وكذا في  
 إبتاعه لأهل البيت وإقتفائه لأثارهم كَيْفَ وَقَعَ في الخَبَطِ والإِشْتِباهِ ثم كَيْفَ  
 حَمَلَ الآيات والأخبار المُضْرحة بكون المعاد جِسْمَانِيًا على هذا المَعَادِ  
 الخيالى الوهمى الَّذِي اثبته بزعمه وتبعه فيه غير واحدٍ من مُقلِّديه بعده فقالوا  
 بهذا المعاد وزعموا انه الحَقُّ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الظَّنَّ لا يَغْنَى من الحَقِّ شَيْئًا فقال  
 السَّبزواري في منظومته بعد ذكره المعاد الجِسْمَانِي على النمط الَّذِي قال به  
 صاحب الأسفار ما لفظه وهذا القدر كافٍ للمُستبصر المُنصف ومن اراد زيادة  
 التَّحْقِيقِ والتَّفْصِيلِ فليرجع الِى كُتُبِ صدر المتالihin كالإِسْفَارِ والمَبْدِءِ والمَعَادِ  
 والعَرَشِيَّةِ وغيرهما فإنَّ امثال هذه التَّحْقِيقَاتِ حَقُّهُ في الدَّورَةِ الإِسْلَامِيَّةِ  
 الخَتْمِيَّةِ شَكَرَ اللهُ سَعِيَهُ وضاعف اجره انتهى.

أُنظِرْ الِى هَذَا الفيلسوف المُتَّبِحِرِ المُؤْمِنِ المُعْتَقِدِ بالإِسْلَامِ والمذهب الحَقُّ  
 كَيْفَ عَكَفَ على بابِ عِلْمِ صدر المتالihin وَقَلَّده فيما قال من غير إمعان النَّظَرِ  
 في الآيات والأخبار وإخراج نفسه عن التَّعَصُّبِ والعِنَادِ والتَّوْجِهِ الِى انَّ كَلِمَاتِ  
 ارسطو وإفلاطون والفارابى وامثالهم من اساطين الفلاسفة ليست احرى  
 بالقبول من كلمات الله وكلمات الأنبياء والأئمة المعصومين الَّذِينَ اذهب اللهُ  
 عنهم الرَّجْسَ وطَهَّرَهم تَطْهِيرًا:

وأما نحن فبِعَوْنِ اللهِ وفضلهِ ومَنِّهِ وكرمه لا نعرف الحَقَّ بالرجال ولا نرفع  
 اليَدَ عن ظاهر الشَّرِيعَةِ لأجل القواعد الحَكْمِيَّةِ فكلُّ ما وافق من قواعدهم  
 الشَّرِيعَةَ اخذنا به وكلُّ ما خالفها تركناه فإنَّ الإِجْتِهَادَ في مقابل النُّصِّ باطل  
 والتَّمسِكُ بالقاعدة الَّتِي اسسها واصلها العقولُ المَشْهُوبَةُ بالأوهام في مقابل

الآيات والأخبار الصحيحة لغو عاطل ونقول بالصراحة ان ما ذكره صاحب الأسفار ومقلدوه ليس من المعاد الجسماني بشئ بل هو نفساني روحاني والدليل عليه من وجوه:

أحدها: انه قال في الأصل الاوّل ان الوجود في كلّ شئ هو الأصل في الموجدية وان حقيقة كلّ شئ نحو وجوده الخاص به دون ماهيته وشيئته، ولازم ذلك ان شئية الإنسان بوجوده لا بجسده وحقيقة الإنسان وجوده الخاص به، وحينئذ لا يلزم في تحقق المعاد عود جسده اذ هو خارج عن حقيقة الإنسان بل اللازم وجوده كيف كان وفي اي جسد كان فهذا البدن بما هو خارج عن حقيقة الإنسان لا نحتاج الى عوده فالمعاد ليس بجسماني بل روحاني فقط:

وثانيها: انه جعل اساس المعاد على التّشخّص الذي هو عين وجوده الخاص لا على الجسد والبدن ومعلوم ان التّشخّص والوجود غير البدن المادي فالجسم لا يعود لعدم الإحتياج اليه فالمعاد ليس بجسماني .

وثالثها: انه قال في الأصل الخامس ان كلّ مركّب بصورته هو هو لا بمادته فالسرير سرير بصورته لا بمادته، وعليه فالإنسان مركّب من الجنس والفصل عقلاً والمادة والصورة خارجاً ولا شك ان صورته هي نفسه الناطقة فلا يلزم في المعاد عود بدنه بل عود النفس يكفي لأنها صورته وهو النفساني وقد صرح بذلك في آخر الاصل حيث قال فانما يتحقق بنفسه الناطقة التي توجد فيها جميع هذه المعاني :

ورابعها: ان قوله في الأصل السادس ان المدرك بجميع الإدراكات هو نفسه المدبرة فلها النزول الى مرتبة الحواس والصعود الى مرتبة العقل الفعّال الى آخر ما قال صريح في ان مدار الإنسان في المعاد على نفسه واما البدن فهو خارج عن الموضوع وهذا هو المعاد النفساني وهكذا الكلام في سائر أصوله فانها دالة على المعاد النفساني الروحاني وليس فيها من الجسم والبدن بحث اصلاً.

والعجب منه حيث قال بعد هذه الأصول المذكورة ما هذا لفظه :

انْ مَنْ تَأَمَّلَ وَتَدَبَّرَ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ وَالْقَوَانِينِ الَّتِي أَحْكَمْنَا بِنِيَانِهَا وَشَيْدْنَا أَرْكَانَهَا بِبِرَاهِينِ سَاطِعَةٍ وَحُجَجِ قَاطِعَةٍ لَامِعَةٍ مَذْكُورَةٍ فِي كُتُبِنَا وَصُحُفِنَا سَيِّمًا هَذَا الْكِتَابِ تَامِلًا كَافِيًا وَتَدَبُّرًا وَافِيًا بِشَرَطِ سَلَامَةِ فِطْرَتِهِ عَنِ آفَةِ الْغَوَايَةِ وَالْإِعْوَجَاجِ وَمَرَضِ الْحَسَدِ وَالْعِنَادِ وَعَادَةِ الْعَصْبِيَّةِ وَالْإِفْتِخَارِ وَالْإِسْتِكْبَارِ لَمْ يَبْقَ لَهُ شَكٌّ وَرَيْبٌ فِي مَسْئَلَةِ الْمَعَادِ وَحَشْرِ النَّفُوسِ وَالْأَجْسَادِ وَلِيَعْلَمَ يَقِينًا وَيُحْكَمَ بَأَنَّ هَذَا الْبَدَنَ سَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بِصُورَةِ الْأَجْسَادِ وَيُنْكَشَفُ لَهُ أَنَّ الْمَعَادَ فِي الْمَعَادِ مَجْمُوعِ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ بَعِينِهَا وَشَخْصِهَا وَإِنَّ الْمَبْعُوثَ فِي الْقِيَامَةِ هَذَا الْبَدَنَ بَعِينَهُ لَا بَدَنَ آخَرَ مَبْنِيٍّ لَهُ عُنْصَرِيًّا كَانَ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمْعٌ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ أَوْ مِثَالِيًّا كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِشْرَاقِيُّونَ فَهَذَا هُوَ الْإِعْتِقَادُ الصَّحِيحُ الْمُنْتَابِقُ لِلشَّرِيعَةِ وَالْمَلَّةِ الْمُوَافِقُ لِلْبِرْهَانِ وَالْحِكْمَةِ فَمَنْ صَدَّقَهُ وَأَمَّنَ بِهِذَا فَقَدْ آمَنَ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَقَدْ أَصْبَحَ مُؤْمِنًا حَقًّا إِلَى آخِرِ مَا قَالَ انْتَهَى.

وانا اقول: أنظروا يا أهل الإنصاف هل تجدون في أصوله ما يدل على حشر الأجساد وعود الأبدان في يوم المعاد فانا بعد الفحص التام والغور الكامل لم نجد ما إدعاه في هذه المقالة فان كانت الاصول صحيحة فهذه المقالة لا تطابقها وان كانت باطلة فلم ذكرها وقال من تدبر منها كذا وكذا والإنصاف ان هذه المقالة التي ذكرها بعنوان الثمرة والنتيجة للأصول المذكورة إدعاء محض وهو يكفيننا في صحة الاعتقاد بالمعاد لو لم يكن مسبوقاً بالأصول الخيالية الموهومة التي لا تساعد المعاد الجسماني اصلاً فاقض ما انت قاض:

واما الشيخ الرئيس فقد نقلنا عنه انه لم يقيم على المعاد برهاناً واكتفى في قبوله المعاد بقول صاحب الشريعة فهو بمستريح عن كل ما يرد على غيره من النقوض والإشكالات وانما قال ذلك في المعاد الجسماني اما الروحاني النفساني فاستدل عليه بما هو مذكور في كتبه ولا حاجة لنا في إيراد اذ البحث في الجسماني كما هو ظاهر وهكذا غيره من الفلاسفة المتقدمين فانهم

ايضاً قالوا بالمعاد الرُّوحاني فقط وحاصل الكلام اني ما رايت في كلمات الفلاسفة ما يدل على المعاد الجِسْماني من جهة الدليل اما لعجزهم عن إثباته بالدليل كما عرفت من تصريح الشيخ او لأنهم لم يعتقدوا به اصلاً ومن اعتقد به اعتقد تعبداً او إدعاءً والإنصاف ان أصول الفلسفة لا تساعده اصلاً لا من جهة استحالة إعادة المعدوم كما ظنه من لا خبرة له اذ لا يُعَدَم البدن حتى يقال بالمقالة بل من جهاتٍ أُخرى ستقف عليها.

قال العلامة رحمته في شرح القواعد النصيرية ما هذا لفظه: الحكماء اثبتوا المعاد النفساني لأن النفس عندهم جوهرٌ مُجَرَّد الى آخر ما قال وقد عرفت من قول الرّازي انه قال مذهب جمهور الفلاسفة ان المعاد ليس إلا للنفس والحاصل ان المعاد النفساني هو الثابت عندهم واما الجِسْماني فلا.

### الفصل الثالث: في إثبات المعاد على مذهب المتكلمين:

قال المُحَقِّق الطوسي رحمته في التجريد، ووجوب إيفاء الوعد والحكمة تقتضي وجوب البعث والضرورة قاضية بثبوت الجِسْماني من دين النبي مع إمكانه انتهى وقال العلامة رحمته في شرحه ما لفظه:

إختلف الناس هنا فذهب الأوائل الى نفي المعاد الجِسْماني واطبق المليون عليه وإستدل المُصنّف ٢ على وجوب المعاد مُطلقاً بوجهين الأول ان الله تعالى وعَدَ بالثواب وتَوَعَّد بالعقاب مع مُشاهدة الموت للمُكَلَّفين فوجب القول بعودهم ليحصل الوفاء بوَعْدِهِ، والثاني ان الله قد كَلَّفَ وفَعَلَ الألم وذلك يَسْتَلْزِم الثواب والعَوَاض وإلا لكان ظالماً تعالى عنه فاننا قد بَيَّنَّا حكمته تعالى ولا ريب في ان الثواب والعَوَاض انما يصلان الى المُكَلَّف في الاخرة لإنتفائهما في الدنيا.

واستدل على ثبوت المعاد الجِسْماني بأنه امرٌ معلوم بالضرورة من دين النبي والقرآن دل عليه في آيات كثيرة مع انه ممكن فيجب المَصير اليه وانما قلنا بأنه ممكن لان المراد من الإعادة جمع الأجزاء المُتَفَرِّقة وذلك جائز بالضرورة انتهى.

فهذا استدلال المتكلمين على وجود المعاد:

**اقول:** ما ذكرناه هو خلاصة اقوالهم وآرائهم في المعاد ولاشك ان الحق مع المتكلمين فان ما ذكروه في المعاد هو الذي نطق به الكتاب والسنة ونحن ايضا نقول بمقالتهم وان المعاد الجسماني هو المبحوث عنه في المقام وهو الذي يجب على المكلف الاعتقاد به واما الروحاني فلا بحث فيه.

فنقول - المعاد الذي أخبر به الصادق المصدق ونطق به الكتاب المنزل وصرحت به الأخبار الواردة عن ائمة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ووجب الله على كل مكلف معتقداً بالاسلام الاعتقاد به وحكم بكفر من انكره وخروجه عن رتبة المسلمين بالضرورة من الدين هو المعاد البدني الجسماني اعني هذا الهيكل العنصري الذي ياكل ويشرب ويمشي ويقول ويقوم ويقعد وينكح من غير تاويل فيه فهذا البدن بعينه وبشخصه يعود كما كان اولاً في الدنيا لا غيره من بدن مثالي او نفساني او خيالي وهذا هو الذي نعتقد به ونكفر بغيره كما عرفت من الآيات والأخبار والإجماع في اوائل البحث وحيث ان إثباته يتوقف على معرفة المعاد بضم الميم اعني الإنسان الذي يعود فلا بد لنا من بيان ماهية الإنسان اولاً هل هو هذا الهيكل العنصري المحسوس المشاهد بجملته او انه عبارة عن الأجزاء الأصلية الموجودة في هذا البدن التي تبقى الى آخر العمر او غير ذلك فقالت المعتزلة بان الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس المشاهد الذي يشيرون اليه العقلاء في إشاراتهم.

وقال المتكلمون من الشيعة انه عبارة عن اجزائه الأصلية التي لا تزيد ولا تنقص ومع ذلك تبقى الى آخر العمر، وقال النظام ومن تابعه انه جسم لطيف في داخل البدن سار في اعضائه واذا قطع منه عضو تقلص ما فيه الى باقى ذلك الجسم فان قطع بحيث ينقطع ذلك الجسم اللطيف مات الإنسان، وقال ابن راوندي انه جزء لا يتجزء في القلب اذ لو كان مركباً جاز ان يحل في

بعضٍ منه علم وفي بعضٍ منه جهل، وقال بعض الأطباء أنه الدّم لفوات الحياة بخروجه، وقال آخرون منهم أنه الأخلاط الأربعة اذ قوامه بها، وقيل أنه الرُّوح وهو عبارة عن جوهرٍ مُركَّب من بخارية الأخلاط ولطيفها مَسْكَنُه الأعضاء الرئيسية التي هي القلب والدماغ والكبد وهي من هذه الثلاثة يسري إلى الأعضاء المرؤسة في العروق والأعصاب هذا هو الظاهر من مذهب من قال أن الإنسان جوهر جسماني .

وأما القائلون بأن الإنسان ليس بجسم ولا جسماني بل هو عَرَضٌ من الأعراض، فقال بعضهم أنه المزاج المعتدل الإنساني وهو كيفية متوسطة بين كَيْفِيَّاتٍ مُتَضَادَّةٍ لحصول الموت بفساده.

وقال بعضهم هو تخاطيط الأعضاء وتَشَكُّل الإنسان الذي لا يتغير من أوّل عُمره إلى آخره.

وقال آخرون أنه الحياة وهي عَرَضٌ قائم بالبدن لحصول الموت عند فقدها.

وأما القائلون بأن الإنسان مُجَرَّد فَهَمُ جمهور الحكماء وجماعة من المُسلمين كالشيخ المفيد وأولاد نوبخت من الإمامية والغزالي من العامة فقالوا أن حقيقة الإنسان عبارة عن الجوهر المُجَرَّد الذي ليس بجسم ولا جسماني عاقل بالقوّة مُتَعَلِّقٌ بهذا البدن ليُدبِّره تعلق العاشق بالمعشوق وحاصل استدلالهم على مدّعاهم أن هنا معلّومات غير مُنْقَسِمة فالعلم بها غير منقسم فجملته غير منقسم.

وكل جسم وجسماني مُنْقَسِمٌ فالنفس ليس بجسم ولا جسماني انتهى.  
أقول: هذا خلاصة أقوالهم في ماهية الإنسان وتحقيق هذه الأقوال وتُمييز صحتها عن سقيمها فله مقام آخر والغرض بيان الأقوال فقط اذا عرفت هذا.  
فنقول - الحق في المقام هو أن الإنسان جسم وهو عبارة عن الأجزاء الأصلية الموجودة في هذا الهيكل المحسوس المُشاهد التي لا تزيد ولا



تنقص ولا تتبدل بالبعديّة باقية من أوّل عُمر الإنسان الى آخره وبعد موت الإنسان اعنى مفارقة الرّوح عن البدن وتفرّق اعضاءه واجزائه تبقى الأجزاء بحالها وبعبارة أخرى تلاشى الأعضاء فى القبر لا يوجب إضمحلال الأجزاء الأصلية فإن هيبته التركيبية شئ وما تتركب الهيئة منه شئ آخر وتوضيحه ان نقول - كلّ مُركَّب إنساناً كان او غيره من الأجسام فلا محالة له اجزاء يتركّب المُركَّب منها وإلا لا يكون المُركَّب مُركَّباً، ثمّ انّ الأجزاء لها إعتباران، إعتبار فى نفسه وإعتبار فى غيره ولغيره فالاجزاء بالاعتبار الأوّل لا تكون إلا هي ، واما إعتبار الثّانى فيُحكّم عليهما بالتركيب فيقال هذا مُركَّب الا ترى ان اللبنة مثلاً لها جُزءان، احدهما الماء وثانيهما التراب وكلّ واحدٍ منهما بإعتبار ذاتهما ليس إلا هي فالماء ماء والتراب تُراب واما بإعتبار إتصالهما وإختلاطهما يُوجدان اللبنة فى الخارج فاللبنة ليست إلا الماء والتراب لكن بشرط الإمتزاج فى قالب مخصوص ومعلوم انّ الإمتزاج والقالب خارجان عن حقيقتها فحقيقتها ثابتة موجودة ولا دخل لها فيها فان كسرت اللبنة الف مرّة ثمّ إختلط الماء والتراب فى القالب فهى هي وهى غيرها وبعد هذا فنقول:

لا شك انّ جَسَد الإنسان لكونه جسماً مُركَّباً من اجزاء اصلية وان شئت قلت بصورة القياس جَسَد الإنسان مُركَّب وكلّ مُركَّب له اجزاء اصلية لا محالة فَجَسَد الإنسان له اجزاء اصلية.

اما الصّغرى فنابت واما الكبرى فلأنه لولا كذلك لا يكون مُركَّباً، فالنتيجة قطعية ثمّ انّ الأجزاء الأصلية فيه باقية واما الهيئة التركيبية فلا مدخل لها فى حقيقة الجَسَد سواء كانت متلاصقة مُجمعة ام متلاشية مُتفرقة فكما انّ الخالق إتصّفها وإجتَمَعها بصورة التركيب فى أوّل الأمر فكذلك بعد تلاشيها يقدر على إتصافها ثانياً فالمعاد فى الحقيقة عبارة عن جمع الأجزاء والأعضاء بعد التلاشى وهذا ممّا لا إشكال فيه عقلاً فمن انكر هذا فقد انكر الخلق فى أوّل الأمر لعدم الفرق بين الموردين بل الثّانى اسهل وأيسر كما قال:

امير المؤمنين عليه السلام في الخطبة المبحرثة عنها، وكيف لو اجتمع جميع حيوانهن الى قوله عليه السلام مقررّة بالعجز عن إنشائها وفيه إيماء الى ان الإيجاد أصعب وحيث قد ثبت انه تعالى لا يعجز عن الإيجاد فكيف يقال انه عاجز عن جمع الأجزاء المتلاشية وتركيبها كما كانت وليس فيه إشكال اصلاً نعم لو قلنا بانّ البدن بعد مفارقة الرّوح عنها ودفنه في التراب يصير معدوماً بالكلية ثم في المعاد يلزم إعادة المعدوم يمكن القول بإستحالة على قول من لا يقول بجواز الإعادة وأما لو قلنا بانّ الأجزاء باقية فلا كما ستعرف الحقّ فيه عند ردّ الشبهات وليت شعري ما الذي حمّل المنكرين للمعاد على إنكارهم ان لم نقل بإنعدام الأجزاء والى ما ذكرناه اشار الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿يُخَيِّبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (١)

ان قلت - اجزاء البدن إن تُعدم بعد الموت ثم وجدت ثانياً فهو من إعادة المعدوم التي اتفقوا على إستحالة وان لم تُعدم كما نقول بل صارت متفرقة متلاشية ثم اجتمعت على هيئة الأولى كما إدعيتم يلزم التناسخ لأنّ البدن الثاني لا يكون بعينه هو البدن الأول فتعلق الرّوح به ثانياً والمفروض كونه غير الأول هو التناسخ والحاصل لا بدّ لكم إمّا القول بجواز الإعادة او القول بجواز التناسخ وكلاهما محال:

قلت - التناسخ يلزم لو لم يكن البدن المحشور مؤلفاً من الأجزاء الأصلية أما اذا كان كذلك فلا يستحيل إعادة الرّوح اليه وليس ذلك من التناسخ ولو سُمى به لكان مُجرد إصطلاح وذلك لأنّ التناسخ الذي دلّ الدليل على إستحالة هو تعلق نفس زيد ببدنٍ آخر لا يكون مخلوقاً من اجزاء بدنه وأما تعلقه بالبدن المؤلّف من اجزائه الأصلية بعينها مع تشكّلها بشكلٍ مثل الشكل السابق فهو الذي نعيه بالحشر الجسماني وكون الشكل والاجتماع غير السابق مع بقاء الأجزاء لا يقدح في المقصود وهو حشر الأشخاص الإنسانية باعيانها فإنّ

زيداً مثلاً شخص واحد محفوظ و حَدَّتْهُ الشَّخْصِيَّةُ مِنْ أَوَّلِ عُمُرِهِ إِلَى آخِرِهِ  
 بِحَسَبِ الْعُرْفِ وَالشَّرْعِ وَلِذَلِكَ يُؤْخَذُ شَرْعاً وَعُرْفاً بَعْدَ التَّبَدُّلِ بِمَا لَزِمَهُ قَبْلُ،  
 وَكَمَا لَا يَتَوَهَّمُ فِي ذَلِكَ تَنَاسُخاً لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَوَهَّمُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ أَيْضاً وَأَنْ  
 كَانَ الشَّكْلُ مُخَالَفاً لِلشَّكْلِ الْأَوَّلِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ  
 كَأَمْثَالِ الذَّرِّ، وَأَنْ ضَرَسَ الْكَافِرُ مِثْلَ جَبَلٍ أَحَدٌ، وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ جُرَدٌ مُرْدٍ  
 مَكْحُولُونَ وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَعَادَ الْجِسْمَانِيَّ عِبَارَةٌ عَنِ عَوْدِ النَّفْسِ إِلَى بَدَنِ  
 هُوَ ذَلِكَ الْبَدَنُ بِحَسَبِ الشَّرْعِ وَالْعُرْفِ وَهُوَ لَا يَقْدَحُ فِي كَوْنِ الْمَحْشُورِ هُوَ هُوَ:  
 وَأَمَّا قَوْلُ الشَّيْخِ الْأَحْسَائِيِّ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ بَدَنَيْنِ، عُنْصُرِي مَادِّي وَهُوَ  
 هَذَا الْبَدَنُ الْمَحْشُوسُ.

وَالْآخَرَ بَدَنٌ خَالٍ عَنِ الْمَادَّةِ شَبِيهَةٌ بِهَذَا الْبَدَنِ دَاخِلٌ فِيهِ وَهُوَ الْمُسَمَّى  
 بِالْبَدَنِ الْخُورَقْلِيَّائِي، وَالْبَدَنُ الْعُنْصُرِيَّ بِمَنْزِلَةِ اللَّبَاسِ لِلْخُورَقْلِيَّائِي، فَهُوَ مِمَّا لَا  
 يُعْبَأُ بِهِ لِعَدَمِ وَجُودِ الدَّلِيلِ مِنَ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ عَلَيْهِ بَلْ هُوَ بِالْخِرَافَاتِ اشْتَبَهَ وَذَلِكَ  
 لِأَنَّ ذَلِكَ الْبَدَنَ الْمُسَمَّى عِنْدَهُ بِالْخُورَقْلِيَّائِي، لَا يَخْلُو أَمَّا أَنْ يَكُونَ ذَا صُورَةٍ  
 وَمَادَّةٍ كَهَذَا الْبَدَنِ الْمَادِّي أَوْ لَا يَكُونَ فَعَلَى الْأَوَّلِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ  
 صُورَتَيْنِ وَمَادَّتَيْنِ وَهُوَ كَمَا تَرَى وَعَلَى الثَّانِي فَاِمَّا أَنْ يَكُونَ الْبَدَنُ فَاقْتِدَاءً لِهَمَا  
 مَعاً فَهُوَ لَيْسَ بِبَدَنٍ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مَادَّةٌ بِلا صُورَةٍ وَهُوَ مُحَالٌ إِذَا الْمَادَّةُ بِدُونَ  
 الصُّورَةِ لَا تَتَّحَقُّ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْعَكْسِ اعْنَى لَهُ صُورَةٌ بِلا مَادَّةٍ وَهُوَ أَفْحَشُ،  
 وَأَنْ كَانَ مُرَادُهُ بِهِ الْبَدَنُ الْمِثَالِي فَعَالِمُ الْمِثَالِ مُنْفَصِلٌ عَنِ هَذَا الْعَالَمِ مُسْتَقِلٌّ  
 بِنَفْسِهِ فَالْحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يَدِرْ مَا قَالَ إِذَا عَرَفْتَ الْمَعَادَ وَمَعْنَاهُ بِحَسَبِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ  
 وَأَنَّ الْمَحْشُورَ هُوَ هَذَا الْبَدَنُ بَعَيْنِهِ فَلنَرْجِعْ إِلَى الشُّبُهَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْمَقَامِ  
 وَنَقُولُ:

منها - شبهة الأكل والماكول وقد قررت هذه الشبهة بوجوه:

أحدها: أن يأكل إنسان إنساناً آخر وصار الماكول بتمامه جزءاً لبَدَنِ الْأَكِيلِ  
 فحينئذٍ على القول بالمعاد وحشر الأجساد تكون الصور المفروضة أربعة:

إحداها، ان يكون البدن المحشور بدن الأكل فقط، وثانيتها، ان يكون بدن الماكول كذلك، ثالثتها، عدم حشرهما معاً، ورابعتها، حشرهما معاً لا سبيل الى الأولى والثانية للزومهما الترجيح من غير مرجح ولا الى الرابعة اذ يلزم عليها كون الشئ الواحد اثنين وبالعكس فتبقى في المقام الثالثة وهي عدم حشرهما وهو المطلوب:

**وثانيتها:** ان ياكل كافرًا او منافقًا مؤمناً صالحاً وصار المؤمن جزءاً لبدن الكافر يلزم تنعيم الأجزاء العاصية او تعذيب المطيعة وذلك لأن الأكل لو كان مُعذِّباً يلزم تعذيب الأجزاء المطيعة التي حصلت له باكله المؤمن وان كان مُتَنَعِّماً يلزم تنعيم الأجزاء العاصية التي كانت في بدنه بحسب كفره فالحق هو عدم العذاب والثواب فلا معاد ولا حشر اصلاً:

**وثالثتها:** صيرورة الماكول بعد كونه جزءاً لبدنه نطفة للكافر او الأكل وصارت النطفة مبدءاً لشخص ثالث فحينئذ ان كان المحشور مجموع الثلاثة يلزم ان يكون الواحد ثلاثاً وبالعكس وان كان واحداً منهم يلزم الترجيح من غير مرجح وهو ايضاً محال وان لم يحشر احدٌ منهم فهو المطلوب.

**ورابعها:** أنه لا شك ان بدن الإنسان بعد الموت يصير تراباً فلو فرضنا ان تراب البدن صار محلاً للزراعة ثم نبت منه شيء آخر صار غذاء لآخر وهكذا لآخر وهو يموت لا محالة فيصير مأكولاً لآخر وهذه العادة تستمر الى يوم القيمة فالمحشور بسبب المعاد من هو:

**وخامسها:** لو فرضنا ان إنساناً كان صالحاً وغير صالح بحسب الأعمال في مدة عمره فعلى القول بالمعاد هل يحشر بدنه زمان صلاحه او يحشر زمان فساده وبعبارة أخرى بعد الحشر هل هو مُتَنَعِّمٌ أو مُعَذِّبٌ والمفروض طاعة البدن وعصيانه فهذه الوجوه الخمسة المحتملة في المقام قد دلت على ان المعاد الجسماني غير معقولٍ فالقول به باطل.

وقد أُجيب عنها بوجوه:

احدها - ما ذكره المتكلمون وحاصله ان الأجزاء في بدن الإنسان على قسمين، أصلية، وغير أصلية، أما الأصلية منها فلا تتغير في بدن الإنسان من أول العمر الى آخره وغيرها يتغير والمَحشور هو الأول وبعبارة أخرى لا نعنى بالحشر مطلق الأجزاء بل نعنى الأجزاء الأصلية الباقية اين ما كانت سواء كانت في بدن الأكل ام في بدن المأكول وأما الغير الأصلية الحاصلة بالتغذية فلا وعليه فالمعاد من كل من الأكل والمأكول الأصلية منها من غير لزوم فساد واستدلوا عليه بقوله تعالى في قصة الخليل حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

فاخذ إبراهيم عليه السلام الطاوس، والديك والحمام والغراب وقطعهن ثم اخلط لحماتهن وفرقها على كل عشرة جبال ثم اخذ مناقيرهن وقال اجيبينى باذن الله فكانت يجتمع ويتالف لحم كل واحد وعظمه الى راسه وطارت الى إبراهيم فعند ذلك قال إبراهيم ان الله عزيز حكيم وتقريب الإستدلال بهذه الآية ظاهر لا يحتاج الى توضيح وبيان وذلك لان حال الأكل والمأكول في الإنسان بعينه يكون كذلك:

وأما الفلاسفة فقد اجابوا عن الشبهة بما حاصله ان تشخص كل إنسان انما يكون بنفسه لا ببدنه وان البدن المعتبر فيه امر مبهم لا تحصل له إلا بنفسه وليس له من هذه الجسمية نفس ولا ذات ثابتة ولا يلزم من كون بدن زيد محشوراً ان يكون الجسم الذي فيه صار مأكولاً لسبع وإنسان آخر محشوراً بل كلها يتعلق به نفسه هو بعينه بدنه، الذي كان فالاعتقاد بحشر الأبدان يوم القيمة هو ان يبعث ابدان من في القبور اذا رأى كل واحد منها يقول هذا فلان بعينه وهذا بهمان بعينه او هذا بدن فلان على ما مره تحقيقه ولا يلزم من ذلك ان

يكون غير مُبدل الوجود والهوية كما لا يلزم ان يكون مُشوه الخلق والأقطع والأعمى والهرم محشوراً على ما كان من نقصان الخلقه وتشويه البنية كما ورد في الأحاديث والمُتكلّمون عن آخرهم اجابوا عن هذه الشبهة بما لا حاجة الي ذكره لركاكته انتهى ما ذكره في الأسفار بالفاظه وعباراته في الجواب عنها وانت ترى ان هذا الجواب لا يساعد المقام في حشر الأجساد وقد مرّ الكلام فيه فان هذا ليس من حشر الأجساد بشئٍ وتعبير صاحب الأسفار بالركاكة عجيب فان جوابه اشنع وأفحش عن جواب المُتكلّمين كما هو ظاهر والحق في الجواب ما ذكره المُتكلّمون او ان نقول ليست الإعادة باصعب من الإيجاد فكما انه تعالى اوجد الأبدان كذلك في المرحلة الثانية واما كيفية العود فلا يهمنّا البحث فيها ولا يجب علينا الاعتقاد بها بل الواجب الاعتقاد بالمعاد ونحن نعتقد به.

ومنها - شبهة إعادة المعدوم وحاصلها ان الأبدان تنعدم بالموت وكل معدوم لا يعاد فهي لا تعاد فالمعاد الجسماني غير معقول:  
 اما ان الأبدان تنعدم فلما نرى ونشاهد انها في القبر تصير متلاشية متفرقة الأجزاء.

ثم بعد مضي زمانٍ صارت تراباً ورميماً واما ان المعدوم لا يعاد فلما ثبت في محله بل إدعى بعضهم فيه الضرورة فالبدن المعدوم يمنع ان يعاد فلا يكون حشر الأبدان صحيحاً:

وقد اجابوا عنها بما حاصله ان البدن لا يُعدم بل يتفرق اجزائه ويتلاشى اعضاءه الزائدة واما اعضاءه واجزائه الأصلية فهي باقية كما قلنا في الأكل والماكول وعليه فالمُتغير صورته الجسمية لا مادته الأصلية واذا كان كذلك فلا إنعدام في المقام حتى نبحت في جواز الإعادة وعدمه وان شئت قلت المعاد في الحقيقة إتصال الأجزاء بعد تفرقها لا إيجادها بعد عدمها الا ترى ان الماء يتبدل بخاراً ثم يتبدل ماءً ثانياً ولا يقال ان الماء صار معدوماً ثم أعيد ثانياً بل

المادة في كلتا الحالتين موجودة والمُتغير إنما هو الصورة لا غيرها وما نحن فيه من هذا القبيل فصورة الإنسانية تبدلت صورة الترابية ثم هي تبدلت صورة إنسانية كما كانت والى هذا المعنى أشير في الحديث حيث شبه عليه السلام ما نحن فيه برجل عمِد إلى لَبَنَةٍ فَكَسَّرَهَا ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهَا الْمَاءَ وَجَبَلَهَا ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى هَيْئَتِهَا الْأُولَى فَهِيَ هِيَ وَهِيَ غَيْرُهَا هَذَا إِذَا قُلْنَا بَانَ الْإِعَادَةَ مَمْتَنَعَةً إِلَّا أَنَّ الْمَقَامَ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ كَمَا عَلَيْهِ الْمَشْهُورُ، وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ بِجَوَازِ الْإِعَادَةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَصْعَبَ مِنَ الْإِبْجَادِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى فَالْأَمْرُ أَوْضَحُ إِذْ عَلَى فَرَضِ كَوْنِ الْأَبْدَانِ مَعْدُومَةً بِالْمَوْتِ لَا إِسْتِحَالَةَ فِي إِعَادَتِهَا عِنْدَهُ بَعْدَ تَسْلِيمِ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ عِنْدِي قَوِيٌّ مَتِينٌ. وَمِنْهَا، شُبْهَةُ التَّنَاسُخِ، وَحَاصِلُهَا أَنَّ اللَّهَ لَوْ قُلْنَا بِالْمَعَادِ الْجِسْمَانِيَّ اعْنَى عَوْدِ الْبَدَنِ ثَانِيًا وَتَعَلُّقِ الرُّوحِ بِهِ فَإِنْ كَانَ هَذَا عَلَى سَبِيلِ النَّسْخِ فَهُوَ مُحَالٌ فَالْمَعَادُ مُحَالٌ، وَحَيْثُ أَنَّ الشُّبْهَةَ مِنَ الْعَوِيصَاتِ فِي بَابِ الْمَعَادِ فَلَا يَدُّ لَنَا مِنَ التَّوْضِيحِ أَوْلًا ثُمَّ الْجَوَابُ ثَانِيًا فَنَقُولُ:

التَّنَاسُخُ هُوَ تَعَلُّقُ الرُّوحِ بِبَدَنِ آخَرَ غَيْرِ بَدَنِهِ كَالرُّوحِ الْمُتَعَلِّقِ بِبَدَنِ زَيْدٍ مِثْلًا إِذَا تَعَلَّقَ بِبَدَنِ آخَرَ فَإِنَّ تَعَلُّقَ بَدَنِ إِنْسَانٍ آخَرَ يُسَمَّى نَسْخًا وَإِنْ تَعَلَّقَ بِبَدَنِ حَيَوَانٍ يُسَمَّى مَسْخًا أَوْ جَمَادًا فَيُسَمَّى رَسْخًا أَوْ نَبَاتًا فَيُسَمَّى فَسْخًا وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ أَقْسَامِ التَّنَاسُخِ بِأَسْرَافِهَا بَاطِلَةٌ وَحَيْثُ أَنَّ الْمَعَادَ يُوجِبُ تَعَلُّقَ الرُّوحِ ثَانِيًا بِالْبَدَنِ الْمَعَادِ وَهُوَ فِي الْإِصْطِلَاحِ يُسَمَّى بِالنَّسْخِ وَقَدْ قُلْنَا بَيِّظْلَانَهُ فَالْقَوْلُ بِالْمَعَادِ بَاطِلٌ لِأَنَّ مَا يَلْزَمُ مِنْ وَجُودِهِ الْمَحَالُ فَهُوَ مُحَالٌ فِي نَفْسِهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْمَفْرُوضُ أَنَّ نَفْسَ زَيْدٍ بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ عَنِ بَدَنِهِ الدُّنْيَوِيِّ تَعَلَّقَتْ بِبَدَنِهِ الْمَعَادِ وَهُوَ غَيْرُ الْأَوَّلِ فَيَلْزَمُ تَعَلُّقَ النَّفْسِ بِبَدَنِ آخَرَ هُوَ أَيْضًا مِثْلُهُ وَهُوَ النَّسْخُ وَالنَّسْخُ مُحَالٌ فَتَعَلُّقُ رُوحِ زَيْدٍ بِبَدَنِ آخَرَ مُحَالٌ فَالْمَعَادُ مُحَالٌ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ:

نعم، القول بالمعاد يُوافق مذهب التَّنَاسُخِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِإِنْتِقَالِ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَجْسَامِ عَلَى التَّيْيِيدِ وَأَنْتُمْ لَا تَقُولُونَ بِهِ هَذَا تَقْرِيرِ الشُّبْهَةِ ثُمَّ أَنْتُمْ قَدْ اسْتَدَلُّوا

على بطلان التناسخ بوجوه:

احدها: انّ البدن اذا كَمُلَ إستعداده لحدوث النفس فاضت عليه من المبدء لأنّ الجود تام والفيض عام والشّروط وهو صلوح القابل حاصل، فلو تعلق به نفس مُستنسخة ايضاً لزم إجتماع نفسين على بدنٍ واحد وهو باطل لأنّ كلّ واحد يجد انّ ذاته واحد لا إثنان ذكر هذا الوجه المُحقّق السبزواري في منظومته كما قال في الشعر:

لزوم إجتماع نفسين على صيصية تناسخاً قد ابطلا  
وثانيها: ما ذكره في الأسفار وحاصله انّ النفس لها تعلق ذاتي بالبدن والتركيب بينهما طبيعي إتحادي ولكلّ منهما حركة جوهريّة والنفس في أول حدوثها امر بالقوّة وكذا البدن وبها معاً يخرجان من القوّة الى الفعل ودرجات القوّة والفعل في كلّ نفس بازاء درجات القوّة والفعل في بدنها الخاص مادام تعلقها البدني فاذا صارت بالفعل في نوع من الأنواع إستحال صيرورتها تارة أخرى في حدّ القوّة المحضة كما إستحال صيرورة الحيوان بعد بلوغه الى تمام الخلقة نطفة لأنّ هذه الحركة جوهريّة ذاتية لا يمكن خلافها فلو تعلقت نفس مُستنسخة من بدنٍ بآخر عند كونه جينياً او غير ذلك لزم كون احدهما بالقوّة والآخر بالفعل وكون الشّيء بما هو بالفعل بالقوّة وذلك مُمتنع لأنّ التركيب بينهما إتحادي طبيعي وقد ثبت انّ التركيب الطبيعي يستحيل بين امرين احدهما بالفعل والآخر بالقوّة انتهى ملخصاً.

وثالثها: ما ذكره المشهور وحاصله انّ النفس اذا تركت تدبير البدن لفساد المزاج فلا يخلو اما ان تنتقل الى عالم العقل او الى عالم الأشباح الأخروية او الى بدنٍ طبيعي آخر من هذا العالم او تصير معطّلة عن تدبير نفساني فالإحتمالات اربعة، والأخيران باطلان فبقي احد الأولين للمقربين وثانيهما لأصحاب اليمين واصحاب الشمال على طبقات لكلّ صنف ثمّ استدلوا على بطلان الأولين بإستحالة التّعطيل كما مرّ في محله وإستحالة إشتغال النفس



بتدبير بدنٍ آخر كما مرَّ في الوجه الثاني وفي المقام ابحاث كثيرة نقضاً وإبراماً  
ان اردت الإطلاع عليها فعليك بالأسفار وغيره من المطولات ولنا ايضاً ابحاث  
لا نطيل الكلام بذكرها اذ غرضنا في هذا الكتاب الإشارة فقط والحاصل ان  
التناسخ باقسامها باطلة فلو كان المعاد لزِم منه التناسخ فهو ايضاً باطل فإن ما  
يلزم من وجوده المحال فهو في نفسه محال .

والجواب عن الإشكال اعنى دخول المعاد تحت التناسخ من وجوه:

احدها: ان ما نحن فيه اعنى المعاد الجسماني لا يدخل تحت التناسخ اصلاً  
وبعبارة أخرى خروج المعاد عن التناسخ تخصصي لا تخصيبي وذلك لأن  
التناسخ في المقام عبارة عن تعلق نفسٍ مُستنسخة ببدنٍ آخر اي بدنٍ إنسانٍ  
آخر وفي المقام ليس كذلك فإن البدن المُعاد هو البدن المُبتدء بعينه فتعلق  
النفس بالأول بعينه تعلقها بالثاني وبالعكس كما هو المفروض ومُجرد  
التسمية به لا يضرنا.

وثانيها: ان النسخ تعلق النفس ببدنٍ إنسانٍ آخر وفي المقام البدن المُعاد  
ليس لإنسانٍ آخر بل هو للإنسان الأول الذي بدن الأول له وعليه فلا يصدق  
النسخ اصلاً.

وثالثها: ان استحالة التناسخ انما هي لكون احدهما اعنى النفس والبدن،  
بالفعل والآخر بالقوة وفي المقام ليس كذلك اذ البدن المُعاد هو المُبتدء فهو  
في القوة والفعلية كالنفس المُتعلقة به ومثل هذا لو سُمي بالتناسخ لا إشكال  
فيه:

وذكروا في المُفضلات اجوبة أخرى أعرضنا عن ذكرها مخافة الأطناب.  
ومنها شبهة العبث والجفاف.

وتقريرها ان الإعادة لا تخلو حالها اما ان تكون لغرضٍ او لا وعلى الثاني  
يلزم العبث والجفاف اللذان لا يليقان بالحكيم فإن كل فعلٍ لا غرض فيه فهو  
عبث.

وعلى الأول: اعنى وجود الغرض فلا يخلو اما ان يكون الغرض عائداً اليه تعالى او يكون عائداً الى العبد فان كان الأول يلزم كون الواجب ناقصاً في ذاته وهو كما ترى وان كان الثانى لزم العجز وخلاف الحكمة والعدالة وذلك لأن الغرض ان كان إيصال ألم فهو غير لائق بالحكيم العادل وأن كان إيصال لذة فاللذات سيما الحسيات دفع الآلام فلزم انه تعالى يؤلم العبد أولاً حتى يوصل اليه لذة حسية وذلك لا يليق بالحكيم العادل الى آخر ما قالوا فى تقرير الشبهة. والأشاعرة قد اجابوا عنها بمنع لزوم الغرض فى افعال الله وقبح الخلو عنه ثم يمنع كون الغرض منحصراً فى إيصال اللذة والألم ثم يمنع كون اللذة دفعاً للألم ثم يمنع كون اللذات الأخروية كالدينية فى كونها دفع الآلام. واما المعتزلة فقالوا الغرض فى المعاد نيل الجزاء وظهور صدق الأنبياء، ثم ان صاحب الأسفار بعد نقله ما نقلناه اجاب عن الإشكال بوجه آخر لا نحتاج الى نقله لطوله وعدم فائدته فى المقام والحق فى الجواب ما ذكره المحقق الطوسى رحمته فى التجريد.

وهو ان وجوب إيفاء الوعد والحكمة تقتضى وجوب البعث وتوضيحه ان الغرض منه هو إيصال حق كل ذي حق اليه والانتقام للمظلوم من الظالم وان شئت قلت يجب المعاد لوجهين:

احدهما: ان الله تعالى وعد بالثواب وتوعد بالعقاب مع مشاهدة الموت للمكلفين فوجب القول بعودهم ليحصل الوفاء بوعدده ووعيده.

وثانيهما: ان الله قد كلف وفعل الألم وذلك يستلزم الثواب والعوض وإلا لكان ظالماً تعالى الله عنه وهو واضح لا خفاء فيه فان الآيات المصروفة به كثيرة هذا تمام الكلام فى المقام الأول مع مراعاة الإختصار وإلا فالكلام طويل:

واما البحث فى المقام الثانى: اعنى إثبات المعاد لجميع الموجودات فنقول:

قوله ﷺ في الخطبة المذكورة (ثمَّ يُعيدها بعد الفناء) يدل على الإعادة مطلقاً إنساناً كان أو غيره ويستفاد من الآيات أيضاً هذا المعنى كقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ وقوله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ ومن المعلوم أن الحشر لا يكون إلا بعد الإعادة إذ المفروض أن الموجودات فانية لا محالة لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>(١)</sup> فلو كانت باقية في الفناء كيف يتحقق الحشر فالحق عقلاً وشرعاً إعادة الموجودات بعد فنائها وأما البحث في الحشر وكيفيته فهو خارج عن البحث فعلاً.

وأما المقام الثالث: وهو أنه تعالى لا يحتاج إلى إعادتهم فالوجه فيه ظاهر إذ الإحتياج فيه تعالى يساوق الإمكان وهو مُنَزَّه عنه وأما يُعيدهم لما ذكرناه في رد شبهة العبث من أن الله تعالى يُعيدهم لإيصاله كل ذي حقٍّ إلى حقه ففي الحقيقة الإحتياج ثابت في المعاد للخلق لا للخالق هذا إذا قلنا أنه تعالى لا يحتاج إلى إعادتهم في جلب المنفعة وأما إذا قلنا أنه لا يحتاج بمعنى أنه لا يحتاج إلى غيره في الإعادة فالأمر أوضح:

هذا تمام الكلام في المعاد وما يتبعه ويلزمه وقد تحصل ممَّا ذكرناه أن المعاد بمعنى عود الأبدان إلى الدنيا بعد فنائها حق لا مرية فيه وكل تأويل فيه مردودٌ مُخالف للشرع والمعاد الذي نقول به نفساني وجسماني حسب ما عرفته فيما مضى ولا نحتاج في إثباته إلى الأدلة العقلية والتأويلات الركيكة البعيدة بعد نص الكتاب وإجماع المسلمين ومع ذلك فقد علمت أن العقل أيضاً يؤيده والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

## ومن خطبة له عليه السلام (١٨٦)

□ قوله عليه السلام: الْآبَاءُ وَالْأُمَّمُ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَائِهِمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ إِلَّا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ وَإِنْ قَطَّاعَ وَصَلِكُمْ وَإِسْتِعْمَالَ صِغَارِكُمْ ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النَّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ. ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ.

أَيُّهَا النَّاسُ الْقُوا هَذِهِ الْأَزْمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدْمُوا غَيْبَ فِعَالِكُمْ وَلَا تَفْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ قُورِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَاجَبَهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا وَأَحْضِرُوا إِذْ أَنْ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا

### ◀ اللّغة

(وَصَلِكُمْ) بضم الواو وسكون الصاد، والوُصل جمع وُصلة وزان غرفة هكذا قالوا وليس بشيءٍ والحق فيه فتح الواو ليكون مقابلاً للفصل (أَهْوَنَ) أي أسهل (يَحْلِفُونَ) الحلف القسم (إِحْرَاجٍ) مصدر أخرج إذا ضيق (عَضَّكُمْ) أي لزمكم (الْقَتَبُ) بالتحريك الأكَاف (غَارِبَ) ما بين العنق والسنام (تَصَدَّعُوا)

الصَّدْعُ الشَّقُّ وَالْفُرْقَةُ (الْأَزْمَةُ) كَالْأَثْمَةِ جَمْعُ زَمَامٍ (أَمِيطُوا) أَي تَنَحُّوا (وَعُوا) فَعَلَ أَمْرٌ مِنْ وَعَى يَعَى أَي إِحْفَظُوا وَالْبَاقِي وَاضِحٌ:

### ◀ المعنى

(الْأَبَائِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ) مِنَ الرِّجَالِ (أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ) لِكُونِهِمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ (وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ) لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ النَّاسِ أَيَّاهُمْ (الْأَفْتَوْقَعُوا) وَإِنْتَظَرُوا (مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ وَإِنْقِطَاعِ وَصَلِكُمْ وَإِسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ) أَخْبَرَهُمْ بِوُقُوعِ هَذِهِ الْأُمُورِ (ذَاكَ) أَي مَا أَخْبَرْتَكُمْ بِهِ أَنَّمَا يَكُونُ (حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ) وَأَسْهَلُ (عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ) أَي مِنْ كَسْبِ الدَّرْهِمِ (مِنْ حِلِّهِ) أَي مِنْ طَرِيقِ الْحَلَالِ (ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى) بِفَتْحِ الطَّاءِ (أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى) بِكُسْرِهَا (ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النَّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ) فَإِنَّ سُكْرَ النَّعْمَةِ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مِنْ سُكْرِ الشَّرَابِ.

(وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ) وَإِكْرَاهٍ مِنَ الْغَيْرِ (وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ) وَتَضْيِيقٍ مِنَ الْغَيْرِ أَيَّامِكُمْ عَلَى الْكُذْبِ (ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ) وَلَزِمَكُمُ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ (شَبَّهَ اللَّهُ عَضَّهُمْ بِهِ) (مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ) وَالْمَشَقَّةَ (وَأَبْعَدَ) أَي وَمَا أَبْعَدَ (هَذَا الرَّجَاءَ).

(أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذِهِ الْأَزْمَةَ) وَالْحِكُومَاتِ (الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ) فَلَا تَتَّبِعُوا الْأَرَاءَ الْفَاسِدَةَ وَالْأَهْوَاءَ الْكَاسِدَةَ (وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ) الَّذِي تَجِبُ طَاعَتُهُ عَلَيْكُمْ (فَتَدْمُوا غَيْبًا فِعَالِكُمْ) أَي إِذَا تَفَرَّقْتُمْ لَعَلِمْتُمْ سُوءَ فِعَالِكُمْ وَنَدِمْتُمْ عَلَيْهَا (وَلَا تَقْتَحِمُوا) أَي وَلَا تَدْخُلُوا (مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فُورِ نَارِ الْفِتْنَةِ) فَإِنَّ الدَّخُولَ فِيهَا يُوجِبُ الْخُسْرَانَ (وَأَمِيطُوا) وَتَنَحُّوا (عَنْ سَنَنِهَا) وَطَرِيقِهَا (وَاخْلُوا) وَدَعُوا (قَصِدَ السَّبِيلِ لَهَا فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا) أَي لَهَبِ نَارِ الْفِتْنَةِ (الْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ) بِالسَّرَاجِ (مَنْ وَلَجَهَا) أَي مَنْ دَخَلَ الْفِتْنَةَ (فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ) مَقَالَتِي (وَعُوا) وَاحْفَظُوهَا (وَاحْضِرُوا إِذَانَ قُلُوبِكُمْ)

تَفْهَمُوا ) ما اقول لكم .

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: **الآبَاءُ وَالْأُمَّةُ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَائِهِمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ...**

اختلفوا في المشار اليهم اعني مرجع الضمير في قوله ﷺ: (هم) فقال البحراني المراد بهم اولياء الله في المستقبل وقال المعتزلي المراد بهم الأمة الاثنى عشر على راي الامامية والابدال على راي غيرهم وانا اقول الظاهر ان المراد بهم الأئمة الاثنى عشر وذلك لأنهم كانوا متصفين بهذا الوصف اعني المعروفة في السماء والمجهولة في الأرض وثانياً ان قوله ﷺ: **آبَاءُ وَالْأُمَّةُ** لو لم يدل على المدعى فلا اقل من كونه يؤيده فان هذا الكلام منه ﷺ في حق غير المعصومين بعيد وعليه فالمراد بالعدة التي هم منها عامة الانبياء والمرسلين واوصيائهم وذلك لأنهم كانوا كذلك وانما قلنا ذلك لأن كلمة (من) في قوله (من عدة) تبعية فيلزم ان يكون هناك عدة كانوا كذلك ووجه كونهم في السماء معروفة وفي الأرض مجهولة ظاهر فان المقربين من عباد الله لا يعرفهم حق المعرفة إلا من كان كذلك واما الناس فحيث أنهم ليسوا في هذا القدر والمنزلة فلا يمكن لهم المعرفة بهم واقعاً هذا ولا يبعد ان يقال ان المراد بهم مطلق الأولياء والأئمة منهم بل اكملهم وافضلهم:

□ قوله ﷺ: **الآ فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ وَإِنْ قَطَعَ وَصَلِكُمْ وَإِسْتِعْمَالَ صِغَارِكُمْ...**

بتبهم على ما سيحدث لهم في المستقبل وأمرهم بانتظاره وهو أمور ثلاثة: احدها: إدبار أمورهم في دينهم ودنياهم وقد كان كذلك فان أمر الحكومة بعد شهادته ﷺ كان بيد معاوية وبعده ابنه يزيد ثم آل العاص وبعدهم اولاد العباس وهكذا الى زماننا هذا واذا كانت الحكومة بيد هؤلاء الأشرار فما ظنك بالعلماء والفقهاء في هذه الحكومات فانهم على صنفين صنف منهم اهل

المعرفة والصّلاح والعلم والعمل وصنف آخر اهل الرّياء والخذعة اما الأوّل فحالهم معلوم اذ في حكومة معاوية ويزيد وامثالهما لا يمكن للأخيار من العلماء اظهار العلم والمعرفة والأيمان فضلاً عن نشر العلوم والتّصدي للإفتاء والإرشاد واذا كان الأمر على هذا المنوال فلا بدّ لهم من الإنزواء والعزلة وإعمال التّقية حفظاً للدماء والأعراض واما الصّنف الآخر اعني المتلبّسين بلباس اهل العلم وان كانوا من فرسان هذا الميدان إلاّ إنّهم لقلّة معرفتهم وكثرة إلحادهم وحبّهم الدّنيا وزخارفها يجزّون النّار التي قرصتهم فيؤلّون الآيات على طبق اميالهم واميال حُكّام زمانهم ويغيّرون السّنة حيث شاؤوا متى ارادوا اذ ليس لهم دين يَمنعهم عنه واذا كان الإمام والمُقتدئ كذلك فحال الماموم معلوم وتشهد بما ذكرناه التّواريخ كما انا نرى هذا الوضع في زماننا هذا بالمُشاهدة والعيان ولا نحتاج فيه الى البرهان فضّلوا واطلوا كثيراً لعنهم الله وعذبّتهم عذاباً اليماً، واي إدبارٍ للنّاس اشدّ واعظم منه في دينهم ودُنياهم وليس ذلك إلاّ لجهل النّاس جميعهم وعدم معرفتهم في تميّز الحقّ عن الباطل فانّ الطّرق واضحة لا خفاء فيها .

وثانيهما قوله **وَإِنْ قَطَعَ وَصَلِكُمْ**، قال الشّارح الخوئي الوصل جمع الوصلة وزان عُرفة يقال ما بينهما وصلة اي إتصال وبه قال المعتزلي ايضاً بل الشّراح كلّهم على ما في النسخ الموجودة عندنا اتفقوا على أنّ الوصل في كلامه **وَإِنْ قَطَعَ** بضمّ الواو وفتح الصّاد كالعُرف جمع عُرفة اقول قال في المفردات وموصل البعير كلّ موضعين حصل بينهما وصلة نحو ما بين العجز والفخذ، وقال في المنجد، وَصَلَ يَصِلُ وَصْلاً وَصِلةً وَوَصِلةً، الوصلة مصدر الإتصال ما يصل بين الشيئين انتهى.

وعليه فالأسهل في العبارة هو الوصل بفتح الواو وسكون الصّاد وهو الظاهر من العبارة ولا ادري ما الذي حمّلتهم على الأكل من القفاء مع أنّ المعنى واحد فعلى ما ذكره يصير معنى العبارة إنقطاع الإتصالات والإنظامات واما

على المختار فالمعنى إنقطاع الوصل وحيث أنّ اللّام للجنس فما الفرق بين الوصل والوصل ثمّ أي إحتياج اليه وكيف كان أخبر ﷺ بهذه العبارة عن تفرّق المسلمين وإختلافاتهم وتشتّت آرائهم واهوائهم أو أنّها إشارة الى قطع وصلهم بالكتاب والسنة والمآل واحد وقد صدّق ﷺ فيما قال فإنّ المسلمين صاروا متفرقين تفرق ايادي صبا ومثشّتين تشّتت الأجزاء في الهواء حتّى صاروا مخذولين مقهورين بحيث لم يبق لهم عزّ ولا شرف.

بل لم يبق من الإسلام إلا إسمه ولا من الكتاب إلا رسمه ولا من المسلمين إلا اجسادهم وهياكلهم العنصرية فياكلون ويشربون وينكحون لا يريدون شيئاً من المعنويات ولا يقصدون أمراً من الأخلاقيات دينهم دنائيرهم وقبلتهم نساؤهم وبطونهم شرفهم وشهواتهم حياؤهم وعزّهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم علماؤهم شر العلماء وأمراؤهم شر الأمرء بينهم وبين دينهم بونٌ بعيد ومسافة طويلة كلّ ذلك بسبب إنقطاع وصلهم بدينهم وإتصالهم بالشيطان وإتباعهم لآرائهم الفاسدة الكاسدة.

وثالثها قوله ﷺ: وَإِسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ ، قالوا المراد به تقديم الصغار على المشايخ في الأمور ويمكن ان يُراد بالصغار الأوباش والأراذل وكيف كان فقوله ﷺ صدق وحقّ لما نشاهد في زماننا هذا:

□ قوله ﷺ: ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ جِلِّهِ ...

كانه قيل له ﷺ ومتى يكون كذلك فبين ﷺ لما اخبرهم به ثلاث علامات وقوله ﷺ: ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ النِّخْ إِحْدَايَهَا وَحَاصِلُ مَعْنَاهُ أَنَّ مِنْ عِلَائِمِ إِدْبَارِ الْأُمُورِ النِّخْ إِنْ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ وَأَسْهَلَ مِنْ إِكْتِسَابِ دَرْهِمٍ مِنَ الْحَلَالِ لِشِدَّةِ إِخْتِلَاطِ الْحَرَامِ بِالْحَلَالِ وَضَعُوبَةِ تَحْصِيلِ الْحَلَالِ فِي ذَاكَ الزَّمَانِ كَزَمَانِنَا هَذَا:

□ قوله ﷺ: ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَكْبَرَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطَى ...



وهذا هو العلامة الثانية وهي ان المُعْطَى بفتح الطاء بصيغة المفعول يكون اعظم اجراً من المُعْطَى بكسر الطاء بصيغة الفاعل مع ان القاعدة بالعكس فان المُعْطَى المُنْفَق بماله ينبغي ان يكون اجره اعظم إلا ان الأمور في ذلك الزمان تنقلب كما هو شان الإديار.

□ قوله ﷺ: ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنْ النُّعْمَةِ وَالتَّعِيمِ...

قال المُعْتزلي النُّعْمَةُ بفتح النون وهي غضارة العيش وقال الخوئي بعد نقله ما نقلناه وفي بعض النسخ بكسر النون وهي الخفض والدعة والمال انتهى ثم قال والتعيم هو النعمة بالمعنى الثاني .

**اقول:** النُّعْمَةُ بفتح النون التَّعِيمُ وبنائها بناء المرة من الفعل كالضَّرْبَةُ والشَّتْمَةُ، وقيل هي الحَالَةُ الحَسَنَةُ كالجَلْسَةُ والرَّكْبَةُ، واما النُّعْمَةُ بكسر النون فيفيد الجنس ويقال للقليل والكثير كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (١)

و: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (٢)

و: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (٣)

و: ﴿فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ واما التعيم فهو النعمة الكثيرة كما قال تعالى في جنات النعيم قاله الراغب في المفردات.

وعليه فالفرق بينهما اما بالقلّة والكثرة بناءً على كون التاء فيها للمرة واما بالاجمال والتفصيل وكيف كان فالغرض من هذا الكلام هو ان الناس يسكرون في ذاك الزمان بسبب النعمة والنعيم وذلك لأن سكر النعمة اشد وأعظم من شرب الخمر.

□ قوله ﷺ: وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ...

اي وتحلفون بالله وبرسوله في ذاك الزمان من غير ان تضطرون اليه

وتكذبون من غير عذرٍ وتضييقٍ وفيه إيماء إلى أن الحلف والكذب في صورة الإضطرار والإكراه مما لا باس به وهو كذلك وإنما المذموم هو الحلف والكذب إختياراً وفي بعض النسخ (احواج) بدل (إحراج) وعليه فالمعنى تحلفون وتكذبون من غير إحتياج والمآل واحد:

□ قوله ﷺ: ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ...

اي ما أخبرتكم به من الأوصاف والحوادث أنما يقع اذا عضكم البلاء أي يشتد عليكم البلاء ويؤذيكم كما يؤذي القتب غارب البعير شبهه ﷺ البلاء بالقتب والإنسان بالبعير المتأذي منه فهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس فقول الخوئي أنه من باب تشبيه المعقول بالمعقول بدعوى أن ذكر العَض للبعير تخييل لا نفهم معناه وذلك لأن العَض كما أنه للإنسان محسوس للبعير ايضاً محسوس فإن البعير يحس العَض والشدة كما يحس الإنسان وبذلك ظهر لك أن قوله شبه البلاء بالجمل الصعب الشَّموس على سبيل الإستعارة ايضاً لا معنى له اذ لم يشبهه ﷺ البلاء بالجمل بل شبه البلاء بالقتب وهو ظاهر ثم قال ﷺ ما أطول هذا العناء والشدة وأبعد أي ما أبعد هذا الرجاء وفيه إيماء إلى طول مدة المصائب وبعده الفرج وهو كما قال ﷺ وذلك لأن بعد شهادته ﷺ إلى زماننا هذا كان المسلمون في مَجْنٍ عظيم والآن ايضاً كذلك ولم يحصل لهم فرجٌ:

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ الْقُوا هَذِهِ الْأَزْمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ...

قال بعض المحققين في شرح العبارة اي ألقوا من أيديكم أزمّة الآراء الفاسدة والأعمال الكاسدة التي هي كالنوق والمراكب في حمل التبعات والآثام انتهى .

وقال الخوئي ﷺ فيكون المراد بالقاء أزمته الأعراض عنها والترك لها

وبالأثقال اثقال الخطايا والذنوب انتهى ما ذكره اقول والجامع ان يقال إتركوا هذا النفاق والفساد واجمعوا امركم على متابعة إمامكم ولا تخالفوه قال الله تعالى: ﴿مَاتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١)

□ قوله ﷺ: وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذْمُوا غِبَّ فِعَالِكُمْ...

اي ولا تفرقوا عن إمامكم الذي إفترضت طاعته لكم ويمكن ان يراد بكلامه ﷺ هذا معنى آخر وهو لا تفعلوا شيئاً يوجب تصديق إمامكم وإيقاعه فى مشقة وصعوبة فإنه من اندائه ومخالفته :

□ قوله ﷺ: وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا...

الفاء للتفريع اي ان تصدعوا عليه بالمخالفة واتباع الآراء والأهواء فلا محالة تدمون وتدمون انفسكم بعد ما علمتم سوء فعالكم وقبح اعمالكم هذا ان قلنا بان الفعل اعنى (فتذموا) مبنى للفاعل واما على كونه مبنياً للمفعول فالمعنى ان فعلتم كذلك فقد وقعتم موقع الذم فى الدنيا والآخرة.

ثم نهاهم عن الإقتحام والدخول فى نار الفتنة اذ لا يدخل فيها إلا المفسد المعاند واما المؤمن العاقل فهو يعلم ان فى دخوله فيها هلاك الدارين وخسران النشأتين وذلك لأن الفتنة بكسر الفاء مصدر قولك فتن فتنة والفتن فى الأصل إدخال الذهب النار لتظهر جودته من ردايته وفورها كناية عن شدتها فان الفور فى الاصل شدة الغليان ثم استعملت الفتنة فى كل حادثة لا يعلم حقيها من باطلها فكلما كان اختلاط الحق بالباطل اكثر واشد تكون الفتنة اصعب ولأجل ذلك نهينا عن الدخول فيها وقوله ﷺ: وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا أَي تَنَحُّوا وَأَبْعُدُوا عَنْ سُنَنِ الْفِتْنَةِ فَلَا تَمْشُوا فِي طَرِيقِهَا وَقَوْلُهُ وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا أَي دَعُّوا قَصْدَ سَبِيلِ الْفِتْنَةِ فَضْلاً عَنِ الدَّخُولِ فِيهَا وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَا تَقْصِدُوهَا أَصْلاً وَكُونُوا مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ.

□ قوله ﷺ: فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ...

ثم اقسام ﷺ بنفسه الشريفة وقال ﷺ فقد لعمرى يهلك فى لهبها اي فى لهب الفتنة المؤمن ويسلم فيها غير المسلم من الكفار والمنافقين اما ان المؤمن يهلك فيها فلائنه لا يمكن له المساعدة والموافقة معهم فلا جرم يهلك فيها واما ان غيره يسلم فيها فلائنه منهم وبعبارة اخرى السنخية بين المؤمن والمفسد مفقودة فدخول المؤمن فى حزب المفسدين المنافقين يوجب هلاكه واما غيره فليس كذلك.

□ قوله ﷺ: إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيُّ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا وَأَحْضِرُوا إِذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا...

شبهه ﷺ نفسه الشريفة بين المسلمين بالسراج فى الظلمة الذي يستضيء به من ولجها اي من دخل الظلمة فانه لا بد له من الإستضاءة به للخروج عنها وهذا كما قال الله تعالى فى رسوله وسراجاً منيراً.

ثم امرهم بالطاعة والانقياد فقال ﷺ فاسمعوا ايها الناس ما اقول لكم واحفظوه واحضروا آذان قلوبكم لتفهموا ما اقول اثبت ﷺ للقلوب آذاناً على سبيل الإستعارة وذلك لأن الفهم من شان القلب فكان له أذن يسمع بها واما الآذان الظاهرة فشانها الإستماع فقط والغرض من هذه الكلمات إطاعتهم عن إمامهم الذي تجب طاعته عليهم فان فيها سعادة الدارين كما ان فى تركها خسران النشأتين.



## ﴿ومن خطبة له﴾ (١٨٧)

□ قوله ﷺ: أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وكثرة حمدِهِ عَلَى آيِهِ إِلَيْكُمْ وَنِعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ فَكُمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسْتَرَكُمُ وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُم!

وَأوصيكم بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَأَقْلَالِ الْعَقْلَةِ عَنْهُ وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ وَطَمَعْتُمْ فِيْمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ فَكَفَى وَأَعْظَاءَ بِمَوْتِي عَايِنْتُمُوهُمْ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ وَأَنْزَلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ فَكَانَتْهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا وَكَانَ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا. أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ وَأَوْطِنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا لَأَعَنْ قَبِيحَ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ وَلَا فِي حَسَنَ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَادًا أَنْسُوا بِالدُّنْيَا فَعَرَّثَتْهُمْ وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.

فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تُعْمَرُوهَا وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَدُعَيْتُمْ إِلَيْهَا وَاسْتَمْتُمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْمُجَانِبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ.

◀ اللُّغَةُ

(أَعْوَرْتُمْ) أي أَبَدَيْتُمْ وَالْعَوْرَةَ بفتح العين كلُّ شَيْءٍ يَسْتِرُّهُ الْإِنْسَانُ حَيَاءً (إِقْلَال) مصدر قولك أَقْلَ يُقْلَلُ وَالْقِلَّةُ ضِدُّ الْكَثْرَةِ (يُوطِنُونَ) يُقَالُ أُوطِنَ الْمَكَانَ

◀ المعنى

(أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَّقْوَى اللَّهِ) اي فعل الطاعات وترك السيئات (وَكثْرَةَ حَمْدِهِ عَلَى آيَاتِهِ إِلَيْكُمْ وَتَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ) اي كثرة الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة فإن شكر المُنعم واجب عقلاً وشرعاً (وَبَلَاءِهِ لَدَيْكُمْ) اي وأوصيكم على كثرة الحمد على البلاء أيضاً فإنه في الحقيقة من الرّحمة الخفية (فَكَمْ خَصَّكُمْ) من بين موجوداته (بِنِعْمَةٍ وَتَدَارَكِكُمْ بِرَحْمَةٍ) من كثرة آياته النازلة والطافه الواصلة (أَعْوَزْتُمْ لَهُ) واظهرتم وكشفتكم (فَسَتَرَكُمْ) ولم يفضحكم (وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَاْمَهْلِكُمْ) ولم يعاجلكم بالعقوبة (وأوصيكم بذكر الموت) الذي لا بد منه (وَأَقْلَالَ الْغَفْلَةَ عَنْهُ) عن الموت (وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ) اي كيف تغفلون عن الموت وهو لا يغفلكم (وَطَمَعْتُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمِهْلِكُكُمْ) اي كيف تطمعون في الموت الذي لا يمهلكم اصلاً (فَكَفَى وَعِظاً) لكم (بِمَوْتِي عَايِنْتُمُوهُمْ) وشاهدتموهم (حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ وَأُنزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ) بل الناس حملوهم وانزلوهم فيها (فَكَانَهُمْ) أي الموتى (لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً وَكَانَ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً) وذلك لأنهم رحلوا الى الآخرة (أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ) من دار الدنيا (وَأَوْطِنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ) من الآخرة (وَاشْتَعَلُوا بِمَا فَارَقُوا) عنه من نعيم الدنيا (وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا) من نعيم الآخرة (لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازدياداً).

اي لا يستطيعون بعد الموت على إنتقال القبائح ولا على إزدياد الحسنات (انيسوا بالدُّنْيَا) الفانية (فَعَرَّثَهُمْ) الدُّنْيَا (وَوَثَّقُوا) وإطمانوا (بها) بالدنيا (فَصَرَعَتْهُمْ) واهلكتهم (فَسَابِقُوا) وبادرُوا (رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمْ الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تُعْمَرُوهَا) وهي منازل الآخرة (وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا) في

الكتاب والسنة (وَاسْتَسْتَمُوا نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْمُجَانِبَةِ) والتجنب (لِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ) ليس ببعيد (مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ) وهذه السرعة دليل على عدم بقاء الدنيا ونعيمها

### ◀ الشرح

□ قوله ﷻ: أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَكَثْرَةَ حَمْدِهِ عَلَى آيَاتِهِ إِلَيْكُمْ وَنِعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ...

أمرهم وأوصاهم بتقوى الله التي هي من أحسن الزاد في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>(١)</sup> و: ﴿وَلِيَبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿وَتَنَاجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وغير ذلك من الآيات وقد مرَّ الكلام في معنى التقوى وما ورد فيها في الكتاب والسنة بما لا مزيد عليه غير مرَّةٍ.

ثمَّ أوصاهم بكثرة حمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة التي ان تعدوها لا تحصوها فإن شكر المنعم واجب عقلاً وأما الشكر على بلائه فهو أيضاً حسن كالشكر على نعمائه ولا فرق في المقامين فإن البلاء أيضاً لكونه ناشئاً عن المصلحة نعمة على العبد وان كان هو لا يعلم به فالشكر عليه أيضاً واجب وقد مرَّ الكلام في الحمد والشكر أيضاً مفصلاً ولا سيما في المجلد الأول من هذا الكتاب.

□ قوله ﷻ: فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسْتَرَكُمُ وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمَّهَلَكُمُ...

لفظة كم تفيد الكثرة والمقصود ان الله تعالى قد خصكم بالنعم الكثيرة التي



لا تقدرُونَ على إحصائها وتدارككم برحمةٍ ولطفٍ كيف وقد أظهرتم المعصية وهو تعالى لكونه ستاراً لم يفضحكم وتعرضتم لِمَا هو موجبٌ لِمَا أخذته من الأعمال القبيحة والمعاصي الكبيرة وهو تعالى بمنه وكرمه لم يواخذكم عليها بل أمهلكم في الدنيا.

□ قوله ﷺ: وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَأَقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ...

ثم قال ﷺ: وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَذَلِكَ لِأَنَّ ذِكْرَهُ يُوجِبُ التَّهَيُّؤَ لِسَفَرِ الْآخِرَةِ وَلَازِمَهُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الدُّنْيَا وَإِخْرَاجُ حُبِّهَا عَنِ الْقَلْبِ كَمَا أَنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ الْمَوْتِ تُوْجِبُ نَسْيَانَ الْآخِرَةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ نَسْيَانَ الْآخِرَةِ يُوجِبُ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الدُّنْيَا وَالرُّكُونَ عَلَيْهَا وَالْمَحَبَّةَ لَهَا وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا رَاسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَلِذَلِكَ وَرَدَتِ الْآيَاتُ فِي التَّرْغِيبِ إِلَى الْمَوْتِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)

قال الصادق ﷺ ذكر الموت يُميت الشهوات في النفس، ويقطع منابت الغفلة ويُقوي القلب بمواعد الله، ويرق الطبع، ويكسر اعلام الهوى ويطفي نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى ما قال النبي ﷺ تفكر ساعة خير من عبادة سنة، وذلك عندما يحل اطناب خيام الدنيا ويشدها في الآخرة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيامة فلا خير فيه قال النبي ﷺ اذكروا هادم اللذات قيل وما هو يا رسول الله فقال الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا ولا في شدة إلا اتسعت عليه وساق الحديث الى ان قال وفي الموت نجات المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق الى الموت وكره من كره قال النبي ﷺ من احب لقاء الله احب لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله

لقاءً أنتهى «تسليية الفؤاد ص ١٨»...

وفى آمالى الصّدوق عن الصّادق عليه السلام عن آباءه قال رسول الله صلى الله عليه وآله أكيس النّاس من كان اشدّ ذكراً للموت أنتهى «تسليية الفؤاد ص ١٨»...

وايضاً عن الصّادق عن آباءه قال النّبى صلى الله عليه وآله إستحيوا من الله حقّ الحياء قالوا وما نفعل يا رسول الله قال صلى الله عليه وآله فان كنتم فاعلين فلا يتبين احدكم إلا واجله بين عينيه وليحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر القبر والبلى ومن اراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدّنيا أنتهى «ص - ١٩»...

وفى الخصال عن عليّ عليه السلام (اكثرُوا ذكر الموت ويوم خروجكم من القبور وقيامكم بين يدي الله عزّ وجلّ تهون عليكم المصائب أنتهى «ص - ٢٠» والأخبار كثيرة:

وقوله عليه السلام: وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ إِشَارَةَ إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا يُغْفَلُ عَمَّا أَبَدًا فَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ لَا يُغْفَلُ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُغْفَلَ الْإِنْسَانُ عَنْهُ أَيْضًا وَلَا جَلْ هَذَا اتَى عليه السلام بكلمة (كيف) على سبيل التّعجب وقوله عليه السلام: وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ، أَي كَيْفَ تَطْمَعُونَ فِي الْمَوْتِ الَّذِي لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ حِينَ دُنِيَ أَجْلُكُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١)

قوله عليه السلام: فَكَفَى وَأَعْظَى بِمَوْتِي عَايَشْتُمُوهُمْ حُمَلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ وَأَنْزَلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ...

اي انكم لا تحتاجون الى الموعظة والنصيحة بعد مشاهدتكم الموتى حملوا الى قبورهم غير راكبين لعدم قدرتهم على الركوب وأنزلوا فيها أي فى القبور غير نازلين بميلهم وإختيارهم بل أنزلوهم فيها من غير سؤال وإستمزاج كما قال:

□ قوله عليه السلام: فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا وَكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا...

اي فكان الموتى لم يكونوا عامرين للدنيا وكان الآخرة كانت لهم مقراً ومقاماً ولم يكونوا في الدنيا اصلاً ولنعم ما قيل:

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

□ قوله ﷺ: أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ وَأَوْطِنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ...

اي أوحشوا بموتهم ما كانوا يوطنون من دار الدنيا وأوطنوا ما كانوا في الدنيا يوحشون منه وهو عالم القبر والبرزخ والقيامة وبعبارة أخرى وقعوا فيما خافوا منه.

□ قوله ﷺ: وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا...

اي وإشتغلوا في الدنيا بما فارقوا منه واضاعوا وابتلوا ما اليه إنقلبوا بالموت من اعمال الصالحة وبعبارة أخرى ضيعوا أوقاتهم في الدنيا التي فارقوها بالإشتغال بها واضاعوا آخرتهم بالغفلة عنها وعدم التوجه اليها وذلك هو الخسران المبين.

□ قوله ﷺ: لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازدياداً... والمقصود ان بعد الموت لا يقدر على شيء فلا يستطيعون انتقال القبائح بالحسنات ولا يمكن لهم ازدياد الحسنات وإنما يمكن لهم ذلك قبل الموت لا بعده.

□ قوله ﷺ: انسوا بالدنيا فغرتهم ووثقوا بها فصرتهم...

اي انسوا وإطمأنوا بالدنيا ووطنوا انهم فيها ابداً فغرتهم الدنيا ووثقوا وركنوا اليها فاهلكتهم وغلبتهم فصاروا مغرورين بها مقهورين فيها.

□ قوله ﷺ: فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَىٰ مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تُعْمُرُوهَا وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَاسْتَمْتُمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَالْمُجَانِبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ...

اي اذا كان كذلك فسابقوا وسارعوا الى منازلكم التي أمرتم من الله ورشوله

أن تُعمروها بالأعمال الصالحة ورُغِبْتُمْ فيها في الكتاب والسنة ودُعِيتُمْ إليها كذلك وهو عالم الآخرة كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (١)

وقوله ﷺ: **وَاسْتَسْتَمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ** الخ معناه اطلبوا تمام النعمة بالصبر على الطاعة والتجنب عن المعصية والمراد بالصبر على الطاعة والاجتناب عن المعصية المواظبة على فعل الطاعات وترك المعاصي وهذه المواظبة تُعبّر عنها بالشكر العملي الذي هو مصداقه الكامل في قوله تعالى: ﴿لِنُنْشِكِرَنَّكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٢)

وحيث أن الشكر في الآية الشريفة يوجب إزدياد النعمة وإكمالها وإتمامها من المنعم على العبد فقال ﷺ: **وَاسْتَسْتَمُوا** الخ اي اطلبوا تمام النعمة بما ذكرناه عملاً لا باللفظ فقط.

□ قوله ﷺ: **فَإِنَّ غَدًا مِّنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ...**

المُرَاد بِالْغَدِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (٣)

وذلك لأن مَضَى السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ وَالْيَوْمِ فِي الشَّهْرِ وَالشَّهْرِ فِي السَّنَةِ وَالسَّنَةِ فِي الْعُمُرِ سَرِيعاً مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَالسَّرُّ فِيهِ أَنَّ الزَّمَانَ عِبَارَةٌ عَنِ الْآنَاتِ وَهِيَ تَدْرِيجِيَّةُ الْحُضُورِ لَا وَجُودَ لَهَا ذَاتاً وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَيْسَ الزَّمَانُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَتَّصِلَةِ الْقَارَةِ بَلْ هُوَ مُتَّصِرٌ وَمَعْنَى التَّصَرُّمِ فِيهِ هُوَ أَنَّ وَجُودَهُ فِي عَدَمِهِ وَعَدَمُهُ فِي وَجُودِهِ إِذْ كُلُّ آنٍ فِيهِ لَا يَوْجُدُ إِلَّا بَعْدَ إِنْعَادِ الْآنِ السَّابِقِ وَإِذَا كَانَ الزَّمَانُ هَكَذَا فَالسَّاعَاتُ وَالْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ وَالسِّنِينَ وَالْعُمُرُ أَيْضاً لَا بَقَاءَ لَهَا ذَاتاً لِأَنَّهَا مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الْآنَاتِ فِي الْحَقِيقَةِ كَمَا قِيلَ:

كلّ ما في الكون وهمٌ او خيال او عكوسٌ في المرايا او ظلال  
فمن اعتمد على الحياة الدّنيا فقد اعتمد على امرٍ موهوم وهو كما ترى لا ينبغي  
للعاقل اللّبيب.

## ومن كلام له عليه السلام (١٨٨)

□ قوله عليه السلام: فَمِنَ الْإِيْمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فِقْفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

وَالهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْأُمَّةِ وَمُعَلِّمِهَا لَا يَقَعُ إِسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ وَلَا يَقَعُ إِسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيْمَانِ وَلَا يَبْعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنْنِي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةً تَطَّاءُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا.

◀ اللِّغَةُ

(عَوَارِي) جمع عارية (وَعَاها) حَفِظْها (أَحْلَامٌ) الأحلام العقول (تَشْغَرَ)

يقال شغرت برجلها إذا رفعها (خِطَامِهَا) الخطم بالخاء المعجمة والطاء المهملة من كل طائر منقاره ومن الدابة مقدم انفه.

(فَمِنَ الْإِيمَانِ) كلمة من للتبعض اي بعض الإيمان (مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقْرَأً فِي الْقُلُوبِ) بحيث لا يزول عنها (وَمِنْهُ) ومن الإيمان (مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ) فلا يكون مستقراً فيها (وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ) ومدّة (مَعْلُومٍ) ثم بعد حلول الأجل يزول عنها (فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ) وأما قبل ذلك فلا يمكن الحكم فيه بشي كما قال ﷺ (فَعِنْدَ ذَلِكَ) اي عند حضور الموت (يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ) فيعلم انه مؤمن او غير مؤمن (وَالهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ) لا تتغير ولا تتبدل (مَا كَانَ) كلمة (مَا) للنفي (لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ) لكونه غنياً بذاته عما سواه (مِنْ مُسْتَسِيرِ الْأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا) أي من استسّر بها ومن أعلن بها (لَا يَقَعُ إِسْمُ الْهِجْرَةِ) واقعاً (عَلَى أَحَدٍ) من الناس (بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ) فإن الأرض لا تخلو عنها (فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا) أي عرف الحجة واقرب بها (فَهُوَ مُهَاجِرٌ) حقاً (وَلَا يَقَعُ إِسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا) اي الحجة (أُذُنُهُ وَوَعَاهَا) وحفظها (قَلْبُهُ) وضميره.

(إِنَّ أَمْرَنَا) اهل البيت (صَعْبٌ مُسْتَضَعَّبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ) بالله وبرسوله (إِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَلَا يَبْعِي) اي لا يحفظ (حَدِيثَنَا إِلَّا صِدُورٌ أَمِينَةٌ) على حفظ الأمانات (وَأَحْلَامٌ) وعقول (رَزِينَةٌ) أي ذات ثقل ووقار. (أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي) بالموت (فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ) وعوالم الملكوت (أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ) والحوادث فيها (قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ) وترفع (بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَّاءُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا) والمراد بالفتنة فتنة بنى أمية أو مطلقاً.

□ قوله ﷺ: فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقْرَأً فِي الْقُلُوبِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ...  
كلمة (من) في قوله ﷺ: فَمِنَ الْإِيمَانِ للتبعض اي بعض الإيمان كذلك

وبعضه كذلك والمعنى ان الإيمان تارة يكون على وجه الرسوخ في القلب ويُعبر عنه بالملكة احياناً وعلامته بثبوته فيه على وجه الإستقرار الخالى عن التزلزل والإضطراب فلا يزول عن القلب اصلاً وهو الذي اشار الله تعالى اليه في كتابه حيث قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١)

و: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ إِنِّي مَعَكُمْ فَنُثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢) وغيرها من الآيات:

وأخرى لا يكون كذلك لعدم بلوغه الى حدّ اليقين فهو في معرض الزوال والفساء ولأجل هذا شبهه عليه السلام بالعواري فإن العارية في معرض الرّد والإسترجاع في وقتٍ معين فالتعبير عنه بالإيمان إنما هو بحسب اللفظ والعرف العام وإلا فهو في الحقيقة ليس من الإيمان وذلك لأن الإيمان الحقيقي لا يطلق على غير الملكة الراسخة في القلب وهذا التقسيم جارٍ في تمام الأوصاف والكمالات في ظاهر الأمر ومن المعلوم ان الواقع شيء واحد لا تعدد فيه ولا تغيير له ولأجل هذا قد يُعبر عن الأوّل بالإيمان الحقيقي وعن الثاني بالإيمان الظاهري الذي قالت الأعراب أما فقال تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا كِنُ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٣) وهذا الإيمان هو الإسلام بعينه والدليل على ما قلناه ان الإيمان له أصول أربعة كلها ملكة وهو يدل على عدم تحقّق الإيمان في صورة عدم الرسوخ في القلب وصورته ملكة فيه فقد روي في الكافي باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال سئل امير المؤمنين عن الإيمان فقال عليه السلام ان الله عزّ وجلّ جعل الإيمان على اربع دعائم، على الصبر، واليقين، والعدل والجهد الحديث وقد ثبت في علم الأخلاق ان أصول الفضائل الخلقية التي هي كمال الإيمان أربعاً هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدل، فعبر عن الحكمة باليقين وعن العفة بالصبر وعن الشجاعة بالجهد إطلاقاً لإسم الملزوم على لازمه ولا شك في كونها من الملكات واذا كانت



الدَّعَائِمُ الَّتِي بُنِيَ الْإِيمَانُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ فَالْإِيمَانُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِوُجُودِ هَذِهِ الْمَلَكَاتِ فِي النَّفْسِ وَأَجَلَ هَذَا قَلْنَا أَنَّ الْإِيمَانَ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ إِلَّا قِسْمًا وَاجِدًا وَهُوَ الْمَلَكَةُ الثَّابِتَةُ فِي النَّفْسِ وَأَمَّا غَيْرُهَا فَهُوَ مُشْتَرِكٌ مَعَهُ لَفْظًا لَا مَعْنَى وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ أَنَّهُ شَبِيهٌ بِهِ وَلَيْسَ مِنْهُ وَكَيْفَ كَانَ فَلَا شَكَّ فِي إِطْلَاقِ إِسْمِ الْإِيمَانِ عَلَيَّ. الْقِسْمُ الثَّانِي فِي عُرْفِ الْعَوَامِ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ مِنْهُ فِي الْإِيمَانِ مَعْنَى وَحَقِيقَتِهِ وَالْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي مَدْحِهِ وَسِيَاتِي تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِيهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ:

□ قوله ﷺ: فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَاقْفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ...

اي اذا كان الأيمان بحسب الأَصْطِلَاحِ عَلَى قِسْمَيْنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِ ثَابِتٍ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْحُكْمُ بِوُجُودِهِ وَعَدَمِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ أَوِ الثَّانِي فِي بَادِي الْأَمْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَخْصٍ أَوْ اشْخَاصٍ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ بِكَوْنِ الْإِيمَانِ ثَابِتًا مُسْتَقَرًّا فِي قَلْبِهِ أَوْ غَيْرِ ثَابِتٍ فِيهِ نَعَمْ يُمْكِنُ الْحُكْمُ بِوُجُودِهِ فِيهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ هَذَا فِي طَرَفِ الْإِثْبَاتِ وَأَمَّا فِي طَرَفِ النِّقْيِ فَهُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ بَلْ هُوَ أَوْلَى فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ الْبَرَاءَةَ مِنْ أَحَدٍ بِمُجَرَّدِ الظَّنِّ بِعَدَمِ الْإِيمَانِ فِي حَقِّهِ إِذْ لَا يَبْعَدُ كَوْنُهُ مُؤْمِنًا حَقًّا وَهُوَ أَيُّ الْمُتَبَرِّيِّ لَا يَعْلَمُ بِهِ كَمَا أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ فِيهِ مُسْتَعَارًا يَزُولُ عَنْهُ قَبْلَ مَوْتِهِ وَالْمُتَبَرِّيُّ يَظُنُّ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا بِالْإِيمَانِ الثَّابِتِ فَالْحَقُّ فِي الْمَقَامِ هُوَ عَدَمُ التَّبَرِّيِّ عَنْهُ قَبْلَ مَوْتِهِ وَأَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ أَوْ لَا وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: فَاقْفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ وَأَمَّا قَالَ ﷺ: ذَلِكَ لِأَنَّ كَثِيرًا مَا يَرَى بَعْضُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالْإِيمَانِ بِحَيْثُ يُظَنُّ فِيهِمْ الْإِيمَانُ حَقًّا ثُمَّ نَرَى خُرُوجَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَبِالْعَكْسِ لَا تَرَى أَنَّ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَامْتَالَهُمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ ثُمَّ خَرَجُوا عَنْهُ وَمَاتُوا عَلَى الْإِرْتِدَادِ وَأَمَّا حُرُّ بْنُ يَزِيدَ الرَّيَّاحِيُّ وَامْتَالَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الظَّاهِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَاتُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَصَارُوا مِنَ الشُّهَدَاءِ وَهَذَا الْأَصْلُ مُسْتَمِرٌّ فِي النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهِ فَلَا يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الدَّعَاءِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَوَاقِبَ أُمُورِنَا خَيْرًا هَذَا كُلُّهُ فِي الْبَرَاءَةِ:

قوله ﷺ: وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ حَدِّهَا الْأَوَّلِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِيرِ الْأُمَّةِ وَمُعَلِّنِهَا...

الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره أما بالبدن أو باللسان أو بالقلب والمهاجرة في الأصل مصارمة الغير ومشاركته وقد تطلق الهجرة على ترك الشهوات والأخلاق الذميمة والسيئات من الأعمال وهذا هو الأصل فيها وإلا فالهجرة من مكان إلى مكان فهو امرٌ سهلٌ وعلى هذا المعنى يُحمل كلامه ﷺ في المقام فإن الهجرة التي لا تتغير ولا تتبدل بل هي باقية على حد الأول هي الإعراض عما سوى الحق والتوجه إلى الله والرسول والأئمة وإن شئت قلت ترك الباطل والأخذ بالحق وإنما ذكر ﷺ الهجرة بعد البراءة إشعاراً بأن البرائة من شخص أو اشخاص لا تكفي في طريق الحق والسير إلى الله تعالى بعد ما قلنا أن حدّها حضور الموت إذ من المحتمل أن يكون المُتَّبِرِي في تَبَرُّثِهِ على خطأ محض وأما الهجرة فليست كذلك إذ هي على حدّها الأول فالمؤمن حقاً من كان مهاجراً من الباطل إلى الحق لا من كان مُتَّبِرّاً فقط وحيث كان كثيراً من أصحابه يتبرؤون من بعض فقال ﷺ ما قال إرشاداً لهم بأن هذا ليس بصحيح إذ لا يبعد أن يكون المُتَّبِرُّ منه من المؤمنين وهم لا يعلمون به وربما يكون بالعكس وعليه فلا بدّ للمُتَّبِرِّ أن يقف المُتَّبِرُّ منه حتى يحضره الموت فيعلم حاله وهذا بخلاف الهجرة فإنها لا تنقسم إلى قسمين بل هي على حدّها الأول من وجودها وعدمها وليس المراد بها معناها العرفي العامي اعني الهجرة من مكة إلى المدينة بل المراد بها ترك السيئات ورفض الشهوات في طريق السلوك إلى الله.

وبعبارة أخرى: ليس المراد بها الهجرة من مكان إلى مكان بل الهجرة من الباطل إلى الحق وهذا هو الملاك في كون المهاجر مؤمناً حقاً.

وأما قوله ﷺ: مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ إِلَىٰ آخِرِ كَلَامِهِ فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ غَنَىٰ بِالذَّاتِ عَمَّا سِوَاهُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ إِذَا الْإِحْتِيَاجُ يَوْجِبُ الْإِمْكَانَ بَلْ هُوَ عَيْنُهُ وَالْمُرَادُ بِالْمُسْتَسِيرِ مَا تُسْتَسِرُهُ الْأُمَّةُ مِنَ الْأَعْتِقَادِ الصَّحِيحِ وَبِالْمُعَلَّنِ مَا تَعَلَّنَهُ الْأُمَّةُ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْجَامِعُ عَدَمُ إِحْتِيَاجِهِ تَعَالَىٰ إِلَىٰ

إعتقادهم واعمالهم:

قوله ﷺ: لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ...

اي ان الهجرة ليس المراد بها ما ظنّه اكثر الناس من ترك بلدٍ او مكانٍ والنزول في بلدٍ آخر كمن هاجر من مكة الى المدينة فان هذا امرٌ سهل لا يُوجب عِزاً ولا شرفاً اذا لم تجتمع فيها شرائطها لإمكان صدورها عن المنافق والكافر بل الهجرة الحقيقية التي نحن بصدد البحث عنها عبارة عن معرفة الحُجَّة في الأرض فمن عرف الحُجَّة واقراً وإعتقد بكونها حُجَّة من الله على خلقه فهو مهاجر حقاً والمراد بالحُجَّة في المقام هو الإمام الذي إفترض الله طاعته على الأنام سواء كان نبياً ورسولاً ام وصياً للرّسول فان الوصى حُجَّة كما ان الرّسول حجة والأرض لا تخلو منها اصلاً وعليه فمن هاجر من مكانٍ الى مكانٍ آخر ولو بمصاحبة الرّسول ولم يعرفه حق المعرفة فليس بمهاجرٍ واقعاً وهكذا بالنسبة الى الوصى وقد تكلمنا في ما مضى في معنى الحُجَّة ولزومها وان الأرض لا تخلو منها بما لا مزيد عليه وغرضه ﷺ من هذا الكلام في هذا المقام هو ان بعض اصحابه بل اكثرهم كانوا يفتخرون بهجرتهم من مكة الى المدينة ويظنون انهم يُحسنون صنعاً وبعض آخر وان لم يهاجروا كذلك ولكنهم بحُبهم ومودتهم للمهاجرين الذين هاجروا مع النبي الى المدينة ظنوا ان حبهم اياهم من الايمان فقال ﷺ لهم ما قال وحاصله ان الامر ليس كما تظنون والهجرة ليست كما تعرفون بل الهجرة عبارة عن معرفة الحُجَّة واراد بها نفسه الشريفة بعد الرّسول فمن عرفها وإعتقد بها فهو مهاجر ومن لم يعرفها فلا كائناً من كان.

□ قوله ﷺ: وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَعَاَهَا قَلْبُهُ...

الإستضعاف ضد الهجرة فالمستضعف عبارة عمّن لا يهاجر مع وجود شرائط الهجرة وانما يقال له ذلك لأنه في الحقيقة قد قبل الضعف والحقارة مع كونه قادراً على عدم قبول الضعف بسبب الهجرة والى هذا أشير في

الكتاب بقوله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أُنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ (١) دَلَّتْ الآيَاتُ عَلَى ذَمِّ الإِسْتِضْعَافِ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ قَبُولَ الضَّعْفِ إِلاَّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ بِسَبَبِ الهِجْرَةِ وَحَيْثُ أَنَّ الهِجْرَةَ عَلَى مَا عَرَفَهَا ﷺ عبارة عن معرفة الحُجَّةِ فِي الأَرْضِ فَالْمُسْتَضْعَفُ عبارة عَمَّنْ لَا يَعْرِفُهَا وَإِنْ كَانَ مَهَاجِرًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا وَلَوْ فِي بَيْتِهِ فَهُوَ مَهَاجِرٌ حَقًّا فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الإِسْتِضْعَافِ وَالنَّاسُ هَذَا الْمَعْنَى إِشَارًا بِقَوْلِهِ وَلَا يَقَعُ اسْمُ الإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الحُجَّةُ فَسَمِعَهَا بِأُذُنِهِ وَسَمِعَهُ وَوَعَاها وَحَفِظَهَا قَلْبُهُ بِالِإِعْتِقَادِ الرَّاسِخِ وَخِلَاصَةِ الكَلَامِ أَنَّ مَنْ عَرَفَ الحُجَّةَ فَهُوَ مَهَاجِرٌ سِوَاكَ كَانَ فِي بَيْتِهِ أَمْ لَمْ يَكُنْ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهَا فَهُوَ مُسْتَضْعَفٌ كَذَلِكَ فَالْمَلَائِكَةُ فِي صِدْقِ اسْمِ المَهَاجِرِ وَالْمُسْتَضْعَفِ هُوَ مَعْرِفَةُ الحُجَّةِ وَعَدَمُهَا وَمَنْ ظَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَخْطَأَ وَضَلَّ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَلَا يَبْعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ...»

لَمَّا فَرَّغَ ﷺ عَنْ بَيَانِ مَعْنَى البرائةِ وَالهِجْرَةِ وَالِإِسْتِضْعَافِ وَقَالَ ﷺ لَا يَقَعُ اسْمُ الهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ الحُجَّةِ فِي الأَرْضِ عِلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ أَنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ الْخِ أَيُّ أَنَّ مَعْرِفَةَ الحُجَّةِ لَيْسَتْ مِنَ الأُمُورِ السَّهْلَةِ الَّتِي يُمْكِنُ لِكُلِّ أَحَدٍ الوُصُولَ إِلَيْهَا بَلْ هِيَ مِنَ الأُمُورِ الصَّعْبَةِ، فَالْمُرَادُ بِالْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ أَمْرَنَا المَعْرِفَةَ الكَامِلَةَ بِالحُجَّةِ وَهِيَ الَّتِي لَا يَحْمِلُهَا إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ الَّذِي إِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ هَذَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَصْلِ المَعْرِفَةِ:

وَأَمَّا أَحَادِيثُ الإِمَامِ الَّتِي هِيَ مِنَ الأَسْرَارِ فَلَا تَحْفَظُهَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَقُلُوبٌ صَافِيَةٌ بَرِيئَةٌ عَنِ الخِيَانَةِ وَأَحْلَامٌ وَعُقُولٌ لَهَا وَقَارٌ وَرِزَانَةٌ وَقَدْ وَرَدَ كَثِيرٌ

من الأخبار بهذه المضامين عنهم عليهم السلام لا بأس بالإشارة إلى شطرٍ منها:  
 روى في البحار عن امير المؤمنين عليه السلام أنه قال - خالطوا الناس بما  
 يعرفون ودعواهم ما ينكرون ولا تحملوهم على انفسكم وعلينا ان امرنا  
 صعبٌ مُستصعب لا يحتمله الا ملكٌ مُقرب او نبيٌّ مُرسل او عبدٌ قد اِمْتَحَنَ  
 الله قلبه للإيمان «ج ١ ص ١١٧ ط كمياني»...

وباسناده عن بعض اهل المدائن قال كتبت إلى ابي مُحَمَّد عليه السلام روي لنا عن  
 آبائكم ان حديثكم صعبٌ مُستصعب لا يحتمله ملكٌ مُقرب ولا نبيٌّ مُرسل  
 ولا مؤمنٌ اِمْتَحَنَ الله قلبه للإيمان قال فجاء الجواب انما معناه ان الملك لا  
 يحتمله في جوفه حتى يخرج به الى ملك مثله ولا يحتمله نبي حتى يخرج به  
 الى نبي مثله ولا يحتمله مؤمن حتى يخرج به الى مؤمن مثله انما معناه ان لا  
 يحتمله في قلبه من حلاوة ماهو في صدره حتى يخرج به الى غيره انتهى «  
 ص ١١٨»...

وباسناده عن سدير قال سألت ابا عبد الله عن قول امير المؤمنين عليه السلام ان  
 امرنا صعبٌ مُستصعب لا يقربه الا ملكٌ مُقرب او نبيٌّ مُرسل او عبدٌ اِمْتَحَنَ  
 الله قلبه للإيمان فقال عليه السلام ان من الملائكة مُقربين وغير مُقربين ومن الأنبياء  
 مُرسلين وغير مُرسلين ومن المؤمنين مُمتحنين وغير مُمتحنين فعرض  
 امركم هذا على الملائكة فلم يقربه الا المُقربون وعرض على الأنبياء فلم يقربه  
 الا المُرسلون وعرض على المؤمنين فلم يقربه الا المُمتحنون قال ثم قال  
 لي مر في حديثك انتهى «ص ١١٨»...

وباسناده عن جابر قال قال ابو جعفر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان حديث  
 آل مُحَمَّد صعبٌ مُستصعب لا يؤمن به الا ملكٌ مُقرب او نبيٌّ مُرسل او عبدٌ  
 اِمْتَحَنَ الله قلبه للإيمان فما عرض عليكم من حديث آل مُحَمَّد فلانت له  
 قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اِشمازت قلوبكم وانكرتموه فردوه الى الله  
 والى الرسول والى العالم من آل مُحَمَّد وانما الهالك ان يحدث بشيء منه ولا  
 يحتمله فيقول والله ما كان هذا شيئاً والإنكار هو الكفر انتهى «ص ١١٩»...  
 وباسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال ان حديثنا صعبٌ مُستصعب لا يحتمله

الأثلاث، نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن إمتحن الله قلبه للإيمان ثم قال  
أبا حمزة الا ترى أنه إختار لأمرنا من الملائكة المقربين، ومن النبيين،  
المُرسلين، ومن المؤمنين، الممتحنين انتهى «ص ١١٩»...

وباسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال انّ حديثنا صعبٌ مُستصعب لا يحتمله  
الأصُدورُ مُنيرة او قلوب سليمة واخلق حسنة انّ الله اخذ من شيعتنا  
الميثاق كما اخذ على بنى آدم حيث يقول عزّ وجلّ: (واذا اخذ ربك من بنى  
آدم من ظهورهم وذريبتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى)  
فمن وفى لنا وفى الله له بالجنة ومن ابغضنا او لم يرّد الينا حقاً ففى النار  
خالداً مُخلداً انتهى «ص ١١٩» والاحاديث كثيرة.

□ قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنْنِي  
بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةً تَطَاءُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ  
قَوْمِهَا...

ثم خاطب عليه السلام اصحابه وقال لهم سلوني قبل ان تفقدوني بالموت وذلك  
لأننى بطرق السماء اعلم منى بطرق الأرض وقد مرّ الكلام فيه مُفضلاً  
واستدللنا عليه عقلاً ونقلاً واظنّ انه من المُجمع عليه عند الفريقين ولا ينكره  
إلا متعصبٌ عنيد ولنعم ما قيل فيه:

وَمَنْ ذَا يُسَامِيهِ بِمَجْدٍ وَلَمْ يَزَلْ

يَقُولُ سَلُونِي مَا يَحِلُّ وَيَحْرَمُ

سَلُونِي فِي جَنِّبِي عِلْمٌ وَرِثَةٌ

عَنِ الْمُصْطَفَى مَا فَاتَ مِنِّي بِهِ الْقَم

سَلُونِي عَنِ طُرُقِ السَّمَوَاتِ أَنَّنِي

بِهَا عَنِ سُلُوكِ الطَّرِيقِ فِي الْأَرْضِ أَعْلَمُ

وَلَوْ كَشَفَ اللَّهُ الْغَطَاءَ لَمْ أَزِدْ بِهِ

يَقِيناً عَلَيَّ مَا كُنْتُ أَدْرِي وَأَفْهَمُ

وايضاً:

ما زلتُ بعد رسول الله منفرداً بحراً يفيض على الوُراد زاخره

امواجه العلم والبرهان لجمته  
وايضاً:

قلت سلوني قبل فقدي ان لي  
علماً وما فيكم له مستودع  
وايضاً:

مدينة العلم علي بابها  
أم هل سمعتم قبله من قائل  
وكل من حاد عن الباب جهل  
قال سلوني قبل إدراك الأجل

وأما قوله عليه السلام: **فَلَا نَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ**، فهو إشارة إلى نكتة وهي أن علمي لا اختصاص له بالمحسوسات بالحواس الظاهرة بل أنا بما وراء عالم المادة اعلم أو المراد أنني عالم بطرق السماء فضلاً عن طرق الأرض والحاصل ليس المراد أنه عليه السلام كان اعلم حقيقةً بطرق السماء من طرق الأرض بل علمه بالكل كان واحداً فهو عليه السلام كان عالماً بطرق السماء كما كان عالماً بطرق الأرض من غير فرق بين الموردين وإنما قال عليه السلام ذلك لإثبات علمه عليه السلام بكل الأشياء وإن لا يظن ظان أنه عليه السلام لا يكون عالماً بالسموات وطرقها وهذا كما يقال أنني اعلم بالمعضلات مني بغيرها كما إذا قال حكيم أنني اعرف بالاسفار والسفء مني بالمنظومة والتجريد مثلاً وأما المراد بطرق السماء فالظاهر أنه عليه السلام أراد بها مجاري الأمور المقدرة النازلة من عالم الأمر إلى عالم الخلق ولا يبعد أن يكون المراد بها طرقها الظاهرة المحسوسة عند أهله إذ لا شك أن فيها سكاناً وطرقاً كالأرض.

وقوله عليه السلام: **قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا** إلى آخر كلامه مربوط بقوله عليه السلام: **سَلُونِي** قبل أن تفقدوني أي سلوني عما شئتم قبل أن تشغرو وترفع برجلها فتنة تطافي خطامها وتذهب باحلام قومها أي قبل أن زالت عقولهم عن حفظها وضبطها شبه عليه السلام الفتنة التي أخبر بها بالبعير الشموس الذي لا يقدر قائده على إمساكه فإثبات الشغر بالرجل والوظء في الخطام تخيل وترشيح للإستعارة وحاصل المعنى سلوني قبل وقوع الفتنة التي يذوب فيها قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء وأما أنها فتنة بني أمية أو فتنة بني العباس فلا يهمننا البحث فيه والحمد لله رب العالمين.

ومن خطبة له (١٨٩)

□ قوله ﷺ: أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ عَزِيزَ الْجُنْدِ عَظِيمِ الْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنِ دِينِهِ لَا يَتَّخِيهِ عَنِ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَالْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ. فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتَهُ وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتَهُ وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمْرَاتِهِ وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزْوَلِهِ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ وَمُعْتَبْرًا لِمَنْ جَهَلَ وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ وَشِدَّةِ الْأَبْلَاسِ وَهَوْلِ الْمَطْلَعِ وَرَوْعَاتِ الْفَرْعِ وَإِخْتِلَافِ الْأَضْلَاحِ وَإِسْتِكَاحِ الْأَسْمَاعِ وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ وَخِيفَةِ الْوَعْدِ وَغَمِّ الضَّرِيحِ وَرَدَمِ الصَّفِيحِ.

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ سَنَى وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ وَكَانَتْهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَأَزَفَتْ بِأَفْرَاطِهَا وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا وَكَانَتْهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَّازِلِهَا وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا وَآخَرَجَتْهُمْ مِنْ حَضْنِهَا فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًا وَسَمِينُهَا غَشًّا فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا عَالٍ لَجَبِهَا سَاطِعٍ لَهَبِهَا مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا مَتَاجِحٍ سَعِيرُهَا بَعِيدٍ خُمُودُهَا ذَاكٍ وَقُودُهَا مَخُوفٍ وَعَيْدُهَا عَمَّ قَرَارُهَا مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا حَامِيَةٌ قُدُورُهَا فَطِيعَةٌ أُمُورُهَا وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا قَدْ آمِنَ الْعَذَابُ وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ وَرُحِرُوا عَنِ النَّارِ



وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
زَاكِيَةً وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَإِسْتِغْفَاراً.

وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوْحُّشاً وَانْقِطَاعاً فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبأً وَلِجَزَاءِ ثَوَاباً  
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَنَعِيمٍ قَائِمٍ. قَارِعُوا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَايَتِهِ  
يَفُوزُ فَائِزُكُمْ وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ وَبِبَادِرُوا أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَانْكُمُ  
مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ وَكَانَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَةَ  
تَنَالُونَ وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَعَفَا عَنَّا  
وَعَنكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

الزُّمُوا الْأَرْضَ وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي  
هَوَى السِّتِّكُمْ وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى  
فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ  
عَلَى اللَّهِ وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ  
لِسَيْفِهِ وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

### ◀ اللغة

(وَظَائِفِ) جمع وظيفة وهي المُقَدَّرَةُ (لَا يَثْنِيهِ) من ثنى يثنى ثنياً إذا رددته  
وصرفته (ذِرْوَتُهُ) الذُّرُوءُ بضم الذال وكسرهما على الشَّيْءِ (عَمْرَاتِهِ) جمع غمرة  
وهي الشدة والبلىة (الأرْمَاسِ) جمع الرَّمْسِ وهو الثراب سُمِّيَ به القبر  
(الأَبْلَاسِ) مصدر ابلس الرجل إذا حَزَنَ أو آيسَ ومنه يُسَمَّى الشيطان به  
(المَطَّلَعِ) بتشديد الطاء المهملة موقف القيامة (إِسْتِكَأَكِ) مصدر من إسْتَكَّ يقال  
إِسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُ أَي صَمَّتْ (اللَّحْدِ) بسكون الحاء المهملة الشَّقُّ فِي جَانِبِ  
القبر والجمع منه على لُحُودِ كِفْلَسٍ وَفِلُوسٍ (رَدَمٍ) رَدَمٌ إِذَا سَدَّ (الصَّفِيحِ)  
الصَّفْحُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ جَنْبُهُ (قَرْنٍ) مُحَرِّكَةُ الْحَبْلِ الَّذِي يَشُدُّ بِهِ الْبَعِيرَ (أَشْرَاطِهَا)  
جمع شَرَطَ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ الْعَلَامَةُ (الإِفْرَاطِ) جمع فَرَطَ بِالتَّحْرِيكِ الْمُقَدَّمِ  
يُقَالُ فَرَطَ الْقَوْمُ إِذَا تَقَدَّمُوا (بِكَلَاكِلِهَا) الكلاكل جمع كلكل وهو الصدر يقال اناخ

بكلِّكَلِه اي هَدَه وَرَضَه (رِثًا) الرِّثُ البَالِي (عَثًّا) العَثُّ المَهْزُول (ضَنْكٌ) الضَنْكُ الضَيْقُ (كَلْبَهَا) الكَلْبُ مَحْرَكًا اَكْلٌ بِلَا شَبَعٍ (لَجْبُهَا) اللُّجْبُ الضِيَّاحُ او الاِضْطْرَابُ (مُتَغَيِّظٌ) التَّغْيِظُ الهَيْجَانُ (ذَاكٍ) اسمُ فَاعِلٍ مِنْ ذَكَى يُقَالُ ذَكَتِ النَّارُ اِذَا اشْتَدَّ لَهيبُهَا (عَمٌ) اي مَسْتَوْرٌ (الْمَثْوِيُّ) المَنْزَلُ (مَابًا) اي مَقْرَأٌ وَمَسْكَنًا (مَدِينُونَ) اي مَجْزِيُونَ (عَثْرَةً) العَثْرَةُ الزَّلَّةُ وَالباقى وَاضِحٌ.

### ◀ المعنى

(أَحْمَدُهُ) اي أَحْمَدُ اللّٰهَ (شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ) التّٰى اِنْعَمَها لَنَا (وَأَسْتَعِينُهُ) وَاسْتَمَدَهُ.  
(عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ) التّٰى اَوْجَبَها عَلَيْنَا (عَزِيزَ الْجُنْدِ) فَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ (عَظِيمَ الْمَجْدِ) فَلَهُ الكَبْرِيَاءُ وَالعَظَمَةُ (وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا) اي دَعَى الخَلْقَ (إِلَى طَاعَتِهِ) اي طَاعَةَ اللّٰهِ (وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ) مِنْ الكُفْرِ (جِهَادًا عَنْ دِينِهِ) وَإِعْلَاءً لِتَوْحِيدِهِ (لَا يَشْنِيهِ) اي لا يَصْرِفُهُ وَلا يَمْنَعُهُ (عَنْ ذَلِكَ) الأَمْرِ (اجْتِمَاعُ) مِنْ النَّاسِ (عَلَى تَكْذِيبِهِ) فِي رِسالَتِهِ (وَالْتِمَاسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ) فِيابِي اللّٰهِ إِلاَّ أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلو كَرِهَ الكَافِرُونَ (فَاعْتَصِمُوا) وَتَمَسَّكُوا (بِتَقْوَى اللّٰهِ فَإِنَّ لَهَا) لِلتَّقْوَى (حَبْلًا وَثِيْقًا) مُحْكَمًا (عُرْوَةً وَمَعْقَلًا) وَمَلْجَأً (مَنْبِعًا) شامخًا (ذِرْوَةً) وَاعْلَاهُ (وَبَادِرُوا المَوْتَ) بِالتَّهَيُّوءِ لَهُ (وَغَمْرَاتِهِ) وَشِدائِدِهِ (وَأَمْهَدُوا لَهُ) اي اَعْدُوا لَهُ (قَبْلَ حُلُولِهِ) وَوَصُولِهِ (وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزُولِهِ) بِكُمْ (فَإِنَّ الغَايَةَ) لِحياتِكُمُ الفَانيَةَ (الْقِيَامَةَ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ) اي كَفَى بِالمَوْتِ وَاعِظًا وَإِعْتَبَارًا (وَقَبْلَ بُلُوغِ الغَايَةِ) وَالقِيَامَةَ (مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الأَرْماسِ) وَالقُبُورِ (وَشِدَّةِ الأَبْلاسِ) اي الحُزْنِ وَالياسِ (وَهَوْلِ المَطَّلَعِ) اي خَوْفِ القِيَامَةِ (وَرَوْعَاتِ الفُرْعِ) اي مَرَّاتِهِ وَتارَاتِهِ (وَإِخْتِلَافِ الأَضْلَاعِ) وَاشْتِباكِها (وَاسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ) وَصَمِّها (وَظُلْمَةِ اللُّحْدِ وَخِيفَةِ الوَعْدِ وَعَمِّ الضَّرِيحِ) اي الكَرْبِ الحاصِلِ بِضَيْقِ القَبْرِ (وَرَدْمِ الصَّفِيحِ) اي سُدِّ الحِجْرِ عَلَيِ القَبْرِ وَاللُّحْدِ (قالَ اللّٰهُ) اي إِحْذَرُوا اللّٰهَ (عِبَادَ اللّٰهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا ماضِيَةٌ بِكُمْ) لا مَحالَةَ (عَلَى سَنَنِ) مَنْ كانَ قَبْلِكُمْ (وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ) وَقُرْبٍ (وَكَانَها) اي

السَّاعَةَ (قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا) وعلاماتها (وَأَزِفَتْ) وقربت (بِأَفْرَاطِهَا) ودلائلها (وَوَقَفَتْ) السَّاعَةَ (بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا وَكَانَتْ قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَّازِلِهَا) الهائلة الموحشة (وَأَنَاخَتْ بِكَلَّاكِهَا وَأَنْصَرَمَتْ) وزالت (الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا) فاهلكتهم جميعاً (وَأَخْرَجَتْهُمْ) الدُّنْيَا (مِنْ حِضْنِهَا فَكَانَتْ) الدُّنْيَا (كَيَوْمِ مَضَى أَوْ شَهْرِ انْقِضَى وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا) اي خلقاً بالياً (وَسَمِينُهَا غَثًّا) مهزولاً (فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ) وضيقة (وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ) اي أمورٍ مُلتبسة عظيمة (وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا) أي أكلها بلا شبع (عَالٍ لَجْبُهَا) اي صياحها وإضطرابها وَزُحْزُحُوا عَنِ النَّارِ وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً وَأَعْيُنُهُمْ بِاِكِيَّةً وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَإِسْتِغْفَاراً (سَاطِعَ لَهَبِهَا مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا) وصوتها (مَتَاجِجٍ سَعِيرُهَا بَعِيدٍ خُمُودُهَا) وسكونها (ذَاكَ وَقُودُهَا) اي وقودها متصف بالاشتعال (مَخُوفٍ وَعِيدُهَا عَمَّ قَرَارُهَا) اي قعرها مستور (مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا حَامِيَةٌ قُدُورُهَا فَطِيْعَةٌ أُمُورُهَا) اوصاف لها وستعرف شرحها (وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ .

وزحزحوا عن النار واطمأنت بهم الدار ورضوا المَثْوَى والقَرَارَ، كلها اوصاف اهل الجنة (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً) صالحة (وَأَعْيُنُهُمْ) فيها (بِاِكِيَّةً) من خشية الله (وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَإِسْتِغْفَاراً) وذلك لعدم نومهم في الليل (وَكَانَ نَهَارُهُمْ) فيها (لَيْلاً تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً) عن الدنيا (فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَأً) ومقاماً (وَلِجَزَاءِ ثَوَابِهِمْ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) بالجنة (أَهْلِهَا) اي اهل الجنة (فِي مُلْكٍ دَائِمٍ) لا يزول (وَتَعِيمٍ قَائِمٍ) لا تفنى (فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَ عَابَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ) من الحَسَنَاتِ والخَيْرَاتِ (وَبِإِضَاعَتِهِ) وتركه (يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ) في الآخرة (وَبَادِرُوا) وسابقوا (أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَانْكُمُ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ) في الدنيا (وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ) للآخرة في الدنيا (وَكَانَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ) اعنى الموت (فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ) بعده (وَلَا عَشْرَةَ تَقَالُونَ)

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

كذلك (اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ) آمين رب العالمين.

(الزُّمُّوا الْأَرْضَ وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ) فيها (وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى السِّنْتِكُمْ) لإثارة الفِتنة (وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ) واسكتوا عما سكت الله عنه (فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً) فإن الملاك في الشهادة الموت في سبيل الله (وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى لِقَوْلِهِ ﷺ لِكُلِّ امْرُءٍ مَا نَوَى (مِنْ صَالِحٍ عَمَلِهِ وَقَامَتِ النَّيَّةُ) التي نواها (مَقَامَ إِصْلَاتِهِ) وإشهاره (لِسَيْفِهِ) في سبيل الله، (وَأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً) لا يتجاوز عنها اصلاً.

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِأَنْعَامِهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ...

قد مضى الكلام غير مرّة في معنى الحمد والشكر والفرق بينهما والمعنى احمد الله تعالى شكراً لأنعامه التي انعم الله بها علينا وهي كثيرة لا تحصن وشكر المنعم واجب عقلاً وشرعاً فلا محالة حمده وشكره وقوله ﷺ: و استعينه اي اطلب منه الإعانة والتوفيق على الإتيان بوظائف العبودية وحقوقه الواجبة وفيه إيماء الى ان العبد يحتاج في جميع حالاته الى الإستعانة منه تعالى قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١)

أزمة الأمور طراً بيده والكل مستمده من مدده

□ قوله ﷺ: عَزِيزَ الْجُنْدِ عَظِيمَ الْمَجْدِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...

الجند بضم الجيم وسكون الدال يقال للعسكر وجمعه على اجناد وجنود وكأنه متخذ من الجند بفتح الجيم وهو الأرض الغليظة التي فيها حجارة ولهذا يقال لكل مجتمع جند عسكراً كان او غيرها نحو قوله ﷺ: الأرواح جنود مجندة وقوله ﷺ: عَزِيزَ الْجُنْدِ من إضافة الصفة الى الموصوف وكذا قوله ﷺ:

عَظِيمَ الْمَجْدِ وَالْأَصْلِ، جُنْدُهُ عَزِيزٌ وَمَجْدُهُ عَظِيمٌ وَأَمَّا كَوْنُهُ تَعَالَى عَزِيزَ الْجُنْدِ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ: ﴿وَأَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
 و: ﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>  
 و: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٣)</sup> وغيرها من الآيات:

والمجد بفتح الميم وسكون الجيم والدال السعة في الكرم والجلال وهو مصدر قولهم مجد يمجد مجداً وأصله من قولهم مجدت الإبل إذا حصلت في مرعى كثيرٍ واسعٍ وقد أمجدها الراعى والمجد مبالغة في المجد ومعنى العبارة أن الله تعالى له سعة في بذل الفضل المختص به ثم بعد حمد الله والثناء عليه اردف كلامه بالشهادة على رسالة الرسول ﷺ وأنه عبده ورسوله وقد تقدم الكلام في معنى الرسالة وما يتبعها في المجلد الأول من الكتاب.

□ قوله ﷺ: دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنْ دِينِهِ لَا يَتْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَالتَّمَأْسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ...  
 وَصَفَ الرَّسُولَ ﷺ بِأُمُورٍ:

أحدها: أنه دعى الناس إلى طاعة الله لا إلى طاعة نفسه وهو معنى الرسالة في الحقيقة كما قال الله تعالى في حقه ﷺ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾<sup>(٤)</sup> ولأجل هذا كان أول الدعوة قوله ﷺ: قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا  
 وثانيها: أنه قاهراً أعداء الله أي غالبهم فإن أصل القهر الغلبة وكونه ﷺ قاهراً على أعداء الله لا خفاء فيه الا ترى أنه ﷺ خذل الكفار والمنافقين رغماً لأنوفهم مع أنه كان في بدو الأمر لا ناصر له ولا معين غير الله تعالى وكانوا متفقين على قتله ولم يقدرُوا على ما ارادوا ولم يعلموا أن حزب الله هو الغالبون.

وثالثها قوله ﷺ: جِهَادًا عَنْ دِينِهِ أَي كَانَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى طَاعَتِهِ وَالْقَهْرُ عَلَى أَعْدَائِهِ لِأَجْلِ الْجِهَادِ عَنِ دِينِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخَاطَبًا آيَاهُ:

١- الضافات- ١٧٣  
 ٢- الفتح- ٤  
 ٣- المذثر- ٣١  
 ٤- الاحزاب- ٤٦

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

ورابعها: أنه ﷺ كان مُصْرًا على دعوته بحيث لا يثنيه ولا يمنعه عنها إجتماع المُشركين على تكذيبه في رسالته والتماسهم لإطفاء نوره وفيه إشارة الى أنهم كذبوه في دعوته وارادوا إطفاء نور الله تعالى إلا أنهم لم يقدرُوا على ما ارادوا فإن الله مُتَمُّ نوره ولو كره الكافرون وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> وحاصل الكلام ان الأمور بيده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

□ قوله ﷺ: فَاعْتَصِمُوا بِتَّقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتَهُ وَمَعْقِلًا مَنِعًا ذُرْوَتَهُ...

الفاء للتفريع اي اذا كان الأمر على هذا المنوال فاعتصموا بتقوى الله التي امركم الله بها في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

و: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٧)</sup> وقد مرَّ الكلام في التقوى غير مرّة وذكرنا فيها من الآيات والأخبار الدالة على شرفها وفضلها وأنها اصل الخيرات ورأس الحسنات ما ينفعك ولأجل هذا وَصَفَهَا بِأَنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا اي محكمًا عُرْوَتَهُ وَمَعْقِلًا اي مَلْجَأً مَنِعًا ذُرْوَتَهُ أي مانعًا أعلاه لمن التجأ اليه من نيل المكروه وقد ذكرُوا في شرح العبارة أنه ﷺ إستعار لفظ الحبل لدين الاسلام وهو إستعارة تحقيقية ثم رَشَحَهَا بالوصف لوثيقة العروة وفي الجملة الثانية إستعار لفظ المعقل لمقام القرب من الحق هذا والذي ظهر لي هو

٢- الفرقان - ٥٢

٤- التوبة - ٣٢

٦- البقرة - ٢٠٣

١- التوبة - ١٣

٣- الصف - ٨

٥- البقرة - ١٩٤

٧- الحجرات - ١٣

أنه ﷺ شبه التقوى فى الجملة الأولى بالناقة التى لها حبل وثيق لا ينفصم اصلاً فكما أن الناقة بسبب الحبل تُسلم عن الآفات فكذلك التقوى تُسلم به عن الزلات وهذا الحبل كناية عن المعرفة ولعله الى هذا المعنى أشير فى الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١) ومن المعلوم أن الإعتصام به لا يمكن إلا بسبب التقوى، وفى الثانية شبهها، بالحبل المرتفع الذى من التجا اليه يكون موصولاً من الأعداء محفوظاً عن المكاره والمساوي فمن اتصف بالتقوى فهو آمن من آفات الدنيا ودركات الآخرة وكيف كان لا شبهة فى أنها من افضل الكمالات واحسن الخيرات بل اصلها واساسها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْتَقِبُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

فعن المحاسن سال ابو بصير ابا عبد الله ﷺ عن قول الله تعالى اتقوا الله حق تقاته.

قال ﷺ يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويُشكر فلا يكفر انتهى...

وقال ﷺ - القيامة عرس المتقين...

وقال ﷺ - لا يغرنك بكاؤهم انما التقوى فى القلب...

وقال رسول الله ﷺ إعمل بفرائض الله تكن اتقى الناس، وغيرها من

الاحبار «مشكاة الانوار ص - ٤٤»...

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣) والآيات كثيرة جداً.

□ قوله ﷺ: وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمْرَاتِهِ وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ

نُزُولِهِ...

اي وسارعوا الموت فى شدائده قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي

غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (٤) والمهد ما يتهيئ للصبى والمهد والمهاد المكان الممهّد

الموطأ والمعنى إجعلوا للموت مهدياً ومكاناً قبل حلوله وهو كناية عن التهيؤ

له وقوله ﷺ: **وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزْوِهِ** أي استعدوا للموت قبل نزوله بكم كما تستعدون للضييف قبل نزوله ففي قوله ﷺ: **وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ** شبه ﷺ الموت بالطفل قبل ولادته وفي قوله ﷺ: **وَأَعِدُّوا الخ بالضييف النازل على الإنسان فكما أن من ينتظر ولادة الطفل يُهَيِّئ له مهذاً قبل ولادته والمُنتظر لنزول الضييف يستعد قبل نزوله فهكذا ينبغي للإنسان أن يُتَّهَيَّئ ويستعد للموت بما يناسبه من الأعمال الصالحة وإن لا يكون على غفلة فإن الموت يأتي بغتة.**

□ قوله ﷺ: **فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ وَمُعْتَبِراً لِمَنْ جَهَلَ...**

الغاية تطلق على ما ينتهي إليه الشيء وعلى ما لأجله يوجد الشيء فيعتبر عنها على الأول بالمقصد والمنتهى في الحركة وعلى الثاني بالعلة الغائية التي تتقدم على ذبيها ذهنياً وتتأخر عنه خارجاً والقيامة غاية الإنسان بالمعنيين أما الأول فلأن الإنسان تنتهي حركته إليها لا محالة وأما الثاني فلأن الغرض الأصلي والعلة الغائية له القيامة فإن الإنسان لم يُخلق لهذه الدنيا الفانية بل خُلق للآخرة الباقية فغاية خلقته الوصول إلى مقامات الجنة ومن المعلوم أن الوصول إليها لا يمكن قبل القيامة ولأجل هذا اعنى كون القيامة مقصده وغايته قال ﷺ: **وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ وَمُعْتَبِراً لِمَنْ جَهَلَ** فإن العاقل مُتَّعِظٌ به والجاهل يعتبر به أي بالموت وقد قال رسول الله ﷺ **كفى بالموت واعظاً** وأما الجاهل فحيث أنه لا يقدر على التعقل والتدبر واقعاً فقال ﷺ فيه (واعتبراً) إذ الإعتبار ثابت في حقه لأنه يرى موت الأشخاص وعدم بقائهم في الدنيا وهذا القدر يكفي في الإعتبار فإن الدنيا دار مجاز لا دار قرار وهكذا نعيمها وما كان كذلك فكيف يُعتمد عليه.

□ قوله ﷺ: **وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ وَشِدَّةِ الْأَبْلَاسِ وَهَوْلِ الْمَطَّلَعِ وَرَوْعَاتِ الْفَرْعِ وَإِخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ وَإِسْتِكَالِ الْأَسْمَاعِ وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ وَخِيفَةِ الْوَعْدِ وَغَمِّ الضَّرِيحِ وَرَدْمِ الصَّفِيحِ...**

أشار ﷺ إلى أن الغاية اعنى بها يوم القيامة ليس البلوغ إليها ممكناً إلا بعد ما



تعلمون من المهالك والشدائد التي لا بد لكم من الورود عليها والعبور عنها وهي أمور:

أحدها: ضيق الأرماس وهو كناية عن القبور فإن الأرماس جمع رمس وهو التراب والقبر أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا ولا بد لكل أحد من الورود عليه والسكون فيه وضيق القبر امرًا لا شك فيه لأحد. وقد ورد في الحديث، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغرته إن القبر يقول كل يوم أنا بيت الغربية أنا بيت التراب أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود والهوام الحديث

وثانيهما: شدة الأبلاس أي شدة اليأس الحاصل بسبب الهم والغم والحزن بمفارقة المال والأولاد والأحباب والإحتباس في سجن التراب والندم على ما فعله في الدنيا من السيئات وقبائح الأعمال كما حكى الله تعالى عنه بقوله: ﴿رَبِّ اِرْجَعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾<sup>(١)</sup> ومن المعلوم أن القول بالرجعة ناش عن شدة الأبلاس

وثالثها: وهول المطلع والمراد به القيامة سُميت به لأن الإنسان يطلع فيه على أعماله في الدنيا والهول الفزع يقال هال يهول هولاً، الأمر فلاناً، أفزعته وعظم عليه، وعلى هذا فهول المطلع معناه الفزع عن المحشر والإنصاف أن القيامة مما ينبغي أن يفزع عنها وقد نص على ذلك الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾<sup>(٣)</sup> والآيات كثيرة. كيف ويوم الحشر يوم العرض والسؤال والحباء والنكال، يوم تقلب إليه أعمال الأنام وتحصى فيه جميع الأنام يوم تذوب من النفوس احداق عُيونها

وتضع الحوامل ما فى بطونها وتفوق فى كل نفس وجيها ويحار فى تلك الأهوال عقل لبيها اعادنا الله منه.

**ورابعها:** وروعات الفرع، يقال رُعته ورُوعته وريع فلان وناقاة رُوعاء فِرعة والأرواع الذي يروع بحُسنه كأنه يَفزع قاله الراغب فى المفردات وعليه فروعات الفرع تاراته ومَرَّاته اذ الروعات جمع الرُوعة والثاء فيها لبلوحة والمرة وفيه إيماء الى أن الفرع والخوف عن يوم القيامة يقع مرَّات كثيرة وهو كذلك فان كل مرحلة من مراحل الآخرة بعد الموت فيها فِرَعٌ مخصوص بها. **وخامسها:** إختلاف الأضلاع، قالوا فى معناه اي إشتباكها الحاصل بضغطة القبر ويمكن.

ان يكون المراد بإختلافها تفرق اجزائها وتلاشيها فى القبر فان الأضلاع بعد التفرق تصير مختلفة لا مُحالة كمَّا وكيفاً واظن ان هذا الإحتمال اقوى ممَّا ذكروه فان ضغطة القبر لا تُوجب إختلاف الأضلاع ولا يَصح ان تكون كناية عنه ايضاً ويظهر ذلك بعد التأمل.

**وسادسها:** إشتكاك الأسماع، قالوا اي صَمَمَها الحاصل من شدَّة الأصوات الهائلة وقيل إشتكاك الأسماع صَمَمَها من التراب والمال واحد.

**وسابعها:** وظلَّمة اللُحد، بفتح اللام وسكُون الحاء المهملة والذال كذلك الشق فى جانب القبر يوضع الميت فيه وظلمته مَحسوسة لا شك فيها قال رسول الله ﷺ اطلبوا العلم من المهد الى اللُحد وكيف كان هو آخر بيت يسكن الميت فيه.

**وثامنها:** وخيفة الوعد، اي خوف العذاب الموعود فى القبر وبعده الى المَحشَر.

**وتاسعها:** وغم الضريح اي الكَرْب الحاصل بضيق القبر وغيره ممَّا يُوجب الألم والغم.

**وعاشرها:** ورَدَم الصَّفيح، والرُدَم السُد والصَّفيح الحجر العريض الذي يوضع على القبر والمعنى ما يُسد به القبر فهذه الأمور المذكورة كلها قبل بلوغ

الغاية وما كان هذا أوّله فينبغي ان يخاف من آخره اعادنا الله منه.

□ قوله ﷺ: **فَاللّٰهُ اللّٰهُ عِبَادَ اللّٰهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ سَنَنْ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ وَكَانَهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَي صِرَاطِهَا...**

بعد تحذيره ﷺ المُخاطبين بما يحلّ عليهم بعد الموت الى بلوغهم الغاية ذكر ما يصلح لهم في الدنيا من عدم الإعتداد على حياتها الفانية ونعمها الدائرة فقال الله الله اي احذروا الله واتقوا الله والتكرار يفيد التأكيد الدال على شرف الموضوع وهو ان الدنيا ماضية بكم على سنن من كان قبلكم من الأمم السالفة فكما انها لم تبق بحالها لهم فكذلك لا تبقى لكم فان حكم الأمثال واحد وقد مضى الكلام منافيها سابقاً غير مرّة وفضلنا البحث في ماهيتها وفنائها وغدرها مع ابنائها بما لا مزيد عليه وقوله ﷺ: **وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ الْمُرَادِ بِالسَّاعَةِ الْقِيَامَةِ وَالْقَرْنَ بِالتَّحْرِيكِ الْحَبْلِ الَّذِي يَشُدُّ بِهِ الْبَعِيرَ وَالْوَاوُ فِي قَوْلِهِ ﷺ وَأَنْتُمْ لِلْحَالِ وَالِإِسْتِنَافِ وَحَاصِلِ الْمَعْنَى أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ وَحَبْلٍ لَا يُمْكِنُ لَكُمْ الْفِرَارُ فِيهَا كَمَا أَنَّ الْبَعِيرَ الْمَشْدُودَ بِالْحَبْلِ لَا يُمْكِنُ لَهُ الْفِرَارُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ قُرْبِ السَّاعَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١)**

ولأجل هذا قال ﷺ: **وَكَانَهَا أَي السَّاعَةُ قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَعَلَائِمِهَا فَإِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ إِذَا كَانَ وَقُوعُهُ مُحَقَّقًا فَهُوَ فِي حُكْمِ الْمَاضِيِ وَالسَّاعَةُ كَذَلِكَ وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: بِأَشْرَاطِهَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ (٢)**

و: **﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٣)**

و: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (٤)** وغيرها من الآيات.

وقوله ﷺ: **وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا**، يمكن ان يكون الإفراط بكسر الهمزة على انه مصدر افراط ويمكن ان يكون جمع فرط مصدر قولك فرط يفرط فرطاً

٢- محمد- ١٨

٤- الاسراء- ٥١

١- القمر- ١

٣- الاحزاب- ٦٣

والفرط مصدر اسم من الإفراط اي مجاوزة الحد فعلى الأول معناه أزفت وضافت الساعة بمجاوزتها عن الحد وعلى الثاني ضاقت بسبب مجاوزاتها والمآل واحد وإنما الفرق بين المعنيين بالمفرد والجمع والحاصل ان الساعة حالها كذلك وقوله ﷺ: «وَوَقَفْتُ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا» اي وقفت الساعة بكم على صراطها ومرجع الضمير فى صراطها هو الساعة ونسبة الوقوف اليها من باب المجاز العقلى وهذا الإحتمال بعينه جارٍ فى الجملة السابقة اعنى قوله ﷺ: «وَأَزِفْتُ بِأَفْرَاطِهَا».

قوله ﷺ: «وَكَانَهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلْزِلِهَا وَأَنَاخْتُ بِكَلَاكِلِهَا وَأَنْصَرَمْتُ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا...»

اي وكان الساعة قد اشرفت واضافت عليكم بزلازلها الهائلة التى اشار الله تعالى اليها فى الكتاب حيث قال: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا»<sup>(١)</sup> فقوله ﷺ اشار الى ان الزلزال الموعود كانه اشرق عليكم قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ»<sup>(٢)</sup>

وقوله ﷺ: «وَأَنَاخْتُ بِكَلَاكِلِهَا» اي اناخت الساعة بكلاكليها والكلاكل جمع كلكل وهو الصدر ويقال للأمر الثقيل قد اناخ عليهم بكلكله اي هداهم ورضاهم كما يهدى البعير البارك من تحته بصدرة وعليه فالكلام خرج مخرج الإستعارة حيث شبه ﷺ الساعة ومجيئها بالبعير الذى اناخ بصدرة إشارة الى ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور والجمع للمبالغة فى شدة احوالها.

وقوله ﷺ: «وَأَنْصَرَمْتُ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا» وفى بعض النسخ وانصرفت بالفاء والمعنى ان الدنيا قد ولت وأدبرت وأذنت بوداع فلا يمكن الوقوف بها والإعتماد عليها فالإعراض عنها اولى:

قوله ﷺ: «وَآخَرَجْتُهُمْ مِنْ حِضْنِهَا فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى أَوْ شَهْرِ أَنْقَضَى وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًا وَسَمِينُهَا غَثًا...»

اي اخرجت الدنيا اهلها من حِضْنِهَا، شَبَّهَ ﷺ الدُّنْيَا بِالْأُمِّ الْمَرْبِيَّةِ لَوْلَدِهَا فِي حِضْنِهَا ثُمَّ اعْرَضَتْ عَنْهُ وَاخْرَجَتْهُ مِنْ حِضْنِ تَرْبِيَّتِهَا وَاسْلَمَتْهُ إِلَى نَفْسِهِ وَشَبَّهَ أَهْلَ الدُّنْيَا بِالْأَوْلَادِ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِهَا كَالْأُمِّ الْمَرْبِيَّةِ لَوْلَدِهَا ثُمَّ تَرَكَهَا وَمَا كَانَ كَذَلِكَ كَيْفَ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ دِنَائِتِهَا وَحِضْنِهَا فَكَانَتْ الدُّنْيَا كَيَوْمٍ مَضَى أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى فِي قِصْرِ الزَّمَانِ وَقِلَّةِ الْمَدَّةِ وَعَدَمِ الْبَقَاءِ وَالذُّوَامِ فَصَارَ جَدِيدُهَا رَتْناً أَيْ خَلْقاً بَالِياً وَسَمِيناً غَنّاً أَيْ رَثِيلاً مَهْزولاً كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا طَيْبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مَنْقُضَةٌ لِدَاتِهِ بِأَدْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ  
 □ قَوْلُهُ ﷺ: فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا  
 عَالٍ لَجْبُهَا سَاطِعٍ لَهْبُهَا مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا مَتَاجِجٌ سَعِيرُهَا بَعِيدٌ خُمُودُهَا ذَاكٌ وَقُودُهَا  
 مَخُوفٌ وَعَيْدُهَا غَمٌّ قَرَارُهَا مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا حَامِيَةٌ قُدُورُهَا فَطِيْعَةٌ أُمُورُهَا وَسِيْقَ  
 الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...

اي ان الدنيا بعد إخراجهم جعلتهم في موقف ضنك المقام وضيقة وأمر  
 مُشْتَبِهَةٌ عِظَامٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا وَالْكَلْبُ مَحْرُكٌ أَكَلَ بِلَا شَبَعٍ  
 وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ شَرِّهَا وَحَرَارَتِهَا وَقَوْلُهُ عَالٍ لَجْبُهَا أَيْ صَوْتِهَا وَصِيَاحِهَا أَوْ  
 إِضْطِرَابِهَا كَالْبَحْرِ الزَّاجِرِ، سَاطِعٍ لَهْبُهَا وَشَعْلَتُهَا مُتَغَيِّظٌ زَفِيرُهَا أَيْ صَوْتِهَا النَّاشِئِ  
 مِنْ تَوَقُّدِهَا لِكُونِهَا مُتَّصِنَةٌ بِالْهَيْجَانِ وَالْغَلِيَانِ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ  
 تَعَالَى: ﴿إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ (١)

مَتَاجِجٌ أَيْ مُتَوَقِّدٌ وَمُتَلَهَّبٌ نَارُهَا الْمَحْرَقَةُ، بَعِيدٌ خُمُودُهَا وَسَكُونُهَا ذَاكٌ  
 وَمُشْتَعَلٌ وَقُودُهَا وَحَطْبُهَا، مَخُوفٌ وَفِي بَعْضِ النُّسخِ مُخِيفٌ وَعَيْدُهَا أَيْ  
 تَوَعُّدُهَا لِأَهْلِهَا، غَمٌّ قَرَارُهَا أَيْ مَسْتَوْرٌ قَرَارُهَا الْمُسْتَقَرُّ فِيهِ أَهْلِهَا، مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا  
 أَيْ أَطْرَافُهَا وَجَوَانِبُهَا حَامِيَةٌ قُدُورُهَا فَطِيْعَةٌ أُمُورُهَا، أَيْ بَلَغَتْ الْغَايَةَ فِي الشَّدَّةِ  
 وَالشَّنَاعَةِ وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ﷺ فِي هَذَا الْفَصْلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا  
 الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ (٢)

- و : ﴿قَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ (١)  
 و : ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِوْنِ﴾ (٢)  
 و : ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ (٣)  
 و : ﴿فَيُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ﴾ (٤)  
 و : ﴿قَتَلَ اصْحَابَ الْأَخْذُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ (٥) وغيرها من الآيات.

ومن الأخبار: مرواه في كتاب تسلية الفؤاد عن تفسير علي بن إبراهيم عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له يا ابن رسول الله خوفني فإن قلبي قد قسني قال عليه السلام يا أبا محمد استعد للحياة الطويلة فإن جبرئيل جاء إلى النبي وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مبتسم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً فقال يا محمد قد وضعت منافخ النار فقال عليه السلام وما منافخ النار يا جبرئيل فقال يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنار فنفخ فيها الف عام حتى ابيضت ثم نفخ عليها الف عام حتى احمرت ثم نفخ عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لو أن قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها ولو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها ولو أن سربالاً من سراويل أهل النار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل فبعث الله اليهما ملكاً فقال لهما إن ربكما يقربكما السلام ويقول قد اقنتكما إن تذبنا ذنباً أعذبكما عليه فقال أبو عبد الله عليه السلام فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل مبتسماً بعد ذلك ثم قال إن أهل النار يُعظّمون النار وإن أهل الجنة يُعظّمون الجنة والنعيم وإن جهنم إذا دخلوها يهروا عنها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا أعلاها قُمعوا بمقامع الحديد وأعيدوا في دركها فهذه حالهم وهو قول الله عز وجل : ﴿وَكَلَّمَا ارَادُوا

ان يُخرجوا منها من غم أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴿<sup>(١)</sup> ثُمَّ تَبَدَّلَ جُلُودَهُمْ  
غَيْرَ الْجُلُودِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ قَالَ ﷺ حَسْبُكَ يَا اَبَا مُحَمَّدٍ قَالَ حَسْبِيَ حَسْبِيَ  
«تسليّة الفؤاد ص ٢٤٥ تفسير القمي ص ٤٥٧»...

وعن أمالي الصدوق مُسنداً عن عمرو بن ثابت عن الباقر ﷺ قال ان اهل  
النّار يتّعاونون فيها كما يتعاونى الكلاب والذئاب ممّا يلقون من اليم العذاب ما  
ظنّك يا عمرو بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفّف عنهم من عذابها  
عطاش فيها جياع كليله ابصارهم صمّ بكم عمي مُسوّدّة وجوههم خاسئين  
منها نادمين مغضوب عليهم فلا يرحمون من العذاب ولا يُخفّف عنهم وفي  
النّار يسجّرون ومن الحميم يشربون ومن الزقوم ياكلون وبكلايبب النّار  
يحطّمون انتهى «ص ٢٤١ أمالي الصدوق ص ٣٢٢» والاحاديث كثيرة.

ثم اشار ﷺ الى حالات المُتقين والجنة التي أُعدّت لهم واستشهد أولاً  
بقوله تعالى حيث قال: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً﴾<sup>(٢)</sup>  
□ قوله ﷺ: قَدْ آمِنَ الْعَذَابُ وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ وَرُحِرْ حُوا عَنِ النَّارِ وَأَطْمَأْنَنَتْ بِهِمْ  
الدَّارُ وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارُ...

والمقصود أنّهم لكونهم مُتقين صاروا مامونين عن العذاب مُنقطعين عن  
العتاب والنكال مُبّعين من النّار مُطمئنين بالدار راضين بالمقام والمقر الذي  
اعده الله لهم في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مُقتدر كما قال تعالى في  
كتابه: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مُقَبِلاً﴾<sup>(٣)</sup>

و: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً﴾<sup>(٤)</sup>

و: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

و: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾<sup>(٦)</sup>

٢- الزمر- ٧٣

٤- العنكبوت - ٥٨

٦- التوبة - ٧٢

١- الحج - ٢٢

٣- الفرقان - ٢٤

٥- الواقعة - ٨٩

□ قوله ﷺ: الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَّةً وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَّةً وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَإِسْتِغْفَاراً وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوْحُّشاً وَانْقِطَاعاً فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبأً وَلِجَزَاءِ ثَوَابِهِمْ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَنَعِيمٍ قَائِمٍ...

اي ان المؤمنين تكون اعمالهم في الدنيا زاكية طاهرة عن الانحرافات ودرائل الأخلاق واعينهم باكية من خشية الله وكان ليلهم في دنياهم نهراً لعدم نومهم فيه لكونهم مشتغلين فيه بالإستغفار والإنابة والتَّهجد خضوعاً وخشوعاً وكان نهارهم في الدنيا كالليل من حيث الإنقطاع والإعراض عن الدنيا والخوف والوَحشة منها وفيها فجعل الله تعالى لهم الجنة مأبأً وحقاباً وجزاءً وثواباً لما عملوا في الدنيا فان الله لا يُضيع اجر العاملين فلا جرم كانوا احق واولى بالجنة والقرار فيها ومن المعلوم ان اهل الجنة في ملكٍ دائم بلا زوال لها ونعيم قائم لا فناء فيها ولمثل هذا فليعمل العاملون هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم قال الله تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (١)

و: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٢)

و: ﴿فَوَاكِهٍ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٤)

و: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ (٥) والآيات كثيرة.

□ قوله ﷺ: فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَائِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطَلُكُمْ...

اي فاحفظوا يا عباد الله فحذف النداء وبقي المُنَادى والذي برعايته يفوز الفائز وبإضاعته يخسر المَبطل ليس إلا التقوى والعمل الصالح قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً وَحَدَائِقَ وَأَعْنَاباً﴾ (٦)  
و: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٧)



- و: ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (١)  
 و: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢)  
 و: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣)

ثم إن هذا الحكم مضافاً إلى كونه منصوصاً في الكتاب والسنة يحكم بلزومه العقل أيضاً فإن دفع الضرر المحتمل واجب عقلاً فضلاً عن مقطوعه وعليه فيجب عقلاً الإحتراز عما يوجب الضرر في الدارين ولازم ذلك الإقبال إلى ما يوجب السعادة اعني به التقوى والعمل الصالح وهو المطلوب.  
 □ قوله ﷺ: ﴿وَبَادِرُوا أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مَرْتَهُنُونَ بِمَا أَسَلَفْتُمْ وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ...﴾

المبادرة المسارعة والمعنى سارعوا آجالكم الموعودة بالأعمال الصالحة وبعبارة أخرى ينبغي سبق العمل على الأجل إذ بعد مجيئ الأجل لا يمكن العمل ومن المعلوم أن الموت يأتي بغتة وهو عبارة أخرى لقوله تعالى حيث قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٤) ثم علل ﷺ كلامه بقوله فإنكم مرتتهنون الخ وحاصله أن الإنسان مرتتهن بما أسلف من الأعمال في الدنيا ومجزئ بما قدمه على الآخرة فيها وقد قال رسول الله ﷺ كما تدين تدان، وقال تعالى: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (٦)  
 وقال تعالى: ﴿وَلِنَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٧) وغيرها من الآيات.

وفي قوله ﷺ: ﴿فَأَنَّكُمْ مَرْتَهُنُونَ﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً﴾ (٨)

- ١- النور - ٥٢  
 ٢- الجاثية - ٢٧  
 ٣- البقرة - ٢٧  
 ٤- آل عمران - ١٢٣  
 ٥- سبا - ٢٣  
 ٦- الغافر - ٧٠  
 ٧- الجاثية - ٢٢  
 ٨- المدثر - ٣٨

- ١- النور - ٥٢  
 ٢- الجاثية - ٢٧  
 ٣- البقرة - ٢٧  
 ٤- آل عمران - ١٢٣  
 ٥- سبا - ٢٣  
 ٦- الغافر - ٧٠  
 ٧- الجاثية - ٢٢  
 ٨- المدثر - ٣٨

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾<sup>(١)</sup> وفى التعبير بالإرتهان إشارة الى ان النفوس مرهونة باعمالها كما دلت الآية فى قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة او ان الأفراد مرتهنون بما عملوا كما فى الآية وكيف كان فلا شك فى ان الناس مجزيون باعمالهم ان خيراً فخييراً وان شراً فشرّاً فينبغى ان ينظر الإنسان الى عمله ويراقبه حق المراقبة:

□ قوله ﷺ: وَكَانَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَةَ تَتَأَلَوْنَ...

المراد بالمخوف الموت وما يتبعه من عالم القبر والبرزخ وسؤال النكيرين وغيرها وفيه إشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَاتٍ لِّعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾<sup>(٢)</sup> فيقال فى جوابه كلاً انها كلمة هو قائلها، اي لا سبيل الى الرجعة اصلاً ومعنى العبارة اشرف عليكم المخوف فان المستقبل اذا كان وقوعه محققاً فهو فى حكم الماضى ولهذا قال ﷺ وكان قد نزل بكم، بصيغة الماضى اي كان الموت قد أدرككم وطلبت الرجعة والحاصل أنه اذا نزل بكم الموت فليس بعد نزوله رجعة تعطوها ولا عشرة تقالون منها وذلك لان إقالة العثرات بالتوبة انما تكون فى الدنيا التى هى دار التكليف واما الآخرة فهى دار الجزاء لا ينفع فيها الندم والاستقالة.

□ قوله ﷺ: وَلَا عَشْرَةَ تُقَالُونَ اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ...

اي ارجو من الله تعالى ان يجعلنا واياكم فى طريق طاعته وطاعة رسوله وان يعفوا عنا وعنكم بفضل رحمته وكرمه فان التوفيق منه والعفو عن الزلات والعثرات ايضاً من شانه كما ورد يا دائم الفضل على البرية:

□ قوله ﷺ: الزموا الأرض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم فى هوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم...

بعد فراغه ﷺ عن نصحهم ووعظهم والدعاء لهم أمرهم بلزوم الأرض الذى هو كناية عن ترك النهوض للحرب من عند انفسهم فقال ﷺ الزموا

الأرض واصبروا على البلاء النازل بكم ولا تُحركوا بأيديكم وسيؤفكم في هوى الستكم لإثارة الفتنة ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم وذلك لأنكم لا تقدرون عليه قبل وقته وقد نهى الله تعالى عباده عن الوقوع في التهلكة وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(١)</sup> ومعلوم أن القيام مع عدم وجود شرائطه كذلك فقوله ﷺ هذا يدل على الصبر على البلاء وعدم القيام بالسيف والأيدي في حكومة الظالم إذا كان في طريق الهوى لا مطلقاً وهو مما لا كلام فيه وأما إذا كان القيام لا كذلك بل كان مقروناً بشرائطه فلا منع فيه إذ سلب المقيد لا يقتضى سلب المطلق:

□ قوله ﷺ: فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةٌ وَأَجَلًا...

حاصل كلامه ﷺ أن مطلق الموت ليس مطلوباً ومحبوباً له تعالى بل المطلوب هو الموت في سبيله سواء كان بالسيف والسنان أم كان في الفراش فمن مات على فراشه وهو على معرفة من حق ربه وحق رسوله واهل بيته أي كان عارفاً بحقوقهم مات شهيداً ووقع اجره على الله واستوجب بذلك ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام إصلاته لسيفه وان لم يصلته فإن الأعمال بالنيات وذلك لأن لكل شيء مدةً واجلاً وقبل بلوغ المدة وحلول الأجل أي نفع في إصلات السيف والإشهار به فالشهادة لا تنحصر بما زعمه بعض الناس من أنها عبارة عن القتل بالسيف وامثاله في المعركة كيف اتفق بل هي ترجع إلى النية فمن حسن عمله وصلحت نيته وكملت معرفته ومات وهو كذلك فهو شهيد وقد وقع اجره على الله ومن قتل في المعركة بالسيف والسنان من غير معرفة فهو ليس بشهيد فالملاك كل الملاك ما ذكره ﷺ في المقام والحمد لله على الختام.

ومن خطبة له ﷺ (١٩٠) ﷺ

□ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ وَالْمُتَعَالَى جَدُّهُ أَحْمَدُهُ عَلَيَّ  
نِعْمِهِ التَّوَامِ وَالْآيَةِ الْعِظَامِ الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَعَلِمَ مَا  
يَمْضِي وَمَا مَضَى مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ يَعْلَمِيهِ وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا إِقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ  
وَلَا اخْتِدَاءٍ الْمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ وَلَا إِصَابَةِ خَطَأٍ وَلَا حَضْرَةَ مَلَأٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِبْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ  
وَيَمْوَجُونَ فِي حَيْرَةٍ قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ وَاسْتَعْلَقَتْ عَلَيَّ أَفِيدَتِهِمْ أَقْفَالُ  
الرِّينِ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَالْمَوْجِبَةُ عَلَيَّ اللَّهُ  
حَقُّكُمْ وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيَّ بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَيَّ اللَّهُ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ  
الْحِرْزُ وَالْجَنَّةُ وَفِي عَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ وَسَالِكُهَا رَابِحٌ  
وَمَسْتُوْدُعُهَا حَافِظٌ لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَيَّ الْأَمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَائِبِينَ  
لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَأَ وَأَخَذَ مَا أَعْطَى وَسَالَ عَمَّا أَسَدَى فَمَا  
أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا وَحَمَلَهَا أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ غَدًا وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ  
يَقُولُ: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) فَاهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا وَالظُّلُومَ بِجِدِّكُمْ  
عَلَيْهَا وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا أَيَقْظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ  
وَاقْطِعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ وَاشْعَرُوا بِهَا قُلُوبَكُمْ وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ وَدَاوُوا بِهَا  
الْأَسْقَامَ وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا

أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلاَهَا.  
وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا وَلَا  
تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا وَلَا تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا  
فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ وَنُطِقَهَا كَاذِبٌ وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ أَلَا وَهِيَ  
الْمُتَصَدِّيقَةُ الْعُنُونُ وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونَ وَالْمَائِنَةُ الْخُؤُونَ وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ وَالْعُنُودُ  
الصَّدُودُ وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ خَالِهَا إِنْتِقَالٌ وَوَطْأُهَا زَلْزَالٌ وَعِزُّهَا ذُلٌّ وَجِدُّهَا هَزْلٌ  
وَعُلُوهَا سُفْلٌ دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٌ وَنَهْبٌ وَعَطَبٌ أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ وَلِحَاقٍ  
وَفِرَاقٍ قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا فَأَسْلَمْتُهُمْ  
الْمَعَاقِلُ وَلَفَظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ وَأَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ  
وَسِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ مَسْفُوحٍ وَعَاضٍ عَلَى يَدَيْهِ وَصَافِقٍ بِكَفَيْهِ وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَيْهِ  
وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ وَرَاجِعٍ عَنِ عَزْمِهِ وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيَلُ وَأَقْبَلَتِ الْعِيَلُ وَلَا تَحِينَ  
مَنَاصٍ وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالٍ  
بَالِهَا فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ.

### ◀ اللغة

(الْفَاشِي) الشائع من فشى يَفْشُو اي ظَهَرَ وشاع (جَدّه) الجَدّ بفتح الجيم  
العظمة (التُّوَام) جمع توام وزان فَوَعَلَ وهو المولود مع غيره من بطنٍ وقد  
يجمع على توائم مثل جندل وجنادل وهو في المقام مجاز عن الكثير او  
المُتَوَاصِل، قال الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِي وجاء في جمعه توام على وزن فعال وهي  
اللَّفْظَةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ وَهُوَ جَمْعٌ غَرِيبٌ لَمْ يَأْتِ نَظِيرُهُ إِلَّا فِي  
مَوَاضِعٍ مَعْدُودَةٍ (عُمْرَةٌ) بفتح الغين وسكون الميم ضربٌ في الماء سَبَحَ  
وَضَرَبٌ فِي الْأَرْضِ بِسُرْعَةٍ وَهِيَ أَيْضاً الْمَاءُ الْكَثِيرُ وَالشَّدَّةُ وَالْمَرَادُ هُنَا أَمَّا شِدَّةُ  
الْفِتَنِ وَبَلَايَاهَا أَوْ شِدَّةُ الْجَهْلِ (الرَّيْنُ) بفتح الرّاء وسكون الياء والنون الدّنس  
يَقَالُ رَانَ عَلَى قَلْبِهِ ذَنْبُهُ أَيْ دَنَسَهُ وَوَسَخَهُ (أَسْدَى) مَنَحَ وَأَعْطَى (فَاهُطِعُوا)  
الْإِهْطَاعُ الْإِسْرَاعُ (كُظُوا) أَمْرٌ مِنَ الْكُظِّ وَهُوَ الْجَهْدُ (ارْحَضُوا) أَي اغْسَلُوا

(بَارِقَهَا) البارِق السَّحَاب يقال شام البرق نظر اليه اين يمطر (أَعْلَاقِهَا) الاعلاق جمع علق بكسر العين بمعنى النفس (خَالِبٌ) اي خادع (العُنُون) بفتح العين وضم النون مبالغة من عن، اذا ظَهَرَ.

(الْبَاجِمِحَةُ) الصَّعْبَةُ على راكلها (المائنية) الكاذبة (الْخُوُونُ) مبالغة في الخائنة (الْكُوُونُ) الجَحُودُ الْمُنْكَرُ (الصَّدُودُ) كثيرة الصَّد والهجر (الْحَيُودُ) مبالغة في الحيد وهو الميل (الْمَيُودُ) من ماد اذا اضطرب (مَعْقُورٍ) اي مجروح (مَجْزُورٍ) اي مَسْلُوح (شِلْوٍ) بكسر الشين البدن (مَسْفُوح) اي مَسْفُوك (زارٍ) يقال زار على رايه اذا لام نفسه عليه والباقي واضح.

### ◀ المعنى

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي) الشائع (حَمْدُهُ وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ) على سائر الجنود بل لا جند إلا جنده (وَالْمُتَعَالَى جَدُّهُ) وعظمته (أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التَّوَامِ) أي الكثير المتواصل (وَالْآيَةِ الْعِظَامِ) اي نِعْمه الباطنة (الَّذِي) اي الله الذي (عَظَّمَ حِلْمُهُ فَعَفَا) المُذنبين العاصين (وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى) وقدّر لكونه منزهاً عن الظلم (وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى) فلا يخفى عليه شيء (مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ) اي موجدهم بالخلق الإبداعي الذي لا عن مادة (بِعِلْمِهِ وَمُنْشِئِهِمْ) إنشاءً (بِحُكْمِهِ) ومصالحة (بِإِلَاقَتِدَاءٍ) بغيره في الإيجاد (وَلَا تَعْلِيمِ) منه اي من الغير آياه (وَلَا اخْتِنَادٍ) واتباع (الْمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ) غيره (وَلَا إِصَابَةَ خَطَأٍ وَلَا حَضْرَةَ مَلَأَةٍ) أي لم يكن خلقه على سبيل الخطأ ولا في حضور جماعة من العقلاء (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِبْتِغَاءَهُ) اي جعله مبعوثاً (وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ) في عهد الجاهلية (وَيَمْوُجُونَ فِي حَيْرَةٍ) وضلالة (قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ) اي ازمة الهلاك، (وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفئِدَتِهِمْ) وقلوبهم (أَقْفَالُ الرِّينِ) والحجاب.

(أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ) التي هي خير الزاد (فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) فواجب عليكم ان تتقوه (وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقُّكُمْ) فيجزئكم بها (وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ) اي على التقوى (بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا) بالتقوى (عَلَى اللَّهِ

فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ) اعنى فى الدنيا (الْحِرْزُ وَالْجَنَّةُ) من النار (وَفِي غَدٍ) اي وفى الآخرة (الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ) والخلود فيها (مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ) لا خفاء فيه (وَسَأَلُهَا رَايِحٌ) لا ضرر له بل يربح دائماً (وَمَسْتُودَعُهَا) اي مستودع التقوى وهو الله تعالى (حَافِظٌ) لها ولصاحبها (لَمْ تَبْرَحْ) ولم تنزل (عَارِضَةٌ نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ) اي كانت التقوى دائماً تعرض نفسها على الأمم الماضين وهكذا تكون فى الغابرين (لِحَاجَتِهِمْ) اي لحاجة الناس (إِلَيْهَا) الى التقوى.

(غَدًا) يوم القيامة (إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَأَ) فى الدنيا (وَأَخَذَ مَا أَعْطَى) فيها (وَسَأَلَ عَمَّا أَسَدَى) اي مَنَحَ وَاَعْطَى وهو يوم الحشر (فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا) اي التقوى (وَحَمَلَهَا) فَإِنَّ حَمَلَ التَّقْوَى صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ (أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا) قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> (وَهُمْ) اي حَمَلَةُ التَّقْوَى (أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾) ثُمَّ قَالَ ﷻ (فَاهْطِعُوا) وَاَسْرِعُوا (بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا) الى التَّقْوَى (وَالِظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا) اي اجهدوا وداوموا على التَّقْوَى بِالْجَدِّ وَالْمَبَالِغَةِ (وَإِعْتَاضُوهَا) اي التَّقْوَى (مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا) اي إِجْعَلُوهَا خَلْفًا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ (وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُّوَافِقًا) اي إِجْعَلُوهَا حال كونها موافقاً لطريق الحق عَوْضًا وَبَدَلًا عَنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُهُ (أَيَقْظُوا بِهَا) بِالتَّقْوَى (نَوْمَكُمْ) بِالتَّهْجُدِ (وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ) بِالتَّوَجُّهِ وَعَدَمِ الْغَفْلَةِ (وَاشْعَرُوا بِهَا قُلُوبَكُمْ) فَإِنَّهَا اي التَّقْوَى مِمَّا تُحْيَا الْقُلُوبَ بِهِ (وَارْحَضُوا بِهَا دُنُوبَكُمْ) اي اغسلوها بها (وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ) فَإِنَّهَا مِنْ أَحْسَنِ الدَّوَاءِ (وَبَادِرُوا بِهَا الْجِمَامَ) اي الْمَوْتَ (وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا) اي كونوا من من الْمُعْتَبِرِينَ بِغَيْرِكُمْ وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ يُعْتَبَرُ بِكُمْ (الْأَفْصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا) اي صونوا التَّقْوَى حَقَّ الصِّيَانَةِ وَاحْفَظُوهَا عَنِ الْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَفَاتِ (وَكَوْنُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا) مُتَبَاعِدِينَ (وَالِى الْآخِرَةِ

وَلَاهَا) اي والهين مُشتاقين (وَلَا تَضَعُوا مَن رَفَعْتُهُ التَّقْوَى وَلَا تَرْفَعُوا مَن رَفَعْتُهُ  
 الدُّنْيَا) اي لا تَضَعُوا الْمُتَّقِينَ وَلَا تَرْفَعُوا الْمَادِيِّينَ (وَلَا تَشِيْمُوا بِأَرْقَاهَا) اي لا  
 تنظروا الى سحابها (وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا) اي ناطق الدنيا  
 وناعقها والمقصود هو النهي عن مخالطة اهل الدنيا ومعاشرتهم (وَلَا  
 تَسْتَضِيْمُوا بِأَشْرَاقِهَا) وزينتها وزخارفها (وَلَا تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا) ونفائسها وذلك  
 (فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ) خادع (وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ) منهوبة (وَأَعْلَاقِهَا)  
 ونفائسها (مَسْلُوبَةٌ) مُختلسة (أَلَا وَهِيَ الْمُتَّصِدِّيَةُ الْعُنُونُ) اي مثل المرأة الفاحرة  
 المُتَّصِدِيَةِ الْمُتَّعَرِّضَةِ لِلرِّجَالِ (وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونَ) اي ان الدنيا مثل الدابة السيئة  
 الخلق التي لا تنقاد لراكبها (وَالْمَائِنَةُ الْخُؤُونُ) اي الكاذبة كثيرة الخيانة  
 (وَالْجَحُودُ الْكِنُودُ) اي كثيرة الإنكار والكفران (وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ) اي كثيرة الصد  
 والعدا (وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ) اي كثيرة الميل والإضطراب (حَالَهَا إِنْتِقَالٌ) اي حال  
 الدنيا إِنْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ (وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ) اي مَوْضِعُ قَدَمَيْهَا مُتَّحَرِّكٌ  
 (وَعَزُّهَا ذُلٌّ) لكون العز فيها مَحْقُوفًا بِالْغُرُورِ وَالْفَنَاءِ (وَجِدُّهَا هَزْلٌ) كما هو  
 شان الحَادِثَاتِ الْمُتَّغَيِّرَاتِ (وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ) في الواقع او بالنسبة الى الآخرة (دَارُ  
 حَرْبٍ وَسَلْبٍ وَنَهْبٍ وَعَطْبٍ) اي ان الدنيا دار المحاربة والإختلاس والغارة  
 والهلاكة (أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ) اي ان اهل الدنيا على شدة  
 ولحاقٍ بِالْأَمْوَاتِ وَفِرَاقٍ عَنِ الْأَحْيَاءِ (قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا) ومسالكتها  
 (وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا) فلا يمكن الفرار من شرورها ولا النيل الى  
 عيشها (فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاوِلُ) اي لم تحفظهم من الرزايا ولم تصنهم من المنايا  
 (وَلَفَظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ) اي أَلْقَتْهُمْ وَرَمَتْ بِهِمْ نَحْوَ سَهَامِ الْمَنِيَةِ (وَأَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ)  
 أي تصاريف الدنيا وتغيراتها (فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ) اي فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ نَاجٍ مَعْقُورٌ  
 اي مجروح (وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ) مقطوع (وَسِلْوٍ مَذْبُوحٍ) اي بدن مسفوح مسفوك  
 وهو كناية عن الندم على الإفراط والتفريط (وَدَمٍ مَسْفُوحٍ) اي ذي دم مسفوك  
 (وَعَاضٍ عَلَى يَدَيْهِ) بَعْدَ الْمَوْتِ نَدْمًا عَلَى التَّفْرِيطِ فِي أَمْرِ اللَّهِ (وَصَافِيٍّ بِكَفِّهِ)



وضاربت احدهما على الأخرى تأسفاً (وَمُرَّتَنِي بِخَدَّيْهِ) اي واضع خديه على مرفقيه ومرفقيه على ركبتيه همماً وحزناً (وَزَارِ عَلِيَّ رَأْيِهِ) اي عائب علي إعتقاده (وَرَاجِعْ عَنْ عَزْمِهِ) وقصده (وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيَلُ وَأَقْبَلَتِ الْغِيْلَةُ) والشَّر الَّذِي اضمرته الدنيا في خداعها (وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) اي ليس الوقت وقت التَّخْلُصِ والفرار (وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدَّ فَاتَ مَا فَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا) بما فيها من خيرها وشرها فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ.

### ◀ الشرح

□ قوله ﷺ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ وَالْمُتَعَالَى جَدُّهُ...**  
 قد مضى الكلام في معنى الحمد لله، غير مرّة وقلنا ان الله علم علي الاصح للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الكمالية والمعنى ان كل الحمد او جنس الحمد له تعالى لإستحقاقه له من حيث إستجماعه لجميع الكمالات ومن كان كذلك فكل الحمد له وقوله ﷺ: الفاشي حمده معناه ان حمده تعالى شاع وإنتشر في عالم الوجود فلا يختص بموجود دون موجود كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (١)  
 و: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ (٢)  
 و: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ - وَ الْأَرْضِ﴾ (٣) والآيات فيه كثيرة.

وقد تكلمنا في معنى الحمد واقسامه وكيفيته في كثير من الموارد ولا سيما المجلد الأول من هذا الكتاب فوصف الحمد بالفاشي يدل على كثرته وشيوعه وعدم إختصاصه بصنف من الموجودات دون صنف وهذا ممّا لا شك فيه فان الخلق في كلامه ﷺ بمعنى المخلوق فمن قال ان الحمد هو الوصف بالجميل على وجه التبجيل فيختص باللسان قد اخطا ومن قال هو

فعلٌ، يشعر بتعظيم المُنعم من جهة كونه مُنعماً فقد اصاب اذ يعم مورد اللسان والجنان والأركان بخلاف الأوّل لإختصاصه باللسان فقط واحسن منهما ما قاله بعض المُحقّقين وهو انّ الحَمْد إظهار الصّفات الكَماليّة لاحدٍ فيعم حَمْد الإنسان وغيره ومن هذا القبيل حمد الله جلّ ثنائه على ذاته وذلك حيث بسط بساط الوجود على مُمكنات لا تعدّ ولا تُحصى ووضع عليه موائد كثيرة لا تتناهى فقد كشف عن صفات كماله بدلالات قطعية، تفصيلية غير مُتناهية فانّ كلّ ذرّة من ذرّات الوجود تدلّ عليه ولا يتّصور مثل هذه الدلالات في الألفاظ والعبارات ومن ثمّ قال ﷺ لا أُحصى ثناءً عليك انت كما اثّنت على نفسك، وبه يظهر كون الحمد فاشياً في الخلق فتامل في المقام:

وامّا قوله ﷺ: **وَالْغَالِبُ جُنْدُهُ وَالْمُتَعَالَى جَدُّهُ** إشارة الى قوله تعالى: **﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾** <sup>(١)</sup> كما احتمله بعض شارحي كلامه ﷺ تبعاً للشارح المُعتزلي وهو ممّا لا باس به في ظاهر الأمر.

إلا انّ التحقيق جسماً يُودي اليه النّظر الدّقيق يقتضى معنى آخر ادقّ وأحسن وهو أنّه ﷺ لم يقل (والغالب حزبه) بل قال والغالب جُنده وعليه فنقول:

الجُنْد بضمّ الجيم وسكون النون والدال في الأصل الأرض الغليظة التي فيها حجارة ثمّ يقال لكلّ مجتمع جُنْد كما يقال للعسكر الجُنْد بإعتبار الغلظة، والحِزْب بكسر الحاء وسكون الزاء والباء ايضاً يطلق على جماعةٍ فيها غلظ والفرق بين الجُنْد والحِزْب هو انّ الجُنْد يقال للمجتمع المُعدّ للقتال والمبارزة مع الأعداء والحِزْب يطلق على كلّ مجتمع فقوله ﷺ إشارة الى كمال قدرته تعالى وانّ جُنده غالب على كلّ جُنْد كما قال الله تعالى في كتابه: **﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾** <sup>(٢)</sup>

و: **﴿أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ**

و: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (٢)

و: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣) والدليل على المدعى واضح لا خفاء فيه بل لا جند في الحقيقة إلا جنده كما أنه لا وجود إلا وجوده ولا علم إلا علمه ولا قدرة إلا قدرته هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، بل لا مؤثر في الوجود إلا هو وإذا كان كذلك فصَحَّ قوله والغالب جنده وقوله ﷻ: والمتعالى جدّه، الجذ بفتح الجيم وسكون الدال المهملة في الأصل قطع الأرض المُستوية ومنه جد في سيره يجد جداً وكذلك يقال جد في امره واجد صار ذا جدٍ ثم جعل لكل ما احدث إنشاؤه وسمى الفيض الإلهي جداً كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (٤)

وعليه فالمراد بتعالى جده، تعالى فيضه ورحمته او تعالى عظمته وقدرته. □ قوله ﷻ: أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التَّوَامِ وَالْآلِيهِ الْعِظَامِ...

قال الشارح المعتزلى، التوام جمع توام على فوعل وهو الولد المُقارن اخاه في بطنٍ واحدٍ وقد اتامت المرأة اذا وضعت اثنين كذلك فهي مُتَمَّ فان كان ذلك عاداتها فهي متام وكل ذلك من الولدين توام وهما توامان والجمع توام مثل قشعم وقشاعم وجاء في جمعه توام على فعال وهي اللفظة التي وردت في هذه الخطبة وهو جمع غريب لم يات نظيره إلا في مواضع معدودة وهي عرق العظم يؤخذ عنه اللحم انتهى.

ثم ان الفرق بين الآلاء والنعم هو ان الآلاء على ما قيل يطلق على النعم الظاهرة والنعماء على الباطنة كالحوأس وملائماتها ولأجل هذا الفرق خصوا الحمد بالآلاء والشكر بالنعماء لإختصاص الحمد بالنعم الظاهرة وعدم إختصاص الشكر به وأما في اصل اللغة لا فرق بين النعم والآلاء من حيث

المعنى فالفرق إصطلاحِيّ وان شئت قلت بحسب موارد الإستعمال ولعله لأجل هذه الدقيقة وصف النعم بالتوأم والآء بالعظام فانّ النعم الباطنة كالحواس كلّ واحدة فيها توامت مع الأخرى الا ترى انّ الحافظة والمفكرة والحس المشترك وغيرها كلّ واحدة منها مع الأخرى كالولدين يرتضعان بلبن واحد فلا غنى لأحدهما مع فقد الآخر فالإنسان الكامل من حيث الخلقه من كان واجداً لها موصوفاً بها وهذا بخلاف النعم الظاهرة فانها ليست كذلك وهو ظاهر وكلامه عليه السلام هذا يدل على عدم إختصاص الحمد بالنعم الظاهرة والشكر بالباطنة كما قيل بل الحمد يعمها وهو الحقّ الحقيق بالإتباع وقد مرّ الكلام فى معنى الحمد والشكر والآيات والأخبار الواردة فى مدح الحمد والشكر بما لا مزيد عليه ولا سيّما فى المجلد الأول من هذا الكتاب فراجع ان شئت.

□ قوله عليه السلام: الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَغَفَا وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى...

وصف الله تعالى بعظم الحلم لأنّ الحلم من اعظم الصفات وأشرف الكمالات بعد العلم بل لا ينفع العلم بدونه وحيث انّ الله تعالى واجد لجميع الكمالات بالفعل كما ثبت فى محله فهو متّصف بالحلم لا محالة وقد دلّ الكتاب على المدعى حيث قال: **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** (١)

و: **﴿عَفَى اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** (٢)

و: **﴿وَلَقَدْ عَفَى اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** (٣)

و: **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾** (٤)

و: **﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾** (٥)

أما العفو فهو إسقاط ما يستحقه من قصاص او غرامة وهو ايضاً من احسن الفضائل والكمالات وعليه فإنّصاف الواجب به أولاً وبالذات ممّا لا كلام فيه

وقد دَلَّ النَّقْلُ ايضاً عليه.

قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ (١)

و: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (٢)

و: ﴿لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ (٣)

و: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوءًا قَدِيرًا﴾ (٤) والآيات كثيرة ولأجل هذا امرنا الله تعالى

في كتابه به حيث قال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٥)

وكيف كان فلا شك في أن الله تعالى يعفو عن السيئات بحلمه كما ورد في

الدعاء يا من يقبل اليسير ويعفوا عن الكثير قال رسول الله ﷺ العفو لا يزيد

العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله انتهى...

وقال موسى يا رب أي عبادك اعزّ عليك قال الذي إذا قدر عفى انتهى...

ويظهر من كلامه ﷺ أن العفو متفرع على الحلم ولأجل ذلك فرّعه عليه فإن

الفاء في قوله ﷺ: (فعفى) للتفريع وهو كذلك إذ العفو كما قلنا إسقاط ما

يستحقه من قصاص أو غرامة والإسقاط كذلك لا يصدق إلا مع القدرة على

القصاص والغرامة فعدم إعمال القدرة مع وجود المقتضى وعدم المانع منشاها

الحلم أو التحلم وحيث أن التحلم تكلف الحلم وهو في حقه تعالى محال فلا

جرم عفوه تعالى يكون عن حلمه وهو المطلوب نعم قد يكون العفو فينا عن

التحلم لأجل المصالح التي ترجع فائدتها إلينا كما تُشاهد في كثير من أبناء

زماننا ولا سيما في الحكام والأمراء وما نقل في التواريخ من حلم معاوية

وامثاله من هذا القبيل فهو التحلم لا الحلم .

ثم وُصِفَ اللهُ تعالى بالعدل في كل ما قضى وحكم به وهو أيضاً ممّا لا

ريب فيه عقلاً ونقلاً أما العقل - فلأن العدل هو وضع الشيء في محله والله

تعالى كذلك إذ لو لم يكن كذلك فلا محالة وضع الشيء أو الأشياء في غير محله

وهو بعينه معنى الظلم ولا شك في ان الظلم من اقبح القبائح.

وافحش الفواحش فهو تعالى منزّه عنه واذا كان كذلك فهو عادل في كل ما حكم به وهو المطلوب واما الدلائل الثقلية على المدعى فكثيرة اشرنا الى شطرها منها في المجلد الأول عند شرحنا للخطبة التوحيدية فلا نطيل الكلام، بذكرها ثانياً: ﴿وَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(١)</sup> واما ان الله تعالى عالم بكل ما يمضى وما مضى فهو إشارة بإحاطة علمه بكل شيء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في الأرض ولا في السماء ولا يخفى عن علمه شيء وهو العالم بما مضى وما يمضى وقد تكلمنا في علمه تعالى مفصلاً في مواضع كثيرة ولا سيما المجلد الأول عقلاً ونقلاً.

□ قوله ﷻ: مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا إِقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ وَلَا اِحْتِدَ الْمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ وَلَا اِصَابَةَ خَطَأٍ وَلَا حَضْرَةَ مَلَأَةٍ...

الفرق بين الإبداع والإنشاء هو ان الإبداع عبارة عن الإيجاد الذي لا يكون مسبقاً بالمادة والمدة وقد يُعبر عنه بالإيجاد عن لا شيء والإنشاء عبارة عن الإيجاد لا كذلك فهو مسبق بهما معاً او بالمادة فقط ولأجل هذا يقال الإبداع مُخْتَصٌّ بالواجب تعالى والإنشاء مُشْتَرَكٌ بينه وبين خلقه وقيل هو ايضاً مُخْتَصٌّ به تعالى في الحقيقة لرجوع الآثار كلها اليه والأمر سهل بعد وضوح المقصود وكيف كان فلا شك في كونه تعالى مُبْدِعاً وَمُنْشِئاً وَيَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ:

قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>

و: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنِّي يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup>

وعلى الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (١)

و: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٢)

و: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ (٣) وغيرها من الآيات.

وقوله ﷻ: بِإِلَاقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ إِلَى قَوْلِهِ وَلَا حَضْرَةَ مَلَائِي إِشَارَةَ إِلَى أَنَّ إِبْدَاعَ الْحَقِّ وَإِنْشَاءَهُ كَانَ بَعْلَمَهُ وَقُدْرَتَهُ وَحُكْمَهُ وَمَصْلَحَتَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلْغَيْرِ دَخْلٌ فِيهِ وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهَيْنِ.

أحدهما: أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَعَالَى فِي إِبْدَاعِهِ وَإِيجَادِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ لَكَانَ الْغَيْرُ مَوْجُوداً لَا مُحَالَةً إِذْ لَا تَأْثِيرَ لِلْمَعْدُومِ وَالْمَفْرُوضِ عَدَمُهُ فَإِنَّ الْمَوْجُودَ حِينَ الْإِبْدَاعِ لَا يَخْلُو حَالَهُ أَمَا أَنْ يَكُونَ خَالِقاً أَوْ يَكُونَ مَخْلُوقاً وَالْأَوَّلُ لَا يَكُونُ لِأَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ وَالثَّانِي لَا يَكُونُ لِأَنَّ الْمَفْرُوضَ عَدَمُهُ وَالْبَحْثُ فِي أَصْلِ الْإِبْدَاعِ وَهُوَ مَعْلُومٌ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَوْجُودٌ غَيْرُ الْوَاجِبِ تَعَالَى فَلَا مَعْنَى لِلْإِقْتِدَاءِ وَالْإِحْتِدَاءِ وَامْتِثَالِ ذَلِكَ.

وثنائيهما: لَوْ كَانَ هُنَاكَ إِقْتِدَاءٌ وَإِحْتِدَاءٌ وَتَعْلِيمٌ يَلْزَمُ مِنْهُ إِحْتِيَاجُ الْوَاجِبِ إِلَى غَيْرِهِ وَكُلُّ مَحْتَاجٍ مُمْكِنٌ وَكُلُّ مُمْكِنٍ مَخْلُوقٌ وَالْمَفْرُوضُ وَجُوبُهُ وَالوَاجِبُ لَا يَكُونُ مُمْكِناً وَقَدْ مَرَّ الْبَحْثُ فِي امْتِثَالِ الْمَقَامِ فِي الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مُفْصَلاً عِنْدَ شَرْحِ قَوْلِهِ ﷻ: إِنْشَاءَ الْخَلْقِ وَإِبْتِدَاءَهُ إِبْتِدَاءً بِلَا رُؤْيَا أَجَالِهَا وَلَا تَجْرِبَةٍ إِسْتِفَادَهَا إِلَى آخِرِ مَا قَالَ:

□ قَوْلُهُ ﷻ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِبْتِغَاءَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي عَمْرَةٍ وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْتِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ...

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَوَصَفِهِ بِمَا وَصَفَ ارْتَدَفَ كَلَامَهُ بِالشَّهَادَةِ عَلَى رِسَالَتِهِ فَقَالَ ﷻ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ مَقَامَ الْعِبُودِيَّةِ مُقَدَّمٌ

على مقام الرسالة ابتعته اي جعله مبعوثاً الى الخلق والحال ان الناس كانوا في  
 غمرة ويموجون في حيرة وذلك لأن الناس في عهد الجاهلية كانوا في دينهم  
 ودنياهم حيارى ففي قوله ﷺ: في غمرة إشارة الى قوله تعالى حيث قال في  
 ذم الكفار: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾

وفي قوله ﷺ: في حيرة إشارة الى قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ  
 فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾ (١)

وفي قوله ﷺ: على افتدتهم افعال الرين إشارة الى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا  
 يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢) وهذه الامور كلها من اوصاف الناس  
 في عهد الجاهلية وقد مر منه ﷺ نظير هذا الكلام في مواضع كثيرة من هذا  
 الكتاب ولا سيما المجلد الأول حيث قال ﷺ واهل الأرض يومئذٍ مليلٍ متفرقة  
 واهواء منتشرة وطوائف متشتتة الخ وقد تكلمنا هناك في اوصافهم مفصلاً.  
 □ قوله ﷺ: أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها حق الله عليكم والموجبة على  
 الله حقاكم...

بعد الإقرار بالتوحيد والثناء على الله والشهادة برسالة رسوله اوصى عباد  
 الله بتقوى الله مشعراً بانها افضل الكمالات للعبد بعد الشهادة بالتوحيد  
 والرسالة كيف وعليها مدار الأعمال والعبادات بحيث لولاها لا يقبل الله عمل  
 عامل ولا عبادة عابد لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣) وقوله: فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ  
 وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٤) والآيات في مدحها كثيرة وقد تكلمنا فيها ايضاً بما لا  
 مزيد عليه وبيننا حقيقة التقوى وماهيتها وما ورد فيها من الآيات والأخبار فلا  
 نطول الكلام بذكرها ثانياً.

وفي قوله ﷺ فإنها حق الله عليكم إشارة الى حقه تعالى على عباده وأنه  
 ينبغى للعبد ان يعرف هذا الحق وفي قوله ﷺ: وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ،



إشارة إلى أن التقوى هي التي اوجبت على الله أن يجزيكم بأعمالكم اذ الناس مجزيون بأعمالهم التي صدرت عنهم وهذا هو الذي عبر عنه ﷺ بحق الناس على الله.

□ قوله ﷺ: «وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ...»

قالوا في شرح الكلام المراد بالإستعانة عليها بالله ان يطلب منه سبحانه التوفيق والإعانة على تحمل مشاق التكاليف الشرعية وبالإستعانة بها على الله الإستمداد بها على الوصول إلى قرب الحق وجواره هذا والذي ظهر لنا من هذا الكلام هو الإستعانة والإستمداد منه تعالى في التلبس بها والإستعانة منها في قبول الطاعات والأعمال بمعنى أن العمل اذا لم يكن صادراً عن التقوى لا نفع فيه.

□ قوله ﷺ: «فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِزُ وَالْجَنَّةُ وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ...»

علل ﷺ ما ذكره سابقاً بأن التقوى في اليوم اي في الدنيا الحرز والجنة اي انها مانعة عن الدخول في الهلكات والوقوع في الموشبهات فضلاً عن المحرمات فإن الحرز في اللغة الحفظ والجنة بضم الجيم السترة ولا شك ان الحافظ الساتر عن الإقتحام في القبائح هو التقوى وقد وردت به روايات منها - ما عن ابي عبد الله ﷺ قال: اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع انتهى...

ومنها - ما عنه ﷺ لا ينفع إجتهد لا ورع فيه انتهى «مشكاة الانوار ص ٤٢»...

واما ان التقوى هي الطريق إلى الجنة فهو اوضح من ان يخفى بل لا طريق إليها إلا هي ولذلك قال الصادق ﷺ القيامة عرس المتقين «ص ٤٢»... □ قوله ﷺ: «مَسَلِكُهَا وَاضِحٌ وَسَالِكُهَا رَابِحٌ وَمَسْتُوْدُهَا حَافِظٌ...»

المراد بمسلك التقوى الطرق المعينة في الشريعة المقدسة ومن المعلوم انه لا خفاء فيها واما ان سالكها رابح فهو ايضاً ظاهر واي ربح اعظم من ربح

التَّقْوَى وفيها خير الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَوْلُهُ ﷺ: وَمَسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ فِيهِ وَالَّذِي عَلَّلَهُ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي شَرْحِهِ هُوَ أَنَّ الْمُرَادَ الْمَسْتَوْدِعَ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لِأَنَّهُ تَعَالَى مُسْتَوْدِعَ الْأَعْمَالِ وَتَبِعَهُ الْخَوْثِيُّ وَغَيْرُهُ فِي شُرُوحِهِمْ ثُمَّ إِحْتَمَلَ الْخَوْثِيُّ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ الْحَفِظَةُ الَّتِي هِيَ وَسَائِطٌ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ اللَّهِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ:

**اقول:** الظاهر أن المُستودِعَ بكسر الدال اسم فاعل من إستودِع والمعنى أن مُستودِعَ التَّقْوَى حافظ لها إلا أن البحث في تعيين هذا المُستودِعِ وأنه من هو فذهب المُعتزلي وتبعه عليه غيره من الشراح أن المُستودِعَ هو الله تعالى بتقريب أن التَّقْوَى من ودائع لعباده، أو أنها من حيث كونها زادا للآخرة شُبِّهت بالوديعة المُودعة عند الله سبحانه وأنه بمنزلة المُستودِعِ وعليه فإطلاق المُستودِعِ عليه تعالى مجاز لا حقيقة، وانت ترى أن هذا الكلام مما لا يساعده العقل ولا النقل بل هو من قبيل الأكل من القفا أو حمل الكلام على ما لا يرضى به صاحبه فإن إطلاق المُستودِعِ عليه تعالى مما لا يقبله العقل وهذه الإستخراجات الظنية لا تُصححُ ولا النقل فإن الثناء للقبول والله تعالى ليس بقابلٍ لشيءٍ كما ثبت في العقلية إذ القابلية لا تنفك عن الإنفعال وهو عن الحدوث والله تعالى مُتَزَهٍ عن هذه الأمور، والحق في المقام أن المراد به قلب الإنسان إذ هو الذي قبل الوديعة الإلهية اعنى بها التَّقْوَى ثُمَّ هُوَ الَّذِي حَافِظُهَا وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى أَنَّ مُسْتَوْدِعَ التَّقْوَى اعنى القلب حافظ لها وقد سبقني إلى هذا الإحتمال قطب الراوندي على ما نقل عنه الشارح المُعتزلي والعجب أن المُعتزلي بعد نقله قال ﷺ ما قاله الراوندي ليس بشيءٍ مع أنه الحق وما قاله المُعتزلي ليس بشيءٍ فإن حمل الكلام على الحقيقة مهما أمكن أولى من حمله على المجاز ولا سيما المجاز المكروه فتأمل في المقام.

□ قوله ﷺ: لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَّمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا...

شرع ﷺ في وصف التقوى وأنها تعرض نفسها على الأمم كالمرأة الحسنة العارضة نفسها على الرجال للتزويج والإستمتاع في مِحن الدهر ونوائب الزمان فقوله ﷺ: لَمْ تَبْرَحْ يَفِيدُ الْإِثْبَاتَ لِأَنَّ بَرَحَ وَزَالَ إِقْتِضَايَا مَعْنَى النَّفْيِ وَلَا إِضَاءً لِلنَّفْيِ وَالنَّفْيَانِ يَحْصُلُ مِنْ إِجْتِمَاعِهَا إِثْبَاتٌ وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿لَا أَبْرَحَ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (٢)

وقوله ﷺ: لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا عَدَاً، أَي فِي الْعُقْبَىٰ إِشَارَةٌ إِلَىٰ إِحْتِيَاجِ النَّاسِ إِلَىٰ التَّقْوَىٰ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ كَمَا قَالَ ﷺ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَأَىٰ وَأَخَذَ مَا أَعْطَىٰ وَسَالَ عَمَّا أَسَدَىٰ...

أَي وَذَلِكَ إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَأَ وَأَنْشَرَ الْمَوْتَىٰ وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا أَعْطَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَسَالَ عَنْهُمْ مَا أَسَدَىٰ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ مِنَ النُّعْمِ وَالْآلَاءِ وَالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ وَوَجْهَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا هُوَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ فَالْوُصُولُ إِلَيْهَا أَعْلَىٰ الْمَقَامَاتِ وَالْبُلُوغُ إِلَىٰ اسْتِنَىٰ الدَّرَجَاتِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الدُّنْيَا وَالْعَمَلُ فِيهَا إِذَا كَانَ نَاشِئَةً عَنِ التَّقْوَىٰ وَهَذَا مِمَّا لَاشْكَ فِيهِ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا وَحَمَلَهَا أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ)...

ثُمَّ تَعَجَّبَ ﷺ مِنْ قَلَّةِ الْآخِذِينَ بِهَا وَالْمُتَّصِفِينَ لَهَا مَعَ شِدَّةِ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا فَقَالَ ﷺ: فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا أَيِ التَّقْوَىٰ وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمَلِهَا فَإِنَّ الْقَابِلِينَ لَهَا وَالْحَامِلِينَ آيَاهَا فِي نَهَايَةِ الْقَلَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (٣)

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَاهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا وَالِظُّوَا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا وَإِعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا أَيِّقْظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ وَأَقْطِعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ...  
الإهطاع الإسراع أي اسرعوا باسماعكم إلى التقوى واوصافها لتعرفوها حق

المعرفة واكثروا اي اجهدوا بالجهد والمبالغة على التقوى واعتاضوها اي  
 اجعلوها عوضاً من جميع ما سلف بكم خلفاً منه فانه خير خلف للوصول به  
 الى السعادة الابدية ومن كل مخالف لطريق الحق ما يوافقه اي اجعلوا الموافق  
 عوضاً عن المخالف فان فيما يوافق الشرع سعادة الدارين كما ان في خلافه  
 هلاك النسائين، ايقظوا بالتقوى نوم الغفلة واقطعوا بها يوم الغرور والخدعة.  
 □ قوله ﷺ: **وَأَشْعَرُوا بِهَا قُلُوبَكُمْ وَأَرْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ  
 وَبَادِرُوا بِهَا الْحَمَامَ وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا إِلَّا  
 قَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا...**

اي اجعلوا التقوى شعاراً وديناراً لقلوبكم او فهموها او لقفوها لقلوبكم  
 وارحضوا واغسلوا بها ذنوبكم بالتوبة والرجوع عن السيئات الى الحسنات  
 وداؤوا بالتقوى اسقام الجهل والعصيان وبادروا به الموت فلا تموتن إلا وانتم  
 مسلمون وإعتبروا بمن اضاع التقوى من المنافقين العاصيين حيث هلكوا  
 واهلكوا فلم يستفيدوا إلا الخسران عاجلاً وأجلاً ولا تكونوا ممن يعتبر بكم  
 من اطاعها والحاصل كونوا ممن يعتبر ممن اضاعها ولا تكونوا ممن يعتبر بكم  
 في إضاعة التقوى الا وكونوا التقوى عن الإضاعة وتصونوا بالتقوى غيرها  
 من اعمالكم اذ صون العمل عن الوسارس الشيطانية لا يمكن إلا بها.  
 □ قوله ﷺ: **وَكَوْنُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا وَإِلَى الآخِرَةِ وُلَاهًا...**

اي كونوا عن الدنيا معرضين متباعدين والى الآخرة واليهين مشتاقين اذ  
 حب الدنيا راس كل خطيئة وحب الآخرة راس كل حسنة، فتمنوا الموت إن  
 كنتم صادقين.

□ قوله ﷺ: **وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا...**

من رفعته التقوى ليس إلا المؤمن الصالح ومن رفعته الدنيا ليس إلا الظالم  
 الجائر الحاكم او الغنى الشريف في اهله وعشيرته فمن وضع العبد الصالح  
 المتقى وضع التقوى في الحقيقة ومن رفع اهل الدنيا فقد رفع الدنيا ولا شك

ان واضع التقوى يكون منافقاً او كافراً وواضع الدنيا مؤمناً صالحاً وانما قال عليه السلام  
هذا الكلام لأن كثيراً من الناس بل اكثرهم من هذا القبيل لا يعتنون بمن رفعت  
التقوى بل متوجهون الى من رفعت الدنيا بالمال والمقام والشهرة كما قيل:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها      فكلما انقلبت يوماً به انقلبوا  
يُعظمون اخا الدنيا فان وثبت      يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا  
وايضاً:

ان الدراهم فى المواطن كلها      تكسوا الرجال مهابةً وجمالاً  
وقال آخر:

يمشى الفقير وكل شيء ضده      والناس تغلق دونه ابوابها  
و يراه مبغوضاً وليس بمذنب      ويرى العداوة لا يرى اسبابها  
حتى الكلاب اذا رات ذا ثروة      خضعت لذيده وحرکت اذناها  
واذا رات يوماً فقيراً عابراً      نبتت عليه وكسرت انيابها

قوله عليه السلام: وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَلَا  
تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا وَلَا تُفْتَتُوا بِأَعْلَاقِهَا...

الضمائر كلها ترجع الى الدنيا والمعنى لا تنتظروا سحابها شبه الدنيا  
بالسحاب ثم اثبت لها البرق الذي يتفرع عليه المطر والشيم التوقع والانتظار  
والمقصود لا تنتظروا ولا تتوقعوا من الدنيا نعمة ورحمة فانها دار بالبلاء  
محفوفة وبالغدر معروفة ولا تسمعوا ناطقها اثبت لها النطق على سبيل  
الاستعارة ويمكن ان يراد به النطق الحالى اي نطق الدنيا بلسان الحال وكيف  
كان فالغرض من هذا الكلام عدم التوجه الى الدنيا وزخرفها وهكذا الكلام فى  
قوله ولا تجيبوا ناعقها حيث شبه الدنيا بالإبل ثم اثبت لها الراعى تخيلاً يقال  
نعق الراعى بصوته وحاصل المعنى لا تجيبوا من يدعوا اليها.

وقوله ولا تستضيئوا بإشراقها، شبه عليه السلام الدنيا ثالثاً بالسراج ثم اثبت لها  
الضوء والإشراق تخيلاً ثم نهانا عن الإستضاءة به فان ضوئها قليل بل هو

كالعدم عند العقلاء وان شئت قلت لا ضوء لها اصلاً بل الثابت لها زينتها  
وزخرفها وزبرجها واموالها وهذه هي التي عبر عنها بالإشراق على سبيل  
التخيل ومن المعلوم ان هذا الإشراق الخيالي لا يعنى به إلا من كان خياله غالباً  
على عقله واما قوله عليه السلام: وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا مَعْنَاهُ لَا تَغْتَرُوا بِنَفَائِسِهَا  
وتجملاتها وحيث نهى عن هذه الأمور عقب كلامه على سبيل التعليل  
بقوله عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ وَنُطْقُهَا كَاذِبٌ وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ وَأَعْلَاقُهَا  
مَسْلُوبَةٌ...

فقوله عليه السلام: فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ تَعْلِيلُ لِقَوْلِهِ عليه السلام فِيمَا تَقْدِمُ وَلَا تَشِيْمُوا بِارْقِهَا  
فكأنه قيل له عليه السلام ولم قلت لا تشيّموا بارقها فقال عليه السلام فإن برقها خالب اي خالٍ  
عن المطر والخالي عنه لا ينبغي إنتظار المطر عنه إلا للجاهل السفیه، وهكذا  
فى بعد هذا الكلام فإن قوله عليه السلام: وَنُطْقُهَا كَاذِبٌ تَعْلِيلُ لِقَوْلِهِ عليه السلام وَلَا تَسْمَعُوا  
نَاطِقِهَا وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكِذْبَ لَا يُعْبَأُ بِهِ وَقَوْلُهُ عليه السلام: وَأَمْوَالُهَا  
مَحْرُوبَةٌ لِقَوْلِهِ عليه السلام وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا وَقَوْلُهُ وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ تَعْلِيلُ لِقَوْلِهِ  
وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْبَرْقَ الْخَالِيَّ عَنِ الْمَطْرِ وَالنُّطْقَ الْكَاذِبَ  
وَالْأَمْوَالَ الْمَخْرُوبَةَ وَالْأَعْلَاقَ الْمَسْلُوبَةَ كَيْفَ يَصِحُّ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهَا  
وَيَتَمَسَّكَ بِهَا فَلَيْسَتْ هِيَ إِلَّا كَسِرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً.

□ قوله عليه السلام: أَلَا وَهِيَ الْمُتَّصِدِيَّةُ الْعُنُونُ وَالْجَامِحَةُ الْخُرُونُ وَالْمَائِنَةُ الْخُؤُونُ  
وَالْجَحُودُ الْكِنُودُ وَالْعُنُودُ الصَّدُودُ وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ...

كلمة (الا) لِلتَّنْبِيْهِ وَبِهَا نَبَّهَ النَّاسَ عَلَى غِيُوبِ الدُّنْيَا فَتَارَةً شَبَّهَهَا بِالْمَرَاةِ  
الْفَاجِرَةِ الْمُتَّصِدِيَّةِ الْمُتَّعْرِضَةِ لِلرِّجَالِ وَهُوَ مَنْ تَشَبَّهَ الْمَعْقُولَ بِالْمَحْسُوسِ  
وَوَجْهَ الشَّبْهِ فِيهَا هُوَ اغْتِرَارُ النَّاسِ بِظَاهِرِهَا كِاغْتِرَارِهِمْ بِظَاهِرِ الْمَرَاةِ الْفَاجِرَةِ  
وَعَفْلَتِهِمْ عَنِ بَاطِنِهَا وَأُخْرَى بِالذَّابَةِ الَّتِي لَا تَنْقَادُ لِصَاحِبِهَا لِسُوءِ خَلْقِهَا وَوَجْهَ  
الشَّبْهِ فِيهَا أَيْضاً ظَاهِرُهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا أَيْضاً لَا يُمْكِنُ لِأَهْلِهَا الْإِنْتِفَاعَ بِهَا فِى مَقَامِ

الضرورة والحاجة وثالثاً بالكاذبة الخائنة حيث أنها تخدع الناس بزيتها فإن المين الكذب والخؤون مبالغة في الخيانة ووجه الشبه فيه أيضاً ظاهر ورابعاً بالمرأة الكافرة المنكرة لزوجها في إحسانه اليها فتغدر وتمكر به في جميع المراحل والدنيا أيضاً كذلك وخامساً بالناقة العادلة عن مرعى الإبل المعرضة عن راعيها فإن العنود مبالغة في العناد والصدود مبالغة في الصد وهو المنع ووجه الشبه فيه أيضاً ظاهر.

وسادساً بكثيرة الميل والإضطراب التي لا تستقر بحال ولا شك ان الدنيا لا ثبات لها بل هي متغيرة مضطربة دائماً وهو أيضاً مما لا يخفى.

□ قوله ع: **حَالَهَا إِنْتِقَالٌ وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ وَعِزُّهَا ذُلٌّ وَجِدُّهَا هَزَلٌ وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ...**

اي حال الدنيا انتقال حالها ومقامها وجميع ما فيها من شخص الى شخص ووطأتها اي موضع قدمها متحرك غير ثابت بل هي دائماً متزلزلة مضطربة وعزها ذل في الحقيقة وفيه إيحاء الى ان الدنيا لا عز لها واقعاً بل ما يتوهم انه عز فهو ذل في الواقع وجدها هزل وذلك لأن ما ثبات له لا جد له، وعلوها سفل اي علو الدنيا سفل في الحقيقة لحقارتها ودنائتها ذاتاً بل العلو في الواقع في تركها والإعراض عنها.

□ قوله ع: **دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ وَنَهْبٍ وَعَطْبٍ أَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ...**

اي ان الدنيا دار محاربة واختلاس وغارة وهلاك ولذلك ترى الناس في مدة حياتهم فيها مشغولين بهذه الأمور فهذا يحارب هذا ويسلبه وينهب ماله ويقتله وبالعكس واهلها على ساقٍ وسياقٍ في سوقهم وسيرهم الى الآخرة ولحاقٍ في الولادة وفراقٍ بالموت.

له ملكٌ ينادي كل يوم لِدُوا لِمَوْتٍ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ

□ قوله ع: **قَدْ تَحَيَّرْتُ مَذَاهِبُهَا وَأَعْجَزْتُ مَهَارِبُهَا وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا...**

إسناد التحير الى المذاهب والإعجاز الى المهارب والخيبة الى المطالب من

باب المجاز العقلي والمقصود ان اهل الدنيا في مذاهبها ومسالكها متحيرة  
ومن الفرار عن شرورها عاجزة ومن الوصول الى عيشها ومآربها خائبة خاسرة  
وما كان كذلك ينبغي الحذر عنه.

□ قوله **عَلَى**: فَأَسْلَمْتَهُمُ الْمَعَاقِلُ وَلَفَظْتَهُمُ الْمَنَازِلُ وَأَعَيْتَهُمُ الْمَحَاوِلُ...

المعاقل جمع معقل وهو المدجا والمُحاول جمع مُحال بضم الميم او محاله  
بمعنى الحدق وجودة النظر والمعنى ان المعاقل لم تحفظهم عن الرزايا بل  
اسلمتهم اليها ولفظتهم المنازل اي ألقتهم المنازل التي كانوا ساكنين فيها الى  
القبور وأعيتهم المحاول أي لم يفدهم ذلك خلاصاً ولم يأمنوا عن تصاريف  
الدنيا وتغيراتها وحاصل الكلام ان هذه الأمور لا تنفعهم ولا تخلصهم عن  
تغيرات الزمان والموت الذي لا بد منه لكل احد.

□ قوله **عَلَى**: فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ مَسْفُوحٍ وَعَاضٍ  
عَلَى يَدَيْهِ وَصَافِقٍ بِكَفِّيهِ وَمُرْتَفِقٍ بِخَدِّيهِ وَزَارٍ عَلَيَّ رَأْيِهِ وَرَاجِعٍ...

كلمة (مِنْ) للتبويض اي فَمِنْ النَّاسِ من هو ناجٍ مَعْقُورٍ اي مجروح او هو  
من عقر البعير اذا ضرب ساقه بالسيف وهو قائم والحاصل ان الناجي منها  
يصير كالمجروح الهارب من الحرب بعد مقاسات الأحزان والشدائد وقد  
جرح بدنه.

وَمِنْهُمْ من هو كَاللَّحْمِ الْمَجْزُورِ الْمَسْلُوحِ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ جِلْدُهُ وَقِيلَ كَالْقَتِيلِ  
الَّذِي صَارَ لَحْمًا مَقْطُوعًا أَوْ كَالشَّلْوِ الْمَذْبُوحِ وَالشَّلْوُ بِكَسْرِ الشَّيْنِ هُنَا الْبَدَنُ كُلُّهُ  
وقوله وَدَمٍ مَسْفُوحٍ قِيلَ أَي ذِي دَمٍ مَسْفُوكٍ قَوْلُهُ وَعَاضٍ عَلَيَّ يَدَيْهِ، الْعَضُّ أَرْجَمَ  
بِالْأَسْنَانِ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ النَّدَمِ لَمَّا جَرِيَ بِهِ عَادَةُ النَّاسِ أَنْ يَفْعَلُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ  
اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ  
الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (١)

والمقصود انه عاض على يديه بعد الموت نادماً على التفريط في امر الله  
وهو وصف للظالمين، وصافق بكفيه، اي ضارب احدى اليدين على الأخرى



تأسفاً وتَحسراً ومُرتفقاً بخديه، اي واضح خديه على مرفقيه ومرفقيه على ركبتيه منصوبتين وهو جالس على إيتيه (وزار على رايه) اي عائب على اعتقاده ولائم لنفسه على سوء اعتقاده وراجع عن عزمه، ومقصده في الدنيا من الأموال التي صارت مُبدلة بالحرمان والياس ومنشا الكل هو الغفلة في دار الدنيا ومُتابعة النفس الأمارة بالسوء وعدم الإعتناء بالأحكام الشرعية والنواميس الإلهية وهو واضح.

□ قوله ﷺ: عَنْ عَزْمِهِ وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيَلَةَ وَأَقْبَلَتِ الْغِيْلَةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلْهَا فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ...

وفي بعض النسخ (الغيلة) بدل الحيلة، والغيلة الشر الذي اضمرته الدنيا من خداعها، والحيلة المكر والخدعة والمقصود ان حين الموت قد ادبرت الحيلة والغيلة فلا يمكن لأحد الفرار فيه هذا والحق ما ذكرناه في المتن اعنى قولنا ادبرت الحيلة بالحاء المهملة حذراً عن التكرار والتناقض في الكلام فان ادبار الغيلة وإقبالها متناقضان ولعله من سهو الناسخ او الطبع فعلى ما ذكره المشهور وقلنا به يصير المعنى ان الحيلة والخدعة قد ادبرت حين الموت واقبلت الغيلة اعنى بها ما اضمرته الدنيا او انها كناية عن الموت والمعنى اقبلت الموت والمآل واحد ولات حين مناص اي ليس الوقت وقت الفرار وهيئات هيهات من الفرار والحال انه قد فات ما فات من الدنيا وآمالها وذهب ما ذهب من مالها ومنالها ومضت الدنيا لحال بالها.

البال القلب والخاطر والمراد ذهبت على ما تهواه لا على ما يريد اهلها ثم تمسك ﷺ فيما قال بقوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقد تكلمنا في الدنيا وما هيتها وتقلبها على اهلها وما ورد فيها من الآيات والأخبار مفصلاً في موارد كثيرة فلا نطول الكلام بذكرها في المقام والحمد لله رب العالمين:

## الفهرست

- ومن كلام له ﷺ (١٧٦) ..... ٥
- قوله ﷺ: فَأَجْمَعَ رَأْيَ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ أَنْ اخْتَارُوا إِلَىٰ مَعْكَوسِ الْحُكْمِ مَتْنِ . ٥
- اللُّغَةُ ..... ٥
- المعنى ..... ٥
- الشرح ..... ٦
- قوله ﷺ: فَأَجْمَعَ رَأْيَ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ ..... ٩
- قوله ﷺ: فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعَجَعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلَا ..... ١٠
- قوله ﷺ: فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَهَا الْحَقُّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ وَكَانَ ..... ١٣
- قوله ﷺ: وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ ..... ١٥
- قوله ﷺ: وَالثِّقَّةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ ..... ١٥
- ومن خطبة له ﷺ (١٧٧) ..... ١٧
- قوله ﷺ: لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ وَلَا يَحْوِيهِ إِلَىٰ عَمَّا سَلَفَ مَتْنِ . ١٧
- اللُّغَةُ ..... ١٨
- المعنى ..... ١٨
- الشرح ..... ٢٠
- قوله ﷺ: لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا ..... ٢٠
- قوله ﷺ: وَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ وَلَا ..... ٢٣
- قوله ﷺ: وَلَا مَقِيلُ الدَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يَعْلَمُ مَسَاقِطَ ..... ٢٤
- قوله ﷺ: وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَلَا ..... ٢٥
- قوله ﷺ: شَهَادَةٌ مِّنْ صَدَقَتْ بَيْتُهُ وَصَفَتْ دِخْلَتَهُ وَخَلَصَتْ ..... ٢٦
- قوله ﷺ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَىٰ مِنْ ..... ٢٦

- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تُغْرَى الْمُؤْمَلُ لَهَا وَالْمُخْلَدُ ..... ٢٨
- قوله ﷺ: وَإِنَّمُ اللَّهُ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ ..... ٢٩
- قوله ﷺ: لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ..... ٢٩
- قوله ﷺ: وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمْ ..... ٣٠
- قوله ﷺ: وَإِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ وَقَدْ ..... ٣١
- قوله ﷺ: وَلَئِنْ رُدُّوا عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ إِنَّكُمْ لَسَعْدَاءُ وَمَا عَلَيَّ ..... ٣٢
- ومن كلام له ﷺ (١٧٨)..... ٣٥**
- فَقَالَ ﷺ: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ مَخَافَتِهِ مَتْنِ ٣٥
- اللُّغَةُ ..... ٣٥
- المَعْنَى ..... ٣٥
- الشَّرْحُ ..... ٣٦
- قوله ﷺ: أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى؟ ..... ٣٦
- فَقَالَ: وَكَيْفَ تَرَاهُ؟ فَقَالَ ﷺ: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ ..... ٣٦
- قوله ﷺ: قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مَلَامِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ ..... ٤٩
- قوله ﷺ: مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ ..... ٥٢
- قوله ﷺ: تَعْنُوا الْوُجُوهَ لِعَظَمَتِهِ وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ ..... ٥٦
- ومن خطبة له ﷺ (١٧٩)..... ٥٧**
- قوله ﷺ: أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرِ إِلَى وَمُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ مَتْنِ ٥٧
- اللُّغَةُ ..... ٥٧
- المَعْنَى ..... ٥٨
- الشَّرْحُ ..... ٥٩
- قوله ﷺ: أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ..... ٥٩
- قوله ﷺ: وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا الْفَرَقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعُوا ..... ٦١
- قوله ﷺ: إِنْ أَمَهَلْتُمْ خُضْتُمْ وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُزْتُمْ وَإِنْ اجْتَمَعُوا ..... ٦٢
- قوله ﷺ: لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْظُرُونَ بِنُصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَيَّ ..... ٦٢

- قوله ﷺ: فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَلَيَأْتِيَنِي لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي ..... ٦٤
- قوله ﷺ: لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينَ يُجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَدُكُمْ ..... ٦٥
- قوله ﷺ: أَوْلَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاءَ الطَّغَامَ ..... ٦٦
- قوله ﷺ: وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ وَبِقِيَّةٍ ..... ٦٧
- قوله ﷺ: فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ ..... ٦٨
- قوله ﷺ: وَإِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَأَقِي إِلَى الْمَوْتِ ..... ٦٨
- قوله ﷺ: قَدْ دَارَسْتُمْ الْكِتَابَ وَفَاتَحْتُمْ الْحِجَابَ وَعَرَفْتُمْ ..... ٦٨
- قوله ﷺ: لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ وَأَقْرَبُ ..... ٦٨
- ومن كلام له ﷺ (١٨٠) ..... ٧١**
- قوله ﷺ: بَعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ أَمَا لَوْ أَلِي وَجَمَاحِهِمْ فِي التَّيِّهِ. متن ٧١
- اللغة ..... ٧١
- المعنى ..... ٧١
- الشرح ..... ٧٢
- قوله ﷺ: أَمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبَنُوا فَطَعَنُوا فَقَالَ الرَّجُلُ بَلْ طَعَنُوا ..... ٧٢
- قوله ﷺ: بَعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ ..... ٧٢
- قوله ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهَمَ وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ ..... ٧٥
- قوله ﷺ: فَحَسَبْتُهُمْ يَخْرُوجُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَارْتِكَاسِهِمْ ..... ٧٦
- ومن خطبة له ﷺ (١٨١) ..... ٧٧**
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ أَلِي إِلَيَّ اللَّهُ فَلْيَخْرُجْ مِنْ ..... ٨٠
- اللغة ..... ٨٠
- المعنى ..... ٨١
- الشرح ..... ٨٥
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ ..... ٨٦
- قوله ﷺ: نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَتَبَرُّرِهِ ..... ٩٠
- قوله ﷺ: حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ آدَاءً وَاللَّيْ تَوَابِهِ ..... ٩٣

- قوله ﷺ: وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجَ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ وَائْتِقِ وَ..... ٩٥
- قوله ﷺ: وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانٌ مِّنْ رَّجَاءِ مُوقِنًا وَأَنَابٌ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا وَ..... ٩٧
- قوله ﷺ: لَمْ يُوَلَّدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا وَلَمْ يَلِدْ وَ..... ٩٨
- قوله ﷺ: وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ وَلَمْ يَتَعَاوَزْهُ زِيَادَةٌ وَلَا تَقْصَانٌ .. ١٠١
- قوله ﷺ: بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ وَ..... ١٠٢
- قوله ﷺ: فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ مُوْطِدَاتٍ وَ..... ١٠٤
- قوله ﷺ: دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ غَيْرَ وَ..... ١٠٤
- قوله ﷺ: وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانَهُنَّ بِالطَّوَاعِيَّةِ وَ..... ١٠٥
- قوله ﷺ: جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْخَيْرَانُ فِي وَ..... ١١٢
- قوله ﷺ: لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا، ادْلِهَمَامٌ سَجَفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ..... ١١٣
- قوله ﷺ: وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِيسِ أَنْ تَرُدَّ وَ..... ١١٣
- قوله ﷺ: فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ وَلَا لَيْلِ سَاجٍ... ١١٣
- قوله ﷺ: فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ وَلَا فِي بَفَاعٍ وَ..... ١١٤
- قوله ﷺ: وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفٌ وَ..... ١١٤
- قوله ﷺ: وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا وَمَسْحَبَ الدَّرَّةِ وَ..... ١١٧
- قوله ﷺ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ وَ..... ١١٨
- قوله ﷺ: لَا يَدْرُكُ بِوَهْمٍ وَلَا يَقْدَرُ بِفَهْمٍ وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَ..... ١٢١
- قوله ﷺ: الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا وَ..... ١٢٧
- قوله ﷺ: بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لَوْصِفِ وَ..... ١٣٢
- قوله ﷺ: فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ دَوْرَ الْهَيْئَاتِ وَالْأَدْوَاتِ وَ..... ١٣٢
- قوله ﷺ: فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ وَاطْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ... ١٣٣
- قوله ﷺ: أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي الْبَسْكُمْ الرِّيَاشَ وَ..... ١٣٧
- قوله ﷺ: وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ لِدْفَعِ الْمَوْتِ وَ..... ١٣٨
- قوله ﷺ: الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ... ١٣٨
- قوله ﷺ: فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ رَمْتَهُ قِسَى وَ..... ١٣٨

- قوله ﷺ: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ ..... ١٤٢
- قوله ﷺ: وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ ..... ١٥١
- قوله ﷺ: وَمِنْهَا: قَدْ لَبَسَ لِلْحِكْمَةِ جُثَّتِيهَا وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا ..... ١٥١
- قوله ﷺ: فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّةٌ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَتُهُ الَّتِي ..... ١٥٣
- قوله ﷺ: بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ ..... ١٥٣
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ ..... ١٥٣
- قوله ﷺ: لِلَّهِ أَنْتُمْ أَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّابِكُمُ الطَّرِيقَ ..... ١٥٤
- قوله ﷺ: أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا وَأَقْبَلَ ..... ١٥٦
- قوله ﷺ: وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْيَارَ وَبَاعُوا قَلِيلًا ..... ١٥٧
- قوله ﷺ: مَا ضُرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَارُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ ..... ١٥٧
- قوله ﷺ: قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ وَأَحْلَاهُمْ دَارَ ..... ١٦٠
- قوله ﷺ: وَأَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ وَمَضُوا عَلَيَّ ..... ١٦١
- قوله ﷺ: وَأَيْنَ نَظَرَ أَوْهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا ..... ١٦٤
- قوله ﷺ: ثُمَّ أَوْهَى عَلَيَّ إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ ..... ١٦٥
- قوله ﷺ: دَعُوا لِلْجِهَادِ فَاجَابُوا وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ ..... ١٦٥
- قوله ﷺ: ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ أَلَا ..... ١٦٥
- ومن خطبة له ﷺ (١٨٢) ..... ١٦٧**
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ الِى وَنِعْمَ الْوَكِيلُ متن ... ١٦٩
- اللُّغَةُ ..... ١٦٩
- المعنى ..... ١٦٩
- الشَّرْحُ ..... ١٧٣
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ الْخَالِقِ ..... ١٧٣
- قوله ﷺ: خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْيَابَ بِعِزَّتِهِ ..... ١٧٥
- قوله ﷺ: وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ ..... ١٧٦
- قوله ﷺ: لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا وَلِيَحْذَرُواهُمْ مِنْ ..... ١٧٦

- قوله ﷺ: وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصْرِفِ مَصَاحِبِهَا ..... ١٧٧
- قوله ﷺ: وَلِيَبْصُرُوهُمْ عِيُوبَهَا إِلَى آخِرِهِ أَيْ لِيَجْعَلُوهُمْ عَلَى ..... ١٧٨
- قوله ﷺ: وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ ..... ١٧٨
- قوله ﷺ: أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ وَجَعَلَ ..... ١٧٩
- قوله ﷺ: فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ وَزَاجِرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةٌ لِلَّهِ عَلَى ..... ١٨٠
- قوله ﷺ: أَمَّ نُورَهُ وَاكْمَلَ بِهِ دِينَهُ وَقَبَضَ نَبِيَّهُ وَقَدْ فَرَّغَ ..... ١٨٢
- قوله ﷺ: بِهِ فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَمْ ..... ١٨٣
- قوله ﷺ: وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْماً ..... ١٨٣
- قوله ﷺ: فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَسَخِطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ..... ١٨٣
- قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ ..... ١٨٦
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي آثَرِ رَبِّينَ وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ ..... ١٨٦
- قوله ﷺ: قَدْ كَفَاكُمْ مَوْنَةَ دُنْيَاكُمْ وَحَنَكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ..... ١٨٨
- قوله ﷺ: وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ ..... ١٨٨
- قوله ﷺ: فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِيْنُهُ وَتَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ..... ١٨٩
- قوله ﷺ: قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِرَاماً لَا يَسْقِطُونَ حَقّاً وَلَا ..... ١٩٠
- قوله ﷺ: مِنَ الْفِتَنِ وَتُوراً مِنَ الظُّلْمِ وَيُخْلِدُهُ فِيمَا اسْتَهْتَّ ..... ١٩١
- قوله ﷺ: فِي دَارٍ اضْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَنُورُهَا ..... ١٩٢
- قوله ﷺ: فَبَادِرُوا الْمَعَادَ سَابِقُوا الْأَجَالَ. فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ ..... ١٩٣
- قوله ﷺ: فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ ..... ١٩٤
- قوله ﷺ: وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ وَأَمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ ..... ١٩٤
- قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ ..... ١٩٥
- قوله ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةِ ..... ١٩٧
- قوله ﷺ: ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينِ شَيْطَانٍ أَعْلَمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا ..... ١٩٨
- قوله ﷺ: فَاسْعَوْا فِي فِكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلَقَ رَهَائِنُهَا ..... ١٩٩
- قوله ﷺ: أَسْهَرُوا عِيُونَكُمْ وَأَضْمِرُوا بَطُونَكُمْ وَاسْتَعْلِمُوا ..... ١٩٩

- قوله ﷺ: وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّ ..... ٢٠٠
- قوله ﷺ: فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ دَلٍّ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ ..... ٢٠١
- قوله ﷺ: وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَبَادِرُوا ..... ٢٠١
- قوله ﷺ: رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ وَأَكْرَمَ ..... ٢٠٢
- قوله ﷺ: أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي ..... ٢٠٢
- ومن كلام له ﷺ (١٨٣) ..... ٢٠٣
- قوله ﷺ: أَسْكُتُ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَتْرَمُ فَوَاللَّهِ إِلَى نُجُومِ قَرْنِ الْمَاعِزِ مَتْنٌ ..... ٢٠٣
- اللُّغَةُ ..... ٢٠٣
- المعنى ..... ٢٠٣
- الشرح ..... ٢٠٤
- قوله ﷺ: أَسْكُتُ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَتْرَمُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ ..... ٢٠٤
- قوله ﷺ: شَخْصُكَ خَفِيًّا صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتُ ..... ٢٠٤
- ومن خطبة له ﷺ (١٨٤) ..... ٢٠٥
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشُّوَاهِدُ إِلَى نَبْتِهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا مَتْنٌ ..... ٢٠٧
- اللُّغَةُ ..... ٢٠٧
- المعنى ..... ٢٠٧
- الشرح ..... ٢١١
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشُّوَاهِدُ وَلَا تُخَوِّبُهُ ..... ٢١١
- قوله ﷺ: الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ ..... ٢١٦
- قوله ﷺ: الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ وَقَامَ ..... ٢١٧
- قوله ﷺ: مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ وَيَمَّا وَسَمَهَا ..... ٢١٩
- قوله ﷺ: وَاحِدٌ لَا يَعْدُدُ دَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ وَقَائِمٌ لَا يَعْمَدُ تَتَلَقَّاهُ ..... ٢٢٠
- قوله ﷺ: لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا ..... ٢٢٥
- قوله ﷺ: لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا ..... ٢٢٩
- قوله ﷺ: بَلْ كَبَّرَ شَأْنًا وَعَظُمَ سُلْطَانًا ..... ٢٣١



- قوله ﷻ: وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَأَمِينُهُ ..... ٢٣٢
- قوله ﷻ: أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وَظُهُورِ الْقَلَجِ وَابْيَاضِ الْمُنْهَجِ ..... ٢٣٣
- قوله ﷻ: فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ ..... ٢٣٣
- قوله ﷻ: وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَيِّنَةً وَعَرَا الْإِيمَانَ وَثِيقَةً ..... ٢٣٤
- قوله ﷻ: وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النُّعْمَةِ لَرَجَعُوا ..... ٢٣٤
- قوله ﷻ: وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ وَالْبَصَائِرُ مَذْحُورَةٌ أَلَّا يَنْظُرُونَ ..... ٢٣٥
- قوله ﷻ: أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ..... ٢٣٥
- قوله ﷻ: كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ ..... ٢٣٦
- قوله ﷻ: تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِيَرْزِدَهَا وَفِي وِرْوَدِهَا لِصَدْرِهَا ..... ٢٣٦
- قوله ﷻ: لَا يُغْفَلُهَا الْمَنَاءُ وَلَا يُحْرِمُهَا الدِّيَانُ وَلَوْ فِي الصَّفَا ..... ٢٣٦
- قوله ﷻ: وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا وَفِي عُلُوقِهَا وَسَفْلِهَا ..... ٢٣٧
- قوله ﷻ: لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا ..... ٢٣٧
- قوله ﷻ: لَمْ يَشْرَكَهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَلَمْ يُعِنِّهِ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ ..... ٢٣٧
- قوله ﷻ: وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ ..... ٢٣٧
- قوله ﷻ: لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيْءٍ ..... ٢٣٨
- قوله ﷻ: فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ..... ٢٣٨
- قوله ﷻ: فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ ..... ٢٣٩
- قوله ﷻ: وَلَمْ يَلْجُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا ..... ٢٣٩
- قوله ﷻ: وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ ..... ٢٤٠
- قوله ﷻ: وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السُّوِيَّ ..... ٢٤٠
- قوله ﷻ: وَنَابَتَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا ..... ٢٤١
- قوله ﷻ: فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ..... ٢٤١
- قوله ﷻ: وَيُلْقَى إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا وَيُعْطَى لَهُ ..... ٢٤١
- قوله ﷻ: فَالطَّيْرُ مُسْخَرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا ..... ٢٤٢
- قوله ﷻ: وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ ..... ٢٤٢

- قوله عليه السلام: دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَّلَ لَهُ بِرِزْقِهِ وَأَنْشَأَ السَّحَابَ ..... ٢٤٢
- ومن خطبة له عليه السلام (١٨٥) ..... ٢٤٩
- قوله عليه السلام: مَا وَحَدَّهُ مَنْ كَيْفَهُ وَلَا حَقِيقَتَهُ إِلَى وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ مَتْنِ ٢٥١
- اللُّغَةِ ..... ٢٥١
- المعنى ..... ٢٥٢
- الشرح ..... ٢٥٧
- قوله عليه السلام: مَا وَحَدَّهُ مَنْ كَيْفَهُ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلَهُ وَلَا ..... ٢٥٧
- قوله عليه السلام: كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُودٌ ..... ٢٦٤
- قوله عليه السلام: فَاعِلٌ لَا يَاضْطَرِّبُ آلَةَ مُقَدَّرٌ لَا يَجُولُ فِكْرَةً ..... ٢٦٨
- قوله عليه السلام: لَا تَضَحُّبُهُ الْأَوْقَاتُ وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدْوَاتُ سَبَقَ الْأَوْ ..... ٢٧١
- قوله عليه السلام: بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ ..... ٢٧٧
- قوله عليه السلام: وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ..... ٢٨١
- قوله عليه السلام: ضَادُّ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ وَالْوُضُوحِ بِالْبَهْمَةِ وَالْجُمُودِ ..... ٢٨١
- قوله عليه السلام: مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُمَقَّارٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ..... ٢٨٤
- قوله عليه السلام: لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ وَإِنَّمَا تُحَدُّ الْأَدْوَاتُ ..... ٢٨٦
- قوله عليه السلام: مَنَعَتْهَا مِنْذُ الْقَدَمَةِ وَحَمَّتْهَا قَدُّ الْأَرْزَلِيَّةِ وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةُ ..... ٢٨٧
- قوله عليه السلام: بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا امْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعُيُونِ ..... ٢٨٨
- قوله عليه السلام: وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكََةُ وَكَيْفَ يَجْرِي ..... ٢٨٩
- قوله عليه السلام: إِذَا لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَلَتَجَزَأَ كُنْهَهُ وَلَا مَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ ..... ٢٩١
- قوله عليه السلام: وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ وَلَتَحْوُلُ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ ..... ٢٩٢
- قوله عليه السلام: الَّذِي لَا يَحْوُلُ وَلَا يَزُولُ وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقْوَالُ ..... ٢٩٦
- قوله عليه السلام: لَمْ يَلِدْ فَيَكُونُ مَوْلُودًا وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا ..... ٢٩٨
- قوله عليه السلام: جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَطَهَّرَ عَنِ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ ..... ٣٠٢
- قوله عليه السلام: لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتَقْدَرُهُ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ ..... ٣٠٣
- قوله عليه السلام: وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ وَلَا تُبْلِيهِ ..... ٣٠٥

- قوله ﷻ: وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ ..... ٣٠٥
- قوله ﷻ: وَلَا يُقَالُ حَدٌّ وَلَا نِهَآيَةٌ وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ ..... ٣١٠
- قوله ﷻ: وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تُحَوِّبُهُ فَتَقْلِبُهُ أَوْ تُهَوِّبُهُ أَوْ أَنَّ شَيْئًا ..... ٣١٠
- قوله ﷻ: لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٌ وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٌ يُخْبِرُ ..... ٣١١
- قوله ﷻ: يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَظُ وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ ..... ٣١٣
- قوله ﷻ: يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ وَيَبْغِضُ وَيَعْضِبُ ..... ٣٢٠
- قوله ﷻ: يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لَا بِصَوْتٍ يَفْرَعُ ..... ٣٢١
- قوله ﷻ: لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ ..... ٣٢٧
- قوله ﷻ: خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ ..... ٣٢٨
- قوله ﷻ: وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَاْمَسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِعَالٍ وَأَرْسَاهَا ..... ٣٢٨
- قوله ﷻ: أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا ..... ٣٣٢
- قوله ﷻ: فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ هُوَ الظَّاهِرُ ..... ٣٣٣
- قوله ﷻ: وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ لَا يُعْجِزُهُ ..... ٣٣٣
- قوله ﷻ: وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَعْلِبُهُ وَلَا يَقْوُتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا ..... ٣٣٤
- قوله ﷻ: خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ..... ٣٣٤
- قوله ﷻ: وَلَا كُفُولَهُ فَيُكَافِئُهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ ..... ٣٣٥
- قوله ﷻ: هُوَ الْمُفْنَى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ ..... ٣٣٦
- قوله ﷻ: وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ ..... ٣٣٧
- قوله ﷻ: وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا ..... ٣٣٨
- قوله ﷻ: وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا وَلَتَحَيَّرَتْ ..... ٣٣٨
- قوله ﷻ: وَإِنَّ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَا شَيْءٌ ..... ٣٤٠
- قوله ﷻ: بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ عَدِمَتْ عِنْدَ ..... ٣٤١
- قوله ﷻ: فَلَا شَيْءٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ ..... ٣٤٢
- قوله ﷻ: بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ ..... ٣٤٢
- قوله ﷻ: وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا ..... ٣٤٢

- قوله ﷺ: لَمْ يَتَكَادَهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ وَلَمْ يُؤَوِّدَهُ ..... ٣٤٣
- قوله ﷺ: وَلَمْ يَكُونُهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَتَقْصَانٍ . ٣٤٣
- قوله ﷺ: وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدِّ مُكَاتِرٍ وَلَا لِلِاخْتِرَازِ بِهَا ..... ٣٤٤
- قوله ﷺ: وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ وَلَا لِمُكَاتَرَةِ شَرِيكِ ..... ٣٤٤
- قوله ﷺ: ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لِأَلْسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ ..... ٣٤٤
- قوله ﷺ: لَا يَمِلُهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا ..... ٣٤٥
- قوله ﷺ: وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ..... ٣٤٥
- قوله ﷺ: ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا ..... ٣٤٥
- ومن خطبة له ﷺ (١٨٦) ..... ٣٩١**
- قوله ﷺ: الْآبِئِ وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَائِهِمْ إِلَى قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا مَتْنِ ٣٩١
- اللُّغَةِ ..... ٣٩١
- المعنى ..... ٣٩٢
- الشرح ..... ٣٩٣
- قوله ﷺ: الْآبِئِ وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَائِهِمْ فِي السَّمَاءِ ..... ٣٩٣
- قوله ﷺ: أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِذْبَارِ أُمُورِكُمْ وَإِنْ قَطَّاعٍ ..... ٣٩٣
- قوله ﷺ: ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ ..... ٣٩٥
- قوله ﷺ: ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى ..... ٣٩٥
- قوله ﷺ: ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلٍ مِنْ ..... ٣٩٦
- قوله ﷺ: وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ..... ٣٩٦
- قوله ﷺ: ذَاكَ إِذَا عَضُّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ ..... ٣٩٧
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذِهِ الْأَزْمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظَهْرُهَا ..... ٣٩٧
- قوله ﷺ: وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدْمُوا غِيبَ فِعَالِكُمْ ..... ٣٩٨
- قوله ﷺ: وَلَا تَفْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْزِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَأَمِيطُوا ..... ٣٩٨
- قوله ﷺ: فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهْبِهَا الْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ ..... ٣٩٩
- قوله ﷺ: إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِي ..... ٣٩٩

ومن خطبة له ﷺ (١٨٧) ..... ٤٠١

قوله ﷺ: أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَّقْوَى اللَّهِ إِلَى السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ مَتْن .. ٤٠١

اللغة ..... ٤٠١

المعنى ..... ٤٠٢

الشرح ..... ٤٠٣

قوله ﷺ: أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَّقْوَى اللَّهِ وَكَثْرَةَ حَمْدِهِ وَ..... ٤٠٣

قوله ﷺ: فَكُمْ خَصُّكُمْ بِنِعْمَةٍ وَتَدَارَكُكُمْ بِرَحْمَةٍ أَعْوَرْتُمْ وَ..... ٤٠٣

قوله ﷺ: وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَأَقْلَالِ الْعَقْلَةِ عَنْهُ وَكَيْفِ وَ..... ٤٠٤

قوله ﷺ: فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ وَ..... ٤٠٥

قوله ﷺ: أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ وَأَوْطِنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ..... ٤٠٦

قوله ﷺ: وَاشْتَغِلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا..... ٤٠٦

قوله ﷺ: لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالًا وَلَا فِي حَسَنٍ وَ..... ٤٠٦

قوله ﷺ: آيَسُوا بِالْدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ وَوَنَقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ..... ٤٠٦

قوله ﷺ: فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ وَ..... ٤٠٦

قوله ﷺ: فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ وَ..... ٤٠٧

ومن كلام له ﷺ (١٨٨) ..... ٤٠٩

قوله ﷺ: فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا إِلَى بَاطِلٍ قَوْمِيَّهَا مَتْن .. ٤٠٩

اللغة ..... ٤٠٩

المعنى ..... ٤١٠

الشرح ..... ٤١٠

قوله ﷺ: فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ وَ..... ٤١٠

قوله ﷺ: فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ وَ..... ٤١٢

قوله ﷺ: وَلَا يَقَعِ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ وَ..... ٤١٤

قوله ﷺ: إِنْ أَمَرْنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ وَ..... ٤١٥

قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطَرِيقٍ وَ..... ٤١٧

ومن خطبة له ﷺ (١٨٩) ..... ٤١٩

قوله ﷺ: أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ وَأَسْتَعِينُهُ إِلَىٰ لِكُلِّ شَيْءٍ مُّدَّةً وَأَجْلًا مَتَىٰ

اللُّغَةُ ..... ٤٢٠

المعنى ..... ٤٢١

الشرح ..... ٤٢٣

قوله ﷺ: أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ وَظَائِفِ حُقُوقِهِ ..... ٤٢٣

قوله ﷺ: عَزِيزَ الْجُنْدِ عَظِيمَ الْمَجْدِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ..... ٤٢٣

قوله ﷺ: دَعَا إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنِ دِينِهِ ..... ٤٢٤

قوله ﷺ: فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَىٰ اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عَزُوتَهُ ..... ٤٢٥

قوله ﷺ: وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمْرَاتِهِ وَامْتَهِدُوا لَهُ قَبْلَ خُلُولِهِ ..... ٤٢٦

قوله ﷺ: فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ وَكَفَىٰ بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ ..... ٤٢٧

قوله ﷺ: وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ ..... ٤٢٧

قوله ﷺ: فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ سَنَنْ ..... ٤٣٠

قوله ﷺ: فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ وَأُمُورٍ مُّشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ ..... ٤٣٢

قوله ﷺ: قَدْ آمِنَ الْعَذَابُ وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ وَزُخِرْ حَوْا عَنِ النَّارِ ..... ٤٣٤

قوله ﷺ: الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً وَأَعْيُنُهُمْ ..... ٤٣٥

قوله ﷺ: فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَ عَابَتِهِ يَفُوزُ فَايُزُكُمْ وَبِإِضَاعَتِهِ ..... ٤٣٥

قوله ﷺ: وَبَادِرُوا أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَاتُكْمُ مَرْتَهِنُونَ بِمَا ..... ٤٣٦

قوله ﷺ: وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ ..... ٤٣٧

قوله ﷺ: وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ إِسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ..... ٤٣٧

قوله ﷺ: الزَّمُوا الْأَرْضَ وَاصْبِرُوا عَلَىٰ الْبَلَاءِ وَلَا تُحْرِكُوا ..... ٤٣٧

قوله ﷺ: فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَىٰ فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَىٰ مَعْرِفَةٍ ..... ٤٣٨

ومن خطبة له ﷺ (١٩٠) ..... ٤٣٩

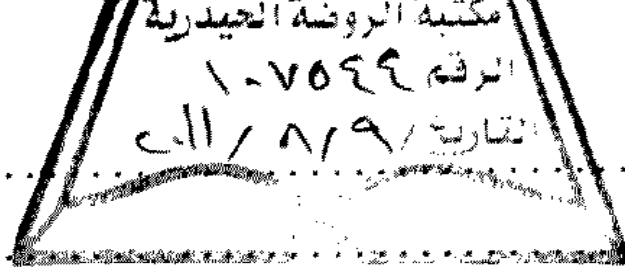
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَالْغَالِبِ إِلَىٰ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ مَتَىٰ

اللُّغَةُ ..... ٤٤٠

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة



الفهرست



- المعنى ..... ٤٤١
- الشرح ..... ٤٤٢
- قوله ﷻ: أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ..... ٤٤٢
- قوله ﷻ: أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التَّوَامِ وَالْأَيِّهِ الْعِظَامِ ..... ٤٤٦
- قوله ﷻ: الَّذِي عَظَّمَ حِلْمَهُ فَعَفَا وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَعَلِمَ ..... ٤٤٧
- قوله ﷻ: مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا إِقْتِدَاءٍ ..... ٤٤٩
- قوله ﷻ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسَ ..... ٤٥٠
- قوله ﷻ: أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَّقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ ..... ٤٥١
- قوله ﷻ: وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِهَا بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ ..... ٤٥٢
- قوله ﷻ: فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْجِزْزُ وَالْجُنَّةُ وَفِي غَدٍ ..... ٤٥٢
- قوله ﷻ: مَسَلِكُهَا وَاصِحٌّ وَسَالِكُهَا رَابِحٌ وَمَسْتَوْدَعُهَا ..... ٤٥٢
- قوله ﷻ: لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأَمَمِ الْمَاضِينَ ..... ٤٥٣
- قوله ﷻ: إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَأَ وَأَخَذَ مَا أَعْطَى وَسَالَ عَمَّا أَسَدَى ..... ٤٥٤
- قوله ﷻ: فَمَا أَقَلُّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدْدًا ..... ٤٥٤
- قوله ﷻ: فَاهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا وَالظُّوَا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ..... ٤٥٤
- قوله ﷻ: وَأَشْعَرُوا بِهَا قُلُوبَكُمْ وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ ..... ٤٥٥
- قوله ﷻ: وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نَزَاهًا وَاللَّيْلِ الْأَخِيرَةِ وُلاَهَا ..... ٤٥٥
- قوله ﷻ: وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ ..... ٤٥٥
- قوله ﷻ: وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَلَا ..... ٤٥٦
- قوله ﷻ: فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ وَنُطِقَهَا كَاذِبٌ وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ ..... ٤٥٧
- قوله ﷻ: أَلَا وَهِيَ الْمُتَّصِدِيَّةُ الْعُنُورُ وَالْجَامِحَةُ الْحَرُورُ ..... ٤٥٧
- قوله ﷻ: دَارٌ حَرَبٍ وَسَلْبٍ وَنَهَبٍ وَعَطَبٍ أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ ..... ٤٥٨
- قوله ﷻ: قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا ..... ٤٥٨
- قوله ﷻ: فَاسْلَمْتَهُمُ الْمَعَاقِلَ وَلَفِظْتَهُمُ الْمَنَازِلَ وَأَعْيَيْتَهُمُ الْمَحَاوِلَ ..... ٤٥٩
- قوله ﷻ: فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ وَسِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ ..... ٤٥٩





